المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية الشريعة
الدراسات العليا التاريخية

نسخة مصححة حسب ملاحظات لجنة المناقشة

اللجنة

د. محمد الحبيب الهيلة — د. محمد سليمان قنالي — المشرف د. صابر دياب

بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة

دراسة نقدية مقارنة

(٧٢٦ - ٧٥٠هـ / ١٣٢٦ - ١٣٤٩م)

رسالة ماجستير

في التاريخ الإسلامي

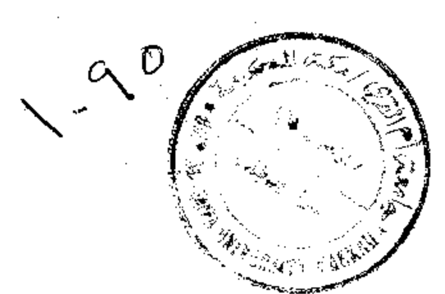
إعداد

الطالب / محمد يوسف عمر عابد

إشراف

الأستاذ الدكتور / صابر محمد دياب

١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

" المقدمة "

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد ،

فلما كانت كتب التاريخ الاسلامي تعنى دائما بأحوال الملوك والأمراء والحكام أكثر من عنايتها بأحوال الشعوب ، كان لابد من دراسة رحلات الرحالة المسلمين الذين دونوا رحلاتهم ، والتى كشفت لنا أحوال تلك البلاد من النواحى الاجتماعية والاقتصادية للبلاد التى مروا بها ، والتى أغفلت من قبل المؤرخين المسلمين .

ومن أعظم الرحالة المسلمين الذين برزوا فى هذا المجال الرحالة المغاربة اذ دفع الحج الى بيت الله الحرام هؤلاء الرحالة الى وصف مشاهداتهم وانطباعاتهم ، وهم فى طريقهم لتأدية فريضة الحج ، وحين عودتهم الى أوطانهم يحدثون مواطنيهم بأخبار تلك البلاد وما شاهدوه فيها ، وما ارتسم فى أذهانهم ، وانطبع فى نفوسهم عن الأشخاص والأماكن التى مروا بها .

وكان من أعظم هؤلاء الرحالة " ابن بطوطة " (ابو عبدالله محمد بن عبد الله ابن محمد بن ابراهيم اللواتى الطنجى) الذى شملت رحلته معظم أجزاء العالم الاسلامى الآن . حيث تكررت زيارته له عدة مرات وفى أزمنة مختلفة ، وخاصة بلاد الحجاز والشام ومصر ، والتى كانت تخضع وقتذاك لحكم دولة المماليك البحرية بمصر ، وقد اطلعت على ما كتبه " ابن بطوطة " عن أحوال تلك البلاد وخاصة الحجاز والشام .

وقد شدنى الى ذلك ما كتبه ابن بطوطة عن هذين البلدين الاسلاميين ، فعزمت بعد التوكل على الله على أن يكون موضوع بحثى فى رسالة الماجستير هو ما كتبه ابن بطوطة عن بلاد الحجاز ، ولكنى وجدت من سبقنى الى ذلك ، فرأيت أن حديث

ابن بطوطة عن بلاد الشام لا يقل أهمية عما ذكره عن بلاد الحجاز خاصة وأنه زارها ثلاث مرات متفرقة فى سنة ٧٢٦هـ و ٧٣٣هـ و ٧٤٨ ـ ٧٤٩هـ فاستقر الرأى على أن يكون موضوع البحث " بلاد الشام فى رحلة ابن بطوطة دراسة نقدية مقارنة " فى الفترة من سنة ٧٢٦ ـ ٧٥٠هـ / ١٣٢٦ ـ ١٣٤٩م " .

ومن أهم البواعث والأسباب التى دفعتنى الى اختيار هذا البحث احساسى أن الحديث عن رحلة " ابن بطوطة " فى بلاد الشام يعوزه الكثير من الدقة فى ايراد المعلومات التاريخية والوصف الدقيق ، الذى يتطلبه مثل هذا العمل الجاد ، خاصة وأن ابن بطوطة اعتمد على الذاكرة فى تدوين رحلته التى امتد الزمن بها لأكثر من ٢٥ عاما . والاعتماد على الذاكرة بعد هذا الوقت الطويل عرضة لكثير من النسيان ، مما أوقعه فى كثير من المآخذ ، فرأيت أن أخلص قدر جهدى هذا الجزء الخاص برحلته عن بلاد الشام مما علق به من مآخذ وشبهات ، محاولا وضعه فى مكانه الصحيح بين كتب الرحلات الهامة التى قام بها من سبقه فى هذا المضمار ، كالرحالة " ابن جبير " (ابو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكنانى) الذى رحل الى بلاد المشرق وزار مصر والحجاز والشام واستمرت رحلته لمدة عامين كاملين وثلاثة أشهر ونصف (من شوال سنة ٥٧٨ هـ ـ ١١٨٢م / الى محرم سنة ٥٨١هـ ـ ١١٨٥ م) والرحالة الذين جاءوا بعده ، كالرحالة " البلوى " (ابو البقاء خالد بن عيسى البلوى) الذى رحل الى بلاد المشرق وزار خلالها مصر والحجاز وفلسطين (فى الفترة من رجب سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م الى صفر سنة ٧٣٨هـ ـ ١٣٣٧م) . وذلك لكى تظل رحلته الى بلاد الشام محتفظة بمكانتها العلمية والشعبية والتى رسخت فى أذهان الناس زمنا طويلا .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه الى تمهيد وأربعة أبواب .

التمهيد ويتناول :

التعريف بمعنى كلمة الرحلة ، وأنواع الرحلات قبل الاسلام ، ثم نبذة بسيطة عن بداية الرحلة فى الاسلام وأنواعها ، مع أهمية علم الجغرافيا عند المسلمين وأشهر الجغرافيين العرب ٠

أما الباب الأول فيتكلم عن :

" الرحالة المسلمون فى القرن الثامن الهجرى " ٠

وقسمته الى قسمين :

أولا : تناولت فيه جميع النواحى الدينية والاجتماعية والثقافية والشخصية للرحالة " ابن بطوطة " ورحلاته الى بلاد الشام ، ومنهجه فى تسجيل مشاهداته ٠

ثانيا : ويتناول :

" الرحالة المسلمون ومنهجهم فى تسجيل مشاهداتهم " مثل :

١ ـ الرحالة العبدرى

٢ ـ الرحالة البلوى

٣ ـ ابن جبير وعلاقة ابن بطوطة برحلته ٠

أما الباب الثانى وعنوانه :

" مشاهدات ابن بطوطة فى بلاد الشام "

فقسمته الى خمسة أقسام :

أولا : الاحوال السياسية فى بلاد الشام فى القرن الثامن الهجرى فى رحلة ابن بطوطة ٠

ثانيا : الأحوال الاقتصادية فى بلاد الشام فى القرن الثامن الهجرى فى رحلة ابن بطوطة .

ثالثا : الحياة الاجتماعية والفكرية لبلاد الشام فى القرن الثامن الهجرى فى رحلة ابن بطوطة .

رابعا : المدارس والمساجد فى بلاد الشام فى القرن الثامن الهجرى فى رحلة ابن بطوطة .

خامسا : تعليقات ابن جزى الكلبى " كاتب الرحلة " على رحلة ابن بطوطة لبلاد الشام .

أما الباب الثالث فيتناول :

دراسة نقدية مقارنة بين مشاهدات ابن بطوطة فى بلاد الشام وما ذكرته عنه كتب الرحالة المسلمين فى القرن الثامن الهجرى .

وقسمته الى قسمين :ـ

أولا : ما كتبه الرحالة العبدرى عن بلاد الشام ومقارنته بكتابات ابن بطوطة .

ثانيا : ما كتبه الرحالة البلوى عن بلاد الشام ومقارنته بكتابات ابن بطوطة .

أما الباب الرابع فيتناول :

دراسة نقدية مقارنة بين مشاهدات ابن بطوطة فى بلاد الشام وما ذكرته عنها المصادر التاريخية فى القرن الثامن الهجرى .

وقسمته الى قسمين :

أولا :
ما كتبه المؤرخون المسلمون عن بلاد الشام في القرن الثامن الهجري • عن الأحوال السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية •

ثانيا :
دراسة نقدية مقارنة بين ما كتبه المؤرخون وما كتبه ابن بطوطة • ثم ختمت بحثي بابراز أهمية مشاهدات ابن بطوطة بالنسبة لدراسة تاريخ بلاد الشام •

واني لأحمد الله القوي العزيز الذي أمدني بتوفيقه وعونه الى أن أسير في خطوات هذا البحث ، الذي أرجو أن أكون قد وفقت في تحقيق الهدف الذي من أجله قمت به ، وأعتذر مقدما عما يكون قد ورد فيه من تقصير أو هنات فالكمال لله وحده سبحانه وتعالى •

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص شكري الى أستاذي الجليل الدكتور صابر محمد دياب أستاذ التاريخ الاسلامي بجامعتي القاهرة وأم القرى ، والذي كان له الفضل بعد الله — سبحانه وتعالى — في انجاز هذا البحث على الوجه المرغوب فيه ولما أبداه من توجيهات ونصائح • وما لمسته فيه من اخلاص وحب لتلاميذه فجزاه الله على حسن صنيعه خير الجزاء •

كما أشكر كل من قدم لي عونا ومشورة في اخراج هذا البحث وانجازه وبخاصة مكتبة جامعة أم القرى ، ومركز البحث العلمي بها ومكتبة الحرم المكي الشريف •

كما اتوجه بالشكر الجزيل والامتنان العظيم الى كل مسئول ومشرف على الهيئات التالية :—

* الكلية المتوسطة بالطائف التي أتاحت لي هذه الفرصة •

* جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

* كلية الشريعة - قسم الدراسات العليا في التاريخ والحضارة الاسلامية .

* ادارة الدراسات العليا بهذه الجامعة الفتية .

كما أوجه شكري الجزيل وتقديري الكبير الى السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة لما سيتحملونه من عناء قراءة هذا البحث وفحصه لمناقشته والحكم عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلاة وسلاما على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والله من وراء القصد ...

الطالب

محمد يوسف عابد

١٠ جمادى الآخرة عام ١٤٠٦هـ الموافق ١٩ فبراير ١٩٨٦م .

****

فهـــرس الموضـــوعات

بيــــــان	الصــفحة

البيـــــان	الصفحـة

البيان	الصفحة

البيـــان	الصفحة

رابعا :
المدارس والمساجد فى بلاد الشام فى القرن الثامن الهجرى فى رحلة ابن بطوطة .

خامسا :
تعليقات ابن جزى الكلبى على رحلة ابن بطوطة لبلاد الشام .

البيـــــان	الصفحة

البيـــان	الصفحة

****

تمهيد عن الرحلات وأنواعها عند المسلمين

الرحلة لغة واصطلاحا :

الرحلة لغة مأخوذة من رحل ، الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضى في سفر[1]. والترحل والارتحال . وهو الرحلة اسم للارتحال للمسير ، يقال دنت رحلتنا ، ورحل فلان وارتحل وترحل[2] ، والرحال كشداد العالم بالسفر المجيد له[3]. وفى الاصطلاح لم أجد تعريفا اصطلاحيا للرحلة . انما المتعارف عليه هو الخروج من الوطن بقصد السياحة فى المعمورة لمقاصد شتى .

ولقد عرف العرب قبل الاسلام فائدة الرحلات ، حيث كان كثير من العرب يعملون بالتجارة ، التى كانت تقوم على التبادل مع البلدان الأخرى . فكان للعرب رحلات داخلية وخارجية . " أما الداخلية فكانت داخل الجزيرة العربية فى أماكن معينة بالتبادل التجارى مثل دومة الجندل ، وذى المجاز ، ومجنة ، وسوق هجر بالبحرين ، وسوق صحار ، وسوق صنعاء ، وسوق عدن ، وغيرها من الأسواق التى كانت موجودة فى الجزيرة العربية حيث يجتمعون فيها للبيع والشراء "[4].

أما الخارجية ، فكانت خارج حدود الجزيرة العربية مع بلاد الشام والعراق. كما كان لقريش (أشهر قبائل الجزيرة العربية فى التجارة آنذاك) رحلتان موسميتان فى الصيف الى الشام ، وفى الشتاء الى اليمن . قال تعالى : "لإيلاف قريش إيلافهم . رحلة الشتاء والصيف "[5].

---

(١) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة . تحقيق عبد السلام محمد هارون ج٢ص٤٩٧

(٢) ابن منظور : لسان العرب المحيط . اعداد وتصنيف يوسف خياط ـ نديم مرعشلى . المجلد الأول ص ١١٤٢ .

(٣) الزبيدى : تاج العروس . ج ٧ ص ٣٤٠ .

(٤) الأولوسى : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ج١ ص ٢٦٤ : ٢٦٦ بتصرف

(٥) القرآن الكريم : سورة قريش آية ١ ـ ٢ .

وكانت هذه الرحلات تعتمد على معرفتهم بالنجوم والكواكب ، ليهتدوا بها ويتخذوا منها أدلة . قال تعالى : " وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر . قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون "(١) .

أما عرب الجزيرة العربية فكانوا قبل الاسلام أصحاب علم ودراية بالبحر ومسالكه حتى انهم عرفوا سر الرياح الموسمية وعنهم أخذها اليونان ، كما أن المراكب العربية كشفت مجاهل المحيط الهندى الى الصين (٢) . تلك كانت نبذة موجزة عن الرحلات قبل الاسلام .

الرحلة فى الاسلام :

ظهر الاسلام فى القرن السابع الميلادى ، ثم امتدت حركة الفتوحات الاسلامية فى شتى البلاد ، فأضافت للدولة الاسلامية مساحات شاسعة من قارتى آسيا وأفريقيا . فامتد شرقا الى الهند واندونيسيا والملايو حتى بلغ الصين ، وشمالا الى آسيا الوسطى ، وغربا الى المحيط الأطلسى ، وقد أدى هذا التوسع الى اختلاط العرب بأهالى البلاد المفتوحة ، كما أدى أيضا الى زيادة أهمية المعلومات عن أطراف العالم الاسلامى ، والوقوف على أحوال البلاد والسكان . " وكان للفتح أثر كبير فى نشأة المدنية الاسلامية وتطورها . فملك العرب ناصية العلم والمعرفة وحفظوا لأوربا تراث اليونان ، وتقدمت على أيديهم العلوم المختلفة ، وأتيح للمسلمين فى العصور الوسطى أن يحوزوا قصب السبق فى ميدان الرحلات والاكتشافات والدراسات الجغرافية . وأفادت أوروبا مما كان عند المسلمين من علم بأجزاء العالم المعروفة فى القرون الوسطى "(٣) والواقع أن ازدهار الحضارة الاسلامية وانبساط وسيادة المسلمين فى البر والبحر ، فضلا عن

---

(١) القرآن الكريم : سورة الأنعام آية ٩٧ .

(٢) انور عبد العليم : الملاحة وعلوم البحار عند العرب — سلسلة عالم المعرفة عدد ١٣ ص ٢٢ .

(٣) زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ص ٥ .

طبيعة الدين الاسلامي ، كل ذلك له الأثر الكبير في تشجيع المسلمين على الرحلات والأسفار (١) .

أنواع الرحلات عند المسلمين:

تنوعت الرحلات عند المسلمين الى أنواع أساسية هي : الرحلات العلمية ، والسياسية (السفارات) ، والدينية ، والتجارية . ومنهم من قسمها الى غير ذلك (٢) .

يقول الامام ابو حامد الغزالي : " السفر قد يكون لغرض دنيوي كالمال والجاه ، أو ديني ، والديني اما علم واما عمل ، والعلم اما علم في العلوم الدينية واما علم بأخلاق نفسه وصفاته على سبيل التجربة . واما علم بآيات الأرض وعجائبها ، والعمل اما عبادة واما زيارة ، والعبادة هو الحج والعمرة والجهاد ، والزيارة لمكة المكرمة والمدينة وبيت المقدس " (٣) .

الرحلات العلمية :-

وهي من أهم الرحلات في الاسلام واعظمها أثرا ، لأن أصحابها قاموا بها طلبا للعلم ، وخدمة له ، وجمعا للمعلومات من منابعها الأصلية . فكانوا يرحلون من بلد الى بلد ، ومن قطر الى قطر طلبا للعلم ، متحملين في سبيل ذلك المصاعب والمشاق . يقول ابن خلدون : " الرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال " (٤) .

والرحلة في طلب العلم تختلف باختلاف مقاصد أصحابها . فمنهم من يرتحل لجمع الحديث النبوي الشريف . لأن الحديث هو المصدر الثاني بعد القرآن الكريم ،

---

(١) زكي محمد حسن : المرجع السابق ص ٦ .

(٢) قسم محمد الفاسي الرحلات الى خمسة عشر نوعا . انظر محمد بن عثمان المكناسي : الاكسير في فكاك الأسير . المقدمة من ص خ : ر

(٣) الغزالي : احياء علوم الدين جـ٦ ص ١٠٨٠ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ١٠٤٥ .

" كما كان لها أثر بعيد في انتشار السنه ، ونشر الحديث وتمحيصه والتثبت منه .
فكان لرحلات الصحابة والتابعين (رضوان الله عليهم) وأتباعهم أثر جديد في المحافظة على السنة وجمعها "[1] . كما كانت الرحلة في طلب الحديث من لوازم طريقة المحدثين ومنهجهم في التحصيل العلمي[2] . ولهذا رحل علماء الحديث الى الأمصار المختلفة ، لجمع أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " . وعن جابر[3] بن عبد الله قال بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشتريت بعيرا ، فشددت عليه رحلا ، ثم سرت اليه شهرا حتى قدمت مصر[4] " .
كما كان سعيد بن المسيب[5] يسافر الايام والليالي في طلب الحديث الواحد[6] " .

" ومن أعظم من رحل في طلب الحديث الامام البخاري[7] ، فقد رحل في

---

(١) محمد عجاج الخطيب : أصول الحديث علومه ومصطلحه ص ١٣٤ .
(٢) الخطيب البغدادي : الرحلة في طلب الحديث . تحقيق نورالدين عتر ص ١٧
(٣) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي ولد سنة ١٦ قبل الهجرة . وهو صحابي جليل ومن المكثرين في الرواية عن رسول الله . كما روى عن جماعة من الصحابة . وله ولأبيه صحبه . غزا تسع عشرة غزوة مع النبي وكانت له حلقة في المسجد النبوي . كما روى له البخاري ومسلم . توفي سنة ٧٨هـ .
راجع : ابن حجر : الاصابة في تمييز الصحابة جـ١ ص ٤٣٤ ، الزركلي : الاعلام جـ٢ ص ٩٢ ،
(٤) الخطيب البغدادي : الرحلة في طلب الحديث تحقيق نورالدين عتر ص ١١٣
(٥) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي ولد سنة ١٣هـ .
(٦) وهو سيد التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة في المدينة المنورة . جمع بين الحديث والفقه والورع . كان يعيش من التجارة بالزيت . وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سمي راوية عمر . توفي سنة ٩٤هـ .
راجع : ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٥ ص ٨٨ ـ الزركلي : الاعلام جـ٣ : ١٥٥
الخطيب البغدادي : المرجع السابق ص ١٢٧ .
(٧) هو ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري . صاحب الجامع الصحيح . ولد ببخاري سنة ١٩٤هـ ونشأ يتيما ، وفي سنة ٢١٠هـ قام برحلته الطويلة في طلب الحديث فزار خراسان والعراق ومصر ، جمع نحو ستمائة ألف حديث ، اختار منها في صحيحه ما وثق بروايته . توفي سنة ٢٥٦هـ في خرتنك من قرى سمرقند . راجع : الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ٢ ص ٥٥٥ ـ =

طلب العلم الى مختلف الأمصار وكتب بخراسان(١) ومدن العراق كلها وبلاد الشام والحجاز ومصر(٢) ".

ومن الرحلات العلمية أيضا رحلات علماء اللغة الى البادية حيث المنبع الصافى من اللغة والأدب " وكثيرا ما يخرجون ويمضون الأعوام فى البادية، ويخالطون الأعراب ويؤاكلونهم ويشاربونهم ، ويسمعون منهم ويدونون ذلك(٣)". فعندما سأل الكسائى الخليل بن أحمد ،من اين أخذت علمك هذا ؟ فقال : من بوادى الحجاز ونجد وتهامة . فخرج يطوف هذه البوادى ، ورجع وقد أنفذ خمسة عشر قنينة حبر فى الكتابة عن العرب(٤) ". وقال الغزالى نقلا عن الشعبى ، لو سافر رجل من الشام الى أقصى اليمن فى كلمة تدل على هدى او ترده عن ردئ ما كان سفره ضائعا(٥) ".

ومن الرحلات العلمية أيضا الرحلة فى طلب تفسير آية من القرآن الكريم ، يوضح لنا ذلك قول أبى الدرداء(٦) : " لو أعيتنى آية من كتاب الله فلم أجد أحدا

= الزركلى : الاعلام جـ٦ ص ٦٥٨ .

(١) خراسان هى بلاد واسعة تقع اليوم فى الشمال الشرقى من ايران، وجنوب الاتحاد السوفيتى ،وغرب افغانستان . تقى الدين الندوى المظاهرى : الامام البخارى ، أعلام المسلمين — العدد ١٣ ص ٣٩ حاشية ٢ .

(٢) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ٢ ص ٤ .

(٣) احمد امين : ضحى الاسلام جـ٢ ص ٢٥٦ .

(٤) الخليل بن احمد هو صاحب علوم العروض وأستاذ سيبويه. راجع: السيوطى : بغية الوعاة تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم جـ١ ص ٥٥٧ — ٥٥٨ .

(٥) الغزالى : احياء علوم الدين جـ٦ ص ١٠٨١ .

(٦) ابو الدرداء هو عويمر بن زيد بن قيس الخزرجى الانصارى . كان آخر أهله اسلاما . شهد احدا مع الرسول صلى الله عليه وسلم . حدث عن الرسول . روى عن النبى انه قال : حكيم أمتى ابو الدرداء عويمر هذا . ولى القضاء فى خلافة عثمان على دمشق وتوفى بها سنة ٣١ هـ وقيل بعدها . راجع : ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٧ ق٢ ص ١١٧ — ابن حجر: الاصابة جـ ٤ ص ٧٤٧ — ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الاصحاب جـ٣ ص ١٢٢٧ و جـ٤ ص ١٦٤٦ .

يفتحها عليّ الا رجل يبرك الغماد (١) لرحلت اليه " (٢) •

ومن أهم الرحلات العلمية ، رحلات الجغرافيين العرب • فبعد اتساع الفتوحات الاسلامية ، كان لابد للمسلمين أن يرحلوا الى البلاد المفتوحة ، لمعرفة طرقها ومسالكها وخراجها ، مما أدى الى ظهور علم تقويم البلدان ، وهو علم قائم بذاته • كما اهتم المسلمون بعلم الجغرافيا وهو من أقدم العلوم التى عرفها الانسان "• فالتفكير الجغرافى قديم قدم الانسانية ذاتها "• (٣) ثم تطور هذا العلم على مر العصور تطورا كبيرا • والغاية من الجغرافيا هى وصف ما على سطح الأرض• " وكلمة جغرافيا لفظة يونانية مركبة ومعناها صورة الأرض "• (٤)

"وقد عنى المسلمون بهذا العلم وأعتمدوا فى معارفهم الجغرافية فى بادئ الأمر على المعرفة اليونانية والرومانية " (٥) ، وذلك عن طريق الترجمة والنقل الى العربية • ثم بدأ المسلمون فى أواخر القرن الثالث الهجرى وبداية القرن الرابع ، يضعون مبادئ علم الجغرافيا على أساس من المشاهدة والمعاينة والدراسة التطبيقية ، ويعتبر القرن الرابع الهجرى عهد النضج والابداع والابتكار العربى فى الجغرافيا • (٦) هذا وقد تميزت الكتابة الجغرافية عند المسلمين بسمات معينة :—

أولا : اقتصارها على العالم الاسلامى ويبدو ذلك واضحا فى كتابات المقدسى وابن حوقل والاصطخرى •

---

(١) موقع وراء مكة بخمس ليال مما يلى البحر قبل بلد اليمن• ياقوت: معجم البلدان جا ص ٣٩٩ •

(٢) الخطيب البغدادى : الرحلة فى طلب الحديث ص ١٩٥ •

(٣) يسرى الجوهرى : الفكر الجغرافى والكشوفات الجغرافية ص ٢٣ •

(٤) عمر الحكيم : تمهيد فى علم الجغرافيا ص ١ •

(٥) نيقولا زيادة : الجغرافيا والرحلات عند العرب ص : ١٧ •

(٦) احمد سوسة : الشريف الادريسى فى الجغرافيا العربية : الباب الأول ص ١٤٥ • وراجع ابن حوقل : صورة الأرض طبعة بيروت ص ١٦• الاصطخرى : المسالك والممالك : تحقيق محمد جابر عبد العال الحسينى ص ١٦— ١٩ المقدسى : احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ط ليدن ص ٩ •

ثانيا : التخصص فى قطر واحد كالهمدانى والبكرى .

ثالثا : ظهور المعاجم الجغرافية مثل معجم البلدان لياقوت — ومعجم ما أستعجم للبكرى .

أهمية علم الجغرافيا للرحالة :ـ

" يعتبر علم الجغرافيا من العلوم ذات الصلة الوثيقة بفن الرحلة . " فالكتب الأولى المؤلفة فى هذا العلم كانت تتخذ صبغة الرحلة ، ذلك أن الجغرافى كان نادرا ما يتعرض بالحديث عن نفسه وعن تاريخ خروجه وعما يتعرض له من المصاعب والمشاق ، وكان يطوف البلاد ويخترق مسالكها ، ويقف بنفسه على أحوالها (١) " ، كما كان يسأل ويستقصى ويحقق ويحاول أن يشمل كل جزء من المنطقة التى يتعرض لذكرها (٢) ، كما كان يجمع المعلومات من الحجاج ، وطلبه العلم ، والمغامرين ، والتجار والملاحين (٣) . ثم بعد ذلك يضع كتابه . ومن أشهر هؤلاء الجغرافيين المسعودى ، ابن حوقل ، الاصطخرى ، المقدسى .

أما الرحالة لغرض مختلف فانه يدون تاريخ خروجه من وطنه ويدون كل ما يتعلق بشخصيته ، ويكتب عن الأحوال التى أحاطت بسفره (٤) ، كما يثبت كل ما يقع له من حوادث أثناء غيابه ، ويذكر كل ما لاقاه من الصعوبات التى واجهته فى رحلته ، كما أنه يصف كل ما عاينه من مظاهر الحضارة فى كل بلد طرقه كالناحية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية (٥) .

ومن أشهر هؤلاء الرحالة ابن جبير — العبدرى — البلوى — وابن بطوطة .

---

(١) محمد بن عثمان المكناسى : الاكسير فى فكاك الاسير المقدمة ص : ح

(٢) نيقولا زيادة : رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى . ص ٦١ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ص ٢١٤ .

(٤) محمد بن عثمان المكناسى : الاكسير فى فكاك الاسير المقدمة ص : ح .

(٥) السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ص ٢١٤ .

أشهر الجغرافيين العرب

المسـعودى :ـ

" هو أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى الشافعى المؤرخ من ذرية عبد الله بن مسعود رضى الله عنه "[1] . " عاش فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، وأصله من بغداد ، بها نشأ ورحل فى طلب العلم ، وجمع الحقائق التاريخية ، والجغرافية . فرحل شرقا الى بلاد فارس ، والهند والصين ، وطاف بالمحيط الهندى وزار سواحل أفريقية الشرقية كما قام برحلات فى بحر قزوين وآسيا والشام والعراق وجنوب بلاد العرب وأخيرا استقر به المقام بمصر حيث توفى بها سنة ٣٤٦هـ "[2] . وقد نتج عن هذه الأسفار العديدة بالاضافة الى مشاهداته المختلفة واطلاعه الواسع عدة مؤلفات ذكرها الكتبى[3] . ومن أهم هذه الكتب كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر[4] ، وكتاب التنبيه والاشراف[5] وكتاب أخبار الزمان[6] . ويعتبر كتابه مروج الذهب من أعظم الكتب التى وصلت الينا حيث أوضح فى مقدمة كتابه ما تحمله فى أسفاره العديدة ويعتذر للقارئ قائلا : " على أنا نعتذر من تقصير إن كان ، ونتنصل من اغفال ان عرض لما قد شاب خواطرنا ، وغمر قلوبنا "[7] . وفى الحقيقة لم يؤلف المسعودى كتابا جغرافيا بمعنى الكلمة بل جمع ما بين الجغرافيا

---

(١) ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات تحقيق احسان عباس ج٣ ص ١٢ ، السبكى : طبقات الشافعية ج٣ ص ٤٥٦ . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٣ ص ٣١٥ .

(٢) قيل انه توفى سنة ٣٤٥هـ أو سنة ٣٤٦هـ ولكن المرجح وفاته سنة ٣٤٦هـ . السبكى : المصدر السابق ج٣ ص ٤٥٦ . أما الذهبى فذكر وفاته سنة ٣٤٥هـ انظر : تذكرة الحفاظ ج٣ ص ٨٥٧ .

(٣) انظر ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات ج٢ ص ١٣ .

(٤) طبع الكتاب فى أربع أجزاء : تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

(٥) طبع فى مطبعة بريل بمدينة ليدن

(٦) طبع هذا الكتاب فى دار الأندلس للطباعة والنشر — بيروت .

(٧) المسعودى : مروج الذهب : تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ج١ ص ١٠

والتاريخ والاجتماع بالاضافة الى أن بحوثه لم تقتصر على العالم الاسلامى اذ أولى اهتماما بتاريخ الأمم القديمة .

ابن حوقل :-

هو ابو القاسم محمد بن حوقل البغدادي لا يعرف شئ عن تاريخ ولادته أو وفاته ، سوى أنه غادر بغداد سنة ٣٣١هـ كما أشار هو إلى ذلك (١) طلبا لدراسة البلاد والشعوب ورغبة فى الارتزاق من باب التجارة فطاف فى العالم الاسلامى من شرقية إلى غربية . وقد اطلع على مؤلفات من سبقه فى هذا المجال من الرحالة المؤلفين ، (٢) كابن خرداذبه (٣) ، وغيره . يقول دوزى "Dozy" انه كان يتجسس ويعمل لحساب الفاطميين فى الأندلس (٤) .

كما قابل الجغرافى الشهير الاصطخرى أثناء رحلته فى بلاد السند ، ووصف ذلك قائلا : " ولقيت أبا اسحاق الفارسي وقد صور هذه الصورة لأرض السند فخلطها ،

---

(١) قائلا : " وبدأت سفرى هذا من مدينة السلام بغداد لسبع خلون من شهر رمضان سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة . ابن حوقل : صورة الارض طبعة بيروت ص١٠

(٢) أشار ابن حوقل الى ذلك أثناء حديثه عن السند - انظر ابن حوقل - المرجع السابق ص ٢٨٤ .

(٣) هو ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه فارسي الاصل - عاش فى القرن الثالث الهجرى - التاسع الميلادى عمل فى وظيفة عامل البريد باقليم الجبال فى ايران . وألف كتابه المسالك والممالك (طبع فى بريل بمدينة ليدن سنة ١٨٨٩م) الذى احتوى على دراسة قيمه لأهم الطرق الموجودة فى ذلك الوقت . كما احتوى الكتاب على مواقع كثيرة من المدن والمسافات بينهما والسلع التجارية المرغوبة فى أماكن مختلفة . وقد استفاد ابن حوقل وابن الفقيه والهمدانى والمقدسى من كتابه هذا . أما عن وفاته يقول كراتشكوفيسكى : لسنا على يقين من عام وفاته وعلى الترجيح أنه توفى حوالى ثلاثمائة للهجرة راجع : تاريخ الأدب الجغرافى العربى ط١ ص١١٥-١١٨ ، راجع نقولا زيادة : الجغرافيا والرحلات عند العرب ص١٨ ، يسرى الجوهرى : الفكر الجغرافى والكشوفات الجغرافية ص ١٠٩ ، جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج٢ ص ٥١١ ، عبدالرحمن حميدة : اعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ص ٩٠ ، احمد رمضان : الرحله والرحالة المسلمون ص ٥٥ .

(٤) زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون ص ٤١ ، كراتشكوفيسكى : تاريخ الأدب الجغرافى العربى ج١ ص ٢٠٤ .

وصور فارس فجود ها ... الخ)[١] . كما طلب الاصطخرى من ابن حوقل أن يعيد النظر فى كتابه كله ويحسنه ففعل ابن حوقل[٢] .

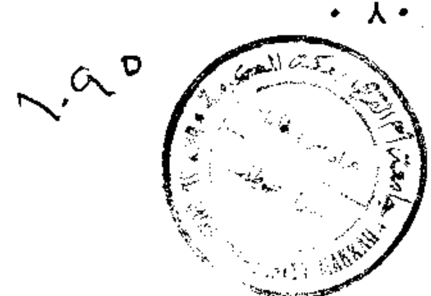
" وقد اتبع ابن حوقل منهج الاصطخرى وكان المؤلفان يحتويان على نفس المادة[٣] . وفى هذه الرحلة ألف كتابه صورة الأرض[٤] ، وخصه لذكر العالم الاسلامى " وبدأ ببلاد العرب وجعلها اقليما واحدا لوجود الكعبة فيها ومكة وهى وسط هذه الأقاليم عنده[٥] " .

الاصطخرى :

هو أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى ، المعروف بالاصطخرى نسبة إلى مدينة اصطخر بايران ، ولم نعرف عن حياته الا الشيء اليسير ، فقد أغفلت ذكره الكتب التى تؤرخ للرجال[٦] فلم تعرف سنة ولادته أو وفاته وكل ما يمكن قوله أنه توفى بعد سنة ٣٤٠هـ[٧] ، حيث يتضح لنا من قول ابن حوقل (فى كتابه صورة الارض) الذى غادر بغداد سنة ٣٣١هـ حيث التقى به فى بلاد السند "

---

(١) ابن حوقل : صورة الارض ص ٢٨٤ .
(٢) نقولا زيادة : الجغرافيا والرحلات عند العرب ص ٣١ .
(٣) يسرى الجوهرى : الفكر الجغرافى والكشوفات الجغرافية ص ١١٣ ، احمد سوسه : الشريف الادريسى فى الجغرافيا العربية . الباب الاول ص ١٧١ .
(٤) منهم من أطلق عليه اسم المسالك والممالك لاختلاف فى المسودات ، وقد طبع هذا الكتاب طبعة أولى فى ليدن باعتناء دى غويه بعنوان : " المسالك والممالك ثم أعيد طبع الكتاب فى ليدن سنة ١٩٣٨م بعنوان صورة الارض باعتناء كرايمرز انظر . احمد سوسه : المرجع السابق الباب الأول ص ١٧١ .
(٥) انظر ابن حوقل : صورة الارض ص ١٥ ، ١٦ .
(٦) الاصطخرى : المسالك والممالك تحقيق محمد جابر عبد العال الحسينى المقدمة ص ٩ .
(٧) عبد الرحمن حميده : اعلام الجغرافيين العرب ص ١٦٦ ، احمد رمضان : الرحلة والرحالة المسلمون ص ٨٠ .



ولقيت أبا اسحاق الفارسي وقد صور هذه الصورة لأرض الهند فخلطها وصور فارس فجودها "[١] .

وقد رحل الاصطخرى فى العالم الاسلامى وألف كتابه باسم " المسالك والممالك" ، وقد اعتمد فى تأليفه على المشاهدة والوصف وتحرى الدقة وسماع الأخبار ، ولكنه اقتصر ذكر العالم الاسلامى وحده ، مع تقسيمه الى عشرين اقليما قائلا : " فصلت بلاد الاسلام عشرين اقليما وابتدأت بديار العرب فجعلتها اقليما لأن فيها الكعبة ومكة أم القرى وهى واسطة هذه الأقاليم "[٢] .

وقد اعتمد الاصطخرى فى تصنيف مؤلفيه " كتاب الأقاليم " و " المسالك والممالك" على رحلاته لطلب العلم والمعرفة فى الآفاق الاسلامية . وكذلك اعتمد على مانقله من كتاب " صورة الأقاليم " لأبى زيد البلخى[٣] ، كما اعتمد عليه فى خرائطه[٤] .

قال المقدسى : ان البلخى قسم الارض عشرين جزءا[٥] . وهو الانفصال عن بطليموس ، وهو بداية ظهور الشخصية العربية فى هذا العلم الذى بلغ قمته عند المقدسى (٣٣٦هـ ــ بعد سنة ٣٧٥ هـ[٦]) ، وفى الحقيقة " لقد جمع الاصطخرى بين المنهج القديم

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض طبعة بيروت ص ٢٨٤ ، وقد ذكر كراتشكوفيسكى هذا اللقاء دون أن يعين المكان ، كما لم يشر الى المصدر الذى استند اليه . انظر كراتشكوفيسكى : تاريخ الأدب ص ٢٠٠ ــ ٢٠١ .

(٢) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ١٥ .

(٣) عبد الرحمن حميده : اعلام الجغرافيين العرب ص ١٦٦ ، زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون ص ٣٦ وأبو زيد البلخى هو احمد بن سهل ، أصله من بلخ بخراسان . ولد حوالى سنة ٢٣٥هـ وتوفى سنة ٣٢٢ هـ . وامتاز عن غيره من الجغرافيين السابقين بأنه لم يتأثر بالجغرافيا اليونانية . وهو أول من استقل عن بطليموس من الجغرافيين المسلمين . راجع : نيقولا زيادة : الجغرافيا والرحلات عند العرب ص ٣٠ ، عبد الرحمن حميده : اعلام الجغرافيين العرب ص ١٦٢ ، السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ص ١٨٩ .

(٤) نقولا زيادة : الجغرافيا والرحلات ص ٣١ ، زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون ص ٣٦ .

(٥) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم طبعة ليدن ص ٤ .

(٦) قسم بطليموس العالم الى سبعة أقسام . انظر نيقولا زيادة : الجغرافيا والرحلات ص ١٧ .

الذى يمثله كل من اليعقوبى (١) ، وابن رسته (٢) وابن خرداذبه (٣) وغيرهم ، وبين منهج أبى زيد البلخى .

وكذلك فقد أخرج علم الجغرافيا من دائرته الضيقة المنحصرة بسرد الأخبار ليؤسس علما يقوم على قواعد رصينة تتفق مع الأساليب العلمية " (٤) .

---

(١) اليعقوبى هو احمد بن ابى يعقوب بن جعفر بن واضح المعروف باليعقوبى . من أهل بغداد وكان جده من موالى الخليفة المنصور . رحل الى بلاد المغرب وأقام مدة فى أرمينية ، كما رحل الى الهند وايران ، ومصر ، صنف كتبا عديدة منها : تاريخ اليعقوبى ط ، كتاب البلدان ط ، أخبار الأمم السابقة وغيرها ، لم يكن اليعقوبى رجل جغرافيا فحسب ، بل كان حريصا على تدوين ملاحظاته عن المجتمعات التى تعرف عليها . وقد اختلف المؤرخون فى سنة وفاته فقيل عام ٢٨٤هـ والأرجح انه مات عام ٢٩٢هـ . كراتشكوفيسكى : تاريخ الأدب جـ١ ص ١٥٩ ، الاعلام : الزركلى جـ١ ص ٩٠ ، جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية جـ٢ ص ٥٠٥ ، عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ص ١٨٦ . راجع عبد الرحمن حميدة : اعلام الجغرافيين العرب ص ١٤٥ ، احمد رمضان : الرحلة والرحالة المسلمون ص ٧٠ .

(٢) ابن رسته هو أبو على احمد بن عمر الشهير بابن رسته ، لا يعرف الكثير عن حياته ، وكل ما نعرفه أنه فارسى الأصل ، قضى الجزء الأكبر من حياته فى اصفهان . له كتاب (الأعلاق النفيسة) . هو من المتأثرين بالمدرسة اليونانية . توفى بعد عام ٢٩٠هـ .

نيقولا زيادة : الجغرافيا والرحلات ص ١٩ ، السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون ص ١٨٧ .

وراجع : عبد الرحمن حميدة : أعلام الجغرافيين العرب ص ٦٩٩ ، احمد رمضان : الرحلة والرحالة المسلمون ص ٨٩ .

(٣) ابن خرداذبه : سبق أن ترجمت له عند تعرضى لذكر ابن حوقل انظر ص ١٠ حاشية ٣ .

(٤) احمد سوسه : الشريف الادريسى فى الجغرافيا العربية — الباب الأول ص ١٦١ .

المقدسي :ـ

ـــــــــــ هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر البشاري المعروف بالمقدسي (١) . ولد في بيت المقدس سنة ٣٣٥هـ . وهو من أعظم جغرافيي القرن الرابع الهجري . وهو آخر المثلين الكبار للمدرسة الاسلامية (٢) القديمة بالمعنى الدقيق . زار أغلب بلاد العالم الاسلامي ، ووصف أخلاق الشعوب الاسلامية ، وأحوال بلادهم ، وألف كتابه المشهور " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " بعد أن بلغ الأربعين من عمره . وهو خلاصة ما توصل اليه في أسفاره واطلاعه على مؤلفات من سبقه في هذا المجال قائلا : " ما تم لي جمعه الا بعد جولاني في البلدان ، ودخولي أقاليم الاسلام ، ولقائي العلماء ، وخدمتي الملوك ومجالستي القضاء (٣) " كما أشار في كتابه إلى منهجه في التأليف قائلا : " اعلم أني أسست هذا الكتاب على قواعد محكمة وأسندته بدعائم قوية وتحريت جهدي الصواب واستعنت بفهم أولي الألباب (٤) " .

كما أطنب المقدسي في ذكر تجاربه وما عاناه في سبيل كتابه قائلا : " لم يبق شيء مما يلحق المسافر الا وقد أخذت منه نصيبا ، فقد تفقهت وتأدبت

---

(١) منهم من حدد مولده سنة ٣٣٥هـ ووفاته سنة ٣٩٠هـ مثل عبد الرحمن حميده : أعلام الجغرافيين العرب ص ٢١٠ ، كراتشكوفيسكي : تاريخ الأدب جـ١ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .
ومنهم من حدد مولده سنة ٣٣٦هـ ووفاته سنة ٣٨٠هـ الزركلي : الاعلام جـ٦ ص ٢٠٣ .
منهم من حدد مولده بعام ٣٣٥هـ ووفاته بعد سنة ٣٧٥هـ (صلاح الدين المنجد : أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ، سلسلة يصدرها الدكتور صلاح الدين المنجد ـ عدد ٢ ص ١٢) .

(٢) كراتشكوفيسكي : تاريخ الأدب : جـ١ ص ٢١١

(٣) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم طبعة ليدن ص ٢ .

(٤) المقدسي : المصدر السابق ص ٣ .

وتزهدت وتعبدت وفقهت وأدبت وخطبت على المنابر وأذنت على المنائر ... الخ "(١)

ولم يكتف المقدسي بذلك بل نقد من سبقه من علماء الجغرافية المسلمين (٢).

أما عن محتويات كتابه فقد اختصره على ذكر مملكة الاسلام ، كالاصطخرى وابن حوقل وقام بتقسيمها الى أربعة عشر اقليما ، وأفرد اقليم العجم عن اقليم العرب (٣).

الأدريسي : هو محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس ، يرجع نسبه إلى على ابن أبى طالب رضى الله عنه . ولد فى مدينة سبته بالأندلس سنة ٤٩٣هـ (٤)، وتلقى تعليمه فى قرطبه . يقول عنه الصفدى : " كان أديبا طريفا مغرى بعلم الجغرافيا " (٥). وقد بدأ الادريسى أسفاره فى سن مبكرة فزار كثيرا من نواحى الأندلس " (٦)، وتجول فى البلدان الواقعة على البحر الأبيض المتوسط وسواحل فرنسا وانكلترا فى المحيط الأطلسى ، ثم رجع على ساحل افريقيا وقصد مصر والشام وآسيا الصغرى وزار بلاد اليونان (٧). (٨)

وفى عام ٥٣٣هـ — ١١٣٨م قصد بالرمو عاصمة صقلية بناء على دعوة من الملك النورماندى روجر الثانى ، الذى كلفه بتصنيف كتاب شامل فى وصف مملكته وسائر الآفاق المعروفة فى ذلك العهد وبوضع خريطة لما عرف من الأقطار فى القارات المعروفة . وقبل وفاة روجر الثانى أتم الادريسى فى بالرمو ٥٤٨هـ—١١٥٤م (٩)

(١) انظر المقدسي : المصدر السابق ص ٤٤ (٢) انظر المقدسى : المصدر السابق ص ٣—٥
(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ص ٩ .
(٤) الصفدى : الوافى بالوفيات جـ١ ص ١٦٣ .
(٥) زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون ص ٦٤ ، دائرة المعارف الاسلامية ، نقلها الى العربية محمد ثابت الفندى وآخرون جـ١ ص ٥٤٧ .
(٦) الصفدى : الوافى بالوفيات : جـ١ ص ١٦٤ .
(٧) عبد الرحمن حميده : اعلام الجغرافيين العرب : ص ٣١٦ .
(٨) أحمد سوسه : الشريف الادريسى فى الجغرافيا العربية ، الباب الثانى ص ٢٧٦ .
(٩) عبد الرحمن حميده : أعلام الجغرافيين العرب ص ٢١٧ .

وضعه للكرة الأرضية المصنوعة من الفضة والتى رسم عليها أقاليم العالم المعروفة ، وتاليفه لكتابه المشهور باسم : (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) (١) • أو ما يعرف باسم كتاب روجر ، أو رجاو ، أو الكتاب الرجاوى (٢) • وقد اعتمد على رحلاته الخاصة ، وما جمعه من الرواد الذين كان يوفدهم الملك روجر الى الأقاليم المختلفة ، وما كان يقيده ، من أحاديث الرحالة والتجار والحجاج • كما امتاز كتابه بغزارة مادته الجغرافية عن المغرب وصقلية • أما فيما يختص بالشرق فقد نقل الكثير ممن سبقه من المؤرخين (٣) • " وبعد وفاة روجر بقى الأدريسى فى بالرمو حيث صنف كتابا كبيرا فى الجغرافيا لغليوم الأول (Juillaum) عام (١١٥٤م — ١١٦٦م) تحت عنوان (روض الأنس ونزهة النفس) (٤) • توفى بمسقط رأسه سبته عام ٥٦٠هـ — ١١٦٦م (٥) •

الرحلات السياسية :

دفعت الظروف السياسية المحيطة بالدولة الاسلامية

---

(١) طبع دوزى القسم المختص بالمغرب والسودان ومصر والاندلس عام ١٨٦٤م فى ليدن • كما طبع روزن ملر وصف الشام وفلسطين عام ١٨٢٨م • وطبع امارى وغيره القسم المختص بايطاليا عام ١٨٨٥م • انظر جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج٣ ص ٨٩ — ٩٠ •

(٢) زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون ص ٦٤ — ٦٥ ، دائرة المعارف الاسلامية • نقلها الى العربية محمد ثابت الفندى وآخرون ج١ ص٥٤٧

(٣) زكى محمد حسن : المصدر السابق ص ٦٥ •

(٤) لم يبق من هذا الكتاب الا مختصرا فى مكتبة حكيم أوغلو على باشا باستانبول تحت رقم ٦٨٨ • دائرة المعارف الاسلامية ج١ ص ٥٤٧ • أما كراتشكوفيسكى فيقول لا نكاد نعرف عن هذا المصنف الا شذرات قليلة حفظها لنا فى القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى ، ابو الفداء الذى اطلق على الكتاب اسم " المسالك والممالك " • كراتشكوفيسكى : تاريخ الأدب ج١ ص ٢٩٠ •

(٥) عبد الرحمن حميده : أعلام الجغرافيين العرب ص ٣١٧ • جوسن وآخرون : عبقرية الحضارة العربية ص ٢٢٠ • يقول انه توفى عام ٥٦١هـ • جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج٣ ص ٨٨ — ذكر انه توفى ٥٤٨هـ

والاحساس بالمسئولية إلى ارسال سفارات إلى جيرانهم. وكان من أهمها السفارة التى بعث بها الخليفة المقتدر بالله العباسى عام ٣٠٩هـ — ٩٢١ م الى ملك البلغار (١) وكان ابن فضلان (٢) أحد أعضاء وفدها (٣) .

وأسباب هذه الرحلة أن ملك البلغار (بعد ان أسلم) طلب من الخليفة العباسى (المقتدر بالله) العون والمساعدة فى أن يبعث له شخصا من قبله ، يفقهه فى الدين ، ويعرفه شرائع الاسلام ، ويبنى له مسجدا ، وينصب له منبرا يقيم عليه الدعوة للخليفة فى جميع مملكته ، وأن يبنى له حصنا يتحصن فيه من الملوك المخالفين له (٤) . وغادر الوفد بغداد يوم الخميس ١١ صفر عام ٣٠٩هـ الموافق ٢١ حزيران عام ٩٢١ م (٥) . وقد دون ابن فضلان فى هذه الرحلة مشاهداته وملاحظاته بدقة ، على الرغم من ايجازها وقصرها . فحدد تاريخ الرحلة وأيامها وخطتها وسيرها (٦) ، والصعوبات التى واجهته فى بلاد

---

(١) البلغار : بالضم والعين المعجمة ،مدينة الصقالبة ضاربة فى الشمال شديدة البرد لا يكاد الثلج يقلع عن أرضها صيفا ولا شتاء . ياقوت : معجم البلدان جـ١ ص ٤٨٥

(٢) ابن فضلان هو احمد بن العباس بن راشد . كان مولى لأحد الخلفاء العباسيين وللقائد محمد بن سليمان الذى أفلح فى هزيمة الدولة الطولونية . ولسنا نعرف عن سيرة ابن فضلان شيئا كثيرا . انظر زكى محمد حسن : المرجع السابق ص ٤٦ .

(٣) كان أعضاء الوفد أربعة أشخاص هم سوسن الرسى — تكين التركى — بارس الصقلابى — احمد بن فضلان ومعهم دليل هو رسول الصقالبة . انظر رسالة ابن فضلان — تحقيق سامى الدهان ص ٢٣ .

(٤) رسالة ابن فضلان ص ٢٣ ، ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ١ ص ٤٨٦ ، زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون ص ٢٧ .

(٥) رسالة ابن فضلان : ص ٢٥ .

(٦) رسالة ابن فضلان : المقدمة ص ٢٥ .

يقول زكى محمد حسن : على الرغم من أن بعثة ابن فضلان كان هدفها سياسيا فانه لم يكتب فى رسالته شيئا عن نتائج هذه الرحلة من الوجهتين السياسية والحربية ، انظر زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون ص ٣٠ .

البلغار والصقالبة والروس بوصف دقيق وشامل ٠

ومن الرحلات السياسة أيضا رحلة (عبد الله بن محمد التجانى) [١] رحلة التجانى الذى خرج فى سنة ٧٠٦هـ — ١٣٠٦م من تونس فى صحبة أحد أمراء الدولة الحفصية ، الأمير " أبو يحيى بن اللحيانى " فى رحلة تفقد فيها أنحاء تونس ٠ وقد حوت رحلته قضايا أدبية وتاريخية وجغرافية واجتماعية للأماكن التى مر بها [٢] ٠

الرحلات التجارية :—

عرف العرب الرحلات التجارية منذ الجاهلية مع الأمم المجاورة لهم ، ثم تطورت هذه الحركة التجارية بعد الفتوحات الاسلامية ، فرحل التجار المسلمون الى الهند والصين وأواسط افريقيا وشمال شرقى أوروبا وجنوب شرق آسيا وغيرها من المناطق ٠ كما كان كثير من المسلمين يرحلون فى طلب الرزق تطبيقا لتعاليم القرآن الكريم فى قوله تعالى " فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله وأذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون " [٣] ٠ وكانت هذه الرحلات لا تخلو من فوائد عظيمة على رأسها نشر الاسلام فى البلاد التى كانوا يحلون بها والتى لم يصلها الفتح الاسلامى ، ونجحوا فى ذلك بسبب ما يتصف به

---

(١) التجانى هو ابو محمد عبد الله بن محمد بن احمد ولد بين سنتى ٦٧٠هـ و ٦٧٥هـ فى مدينة تونس التى كانت آنذاك عاصمة الحفصيين ودار ملكهم ٠ وكان أبوه وجده وأبناء عمومته من أهل العلم والأدب والفقه ، لذلك نشأ فى بيت علم ٠ وفى مستهل القرن الثامن الهجرى أدرك أبا عصيدة أحد سلاطين بنى حفص وكان على ادارة الدولة يومها شيخ الموحدين الأمير ابو يحيى بن اللحيانى ، فاختص التيجانى بعنايته وأختاره كاتبا خاصا وقد عنى بتحقيقها الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨م ٠ السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ص ٢٣٣ ٠

(٢) انظر التيجانى ابو احمد عبد الله : رحلة التيجانى ص ٤ ٠

(٣) القرآن الكريم : سورة الجمعة آية ١٠ ٠

المسلم من الصفات التى حض عليها الاسلام كسلامة العقيدة ، وحسن السمت ، والتحلى بمكارم الأخلاق . ومن أقدم الرحلات التجارية فى الاسلام رحلة التاجرين " سليمان السيرانى " (١) و "ابن وهب القرشى " (٢) اللذين قاما برحلات الى الهند والصين فى القرن الثالث الهجرى بقصد التجارة .

الرحلات الدينية :

كانت من أكثر الرحلات شيوعا وانتشارا وكان الدافع لها اما الحج الى بيت الله الحرام أو زيارة الأماكن المقدسة . فالحج الى بيت الله أتاح للكثيرين وصف مشاهد اتهم وانطباعاتهم وهم فى طريقهم لتأدية فريضة الحج . وحينما يعودون الى أوطانهم يحدثون مواطنيهم بأخبار تلك البلاد وما شاهدوه وما أرتسم فى أذهانهم وانطبع فى نفوسهم عن الأشخاص والأماكن التى مروا بها .

(١) السيرانى هو رجل عربى رحل الى الهند والصين سنة ٢٣٧هـ ولهذا الوصف ذيل وضعه فى القرن الرابع الهجرى مؤلف من سيرانى اسمه أبو زيد حسن وقد طبعت هذه الرحلة سنة ١٨١١م على يد المستشرق لانجليس "Langles" ثم نشرها المستشرق رينو "Reinaub" مع ترجمة فرنسية عام ١٨٤٥م . زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون ص ٢٣ ، عبد الرحمن حميدة : اعلام الجغرافيين العرب ص ٤١ ، احمد رمضان : الرحلة والرحالة المسلمون ص ٤٣ . راجع ابو القاسم الزيانى : الترجمانة الكبرى ص ٣٣١ حاشية رقم ١ .

(٢) أبن وهب القرشى هو من أصحاب الثروة والجاه فى العراق قام برحلته الى الصين نحو سنة ٢٥٦هـ فترك مدينة البصرة وخرج من ميناء سيراف على بعض مراكب الهند وطاف طويلا فى ممالك الهند الى أن انتهى الى الصين . انظر احمد رمضان : المرجع السابق ص ٤٢ ، وزكى محمد حسن : المرجع السابق ص ١٩ .

ومعظم هؤلاء كانوا من المغاربة . بل كان النابهون منهم يدونون ما شاهدوه على هيئة مذكرات يومية . كما كان الحج أشبه للدارسين بالمؤتمرات فى عصرنا الحديث، يرحلون اليها ويشتركون فيها ، فيفيدون ويستفيدون فى معرفة المجتمع الاسلامى . ويرجع اهتمام المغاربة بهذا النوع من الرحلات . " لبعد الديار المغربية عن الشرق والحجاز . فكان على من يرحل الى الحجاز من الأدباء والعلماء أن يخبر مواطنيه عن تلك البلاد وما شاهده من آثار الصحابة ، والمشاهد الشهيرة ، والعلماء لما يربطه بها من روابط الدين واللغة والدم . بالاضافة الى ولوع المغاربة بالسياحة وارتياد أقاصى البلاد " .(١)

ومن أشهر الرحالة الذين برزوا فى هذا المجال ابن جبير الذى قام بثلاث رحلات الى المشرق دوّن أخبار الرحلة الأولى منها والتى استغرقت أكثر من عامين من شوال عام ٥٧٨هـ الى محرم عام ٥٨١ هـ فى شبه مذكرات يومية .

والعبدرى الذى رحل الى الحج سنة ٦٨٨هـ ودوّن ذلك فى كتاب عرف باسم " رحلة العبدرى(٢) " "والقاسم بن يوسف التجيبى " . الذى رحل الى الحج سنة ٦٩٦هـ ورحلته تسمى " مستفاد الرحلة والاغتراب(٣) " . وأخيرا ابن بطوطة الذى رحل الى المشرق سنة ٧٢٥هـ واستغرقت رحلته ما يقارب ٢٥ عاما ، وعرف برحلته الشهيرة المسماة رحلة ابن بطوطة فى كتابه "تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" وهو اكثرهم طوافا وأوفرهم نشاطا ورحلته هذه هى موضوع بحثنا .

---

(١) محمد المكناسى : الاكسير فى فكاك الاسير : المقدمة ص : ب — ث بتصرف

(٢) قام الأستاذ محمد الفاسى بتحقيق هذه الرحلة الرباط ١٩٦٨م .

(٣) قام الأستاذ عبد الحفيظ منصور بتحقيق جزء من هذه الرحلة وتبدأ بالحديث عن مدينة القاهرة وتنتهى بوصف مبيت الحجاج بمنى . الدار العربية للكتاب . ليبيا — تونس ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥م .

الحاجة الى دراسة الرحلات :ـ

ان دارس التاريخ الاسلامى يحتاج فى دراساته الى معرفة أحوال المجتمعات الاسلامية فى أنحاء العالم الاسلامى ، ولما كانت كتب التاريخ تعنى دائما بأحوال الملوك والأمراء والحكام أكثر من عنايتها بأحوال الشعوب لذلك كان لابد من دراسة رحلات الرحالة المسلمين الذين دونوا رحلاتهم للوقوف على أحوال تلك البلاد من النواحى الاجتماعية والاقتصادية للبلاد التى مروا بها والتى أهملت من قبل المؤرخين المسلمين .

وأيضا كان لزاما على دارس كتب المؤرخين أن يرجع الى ما كتبه الرحالة . فالرحالة المسلمون هم الذين سجلوا الصورة الواقعية التى عرفتها العصور الوسطى لتعريف أبناء المسلمين أو البلاد الاسلامية بعضهم ببعض .

****

الباب الأول
حول الرحالة المسلمين في القرن الثامن الهجري

أولاً : ابن بطوطة حياته ، ثقافته ، منهجه في تسجيل مشاهداته

ثانياً : الرحالة المسلمون ومنهجهم في تسجيل مشاهداتهم

الباب الأول

الرحالة المسلمون فى القرن الثامن الهجرى

أولا : ابن بطوطة ، حياته ، ثقافته ، منهجه فى تسجيل مشاهداته :ـ

١ ـ اسمه ولقبه ومولده :ـ

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى الطنجى ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن بطوطة [(١)] كان يعرف فى البلاد الشرقية بشمس الدين [(٢)]. وفى الهند يدعونه بدر الدين [(٣)] ، وابن بطوطة بتشديد الطاء [(٤)] أو تخفيفها [(٥)]. أما لقبه اللواتى فنسبة الى قبيلة لواته ، احدى قبائل البربر التى انتشرت بطونها على طول ساحل افريقيا حتى مصر [(٦)]. أما الطنجى فنسبة الى مولده فى مدينة

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة تحقيق محمد عبد الله عنان ج٣ ص ٢٧٣ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ط : دار الجيب بيروت ج٣ ص ٤٨٠ ، رحلة ابن بطوطة : دار صادر (مقدمة ابن جزى) ص ١٢ .
أما الزبيدى ذكره بشمس الدين ابو عبد الله محمد بن على اللواتى الطنجى المعروف بابن بطوطة كسفودة انظر ، تاج العروس طبعة بولاق ج٥ ص ١٠٩ .

(٢) رحلة ابن بطوطة : (مقدمة ابن جزى) ص ١٢ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٥٠٩ .

(٤) كراتشكوفسكى : تاريخ الادب الجغرافى ج١ ص ٤٢٢ .

(٥) شاكر خصباك : ابن بطوطة ورحلته : ص ٢١ .
أما محمود الشرقاوى يرى الصح فى تخفيفها ، رحلة مع ابن بطوطة من طنجة الى الصين ـ المقدمة .

(٦) كراتشكوفسكى : تاريخ الادب ج١ ص ٤٢٢ ، محمود الشرقاوى : رحلة مع ابن بطوطة ص ٣ ، احمد مختار العبادى : المغرب والأندلس ص ٣٧٥ .

طنجـة •

(١٣٠٣ م)

وكان مولده في يوم الاثنين السابع عشر من رجب سنة ٧٠٣ هـ • قال ابـن جزى :[١] " أخبرني أبو عبد الله بمدينة غرناطة أن مولده بطنجة في يوم الاثنيـن السابع عشر من رجب الفرد سنة ثلاث وسبعمائة "[٢] •

٢ ـ حيـاته :ـ

أما عن سيرة حياته الأولى فان ابن بطوطة لم يعطنا صورة مفصلة عنهـا أو حتى موجزة ، سوى ما ذكره هو عن نفسه في سياق رحلته ، بل ان ابن جـزى الكلبي (كاتب الرحلة) ، لم يكن لديه من الأخبار ما يزودنا به عن سيرة وحيـاة

---

(١) هو محمد بن محمد بن احمد ابن جزى الكلبي ، يكنى ابا عبد الله ، مـن أهل غرناطة ، ولد في غرناطة سنة ٧٢١ هـ ، شغل منصب الكاتب لـدى السلطان ابى الحجاج يوسف بن الأحمر النصرى ، ثم ضربه بالسـياط من غير ذنب ارتكبه مما دفعه الى مغادرة أسبانيا باتجاه المغرب ، فأقـام بفاس ، فكتب عند ملكها السلطان المتوكل على اللـه ابى عنان المرينـى ، وقد التقى به ابن الخطيب بمدينة فاس سـنة ٧٥٥ هـ حيث أخبره أنـه شـرع في تأليف تـاريخ غرناطـة ، وقـد وقـف ابن الخطيـب علـى أجزاء منـه ، وعهـد اليـه السـلطان أبى عنـان بكتابـة ما يمليـه عليه ابـن بطوطـة فـى رحلتـه المسـماه " تحفـة النظـار في غرائب الامصـار وعجائـب الأسـفار " حيـث فـرغ مـن تقييـد هـا فـى ثـالث ذى الحجـة سـنة ٧٥٦ هـ • وفـرغ مـن كتابتهـا في شـهر صـفر سـنة ٧٥٧ هـ ، توفـى فـى شـوال سنة ٧٥٧ هـ في مدينة فـاس • راجـع ابن الخطـيب : الاحـاطة جـ ٢ ص ٢٥٦ وما بعـدها ، ابن حجـر : الـدرر الكامنـة جـ ٤ ص ١٦٥ وما بعـدها ، الزركلـى : الأعـلام جـ ٧ ص ٢٦٦ ، رحـلة ابن بطـوطة : ص ٧٠٠ ـ ٧٠١ •

(٢) رحـلة ابن بطـوطة : ص ١٤ •

ابن بطوطة الأولى ، سوى ما ذكره فى مقدمة الرحلةحيث قال : " وكان ممن وفد على بابها السامى ، وتعدى أو شال البلاد الى بحرها الطامى ، الشيخ الفقيه السائح الثقه الصدوق ، جوال الأرض ، ومخترق الأقاليم بالطول والعرض ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى الطنجى المعروف بابن بطوطة ، المعروف فى البلاد الشرقية بشمس الدين ، وهو الذى طاف الأرض معتبرا ، وطوى الأمصار مختبرا ، وباحث فرق الأمم ، وسبر سير العرب والعجم ، ثم ألقى عصا التسيار بهذه الحضرة العليا لما علم أن لها مزية الفضل دون شرط ولا ثنيا ، وطوى المشارق الى مطلع بدرها بالغرب ، وآثرها على الأقطار ايثار التبر على الترب ، اختيارا بعد طول اختبار البلاد والخلق ، ورغبة فى اللحاق بالطائفة التى لا تزال على الحق ، فغمره من احسانه الجزيل وامتنانه الحفى الحفيل ما أنساه الماضى بالحال ، وأغناه عن طول الترحال ، وحقر عنده ما كان من سواه يستعظمه ، وحقق لديه ما كان من فضله يتوهمه ، فنسى ما كان ألفه من جولان البلاد ، وظفر بالمرعى الخصب ، بعد طول الارتياد " .(١)

كما أن المعاصرين له كابن الخطيب ، وابن خلدون ، ومن جاء بعدهما من المؤرخين لم يزودونا الا بمعلومات بسيطة وغير كافية ، فى التعريف بهذا الرحالة الشهير ، اذ اقتصرت على ذكر اسمه ، ورحلاته المختلفة وشكوك الناس فيها . فقد نقل ابن الخطيب ما كتبه شيخه أبو البركات(٢) فى التعريف عن حال

---

(١) رحلة ابن بطوطة : (مقدمة ابن جزى) ص ١٢ .

(٢) هو محمد بن محمد بن ابراهيم بن خلف بن محمد بن سعد الخير بن عياش يكنى أبا البركات البلفيقى المعروف بابن الحاج ، ولد ببلدة المريه بالمغرب سنة ٦٦٤هـ وبها نشأ وتنقل فى بلاد المغرب الى بجايه ، ثم رحل الى الاندلس ثم الى فاس واستقر ببلدة المريّه ، تولى خلالها القضاء بمالقه والمريه وغرناطه وغيرها من الاماكن . توفى سنة ٧٧١هـ . راجع ، ابن القاضى ، جذوة الاقتباس ـ ق١ ص ٢٩٢ وما بعدها ، محمد الاندلسى السراج ، الحلل السندسية ، تحقيق محمد الحبيب الهيله ، جـ١ ق ٤ ص ١٠٦٤ ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٤ ص ١٥٥ وفيه توفى سنة ٧٧٤ هـ .

ابن بطوطة قائلا: " حاله من خط شيخنا أبى البركات ، قال ، هذا رجل لديه مشاركة يسيرة فى الطلب ، رحل من بلاده الى بلاد المشرق يوم الخميس الثانى من رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة ، فدخل بلاد مصر والشام والعراق ، وعراق العجم ، وبلاد الهند والسند والصين ... الخ "(١).

أما ابن خلدون فقد حاول أن يتجاهله ، حيث قال عنه : " ورد بالمغرب لعهد السلطان أبى عنان(٢) من ملوك بنى مرين ، رجل من مشيخة طنجة ، يعرف بابن بطوطة ، كان رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق ، وتقلب فى بلاد

(١) ابن الخطيب : الاحاطة ج٣ ص ٢٧٣ .
وقد علق محمد عبد الله عنان محقق كتاب الاحاطة على ذلك بقوله: انه لمن بواعث الاسف والدهشة معا أن يقتصر ابن الخطيب فى التعريف بابن بطوطة أعظم الرحالة المسلمين على هذه الاسطر القليلة التى نقلها من خط شيخه ابن الحاج ، وقد كان حريا به أن يعطى سيره هذا الرحالة العظيم شيئا من الأهمية فيقدمها الينا على الأقل فى الحيز المعقول الذى ترجم فيه لمواطنه الرحالة الغرناطى ابن جبير . راجع ابن الخطيب ، الاحاطة ج٣ ص ٢٧٤ حاشية رقم "١" .

(٢) هو فارس بن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى ، يكنى ابى عنان ، ولقبه المتوكل على الله ، بويع بالملك فى حياة أبيه السلطان أبى الحسن فى تلمسان والمغربين الأقصى والأوسط ، من نهاية ربيع الأول سنة ٧٤٩هـ عندما بلغه خبر غرقه مع أسطوله امام ساحل بجايه ، ثم ظهر بعد البيعة أن السلطان أبى الحسن نجى من الغرق ، فنشب بين الأب وابنه حروب طويلة تحاشى كثير من مؤرخى الدولة المرينيه ذكر تفاصيلها ، وانتهت بهلاك السلطان ابى الحسن ، ثم مات السلطان أبى عنان مقتولا ، خنقه وزيره الحسن بن عمر القودورى يوم السبت ٢٨ ذى الحجة سنة ٧٥٩هـ وله ٣٠ عاما . ابى الوليد بن الاحمر : روضة النضرين فى دولة بنى مرين ج ١ ص ٢٧ وما بعدها ، حاشية "١" ص ١٧ ، راجع ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢١٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣٢٩ ، محمد بن عبود ، تاريخ المغرب ج١ ص ١٨٥ الى ١٩١ الزركلى : الاعلام ج٥ ص ٣٢٣ .

العراق واليمن والهند ، ودخل مدينة دلهى حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد شاه ، وكان له منه مكان ، واستعمله فى خطة القضاء بمذهب المالكية فى عمله ، ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان أبى عنان ".(١)

وفى الحقيقة لا علم لنا بسيرة حياته الأولى ولا عن حياته بوجه عام سوى ما ذكره عرضا فى سياق رحلته .(٢)

٣ — ثقافة ابن بطوطة :—

يبدو أن ابن بطوطة قد حصل على ما تيسر له من العلم فى مسقط رأسه بمدينة طنجة وتعلم شيئا من علوم الدين والفقه ، لا سيما ما يتعلق بالفقه المالكى السائد بشمال افريقيا(٣) ففى بداية رحلته الى الحجاز لأداء فريضة الحج سنة ٧٢٥ هـ ، ذكر أنه تولى القضاء على الركب القادم الى الحجاز فى مدينة تونس حيث قال :" وبعد مدة تعين لركب الحجاز الشريف شيخه يعرف بأبى يعقوب السوسى من أهل أقل من بلاد افريقيا ، وأكثره المصادمة ، فقدمونى قاضيا بينهم . وخرجنا من تونس فى أواخر شهر ذى القعدة سنة (٧٢٥ هـ) سالكين طريق الساحل "(٤) . مع أنه كان فى الثانية والعشرين من عمره ، وفى بلاد الهند سئل عمن يصلح للوزارة أو الكتابة أو الامارة أو القضاء أو التدريس أو المشيخة حيث أجاب " أما الوزارة والكتابة فليست شغلى ، وأما القضاء والمشيخة فشغلى وشغل آبائى .(٥) "

كما تولى قضاء مدينة دلهى فى عهد ملكها محمد شاه ملك الهند ،

---

(١) مقدمة ابن خلدون : ص ٣٢٢ — ٣٢٣ .

(٢)،(٣) كراتشكوفسكى : تاريخ الادب جـ١ ص ٤٢٢ وشاكر خصباك : ابن بطوطة ورحلته ص ٢١ .

(٤) رحلة ابن بطوطة : ص ١٨ .

(٥) المصدر السابق ص ٥١١ .

وجعل مرتبه اثنى عشر ألف دينار فى السنة بالاضافة الى العديد من العطايا الثمينة ، وكان قضاء " ابن بطوطة " وفقا لمذهب مالك وذلك على الرغم من أن القضاء فى بلاد الهند كان على مذهب الحنفية ، ويتضح ذلك عند ما قال له الملك : " لا تحسب قضاء دلهى من أصغر الأشغال عندنا ، فأجابه " ابن بطوطة ": يا مولانا أنا على مذهب مالك ، وهؤلاء حنفية "(١) كما تولى القضاء فى جزائر ذيبه المهل(٢) قائلا : " ونساؤها لا يغطين رؤوسهن ، ولا سلطانتهن تغطى رأسها ، ويمشطن شعورهن ، ويجمعنها الى جهة واحدة ، ولا يلبسن أكثرهن الا فوطة تسترها من السرة الى أسفل وسائر أجسادهن مكشوفة ، وكذلك يمشين فى الأسواق وغيرها ، ولقد جهدت (لما وليت القضاء بها) أن أقطع تلك العادة وآمرهن باللباس فلم أستطع ذلك "(٣) . وبعد انهاء رحلاته عام ٧٥٤هـ، واستقراره فى مدينة فاس فى كنف السلطان أبى عنان المرينى ، تولى القضاء فى آخر عمره ، فقد ذكر ابن حجر نقلا عن ابن مرزوق : (أنه بقى الى سنة سبعين ، ومات وهو متولى القضاء ببعض البلاد)(٤) ، ولم يبين ابن مرزوق الجهة التى كان يتولى بها القضاء(٥) .

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٥١٢ — ٥١٣ .

(٢) تسمى اليوم جزر مالديف . أرخبيل مكونة من ألف وسبع وثمانين جزيرة ، مساحتها جميعا ٢٨٠ كيلو متر مربع ، وعدد سكانها ١٢٠٠٠٠ نسمة كلهم مسلمون ، حصلت على استقلالها سنة ١٩٦٥م وهى الآن جمهورية ، اعتنق سكانها الاسلام فى القرن السادس الهجرى ، وتعد زيارة ابن بطوطة لها أقدم رحلة مدونة عنها . رحلة ابن بطوطة ، تحقيق المنتصر الكتانى جـ٢ ص ٦٥٤ حاشية "١" .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٥٧٧ .

(٤) ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٣ ص ٤٨١ .

(٥) هناك اشارات فى كتاب (نفاضة الجراب) لابن الخطيب تدل انه كان قاضيا لمدينة تامسنا وأنه ربما توفى فى هذه المدينة ودفن بها ، شاكر خصباك : ابن بطوطة ورحلته ص ٤٥ ، راجع ابن الخطيب : الاحاطة جـ٣ ص ٢٧٤ حاشية "١" .

" فان ابن بطوطة كان كامثاله من الشباب يخرجون فى رحلة الدرس والسماع واتمام الدراسة فى المشرق ،وكان منذ بداية رحلته موضع احترام الشيوخ وتقديرهم، وهو يصف مجالسه معهم وأحاديثهم معه فى شئون العلم ،مما يدل على أنه كان متمكنا من علوم الدين . كما يستنتج منه أنه كان يحفظ القرآن مع علم طيب بالسنة ، وكذلك فانه فى رحلاته تعلم كثيرا مما فاته من العلم فى وطنه ، وذلك بالسماع من الشيوخ الذين مر بهم فى كل موضع نزل ، ولكنه رغم ذلك كله لم يصل من العلم الى مراتب القضاة الجديرين" (١) . كما أنه لم يخلف وراءه أى انتاج أدبى . اذ لم يرد فى كتاب الرحلة او فى المصادر الأخرى ذكر لمؤلفات أدبية منسوبة اليه (٢) ، كما أنه لم يكن فقيها دقيق الملاحظة سليم الحكم مثل ابن حجر (٣) .

٤ — التربية الدينية وأثرها فى حياة ابن بطوطة :—

كانت تربية ابن بطوطة الدينية من العوامل الأساسية التى دفعته للقيام بهذه الرحلات العظيمة وجعلته فى مصاف الرحالة العظام ، بل جعلته أعظم الرحالة المسلمين قاطبة (٤) ، والحج الى بيت الله الحرام دفع ذلك الشاب وهو فى سن مبكرة الى التفكير فى أداء فريضة الحج وهو فى عنفوان شبابه (حيث لم يتجاوز الثانية والعشرين) (٥) . فاذا ما عزم شاب فى مثل عمر ابن بطوطة (٢٢ سنة) على أداء فريضة الحج ، فان ذلك يعد من الأدلة الواضحة على قوة الوازع الدينى لدى ابن بطوطة . اذ قال فى ذلك : " كان خروجى من طنجة مسقط رأسى فى يوم الخميس

---

(١) حسين مؤنس : ابن بطوطة رحالة الاسلام (مجلة العربى عدد ٢١٣ ، شعبان ١٣٩٦هـ) ص ٣١ .

(٢) كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب جـ١ ص ٤٢٢ .

(٣) زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون ص ١٣٦ .

(٤) زكى محمد حسن: المرجع نفسه ص ١٣٦ .

(٥) شاكر خصباك : ابن بطوطة ورحلته ص ٢٤ .

الثانى من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة ، معتمدا حج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، منفردا عن رفيق آنس بصحبته ، وركب أكون فى جملته ، لباعث على النفس شديد العزائم ، وشوق الى تلك المعاهد الشريفة كامن فى الحيازم فحزمت أمرى على هجر الأحباب من الاناث والذكور . وفارقت وطنى مفارقة الطيور للوكور" (١) .

ولم يكتف ابن بطوطة بحجة واحدة فقط ، بل زار مكة كثيرا ، وحج ست حجات (٢) فى أعوام ٧٢٦ هـ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ وأخيرا سنة ٧٤٩ هـ . اذ ا فرغبته فى اشباع تلك العاطفة الدينية كان قويا عنده ، على الرغم من صغر سنه .

كانت حجته الأولى سنة ٧٢٦ هـ ، حينما خرج من بلده طنجة مارا بساحل افريقيا الشمالى ثم الاسكندرية فالقاهرة ، قاصدا عيذاب (٣) على البحر الأحمر ومنها الى الأراضى الحجازية ، ولكنه لم يتمكن ، فعاد أدراجه الى أن وصل لبلاد الشام ثم غادرها فى شهر شوال سنة ٧٢٦ هـ (مع الركب الحجازى المتجه الى مكة) وزار فى طريقه المدينة المنورة ، وقد أخبرنا عن ذلك بقوله : " وكانت وقفتى الأولى يوم الخميس سنة ست وعشرين ، وامير الركب المصرى يومئذ

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ١٤ .

(٢) ذكر الدكتور شاكر خصباك أن ابن بطوطة أدى فريضة الحج للمرة الرابعة بعد عودته الى الوطن من رحلته الاسيويه الكبرى ، وكذلك كراتشكوفسكى ، أما زكى محمد حسن فذكر أنه حج خمسة حجات ، انظر ، ابن بطوطة ورحلته ص ٢٥ ، تاريخ الأدب جـ١ ص ٣٢٤ ، الرحالة المسلمون ص ١٣٦ ــ ١٦٣ ، وحجاته توافق بالميلادى عام ١٣٢٥م ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٤٨ .

(٣) بليده على ضفاف بحر القلزم وهى مرسى المراكب التى تقدم من عدن الى الصعيد . ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ص ١٧١ .

أرغون الدوادار نائب الملك الناصر (١) " (٢) وبعد أن ادى ابن بطوطة حجته الأولى سنة ٧٢٦ هـ غادر مكة فى أواخر شهر ذى الحجة متوجها الى العراق حيث تجول فى مدنها ، وبعض المدن بغربى ايران . ثم عاد الى بغداد ، ومنها اتجه مع الركب العراقى لأداء فريضة الحج للمرة الثانية وكانت هذه هى الزيارة الثانية لمكة سنة ٧٢٧ هـ حيث يقول " وأصابنى عند خروجنا من الكوفة اسهال فكانوا ينزلوننى من أعلى المحمل مرات كثيرة فى اليوم ، والأمير (٣) يتفقد حالى ويوصى بى ، ولم أزل مريضا حتى وصلت مكة حرم الله تعالى ، زادها الله شرفا وتعظيما ، وطفت بالبيت الحرام كرمه الله تعالى ، طواف القدوم وكنت ضعيفا بحيث أؤدى المكتوبة قاعدا . فطفت وسعيت بين الصفا والمروة راكبا على فرس الأمير الحويح المذكور ، ووقفنا بعرفات تلك السنة يوم الاثنين ، فلما نزلنا منى أخذت فى الراحة والاستبلال من مرضى (٤) " . ثم مكث ابن بطوطة مجاورا لمكة من سنة ٧٢٨ هـ الى سنة ٧٣٠ هـ قائلا : " ولما انقضى الحج (يقصد حجته لسنة ٧٢٧ هـ) أقمت مجاورا بمكة تلك السنة " الى أن يقول : " وعافانى الله من مرضى فكنت فى أنعم عيش ، وتفرغت للطواف والعبادة والاعتمار (٥) . وفى أثناء اقامته بمكة فى سنة ٧٢٨هـ أدى فريضة الحج للمرة الثالثة ، فقال : " وكانت وقفتنا فى تلك السنة (٦) فى يوم الجمعة " من سنة ثمان وعشرين ، ولما انقضى الحج أقمت مجاورا بمكة ، حرسها الله ، سنة

---

(١) لقد ذكره ابن بطوطة أثناء حديثه عن بلاد الشام عندما كان نائبا لحلب انظر الرحلة ص ٧٢ وسوف تأتى ترجمته فيما بعد .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ١٧٠ .

(٣) هو أمير ركب المحمل العراقى البهلوان محمد الحويح ، رحلة ابن بطوطة : ص ٢٤٠ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢٤٠ .

(٥) رحلة ابن بطوطة : ص ٢٤٠ .

(٦) هذا يتفق مع ما ذكره الجزيرى من أن الوقفة عام ٧٢٨ هـ وكانت بالجمعة . انظر درر الفوائد المنظمة ص ٣٠٢ .

تسع وعشرين[1] ، كما حج ابن بطوطة للمرة الرابعة سنة ٧٢٩ هـ حيث قال : " ووقفنا تلك السنة وهى سنة تسع وعشرين يوم الثلاثاء ، ولما انقضى الحج أقمت مجاورا بمكة ، حرسها الله ، سنة ثلاثين ، وفى موسمها وقعت الفتنة بين أمير مكة عطيفة[2] وبين الدمر[3] أمير جندار الناصرى[4] " ، ولم يشر ابن بطوطة الى حجة سنة ٧٣٠ هـ رغم أن هذه الفتنة حدثت بعد انتهاء فريضة الحج (فى يوم الجمعة الرابع عشر من ذى الحجة)[5] ، وفى تلك الأيام خرج ابن بطوطة من مكة قاصدا بلاد اليمن ، حيث غادر جده ، ومنها عبر البحر الاحمر الى الساحل الشرقى لافريقيا ، ثم عكف الى اليمن وعاد مرة أخرى الى افريقيا ، التى غادرها الى الخليج العربى مارا بعمان وهرمز والبحرين ، ثم الى مدينة القطيف والحسا واليمامة ، ومن اليمامة اتجه ابن بطوطة الى مكة المكرمة ، وذلك فى سنة ٧٣٢ هـ لأداء فريضة الحج للمرة الخامسة حيث قال : " ثم سافرت منها برسم الحج وذلك فى سنة اثنين وثلاثين ، فوصلت الى مكة ،

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٢٤١ .

(٢) هو عطيفة بن ابى نمي محمد بن محمد بن ابى سعد حسن بن على بن قتادة الحسنى المكى ، يلقب سيف الدين تولى امارة مكة المكرمة نحو خمس عشرة سنة مستقلا بها فى بعضها وشريكا لأخيه رميثه فى بعضها وفى سنة ٧٣٧هـ استدعى صاحب مصر الشريفين عطيفة ورميته فأعتقل عطيفه وأعطى رميته حكم مكه ، وظل عطيفه بمصر الى أن توفى بها سنة ٧٤٣هـ بالقاهرة ودفن هناك ، الفاسى : العقد الثمين تحقيق فؤاد سيد ، ج٦ ، ص ٩٥ - ١٠١ .

(٣) هو الامير عز الدين الدمر بن عبد الله أمير جاندار أحد أمراء الملك الناصر ، توفى مقتولا فى يوم الجمعة ١٤ ذى الحجة سنة ٧٣٠ هـ فى مكة ، راجع ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٨٢ ، الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٠٧ .

(٤) رحلة ابن بطوطة : ص ٢٤٢ .

(٥) المقريزى : السلوك ج٢ ق ٢ ص ٣٢٣ .

شرفها الله تعالى ، وحج فى تلك السنة الملك الناصر سلطان مصر ، رحمه الله ، وجملة من أمرائه ، وهى آخر حجة حجها وأجزل الاحسان لأهل الحرمين الشريفين وللمجاورين " (١) .

ثم أدى فريضة الحج للمرة السادسة ، بعد رحلته الكبرى الى آسيا الصغرى وبلاد الهند والصين وجنوب شرق آسيا ، وذلك سنة ٧٤٩ هـ عن طريق ميناء عيذاب على البحر الاحمر بعد زيارته الثالثة لبلاد الشام ومنها الى مصر حيث يقول : " ثم سافرت من القاهرة على بلاد الصعيد ، وقد تقدم ذكرها ، الى عيذاب ، وركبت منها البحر فوصلت الى جده ، ثم سافرت منها الى مكة شرفها الله تعالى وكرمها ، فوصلتها فى الثانى والعشرين لشعبان سنة تسع وأربعين ، فصمت شهر رمضان بمكة المكرمة وكنت أعتمر كل يوم على مذهب الشافعى ، وحججت فى تلك السنة ، ثم سافرت مع الركب الشامى الى طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٢) ، وهذه هى الحجة الأخيرة له .

من ذلك نستخلص أن ابن بطوطة جعل قاعدته مكة منها يصدر واليها يعود ، مما يدل بالفعل على أن شعوره الدينى كان عميقا ، وشوقه الى الكعبة والروضة الشريفة كان يغلب على أى شيء (٣) . ولكن هذا الشعور والدافع الدينى لدى ابن بطوطة ، والذى يتمثل فى الحج الى بيت الله الحرام مرارا ، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، فانه كان يعتبر أيضا تلبية لرغبة متأججة لديه فى المغامرة وحب السفر (٤) ، وقد ظهر ذلك واضحا خلال زياراته الثلاث لمكة

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٢٨٠ .

(٢) المرجع السابق : ص ٦٥٤ .

(٣) حسين مؤنس : ابن بطوطة ، رحالة الاسلام ص : ٣٠ مجلة العربى العدد ٢١٣ سنة ١٣٩٦هـ .

(٤) شاكر خصباك : ابن بطوطة ورحلته ص ٢٤ .

فى الفترة من سنة ٧٢٦ هـ الى سنة ٧٣٢ هـ ، بقصد أداء فريضة الحج ، فلو أن هذه الرغبة ليست متأصلة فيه ، لكان قد عاد الى بلده ، منذ أن أدى حجته الأولى سنة ٧٢٦ هـ ، كغيره من الرحالة المغاربة من أبناء جنسه أمثال العبدري والبلوى [١] ، فالمغامرة وحب السفر ظهرت لنا بصورة أوضح خلال رحلاته الى أواسط آسيا وتركستان والهند والصين .

٥ ـ الناحية الاجتماعية فى حياة ابن بطوطة :ـ

ويشتمل هذا الجزء على كل ما يتعلق بأسرته وزواجه وشخصيته ، فأسرته لايعرف عنها شئ سوى ما ذكره عرضا فى سياق رحلته من أن والديه كانا على قيد الحياة حين خروجه من طنجة سنة ٧٢٥ هـ ، وقد عبر فى رحلته عن حبه لوالديه وما يعتريه من حزن يكابده . ومن مشقة لفراقهما قائلا : "فحزمت أمرى على هجر الأحباب من الاناث والذكور ، وفارقت وطنى مفارقة الطيور للوكور ، وكان والداى بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصبا ، ولقيت كما لقيا من الفراق نصبا ، وسنى يومئذ اثنتان وعشرون سنة" [٢] . ونحن لا نكاد نعرف شيئا عن أبويه هذين [٣] ، سوى أن أباه كان شيخا فقيها من أواسط الناس فى طنجة ، ولم تكن أسرته ذات نباهة أو غنى وانما كانوا من مساتير الناس [٤] .

وقد ألمح ابن بطوطة فى رحلته لبلاد الهند الى أن أسرته كانت تتولى القضاء والمشيخة بقوله : " أما الوزارة والكتابة فليست شغلى ، وأما القضاء

---

(١) يغلب على الظن أن ابن بطوطة كان ينوى أداء فريضة الحج فحسب ولم يدر بخلده أن رغبته فى الترحال ستلقى به فى مختلف البلاد ، فلم يكتب له العودة الى وطنه الا بعد أكثر من ربع قرن . راجع : كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب جـ١ ص ٤٢٢ .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ١٤ .

(٣) محمود الشرقاوى : رحلة مع ابن بطوطة من طنجة الى الصين ص ١ .

(٤) حسين مؤنس : ابن بطوطة ـ رحالة الاسلام مجلة العربى العدد ٢١٣ ص ٣١ .

والمشيخة فشغلى وشغل آبائى "(١) ، ولم يخص ابن بطوطة أحدا منهم سوى ابن عم له كان يعمل قاضيا فى مدينة رندة بالأندلس(٢) أثناء زيارة لها سنة ٧٥٢هـ ، اسمه أبو القاسم محمد بن يحيى بن بطوطة(٣) . ففى الفترة من سنة ٧٢٥ هـ الى سنة ٧٤٨ هـ أى ما يقارب ربع قرن — لم يحاول فيها ابن بطوطة أن يسأل عن والديه الا عند عودته فى سنة ٧٤٨ هـ الى مدينة دمشق عندما سأل فقيها من أهل طنجة كان متواجدا بالمدرسة الظاهرية عن والده وأهله ، فأخبره أن والده قد توفى منذ خمس عشرة سنة أى سنة ٧٣٤ هـ ، وأن أمه على قيد الحياة(٤) . فلم يبد ابن بطوطة اى اهتمام أو حزن على هذا الخبر ، وفى طريق عودته الى أرض الوطن علم بموت والدته(٥) ، ولم يهزه كذلك نبأ وفاتها ، ولم يزر قبرها فى طنجة الا بعد تقديم نفسه الى السلطان أبى عنان المرينى بحضرته فى فاس(٦) .

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٥١١ .

(٢) حصن بين مالقه واشبيليه . ياقوت : معجم البلدان جـ٣ ص ٧٣ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٦٨ .

ذكر محمود الشرقاوى أن اسرة ابن بطوطة كانت من الاسر المعروفة بالعلم والدين والقضاء ، تولى القضاء من رجالها ابن عم رحالتنا (رحلة ابن بطوطة من طنجة الى الصين ص : ١) . كما ذكر ياقوت فى معجم البلدان : جـ٣ ص ٧٣ " قاضيا على مدينة رندة ، بين مالقه واشبيليه بالأندلس" ، أما حسين مؤنس فيقول : أن ابن بطوطة يذكر فى بعض كلامه كثيرا من السابقين من أسرته تولوا القضاء ، وأن ابن عم له تولى القضاء فى مدينة رندة فى الاندلس ، وربما فسر لنا هذا افتخاره بولاية القضاء مرتين مرة فى دلهى ، ومرة فى جزر المالديف . ابن بطوطة — رحالة الاسلام مجلة العربى العدد ٢١٣ ص ٣١ .

(٤) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٥١ . لم يذكر ابن بطوطة اسم الفقيه .

(٥) المصدر السابق : ص ٦٥٧ .

(٦) شاكر خصباك : ابن بطوطة ورحلته ص ٢٢ ، رحلة ابن بطوطة : ص ٦٦٤ .

أما عن حياته الزوجية فانه لم يتزوج فى بلدة طنجة ، وغادرها قبل أن يتزوج ، بدليل أنه لم يشر الى ذلك فى رحلته ،وما ان وصل الى صفاقس(1) (فى طريقه الى مكة)فى أواخر سنة ٧٢٥ هـ حتى عقد على ابنة لأحد أمناء تونس(2) ، وبنى بها فى مدينة طرابلس(3) فى أوائل سنة ٧٢٦هـ(4) . وفى الطريق وقع خلاف بينه وبين صهره أوجب فراقها ، وتزوج بنتا أخرى لبعض طلبة فاس وأولم وليمة حبس لها الركب يوما(5) . كما تزوج أخرى فى مدينة دمشق أثناء زيارته لها ، لكنه لم يشر الى ذلك الا حين عودته اليها سنة ٧٤٨ هـ ، من رحلته الكبرى حيث قال(6) : " وكانت مدة مغيبى عنها عشرين سنة كاملة ، وكنت تركت بها زوجة لى حاملا ، وتعرفت ، وأنا ببلاد الهند ، أنها ولدت ولدا ذكرا ، فبعثت حينئذ الى جده للأم ، وكان من أهل مكناسة المغرب ، أربعين دينارا ذهبا هنديا . فحين وصولى الى دمشق سنة ٧٤٨هـ فى هذه المرة لم يكن لى هم الا السؤال عن ولدى ، فدخلت المسجد فوفق لى نور الدين السخاوى(7) امام المالكية وكبيرهم ، فسلمت عليه فلم يعرفنى ، فعرفته بنفسى ، وسألته عن الولد ، فقال : مات منذ ثنتى

---

(1) سفاقس أو صفاقس : مدينة من نواحى افريقيا على الساحل وبينها وبين سوسه يومان . وبين قابس ٣ أيام ، ياقوت: معجم البلدان ، ج٣ ص ٢٢٣

(2) لم يشر ابن بطوطة الى اسمه .

(3) طرابلس الغرب مدينة قديمة على شاطئ البحر فى افريقيا : ياقوت: معجم البلدان ج٤ ص ٢٥ .

(4) رحلة ابن بطوطة : ص ١٩ .

(5) المصدر السابق: ص ٢٠ .

(6) دخل ابن بطوطة مدينة دمشق فى زيارته الاولى لبلاد الشام فى التاسع من شهر رمضان سنة ٧٢٦هـ. وغادرها فى شهر شوال من نفس العام . ولم يدخل مدينة دمشق للمرة الثانية الا فى نهاية سنة ٧٤٨هـ ومدة غيابه عنها قرابة ، اثنان وعشرون عاما لأنه لم يشر فى رحلته الى زيارته لدمشق خلال تلك الفترة .

(7) نزل ابن بطوطة فى ضيافته أثناء زيارته الاولى لمدينة دمشق سنة ٧٢٦ هـ ، انظر رحلة ابن بطوطة : ص ١٠٥ وهو نور الدين ابو الحسن على بن عبد النصير بن على السخاوى المصرى المالكى ، كان له تصدير فى الجامع الأموى . وأقام بدمشق مدة ثم دخل القاهرة فى أواخر عمره وتولى منصب القضاء (قاضى قضاة المالكية) بمصر فى شهر صفر سنة ٧٥٦هـ وتوفى بعدها بفترة وجيزة فى شهر جمادى الاولى من نفس العام — راجع ابن حجر: الدرر =

عشرة سنة "[1] . كما تزوج جارية انجبت له بنتا توفيت وهي دون السنة ، بعد شهر ونصف من مقدمه الى بلاد الهند[2] . وفي جزر ذيبه المهل ، تزوج اربعة نسوة بالاضافة الى الجواري قائلا : " ولقد كان لي بها أربع نسوة وجوار سواهن ، فكنت اطوف على جميعهن كل يوم ، وأبيت عند من تكون ليلتها "[3] . ولكن ابن بطوطة لم يصطحب أي واحدة منهن عند خروجه وعبر عن ذلك بقوله : " والتزوج بهذه الجزائر سهل ، لنزارة الصداق ، وحسن معاشرة النساء ، وأكثر الناس لا يسمى صداقا ، انما تقع الشهادة ويعطى صداق مثلها ، واذا قدمت المراكب تزوج أهلها النساء فاذا أرادوا السفر طلقوهن ، وذلك نوع من نكاح المتعة ، وهن لا يخرجن من بلادهن أبدا ، ولم أر في الدنيا أحسن معاشرة منهن "[4] . وقد ذكر خير الدين الزركلي أنه يوجد في نابلس بفلسطين أسرة عربية الآن تدعى بيت بطوط وتعرف ببيت المغربي وبيت كمال تقول انها من نسل ابن بطوطة[5] .

٦ — شخصية ابن بطوطة :—

أن المطلع على رحلة ابن بطوطة يستشف من خلال كلامه عن نفسه ، أنه كان ذو شخصية تتسم بسمات عديدة . كان أبرزها تفقهه في الدين ، حيث انه حج ست حجات ، مكث خلالها ما يقارب ٣ سنوات مجاورا بمكة ، كما زار الأماكن المقدسة في مكة والمدينة والقدس ، عدة مرات . كما اتسم ابن بطوطة باحترامه

= الكامنة : ج ٣ ص ٧٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج١٠ ص ٣١٩ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافي : ج١ ص ٤٦١ .

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٥٠ — ٦٥١ .

(٢) المصدر السابق: ص ٥٠٥ — ٥٠٧ .

(٣) المصدر السابق: ص ٥٧٣ .

(٤) رحلة ابن بطوطة : ص ٥٧٨ .

(٥) الزركلي : الاعلام : ج ٧ ص ١١٤ .

وتعظيمه وحبه للأتقياء والصالحين والعلماء ، واتضح ذلك فى زيارة قبورهم للتبرك بهم ، ورواية الكثير من كراماتهم ، وما ينسب اليهم من أعمال البر ، كاقامة الزوايا والتكايا ، وحبس الأوقاف الكثيرة عليهم ، كما كان يقظ الوجدان دقيق الملاحظة (١) .

ومن سماته أيضا مبالغاته وحبه للظهور (٢) فهو دائما يصف لنا كيف كان يستقبل بالحفاوة والترحاب اثناء تنقلاته فى البلدان المختلفة من قبل الملوك والأمراء وأصحاب الشأن ، ففى بلاد السلطان محمد أوزبك خان سلطان تركستان حيث قال عن استقباله : " وفى الغد من يوم وصولى دخلت الى السلطان بعد صلاة العصر ، وقد جمع المشايخ والقضاة والفقهاء والشرفاء والفقراء وقد صنع طعاما كثيرا ، وأفطرنا بمحضره ، وتكلم السيد الشريف نقيب الشرفاء ابن عبد الحميد والقاضى حمزه من شأنى بالخير ، وأشاروا على السلطان باكرامى " ثم يقول " وبعد هذا بأيام صليت صلاة العصر مع السلطان ، فلما أردت الانصراف أمرنى بالقعود ، وجاؤوا بالطعام والمشروبات " (٣) كما قال عن مقابلته للسلطان محمد شاه ملك الهند : " فقربت من السلطان حتى أخذ بيدى ، وصافحنى وأمسك بيدى ، وجعل يخاطبنى بأحسن خطاب ، ويقول لى باللسان الفارسى : حلت البركة . قدومك مبارك . اجمع خاطرك ، اعمل معك من المراحم وأعطيك من الأنعام ما يسمع به أهل بلادك فيأتون إليك " (٤) . كذلك كان من سماته أنه كان سريع التأثر عصبى المزاج (٥) . أما عن تأثره فيبدو لنا واضحا عند وصوله الى مدينة تونس فى بداية رحلته سنة ٧٢٥هـ حيث قال : " فاقبل بعضهم على بعض بالسلام والسؤال ، ولم يسلم علىّ أحد لعدم

---

(١) احمد العوامرى بك : مهذب رحلة ابن بطوطة المقدمة ص : ع

(٢) شاكر خصباك : ابن بطوطة ورحلته : ص ٣٥ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٣٣٣ وانظر نفس المصدر ص ٣٤١ .

(٤) المصدر السابق : ص ٥٠٩ .

(٥) رحلة ابن بطوطة الى بلاد الهند عرضها وقدم لها أحمد عطية الله ، الباب الأول ، ص ٥٠

معرفتى بهم ، فوجدت من ذلك فى النفس ما لم أملك معه سوابق العبرة ، واشتد بكائى ، فشعر بحالى بعض الحجاج ، فأقبل بالسلام والايناس ، ومازال يؤنسنى بحديثه حتى دخلت المدينة[1] . وهذا بالطبع يدل على صفاء نفس ابن بطوطة ، وطهارة قلبه ونقاء سريرته ، وان لم يكن فيها من الاعتداد بالأخذ بالحذر والحيطة فى اصطفاء الأخوان والأصدقاء ، لا سيما من كان مثله غريبا نائيا عن أهله[2] . أما عن عصبيته فبدت حين فارق زوجته الأولى والتى بنى عليها فى طرابلس ولم يمض على زواجه منها غير زمن قصير ، لأتفه الأسباب يقول : " ووقع بينى وبين صهرى مشاجرة أوجبت فراق بنته "[3] . أما السمة الغالبة عليه فهى عدم تردده فى قبول الأموال والهدايا والعطايا من الحكام والأمراء ورجال الدين . فهو لم يشر الى رفضه لأى مال أو هدية قدمت اليه ، ولعل هذا لأنه لم يكن يأخذ معه المال الكافى الذى يعينه على آداء فريضة الحج والعودة الى وطنه وذلك لأنه لم يكن وافر الغنى[4] . والدليل أنه باع دابة فى بجاية[5] فى بداية رحلته من طنجة فى سنة ٧٢٥هـ[6] . كما أن حاكم قسنطينه[7] أكرمه حين بعث له احراما بعلبكيا وصرّ فى أحد طرفيه دينارين من الذهب قال ابن بطوطة : " فكان ذلك أول ما فتح به على فى وجهتى "[8] وفى الاسكندرية — مصر — أعطاه برهان الدين الأعرج بعض الدراهم ، قال : " ولما ودعته زودنى دراهم لما تزل عندى محفوظة ولم احتج بعد الى انفاقها

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ١٧ وعن رقة قلبه وتأثره انظر رحلة ابن بطوطة : ص ٥٤٤

(٢) احمد العوامرى : مهذب رحلة ابن بطوطة : المقدمة ص : ف .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٢٠ .

(٤) رحلة ابن بطوطة الى بلاد الهند (عرضها وقدم لها احمد عطية الله) الباب الأول ص : ٤ .

(٥) مدينة على ساحل البحر بين افريقيا والمغرب ، ياقوت — معجم البلدان ج١ ص ٣٣٩ .

(٦) رحلة ابن بطوطة : ص ١٦ .

(٧) مدينة وقلعة وهى من حدود افريقيا مما يلى المغرب ، ياقوت : معجم البلدان : ج٤ ص ٣٤٩ .

(٨) رحلة ابن بطوطة : ص ١٦ .

الى أن سلبها منى كفار الهنود فيما سلبوه لى فى البحر" (١) . ثم ناقض ابن بطوطة نفسه بنفسه حين وصوله لمدينة دمشق فى زيارته الأولى سنة ٧٢٦ هـ ، ونزوله على نور الدين السخاوى ، مدرس المالكية فى شهر رمضان والذى أشرف على تمريضه الى أن شفى حيث قال : " وأقمت كذلك عنده الى يوم العيد ، وحضرت المصلى ، وشفانى الله تعالى مما أصابنى ،وقد كان ما عندى من النفقة نفذ ، فعلم بذلك فأكترى لى جمالا وأعطانى الزاد وسواه ، وزادنى دراهم وقال لى : تكون لما عسى أن يعتريك من أمر مهم (٢) " .

فى بلاد الهند أشار ابن بطوطة الى الهدايا والعطايا التى منحت اليه بقوله عنها : " انها كانت مما يعجز العقل عن تصديقه قائلا : " ولما كان من غد ذلك اليوم ركبنا الى دار السلطان (محمد شاه ملك الهند) وسلمنا على الوزير فأعطانى بدرتين ، كل بدرة من ألف دينار دراهم " . أما عن ضيافة السلطان فكانت ألف رطل من اللحم ومن السكر والسمن (٣) . والظاهر أن ابن بطوطة لم يكن ولوعا بالتجارة فهو لم يشر فى أى جزء من رحلته الى اشتغاله بالتجارة . هذا على الرغم من أنه كان يلتقى أثناء تجواله بأصناف من التجار من مختلف البلاد الاسلامية . وكان يدبر أموره بما ينال من خلع أو عطايا السلاطين والأمراء . كما لم نعرف عنه أنه مارس عملا معينا ، خلال السنين الطوال التى أمضاها فى الغربة ، سوى بضع سنوات تولى فيها القضاء فى بلاط السلطان محمد شاه ملك الهند وفى بعض جزر ذيبه المهل (٤) . ومن سماته كذلك أنه لم يكن قوى البدن صحيح الجسم موفور

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٢٥ .

(٢) المصدر السابق: ص ١٠٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ٥٠٤ ــ ٥٠٥ .

(٤) شاكر خصباك : ابن بطوطة ورحلته : ص ٢٣ راجع رحلة ابن بطوطة: ص ٥١٢ و ٥٧٧ .

الصحة ومن الذين يتحملون السفر ومصاعب الطريق . بل كان ضعيفا ، سريع المرض ، الا أن ذلك لم يقعده عن السير والتجوال فى بلاد لا تجمعه بها تقاليد أو ألفه أو عادات[١] . فقبل وصوله الى تونس فى بداية رحلته قال : " وتجردنا للسير وواصلنا الجد ، وأصابتنى الحمى ، فكنت أشد نفسى بعمامة فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف "[٢] . وكذلك عند خروجه من الكوفة قاصدا مكة المكرمة لأداء فريضة الحج سنة ٧٢٧ هـ قال : " وأصابنى عند خروجنا من الكوفة اسهال فكانوا ينزلوننى من أعلى المحمل مرات كثيرة فى اليوم ، ولم أزل مريضا حتى وصلت مكة حرم الله تعالى زادها الله شرفا وتعظيما ، وطفت بالبيت الحرام ، طواف القدوم ، وكنت ضعيفا بحيث أؤدى المكتوبة قاعدا "[٣] .

حبه للمغامرة والأسفار :ـ

كان الحافز فى خروج ابن بطوطة هو أداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فقط . ولم يدر بخلد ابن بطوطة أن عصا الترحال ستلقى به فى مختلف البلاد حيث لم يكتب له العودة الى وطنه الا بعد أكثر من ربع قرن[٤] . ففى بداية رحلته التقى فى الاسكندرية بمصر بالشيخ برهان الدين الأعرج سنة ٧٢٦ هـ حيث نزل ابن بطوطة ضيفا عليه . ونبأه الشيخ بزيارة الهند والسند والصين قائلا : " دخلت عليه يوما فقال لى : أراك تحب السياحة والجولان فى البلاد ، فقلت له : نعم انى أحب ذلك ، ولم يكن حينئذ بخاطرى التوغل فى البلاد القاصية

---

(١) رحلة ابن بطوطة الى بلاد الهند : (تحقيق وعرض احمد عطية الله) الباب الأول ص ٥ .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ١٦ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٤٠ انظر ص ٦٦٤ .

(٤) كراتشكوفسكى : تاريخ الادب جـ١ ص ٤٢٢ .

من الهند والصين ، فقال : لابد لك ان شاء الله من زيارة أخى فريد الدين بالهند ، وأخى ركن الدين زكريا بالسند ، وأخى برهان الدين بالصين ، فاذا بلغتهم فابلغهم منى السلام . فعجبت من قوله وألقى فى روعى التوجه الى تلك البلاد ، ولم ازل اجول حتى لقيت الثلاثة (١) الذين ذكرهم وأبلغتهم سلامه (٢) ويظهر أن أطراف هذا الحديث الشجى حرك فى قلب ابن بطوطة عزما على زيارة جميع البلاد الاسلامية (٣) وزاد ، على ذلك تفسير الشيخ ابى عبد الله المرشدى بمدينة فوه (٤) بمصر للرؤيا التى رآها ابن بطوطة بأنه سيتجول فى اليمن والعراق وبلاد الترك ، وأنه سيبقى بها مدة طويلة (٥) ، وقد زاد هذا الحديث أيضا فى نفس ابن بطوطة لزيارة تلك البلاد ، وجعلته ينفرد عن غيره من الرحالة المسلمين الذين اقتصرت رحلاتهم على البلاد العربية (٦) . فقد كان ابن بطوطة أشبه بالصحفى الذى كلفته صحيفته بعمل استطلاع شامل على العالم الاسلامى كله (٧) ، فقام به على خير وجه ، فى عصر لم يكن يعرف عن الصحافة شيئا بعد .

---

(١) راجع رحلة ابن بطوطة : ص ٣٩٧ و ٤١٠ (٢) المصدر السابق : ص ٢٤ـ٢٥

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ، نقلها الى العربية محمد ثابت الفندى وآخرون جـ١ ص ١٠٠ حاشية رقم "١" .

(٤) بليد ، على شاطىء النيل من نواحى مصر قرب رشيد ، ياقوت : معجم البلدان جـ٤ ص ٢٨٠ .

(٥) رحلة ابن بطوطة : ص ٣٠ .

(٦) انظر ما كتبه حسين مؤنس عن الدوافع التى دفعت ابن بطوطة للقيام بهذه الرحلات الطويلة وجعلته يرمى بنفسه فى المهالك ، ابن بطوطة رحالة الاسلام مجلة العربى العدد ٢١٣ ص ٣٠ .
وانظر ايضا ما كتبه شاكر خصباك عن الظروف التى كانت تسود العالم الاسلامى فى ذلك الوقت والتى ساعدت ابن بطوطة فى رحلاته وتنقلاته الواسعة . ابن بطوطة ورحلته : ص ٣٣ وما بعدها .

(٧) حسين مؤنس : ابن بطوطة رحالة الاسلام مجلة العربى عدد ٢١٣ ص ٣٢ .

٧ — رحلاته الى بلاد الشام :ـ

أ — زيارة ابن بطوطة الأولى لبلاد الشام سنة ٧٢٦هـ:ـ

كانت زيارة ابن بطوطة الأولى الى بلاد الشام ، عند ما غادر طنجة مسقط رأسه ، في يوم الخميس الثاني من شهر رجب سنة ٧٢٥ هـ ، بقصد أداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، سالكا الطريق البرى ، مارا في طريقه على بعض المدن الكبرى بشمال أفريقيا حتى وصل الى الاسكندرية (١) ، فمر بتلمسان (٢) ، وأقام بها ثلاثة أيام لقضاء بعض المآرب له (٣) ، ثم غادرها الى مدينة الجزائر (٤) ، ومنها واصل سيره الى مدينة بجاية (٥) ، وقسنطينه (٦) ، وبونه (٧) ، الى أن وصل الى مدينة تونس ، وفيها أدرك عيد الفطر المبارك ، ومنها صحب الركب القادم الى الأماكن المقدسة (الحجاز) في أواخر شهر ذى القعدة من نفس العام ، سالكين اتجاه الطريق الساحلى مرورا ببلدة سوسة (٨) ، ومدينة صفاقس (٩) ، الى أن وصلوا الى مدينة قابس (١٠) ،

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ١٤ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٥ ــ ٢٠ .

(٣) مدينتان متجاورتان ، بينهما رمية حجر ، احداهما قديمة والاخرى حديثة ، ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ص ٤٤ .

(٤) مدينة على ضفة البحر ، بين افريقيا والمغرب بينها وبين بجايه أربعة أيام ، ياقوت : المصدر السابق : جـ٢ ص ١٣٢ .

(٥) مدينة على ساحل البحر بين افريقيا والمغرب ، ياقوت : معجم البلدان جـ١ / ٣٣٩ .

(٦) مدينة وقلعة من حدود افريقيا مما يلى المغرب ، ياقوت : معجم البلدان جـ٤ / ٣٤٩

(٧) مدينة بافريقيا تقع على البحر ، ياقوت : معجم البلدان جـ١ / ٥١٢ .

(٨) بلد بالمغرب على البحر ، ياقوت : معجم البلدان جـ٣ / ٢٨١ .

(٩) صفاقس مدينة من نواحى افريقيا على ضفة الساحل بينها وبين سوسه يومان وبين قابس ثلاثة أيام ، ياقوت : المصدر السابق جـ٣ / ٢٢٣ .

(١٠) مدينة على ساحل البحر بين طرابلس وصفاقس ، ياقوت : المصدر السابق جـ٤ / ٢٨٩ .

حيث أقام بها الركب عشرة أيام لتوالي نزول الأمطار ، ثم اتجه الركب الى طرابلس ، حيث أقام بها مدة بعد أن أدرك في طريقه اليها عيد الأضحى المبارك ، ثم انفصل عن الركب عند خروجه من طرابلس في أواخر شهر محرم سنة ٧٢٦هـ متجها الى مدينة الاسكندرية ، التي وصلها في أول شهر جمادى الأولى ، ثم اتجه الى مدينة القاهرة ، حيث نزل في طريقه اليها ببعض المدن الهامة ، مثل مدينة دمياط (١) وقد أعجب ابن بطوطة بالقاهرة . فذكر نيلها وأهراماتها ومزاراتها وسلطانها (الملك الناصر محمد قلاوون) (٢) ثم سافر جنوبا الى الصعيد بقصد السفر بحرا الى الحجاز عن طريق ميناء عيذاب على البحر الأحمر . ولكنه لم يتمكن من ذلك ، بسبب الحرب الدائرة بين البجاه والأتراك ، فأضطر للعودة الى القاهرة مرة أخرى ، حيث قرر أن يسافر الى الحجاز عن طريق بلاد الشام ، في منتصف شعبان من عام ٧٢٦ هـ وهذه هي الزيارة الأولى لها (٣) . وكان ابن بطوطة في أثناء مروره بمدينة هو (٤) في طريقه الى عيذاب قد التقى بالشريف أبو محمد عبد الله الحسني من كبار الصالحين ، والذي سأله عن قصده ، فأخبره أنه يريد الحج عن طريق جده ، فقال له الشيخ : لا يحصل لك في هذا الوقت ، فارجع ، وانما تحج أول حجة على الدرب الشامي ، فانصرف عنه ابن بطوطة ولم يعمل بكلامه الى أن وصل الى عيذاب (٥) .

وفي طريقه من القاهرة الى بلاد الشام ، مر ابن بطوطة على مدينة بلبيس (٦) ، والعريش ، سالكا الطريق الرملي ، الى أن وصل مدينة غزة (٧) وهي أول بلاد الشام مما

---

(١) مدينة قديمة بين تنيس (المنزلة حاليا) ومصر ، على زاوية بين البحر والنيل . ياقوت معجم البلدان : جـ٢/ ٤٧٢ .

(٢) انظر رحلة ابن بطوطة : ص ٣٩ — ٤٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ٥٣ .

(٤) بليدة قديمة على تل بالصعيد بالجانب الغربي دون قوص ياقوت : معجم البلدان جـ٥/ ٤٢٠ .

(٥) رحلة ابن بطوطة : ص ٥١ .

(٦) مدينة بينها وبين الفسطاط بمصر عشرة فراسخ على طريق الشام ، ياقوت : معجم البلدان جـ١/ ٤٧٩ .

(٧) أول مدينة بمصر مما يلي الشام ، في وسط الرمال وهي آخر مدينة تتصل بالشام مما يلي مصر ، ياقوت : المصدر السابق جـ٤/ ١١٣ .

يلى مصر[١] ، ونلاحظ أنه لم يحدد زمن وصوله الى غزة ، سوى أن الفكرة واتته بمصر لزيارة بلاد الشام ، فى القاهرة فى منتصف شعبان ، ومكث ببلاد الشام فى زيارته الأولى بها سنة ٧٢٦ هـ الى بداية شهر شوال من العام نفسه ، ثم خرج مع الركب الشامى الى المدينة المنورة ، ومكة لأداء فريضة الحج والزيارة[٢] .

خط سير رحلته الأولى فى بلاد الشام سنة ٧٢٦هـ :ــ

بدأت رحلته من غزة ، ومنها اتجه جنوبا بشرق الى الخليل[٣] ، ثم سافر شمالا بشرق الى مدينة القدس مارا ببيت لحم[٤] ، ثم اتجه غربا بقصد زيارة ثغر عسقلان[٥] ، ومنه اتجه شمالا بشرق الى الرملة[٦] فى طريقه الى نابلس[٧] . ومنها الى عجلون[٨] بقصد زيارة اللاذقية[٩] ، فاتجه شمالا بغرب الى الساحل حتى وصل مدينة عكا مارا بالغور[١٠] ،

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٥٤ .

(٢) المصدر السابق : ص ١١٠ .

(٣) بلدة بينها وبين بيت المقدس يوم . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع جـ ١ ص ٤٨٠ .

(٤) بلدة قرب بيت المقدس مكان مهد عيسى ، ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٥٢١ ، ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع جـ١ / ٢٣٨ .

(٥) مدينة بالشام على ساحل البحر بين غزة وجبرين ، ياقوت : المصدر السابق جـ٤ / ١٢٢ ، ابن عبد الحق : المصدر السابق جـ٢ / ٩٤٠ .

(٦) مدينة بفلسطين بينها وبين بيت المقدس اثنا عشر ميلا ، ياقوت : المصدر السابق جـ٣ / ٦٩ راجع مراصد الاطلاع : جـ٢ / ٦٣٣ .

(٧) مدينة مشهورة بأرض فلسطين ، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ ، ياقوت : المصدر السابق جـ٥ / ٢٤٨ .

(٨) حصن منيع مشهور يظهر من بيسان ــ ابى الفداء : تقويم البلدان ص ٢٤٤ .

(٩) مدينة من سواحل الشام محاطة بالبحر من جهاتها الثلاث من أجل المدن الساحلية صنعة وعمارة وهى من أعظم نيابات طرابلس ــ القلقشندى : صبح الاعشى : جـ٤ / ١٤٥ ، شيخ الربوه : نخبة الدهر ص ٢٠٩ .

(١٠) الغور المنخفض من الأرض وهو غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق ، ياقوت : المصدر السابق جـ٤ / ٢١٦ ، ابن عبد الحق : المصدر السابق جـ٢ / ١٠٠٤ .

والقصير (١) ، ومن عكا سلك الطريق الساحلي مارا بصور (٢) ، وصيدا (٣) ، ثم انعطف جنوبا بشرق الى طبرية (٤) ، ومنها صعد شمالا بغرب الى بيروت ، وواصل سيره على الساحل شمالا الى طرابلس (٥) ، ومنها الى حصن الأكراد (٦) ، ومنه انعطف جنوبا بشرق الى مدينة حمص (٧) ، ومنها اتجه شمالا الى مدينة حماة (٨) ، ومدينة المعرة (٩)

---

(١) قصير معين الدين بالغور من أعمال الاردن ، ياقوت : المصدر السابق جـ٤/٣٦٧ .

(٢) مدينة مشهورة كانت من ثغور المسلمين مشرفة على البحر بالشام — القلقشندى : صبح الأعشى جـ٤/١٥٣ ، مراصد الاطلاع : جـ٢/٨٥٦.

(٣) مدينة على ساحل بحر الشام شرقى صور ، بينهما ستة فراسخ ، ياقوت : المصدر السابق جـ٣/٤٣٧ ، مراصد الاطلاع : جـ٢/٨٥٩ .

(٤) بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية . بينها وبين دمشق ثلاثة وكذلك بيت المقدس ياقوت : المصدر السابق جـ٣/١٧ .

(٥) بلدة مشهورة على ساحل بحر الشام بين اللاذقية وعكا . ياقوت : المصدر السابق جـ٤/٢٥ ، ابن عبد الحق : المصدر السابق جـ١/٩١ .

(٦) حصن منيع — مقابل حمص من غربيها ، ياقوت : معجم البلدان جـ٢/٢٦٤ ، ابن عبد الحق : المصدر السابق جـ١/٤٠٦ ، والحصن مأخوذ من الحصانة والمنعة .

(٧) بلد مشهور قديم ، تقع بين دمشق وحلب فى منتصف الطريق : ياقوت: معجم البلدان جـ٢/٣٠٢ ، ابن عبد الحق : المصدر السابق جـ١/٤٢٥.

(٨) مدينة كبيرة يمر بها نهر العاص ، كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار تقع بين دمشق وحلب ياقوت : معجم البلدان جـ٢/٣٠٠ .

(٩) مدينة كبيرة بين حلب وحماه ، ومعره النعمان تنسب الى النعمان بن بشير بن سعد الصحابى الجليل ، ياقوت : المصدر السابق جـ٥/١٥٥ ابن عبد الحق : المصدر السابق جـ٣/١٢٨٨ .

(معرة النعمان) ثم الى مدينة سرمين[١] ، وواصل سيره شمالا بشرق الى مدينة حلب ، وقد اهتم ابن بطوطة كثيرا بالحديث عنها ، بذكر قلعتها وأسواقها ومسجدها والقضاة بها ، ومن حلب اتجه غربا الى تيزين[٢] ،ويقول ابن بطوطة انها على طريق قنسرين[٣] ، وهذا خطأ لأن قنسرين جنوب شرقى حلب ، أما تيزين فهى فى شمال غربى حلب ولا يمكن أن تكون على طريق قنسرين[٤] ، ومن تيزين سافر الى مدينة انطاكية[٥] ثم الى حصن بغراس[٦] ، ومنه الى جبلة[٧] فى الجنوب ، وفى طريقه اليها مر بعدد من الحصون كحصن القصير[٨] وصهيون[٩] ، والحصون التى كانت

---

(١) بلدة مشهورة من أعمال حلب ، أهلها اسماعيلية ، ياقوت : معجم البلدان : ج٣ / ٢١٥ ، ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ج٢/ ٧١٠ ٠

(٢) قرية كبيرة من نواحى حلب ، ياقوت : المصدر السابق ج٢ / ٦٦ ، ابن عبد الحق : المصدر السابق ج١/ ٢٨٥ ٠

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٧٤ ٠

(٤) رحلة ابن بطوطة (تحقيق د /على المنتصر الكتانى) ج١ / ٩١ حاشية "١" ٠ وقنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص ، وكانت عامرة أهلة حتى سنة ٣٥١ هـ عندما غلب الروم على حلب فخاف أهل قنسرين وجلوا عنها وتفرقوا فى البلاد ولم يبق بها الا خان تنزله القوافل ، ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ج٣/ ١١٢٦ ٠

(٥) قصبة العواصم من الثغور الاسلامية بينها وبين حلب يوم وليله ، ابن عبد الحق المصدر السابق ج١/ ١٢٤ ٠

(٦) قلعة شمالى حلب على نحو أربع مراحل منها ٠ القلقشندى : صبح الأعشى ج٤ / ١٢٢، ٢٢٧ ٠ راجع ياقوت : المصدر السابق ج١ / ٤٦٧ ، ابن عبد الحق : المصدر السابق ج١/ ٢٠٩ ٠

(٧) قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال اللاذقية قرب حلب ٠ ابن عبد الحق المصدر السابق ج١/ ٣١٢ ٠

(٨) تصغير قصير وهى قلعة غربى حلب على نحو أربع مراحل منها ، القلقشندى : صبح الأعشى ج٤/ ١٢٣ ٠

(٩) بلدة ذات قلعة حصينة ، تقع الى الجنوب الشرقى من اللاذقية ، ابى الفداء : تقويم البلدان ص ٢٥٦ ٠

خاصة بطائفة الاسماعيلية وهى حصن القدموس (١) ، والمنيقه (٢) ، والعليقه (٣) ، ومصياف (٤) ، والكهف (٥) ، ومن جبله اتجه شمالا الى مدينة اللاذقية ومنها سافر جنوبا بشرق الى مدينة بعلبك (٦) ، مارا بحصن المرقب (٧) ، والجبل الأقرع (٨) وجبل لبنان (٩) ، ومنها اتجه الى مدينة دمشق التى وصلها فى يوم الخميس التاسع من شهر رمضان لسنة ٧٢٦ هـ (١٠) ، ومكث بها الى رحيله فى بداية شهر شوال من نفس السنة .

وفى خلال هذه الفترة تجول ابن بطوطة ، فى جميع أنحاء المدينة ، وزار المشاهد والمزارات بها ولم يكتف بذلك بل قام برحلات قصيرة الى القرى والأرباض (١١) ، التى كانت تحيط بها ، وتجول فى جبل قاسيون (١٢) ، والربوة والقرى التابع لها ، كما

(١) قلعة حصينة تقع جنوب غربى شيرز على مقربة من ثغر بانياس ، السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام : ص ٣١٥ .

(٢) قلعة بالقرب من قلعة الكهف على نحو ساعة على جبل مرتفع ، القلقشندى : المصدر السابق جـ٤ / ١٤٧ .

(٣) قلعة قريبة من المنيقة على نحو ساعة منها ، القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ / ١٤٧ .

(٤) هى بلدة ولها قلعة حصينة ، بالساحل الشامى قرب طرابلس وهى قاعدة قلاع الدعوة القلقشندى : صبح الاعشى جـ٤ / ١١٣ بتصرف .

(٥) قلعة بالقرب من القدموس على نحو ساعة على جبل مرتفع ، القلقشندى : المصدر السابق جـ٤ / ١٤٧ .

(٦) مدينة قديمة ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام ، ياقوت : المصدر السابق جـ١ / ٤٥٣ ، ابن عبد الحق : المصدر السابق جـ١ / ٢٠٧ .

(٧) قلعة حصينة على رأس رمتفع مطل على البحر ، شيخ الربوه : نخبة الدهر ص ٢٠٨

(٨) جبل بالشـــــام ، ياقوت : المصدر السابق جـ١ / ٢٣٦ .

(٩) جبل مطل على حمص ، ياقوت : المصدر السابق جـ٥ / ١١ .

(١٠) رحلة ابن بطوطة : ص ٨٤ .

(١١) الربض ما حول المدينة من الخارج ولا تخلو مدينة من ربض ، ياقوت : المصدر السابق جـ٣ / ٢٥ .

(١٢) هو الجبل المشرف على مدينة دمشـــق ، ابن عبد الحق : المصدر السابق جـ٣ / ١٠٥٧ .

أسهب فى الحديث عنها بوصف جامعها الأموى ، ونظام الأوقاف بها ، وفضائل أهلها ، بالاضافة الى ابراز النواحى الاجتماعية ، وقد جاء حديثه عن مدينة دمشق أفضل ما يكون فى الرحلة بالقياس الى المدن الأخرى فى الشام ، ويعود ذلك الى طول الفترة الزمنية التى قضاها بالمدينة ، ثم غادرها فى بداية شهر شوال مع الركب الشامى ، القاصد أرض الحجاز فنزل بقرية الكسوة [١] ، معهم ، وقد أشار الى ذلك بقوله : " ولما استهل شهر شوال من السنة المذكورة (٧٢٦ هـ) خرج الركب الحجازي دمشق ونزلوا القرية المعروفة بالكسوة ، فأخذت فى الحركة معهم [٢] ثم اتجه الركب جنوبا الى بصرى [٣] ، ليلحق بهم من تخلف فى دمشق ، ثم الى حصن الكرك [٤] ، ومنه الى معان [٥] ، وهى آخر بلاد الشام [٦] .

---

(١) قرية كانت تنزل بها القوافل اذا خرجت من دمشق الى مصر ، ياقوت: معجم البلدان ج٤/٤٦١ .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ١١٠ .

(٣) مدينة مشهورة بالشام ، من أعمال دمشق ، ياقوت : المصدر السابق ج ١ /٤٤١ .

(٤) حصن منيع ، على أطراف الشام من جهة الحجاز ، وهو أحد المعاقل بالشام ، ابى الفداء : تقويم البلدان ص ٢٤٦ .

(٥) مدينة فى طرف بادية الشام تلى الحجاز من نواحى البلقاء ، ياقوت :المصدر السابق ج٥/١٥٣ .
يقول عنها شيخ الربوه : " وهى اليوم منزل للحجاج يقام بها سوق فى غدوهم ورواحهم " نخبة الدهر : ص ٢١٣ .

(٦) رحلة ابن بطوطة : ص ١١١ .

ب ــ زيارة ابن بطوطة الثانية لبلاد الشام سنة ٧٣٢هـ :ــ

كانت زيارته الثانية ، بعد أدائه لفريضة الحج سنة ٧٣٢ هـ بعد غياب[(١)] استمر أكثر من ست سنوات من رحلته الأولى لها من الفترة من (أواخر شعبان الى بداية شهر شوال من سنة ٧٢٦هـ) وكان ابن بطوطة خلال فترة غيابه عن بلاد الشام قد زار مكة ٣ مرات ، وحج فيها خمس حجات فى أعوام ٧٢٦هـ ــ ٧٢٧ هـ ٧٢٨هـ ــ ٧٢٩هـ ــ ٧٣٢هـ وأقام بمكة مجاورا فى الفترة من سنة ٧٢٨هـ الى ٧٣٠هـ ، كما تجول بأرض العراق ، وشاهد مدنها وزار بعض المدن بغربى ايران وذلك بعد أن أدى فريضة الحج للمرة الأولى سنة ٧٢٦هـ .

وفى نهاية سنة ٧٣٠هـ غادر مكة ، قاصدا بلاد اليمن عن طريق جده[(٢)] ، ومنها عبر البحر الأحمر الى الساحل الشرقى لأفريقيا ، ثم عاد الى بلاد اليمن ، ثم عاد مرة ثانية لأفريقيا ، ومنها اتجه الى الخليج العربى مارا بعمان[(٣)] ، وهرمز[(٤)] ، والقطيف[(٥)] ، ثم عاد الى مكة وحج للمرة الخامسة سنة ٧٣٢هـ وبعد انتهاء موسم الحج ، توجه الى جده بقصد ركوب البحر الى اليمن والهند ، لكنه لم يوفق وعبر عن ذلك بقوله : " ولما انقضى الحج توجهت الى جده برسم ركوب البحر الى اليمن والهند ، فلم يتفق لى ذلك ولا تأتى لى رفيق ، وأقمت بجدة نحو أربعين يوما[(٦)] " .

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٢٨٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٤٢ .

(٣) اسم كوره عربيه على ساحل بحر اليمن والهند ، ياقوت : معجم البلدان جـ٤ / ١٥٠ .

(٤) مدينة على ضفة الخليج العربى ، تنقل منها امتعة الهند الى كرمان ياقوت : المصدر السابق جـ٥ / ٤٠٢ .

(٥) مدينة بالبحرين ، هى قصبتها وأعظم مدنها ، ياقوت : المصدر السابق جـ٤ / ٣٧٨ .

(٦) رحلة ابن بطوطة : ص ٢٨١ .

ثم ركب البحر بقصد ميناء عيذاب ولكن الرياح ردت السفينة الى رأس دوائر (١) ، ومنه واصل سيره في الصحراء الى أن وصل الى عيذاب بعد مسيرة استمرت تسعة أيام ، ثم تابع مسيرته شمالا مارا بالمدن المصرية ، الى أن وصل القاهرة وأقام بها أياما ثم سافر على طريق بلبيس الى بلاد الشام ، وقد كان مقدمه لبلاد الشام هذه المرة كمقدمه في رحلته الأولى (٢) ، حيث زار كلا من غزة ، الخليل ، وبيت المقدس ، والرملة ، وعكا ، ومنها اتجه شمالا على طريق الساحل الى مدينة طرابلس وجبله ، واللاذقية ، ومنها أبحر الى بلاد الروم (الدولة البيزنطية) (٣) . وقد كانت زيارته الثانية الى بلاد الشام مرورا فقط ، بقصد متابعة رحلته الى آسيا الصغرى ، بدليل انه لم يتعمق في المدن الداخلية لبلاد الشام ، كمدينة حلب ودمشق ، بل اقتصر طريقه على المدن الساحلية بقدر الامكان للوصول الى ميناء اللاذقية ، كما أنه لم يعط أية معلومات تذكر بل اقتصر قائلا : " وقد تقدم لنا ذكر هذه البلاد كلها " (٤) .

ج ـ زيارة ابن بطوطة الثالثة لبلاد الشام سنة ٧٤٨هـ ـ ٧٤٩هـ :ـ

بعد جولات طويلة استمرت أكثر من خمسة عشر عاما زار خلالها ابن بطوطة كلا من آسيا الصغرى وخوارزم ، وخراسان ، وتركستان وأفغانستان ، والسند ، والهند ، والصين ، الى أن وصل جاوه . ومنها غادر بحرا الى ظفار (٥) ، ثم

---

(١) مرسى على البحر الاحمر ، ما بين عيذاب وسواكن ، رحلة ابن بطوطة : ص ٢٤٤ .

(٢) ذكر ابن بطوطة في رحلته : أن من عادته في سفره ان لا يعود على طريق سلكها من قبل ما أمكنه ذلك . انظر رحلة ابن بطوطة : ص ١٩١ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢٨٣ .

(٥) مدينة على ساحل بحر الهند من أعمال الشحر ، ياقوت : معجم البلدان : ج٤ / ٦٠ .

مسقط[1] ، حتى وصل الى مدينة بغداد في شهر شوال سنة ٧٤٨هـ ، ومنها اتجه الى مدينة الأنبار[2] ، وواصل طريقه الى تدمر[3] ، ومنها اتجه الى مدينة دمشق ، وقد مكث ابن بطوطة بدمشق الى نهاية سنة ٧٤٨هـ . وفي بداية سنة ٧٤٩هـ تجول ابن بطوطة في عدد من مدن الشام ، واتجه شمالا الى حمص ، وحماة ، والمعرة ، ومنها الى مدينة حلب ، حيث بلغه نبأ وقوع وباء الطاعون بغزة في أوائل شهر ربيع الأول ، وعاد مرة أخرى الى حمص ، فوجد الوباء قد وقع بها ، ثم غادرها الى دمشق ، ومنها اتجه جنوبا الى عجلون ، وبيت المقدس ، وغزة التي وجدها خالية من السكان لكثرة من مات بها ، ثم تابع سيره الى مصر[5] ، ثم اتجه الى عيذاب عابرا البحر الأحمر الى جده ، حتى وصل الى مكة في الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة ٧٤٩هـ ، حيث أدى فريضة الحج للمرة السادسة ثم غادرها مع الركب الشامي الى المدينة ، متجها الى بيت المقدس ، الخليل ، وغزة ، ومنها اتجه الى القاهرة ، وفيها تاقت نفسه لزيارة السلطان أبي عنان في مدينة فاس ، فغادرها الى تونس في شهر صفر ، ومنها اتجه الى مدينة فاس[6] .

---

(١) مدينة في نواحي عمان ، في آخر حدودها مما يلي اليمن على ساحل البحر ، ياقوت : معجم البلدان ج٥/١٢٧ .

(٢) مدينة قرب بلخ ، المصدر السابق : ج١ / ٢٥٧ .

(٣) مدينة قديمة مشهورة في برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام ياقوت : المصدر السابق ج٣/١٧ .

(٤) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٤٧ الى ٦٥٠ .

(٥) المصدر السابق : ص ٦٥١ الى ٦٥٣ .

(٦) المصدر السابق : ص ٦٥٤ الى ٦٥٥ .

٨ ـ منهج ابن بطوطة فى تسجيل مشاهداته :

أ : عودته الى بلاد المغرب وشكوك معاصريه فى أحاديثه :ـ

عاد ابن بطوطة الى بلاد المغرب سنة ٧٥٠ هـ بعد غيبة استمرت أكثر من ربع قرن ، فقصد مدينة فاس للمثول بين يدى السلطان أبى عنان المرينى قال فى ذلك : " فوصلت يوم الجمعة ، فى أواخر شهر شعبان المكرم من عام خمسين وسبعمائة (سنة ٧٥٠هـ) الى حضرة فاس ، فمثلت بين يدى مولانا الأعظم الامام الأكرم أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين أبى عنان." وبعد أن حصلت له مشاهدة السلطان أبى عنان فى مدينة فاس اتجه جنوب مدينة طنجة لزيارة قبر أمه ، بعدها قام برحلتين : احداهما الى بلاد الأندلس عابرا مضيق جبل طارق ثم عاد مرة ثانية الى فاس ومنها قام برحلته الثانية الى بلاد السودان سنة ٧٥٣هـ وعاد منها بنهاية سنة ٧٥٤هـ الى مدينة فاس (١).

وهكذا استغرقت رحلات ابن بطوطة جميعها أكثر من ٢٨ عاما . " بعدها أقام فى بلاط السلطان أبى عنان المرينى ، دون أن يفكر فى القيام برحلة أخرى أو يهزه داعى الشوق الى شد الرحال مرة ثانية والطواف فى البلدان . وتلك ولا شك ظاهرة غريبة على خلقه ، بما عهدنا فيه من حب السفر والتجوال . ولعل تقدم السن به ورغد العيش فى بلاد السلطان أبى عنان قد أنساه تلك العادة (٢)". وقد عبر ابن جزى الكلبى كاتب الرحلة عن ذلك بقوله : " فنسى ما كان ألفه من جولان البلاد ، وظفر بالمرعى الخصب ، بعد طول الارتياد (٣) " .

" والواقع أن ستارا كثيفا ينسدل على حياة ابن بطوطة بعد تدوينه

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٥٧ و ٦٦٤ و ٦٧٣ و ٧٠٠ .

(٢) شاكر خصباك : ابن بطوطة ورحلته : ص ٤٥ .

(٣) رحلة بطوطة : المقدمة ص ١٢ .

لرحلته ، فلا يعرف عنه شيء واضح ، كما أن ذكره في كتب المؤرخين كان نادرا "[1] ، وقد ذكر ابن حجر نقلا عن ابن مرزوق أنه بقي الى سنة سبعين ومات وهو متولي القضاء ببعض البلاد[2] . ولم يبين ابن مرزوق الجهة التي كان ابن بطوطة يتولى بها القضاء[3] .

أما عن وفاته ، فقد اختلف في تاريخها لكل من كتب عنه من المحدثين ، لأن المصادر الأصلية التي ترجمت عنه لم تشر الى تاريخ وفاته ، فمنهم من ذكر أنه توفي في سنة ٧٧٠هـ ١٣٦٨م ـ ١٣٦٩م عن عمر يناهز السابعة والستين[4] . وهذا هو المشهور عن تاريخ وفاته[5] ، ومنهم من ذكر أنه توفي في سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٧م)[6] والله أعلم .

ب ـ حديثه عن رحلاته :ـ

عندما عاد ابن بطوطة الى فاس من رحلته الأخيرة من بلاد السودان بنهاية سنة ٧٥٤هـ كان يتحدث عن تلك العجائب التي شهدها أو سمعها في رحلته ، وخاصة أحاديثه العجيبة عن بلاد الهند وملكها

---

(١) شاكر خصباك : ابن بطوطة ورحلته : ص ٤٥ .

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة : جـ٣ / ٤٨١ .

(٣) راجع ص ٢٨ حاشية (٥) شاكر خصباك : المصدر السابق ص ٤٥ . ابن الخطيب : الاحاطة جـ١ ص ٢٧٤ حاشية رقم ١

(٤) شاكر خصباك : المصدر السابق ص ٤٥ ، نقولا زيادة : الجغرافيا والرحلات عند العرب ص ١٨٢ .

(٥) محمود الشرقاوي : رحلة مع ابن بطوطة من طنجة الى الصين : ص ٢ .

(٦) احمد العوامري بك : مهذب رحلة ابن بطوطة (المقدمة) ص : ق ـ توفي في فاس . جورج غريب : أدب الرحلة : ص ٦١ (سلسلة الموسوع في الأدب العربي عدد ٧) ووافته المنية في فاس ، دائرة المعارف الاسلامية : جـ ١ ص ١٠١ توفي في مراكش . احمد العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص ٣٧٥ ، الزركلي : الاعلام جـ٧ / ١١٤ .

السلطان محمد شاه (١) . ويبدو أن أحاديثه قد أثارت الشك فى نفوس سامعيه
وكان أول المشككين المؤرخ العظيم ابن خلدون وهو يعتبر معاصرا لابن
بطوطة ، حيث ذكر فى مقدمته عنه وعن رحلاته بقوله : " ورد بالمغرب بعهد
السلطان أبى عنان من ملوك بنى مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة ،
كان رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق وتقلب فى بلاد العراق واليمن والهند
ودخل مدينة دلهى (٢) ، حاضرة ملك الهند ، وهو السلطان محمد شاه ، وكان له
منه مكان واستعمله فى خطة القضاء بمذهب المالكية فى عمله ، ثم انقلب الى
المغرب ، واتصل بالسلطان أبى عنان ، وكان يحدث عن شأن رحلته ، وما رأى
من العجائب بممالك الأرض وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ، ويأتى
من أحواله بما يستغربه السامعون ، مثل أن ملك الهند اذا خرج الى السفر
أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان ، وفرض لهم رزق ستة أشهر ،
تدفع لهم فى عطائه ، وأنه عند رجوعه من سفره يدخل فى يوم مشهود يبرز فيه
الناس كافة الى صحراء البلد ويطوفون به ، وينصب أمامه فى ذلك الحفل منجنيقان
على الظهر ، ترمى بها شكائر الدراهم والدنانير الى أن يدخل ايوانه وأمثال
هذه الحكايات فتناجى الناس بتكذيبه " . (٣)

---

(١) محمود الشرقاوى : المرجع السابق : ص ١٣ .

(٢) توجد خرائب دلهى هذه حوالى عشرة أميال جنوب دلهى الجديدة . أما دلهى الجديدة (عاصمة الهند اليوم) فهى من بناء السلطان المغولى شاه جهان فى القرن الحادى عشر الهجرى . رحلة ابن بطوطة : (تحقيق وتعليق على المنتصر الكتانى) ج٢ / ٤٧٨ حاشية رقم "١" .

(٣) مقدمة ابن خلدون : ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

علق محمود الشرقاوى على هذه الشكوك بحقيقتين هامتين : الحقيقة الأولى : هى أن مناهضى ابن بطوطة وكارهيه والحاقدين عليه قد زاد كرههم له وحقدهم عليه ، وتأججت نار الغيرة فى نفوسهم من تلك المكانة التى نالها عند السلطان أبى عنان ، عندما أمر كاتبه ابن جزى بأن يكتب ويسجل ما يمليه عليه ابن بطوطة ، وهذه المكانة كفيلة بأن تجعل أصحابها يثيرون =

كما نقل ابن الخطيب فى كتابه " الاحاطة فى أخبار غرناطة " ما كتبه شيخه ابو البركات ، فى التعريف بابن بطوطة ولقائه فى مدينة غرناطة بقوله : " ودخل جزيرة الأندلس فحكى بها أحوال المشرق ، وما استفاد من أهله نكذب ، وقال : لقيته بغرناطة وبتنا معه ببستان أبى القاسم بن عاصم بقرية نياله ، وحدثنا تلك الليلة وفى اليوم قبلها عن البلاد الشرقية وغيرها فأخبرنا أنه دخل الكنيسة العظمى بالقسطنطينه العظمى (٢) ، وهى على قدر مدينة مسقفة كلها ، وفيها اثنا عشر ألف أسقف " (٣) . ولم يكتف ابن الخطيب بقول شيخه أبى البركات ، بل شك هو أيضا فيما يرويه ابن بطوطة فقال : " وأحاديثه فى الغرابة أبعد من هذا " (٤) ، وقد أشار ابن بطوطة الى هذا اللقاء أثناء رحلته الى بلاد الأندلس بمدينة غرناطة قائلا : " ولقيت بغرناطة جملة من فضلائها — ومنهم قاضى الجماعة نادرة العصر وطرفة الدهر أبو البركات محمد بن محمد بن ابراهيم السلمى البلفيقى (٥) ، قدم عليها من

= حول ابن بطوطة وأحاديثه زوبعة من الشكوك يستمع لها الناس ، والحقيقة الثانية : أن هذه الشكوك التى اثارها خصومه ومنافسوه تعود لأحاديثه الغريبة وأنبائه العجيبة عن بلاد الهند والصين وغيرها .
رحلة مع ابن بطوطة من طنجة الى الصين ص : ١٤ — ١٥ .

(١) هو محمد بن محمد بن ابراهيم ، يكنى ابو البركات البلفيقى المعروف بابن الحاج سبقت ترجمته انظر ص : ٢٥ حاشية رقم ٢ .

(٢) كانت القسطنطينه عاصمة الدولة البيزنطية لزمن طويل وقد استعصى على المسلمين فتحها ، وتم فتحها على يد السلطان العثمانى محمد الفاتح فى سنة ٨٥٧ هـ — ١٤٥٣ م واطلق عليها اسم استانبول ، كما حولت كنيستها أياصوفية الى مسجد : محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ص ٣٣ وما بعدها . سالم الرشيدى : محمد الفاتح ص ٥٤ و ١٤٠

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة جـ٣ ص ٢٧٣ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة جـ٣/٢٧٣ .

(٥) فى رحلة ابن بطوطة : (البلفيقى) انظر ص ٦٧١ .

المرية في تلك الأيام فوقع الاجتماع به في بستان أبي القاسم محمد بن الفقيه الكاتب أبي عبد الله بن عاصم) ، واقمنا هنالك يوما وليلة " . وقد حضر هذا اللقاء أيضا ابن جزي الكلبي كاتب الرحلة ، والذي لم تكن بينه وبين ابن بطوطة على ما يبدو أية علاقة أو صداقة في ذلك الوقت . اذ أشار هو الى ذلك أثناء تدوينه للرحلة حيث قال ابن جزي : " كنت معهم في ذلك البستان وأمتعنا الشيخ أبو عبد الله ، بأخبار رحلته ، وقيدت عنه أسماء الأعلام الذين لقيهم فيها ، واستفدنا منه الفوائد العجيبة "(١) أما ابن حجر فيذكر أن البلفيقي رماه بالكذب فبرأه ابن مرزوق(٢) ، فضلا عن ذلك فان ابن جزي ، شك في أقوال ابن بطوطة بقوله : " وأوردت جميع ما أورده من الحكايات والأخبار ولم أتعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار "(٣) .

ويذكر الزياني في الترجمانه الكبرى (٤) ، المتوفى سنة ١٢٤٩هـ نقده لابن بطوطة " أنه عرض على بعض علماء الهند ، الذين اجتمع بهم بالحرم الشريف بمكة ما جاء في كتاب ابن بطوطة عن الهند ، فأنكروا كثيرا مما فيها من أخبار ملوكهم وأبطلوا قضاءه ومصاهرته لسلطانهم " ويذكر الزياني أن الرحالة البلوي ، ذكر في رحلته (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق)(٥) في ترجمة ابن بطوطة ، " أنه لما عاد

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٧١ .

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٣ ص ٤٨١ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ١٣ .

(٤) ابو القاسم الزياني : الترجمانه الكبرى ص ٥٨١ ـ ٥٨٢ .

(٥) يقول الحسن السائح ـ محقق رحلة البلوي ـ : على الرغم من معاصرة البلوي لابن بطوطة فانه لم يكتب ان يتصل احدهما بالآخر على الرغم من أن ابن بطوطة وصل غرناطة سنة ٧٥٠هـ ، واتصل بأساتذة البلوي كمحمد بن عاصم عاصم القيسي ، وتعرف بأحد الرحالين الشرقيين ، فانه لم يتصل بالشيخ البلوي : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق : جـ١/٥٦ (المقدمة) .

من رحلته ومن لقيه بها من الملوك وأن ملك الهند صاهره وقلده القضاء بمدينته العظمى ، وحمل من الأموال عددا كثيرا ، زيفوه وكذبوه[1] ، ثم عاد لبر العدوة ، ودخل فاس أيام السلطان ابى عنان فارس بن الحسن المرينى ، ولم يجتمع بـه ، ثم توجه للصحراء ثم للسودان ، يحسب أن ملوكه كملوك الهند ، وبلغ خبره للسلطان أبى عنان فكتب له واستقدمه ولما اجتمع به عاتبه على عدم الاجتماع به لما قدم من الأندلس الى فاس[2] وكان أبو عنان قد فرغ من تشييد المدرسة المتوكلية التى بطالعة فاس ، فقال له : يا مولانا السلطان ، إنما أتيت لفاس بقصد لك والمثول بين يديك ، ولما دخلت هذه المدرسة التى شيدت ، ولم أقف على مثلها فيما شاهدته فى المعمور كله ، قلت والله لابد لى أن أتم عملى وأبر بقسمى ، بالوصول الى أقاليم السودان حتى أشاهده ، وأقسم أن ليس فى المعمور كله مثلها ، فحقق الله ظنى ، وأبر بيمينى هذا بموجب تأخيرى عن المثول بين يديك ، فأكرمه السلطان أبو عنان ، وأجرى عليه الانعام ، وأمره أن يؤلف رحلته ويذكر فيها مدرسته التى زعم أن لا نظير لها فى المعمور"[3] .

---

(١) لا يوجد نقد لابن بطوطة فى رحلة البلوى : انظر خالد بن عيسى البلوى . تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق " تحقيق الحسن السائح " جـ١ / ٩٣ حاشية رقم ١ .

(٢) هذا غير صحيح : فبعد عودة ابن بطوطة من رحلته الى بلاد الأندلس مر على مدينة فاس . وودع بها السلطان ابى عنان ثم توجه الى بلاد السودان وعاد الى فاس فى نهاية سنة ٧٥٤هـ ، ولم يذكر ابن بطوطة أو يشير الى عتاب السلطان له عند عودته . انظر رحلة ابن بطوطة ص ٦٧٣ و ٧٠٠

(٣) ذكر ابن بطوطة عمارة السلطان أبى عنان للمدرسة الكبرى بالموضع المعروف بالقصر مما يجاور قصبة فاس والتى قال عنها " ولا نظير لها فى المعمورة اتساعا وحسنا وابداعا وكثرة ماء وحسن موضع ولم أر فى مدارس الشام ومصر والعراق وخراسان ما يشبهها " ولكنه لم يشر الى أن السلطان أمره بذكرها فى رحلته . انظر رحلة ابن بطوطة : ص ٦٦٤ .

جـ — تدوين رحلة ابن بطوطة :ـ

بعد أن استقر ابن بطوطة فى بلاد السلطان أبى عنان المرينى بمدينة فاس فى نهاية سنة ٧٥٤ هـ ، (استدعاه السلطان فلحق ببابه وأمره بتدوين رحلته)[١] . وأمر السلطان أبو عنان كاتبه ابن جزى الكلبى بكتابة ما يمليه عليه ابن بطوطة مما علق بذاكرته من أسفاره ورحلاته . قال ابن جزى : " ونفذت الاشارة الكريمة بأن يملى ما شاهده فى رحلته من الأمصار ، وما علق بحفظه من نوادر الأخبار ، ويذكر من لقيه من ملوك الأقطار ، وعلمائها الاخيار ، وأوليائها الأبرار ، فأملى من ذلك ما فيه نزهة الخواطر ، وبهجة المسامع ، والنواظر ، من كل غريبة ، أفاد باجتلائها ، وعجيبة أطرفه بانتمائها "[٢] . ويكاد يتفق جميع من كتبوا عن ابن بطوطة بأنه قد أملى رحلته من الذاكرة[٣] ، والتى اعتمد عليها اعتمادا مطلقا ، فقد كان يتمتع حقا بذاكرة ممتازة[٤] ، ولذلك فانه اختلف عن غيره من الرحالة المسلمين الذين حرصوا على تدوين مشاهداتهم أولا بأول كابن جبير مثلا ، وان كان ابن بطوطة قد دون بعض المعلومات البسيطة المكتوبة على قبور علماء بخارى ، ثم ما لبث أن أشار الى فقدانها بقوله فى رحلته : " وكنت قد قيدت من ذلك كثيرا وضاع منى فى جملة ما ضاع لى لما سلبنى كفار الهنود فى البحر "[٥] ، والجدير بالذكر أن ابن بطوطة تعرض عدة مرات للسلب من قبل الكفار الهنود ، ودون ذلك قائلا : " وأخذوا ثيابى والزوادات ، التى كانت عندى مما اعطانيه الصالحون والأولياء ، ولم يتركوا لى ساترا خلا السراويل "[٦] .

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة : جـ٣ / ٢٧٤ .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ١٢ .

(٣) شاكر خصباك : ابن بطوطة ورحلته : ص ١٣٩ .

(٤) كراتشكوفسكي : تاريخ الادب الجغرافى العربى : جـ١/ ٤٢٨ .

(٥) رحلة ابن بطوطة : ص ٣٦٩ .

(٦) المصدر السابق : ص ١٣ .

د ـ استعانة ابن بطوطة بكتب المؤلفين السابقين له :ـ

يبدو أن ابن بطوطة الى جانب اعتماده على ذاكرته القوية فهو قد استعان ببعض كتب المؤلفين السابقين له ويفصح عن ذلك قول ابن جزى : " على أنه سلك فى اسناد صحاحها أقوم المسالك ، وخرج عن عهده سائرها بما يشعر من الألفاظ بذلك ، وقيد المشكل من أسماء المواضع والرجال بالشكل والنقط ، ليكون أنفع فى التصحيح والضبط "(١) . فعند حديثه عن الحجاز وبلاد الشام وبغداد استعان برحلة ابن جبير ، وكان يشير الى ذلك ففى وصفه لمدينة دمشق قال : " وكل وصف وان طال فهو قاصر على محاسنها ولا أبدع مما قاله أبو الحسين بن جبير رحمه الله تعالى فى ذكرها "(٢) . كما أنه استعان بكتب أخرى أثناء حديثه عن فضائل الجامع الأموى بدمشق فقال : " وقرأت فى فضائل دمشق عن سفيان الثورى "(٣) وعن مدينة دمياط قال : " والناس يضبطون اسمها بإعجام الذال ـ ومنهم من يضبطها باهمال الدال "(٤) .

هـ ـ دور ابن جزى الكلبى فى تدوين الرحلة :ـ

يبدو دوره فى كتابة الرحلة جليا حين يقول : " ونقلت معانى كلام الشيخ أبو عبد الله بألفاظ موفية للمقاصد التى قصدها ، موضحة للمناحى التى اعتمدها ، وربما أوردت لفظة على وضعه فلم أخل بأصله ولا فرعه ، وأوردت جميع ما أورده من الحكايات والأخبار ، ولم أتعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار " الى أن يقول : " وشرحت ما أمكننى شرحه من الأسماء العجمية ، لأنها تلتبس بعجميتها على

(١) المصدر السابق : ص ١٣ .
(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٨٤ راجع ص ٦٨ و ٢٢١ .
(٣) المصدر السابق : ص ٩٠
(٤) المصدر السابق : ص ٣٣

الناس ، ويخطىء فى فك معماها معهود القياس "(١) وهذا النص الذى ورد عن ابن جزى ، يحدد لنا دوره الذى كان واضحا تماما فى كتابة الرحلة كما زعم . " فهو لم يتدخل فى سياق الحديث الا بقدر محدود لا يضر بصلب الرحلة ، وقد حرص فى كل مرة أن يبدأ اضافته بقوله : قال ابن جزى "(٢) .

وقد ظهر ذلك منذ بداية كتابة الرحلة ، عندما كان ابن بطوطة يتحدث عن عمره (أثناء قيامه بالرحلة من مسقط رأسه بمدينة طنجة) اذا أضاف ابن جزى الى ذلك بقوله قال ابن جزى : " أخبرنى ابو عبد الله بمدينة غرناطة أن مولده بطانجه ، فى يوم الاثنين السابع عشر من رجب ، الفرد سنة ثلاث وسبعمائة "(٣) . وتكاد تقتصر اغلب تعليقات ابن جزى على استشهادات شعرية ينقلها عن شعراء آخرين ، تتعلق بوصف المدن(٤) . كمدينة القاهرة ، وحلب ، ودمشق(٥) . كما أن بعض هذه الاضافات كانت لتصحيح بعض المعلومات التاريخية . فعن قبر أويس القرنى ، قال ابن جزى : " ويقال ان أويسا قتل بصفين مع على وهو الأصح ان شاء الله "(٦) .

ولكن عند حديث ابن بطوطة عن آسيا الصغرى وبلاد السند والهند والصين وغيرها فان اضافات ابن جزى تتلاشى نهائيا وهذا ليس بغريب ، فابن جزى لم يكن على علم بتلك البلاد ولا أخبارها لذلك اقتصرت تعليقاته على بلدان العالم الاسلامى المعروفة له فى ذلك الوقت .

" لهذا يمكن القول أن دور ابن جزى دور محدود لا يتجاوز الصياغة الأدبية ، وربما كانت السجعات التى تتقدم وصف البلدان من صنعه "(٧) . ويبدو أن ابن جزى

---

(١) المصدر السابق : ١٣ .

(٢) حسين مؤنس : ابن بطوطة رحالة الاسلام مجلة العربى العدد ٢١٣ ص ٣٢

(٣) رحلة ابن بطوطة: ص ١٤ .

(٤) شاكر خصباك : ابن بطوطة ورحلته : ص ١٥٢ .

(٥) انظر رحلة ابن بطوطة : ص ٣٦ ، ٧١ ، ٨٤ .

(٦) المصدر السابق : ص ٩٨ .

(٧) شاكر خصباك : ابن بطوطة ورحلته : ص ١٥٢ .

(كما ذكر كراتشكوفسكى) قد لجأ الى الطريقة القديمة فى تضمين الأوصاف المأخوذة من المؤلفين السابقين فى سياق عرضه دون أن يهتم بالاشارة الى أسمائهم. ومن الاجحاف اتهام ابن بطوطة بادعاء المعرفة والعلم بالكتب ، فهو رجل يحب القصص ،ولكنه يخضل حكايتها بألفاظه ، ومن المشكوك فيه أن يكون هو المسئول عن تضمين قطع كبيرة من كلام ابن جبير فى وصف الشام وبلاد العرب دون أن يشير الى المؤلف ، وعلينا أن نأخذ دائما فى اعتبارنا جميع الظروف التى تم فيها تدوين الرحلة ، بحيث اننا اذا ما قسونا فى حكمنا على ابن بطوطة فيجب ألا ننسى أن كثيرا من اللوم الموجه اليه ، يمكن أن يكون ناشئا عن ابن جزى " .(١)

وان كان شاكر خصباك ، يذكر : أن ابن بطوطة نفسه كان مسؤولا بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، بالاستعانة بابن جزى عند الاطلاع على المراجع واستشارتها .(٢)

وقد أتم ابن جزى كتابه رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) فى ثلاثة شهور ، بعد أن فرغ من تقييدها فى ثالث ذى الحجة سنة ٧٥٦ هـ ،وفرغ من كتابتها فى شهر صفر سنة ٧٥٧هـ.(٣) ومات ابن جزى الكلبى بعد تدوينه رحلة ابن بطوطة فى شوال سنة ٧٥٧هـ فى مدينة فاس .(٤)

---

(١) كراتشكوفسكى : تاريخ الادب : جـ١ / ٤٢٦ .

(٢) شاكر خصباك : ابن بطوطة ورحلته : ص ١٥٢ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٧٠٠ — ٧٠١ .

(٤) راجع ترجمته : ص ٢٤ حاشية رقم ١

ثانيا : الرحالة المسلمون ومنهجهم فى تسجيل مشاهداتهم :ـ

١ ـ العبدرى ومنهجه فى تسجيل مشاهداته :ـ

أ ـ حيـــاته :ـ

هو أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن على بن احمد بن مسعود العبدرى الحيحى ، وتدل نسبته العبدرى على أنه كان من أصـــــل عربى قرشى يرجع الى عبد الدار بن قصى بن كلاب. أما عن ســـيرة حياته فتكاد تكون غامضة ، ويرجع سبب ذلك الى أنه لم يذكره احد من القدماء سوى ابن القاضى فى جذوة الاقتباس (١). فترجمته اقتصرت علـى ما يستفاد من رحلته ، لذلك لا يعرف شئ عن تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاتـه ولا كيف وأين نشأ ولا ما كان من أخباره بعد رجوعه من رحلتـه الى أن توفى (٣). أما أصله فقد اختلف فيه ، فمنهم من يرجعه الى مدينة بلنسية بالأندلس (٤).

---

(١) رحلة العبدرى : تحقيق محمد الفاسى : ص : ت (المقدمة) ، محمـــــد الفاسى : الرحالة الشهير ابو عبد الله محمد العبدرى ، ص : ٢ مقـــال بصحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد المجلدان ٩، ١٠، (٦١ ـ ٦٢م)

(٢) ابن القاضى : جذوة الاقتباس : القسم الأول ص ٢٨٦ .

(٣) رحلة العبدرى : ص : ت (المقدمة) ، الزركلى : الاعلام ج٧/٢٦٠ توفى بعد سنة ٦٨٨هـ . ومنهم من ذكر أنه توفى سنة ٦٨٨هـ. جرجى زيـدان : تاريخ أداب اللغة العربية ج٣/٢٣٣ .

(٤) كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب : ج١/٣٦٧ ، زكى محمد حسن : الرحالـة المسلمون : ص ١٣٢ ، جرجى زيدان : تاريخ أداب اللغة العربية : ج٣/٢٣٣ ، وبلنسيه مدينة مشهورة بالأندلس شرقى قرطبة . راجع ياقوت : معجم البلدان ج١/ ٤٩٠ .

أما محمد الفاسى (١)، فيرجع أصله الى بلاد حاحه بالمغرب، لأن أسلافه كانوا يقطنونها بالاضافة الى حنينه الدائم لها (٢).

ب — رحلة العبدرى وزيارة بلاد الشام سنة ٦٩٠هـ :—

بدأ العبدرى رحلته من بلاد حاحه فى الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة ٦٨٨هـ، بقصد أداء فريضة الحج قائلا : " كان سفرنا تقبله الله تعالى فى الخامس والعشرين من ذى القعدة عام ثمانية وثمانين وستمائة مبدؤة من حاحه صانها الله " (٣). وفى طريقه الى مكة، سلك الطريق البرى الى أن وصل الى الاسكندرية مارا بتلمسان والجزائر وبجايه وتونس، ومنها اتجه الى القاهرة، حيث صحب الركب المتجه الى مكة لأداء فريضة الحج، فى الثامن عشر من شهر شوال سنة ٦٨٩ هـ (٤)، حيث ادى فريضة الحج تلك السنة (٥). وبعد انتهاء فريضة الحج عاد الى بلاده، مع الركب المصرى قاصدا مصر، فزار فى طريقه المدينة المنورة التى وصلها فى ضحى يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذى الحجة من نفس العام (٦). ثم رحل فى يوم الأربعاء ٣٠ من ذى الحجة مع الركب (٧) الى أن وصل الى عقبة ايله (٨)، ومنها اتجه

(١) حاحه : قبيلة مغربية شهيرة تقع على ساحل المحيط الأطلسى والنسبة اليها حيحى. على غير قياس كما يتلفظ بها أهل المغرب، رحلة العبدرى: ص : ت (المقدمة) وابن القاضى : جذوة الاقتباس : القسم الأول ص ٢٨٧ حاشية رقم (٤٠٥).

(٢) قام محمد الفاسى بتصحيح الخطأ الذى وقع فيه البعض، ممن ينسب العبدرى الى مدينة بلنسيه بالأندلس، راجع حلة العبدرى ص : ت — ح (المقدمة).

(٣) رحلة العبدرى : ص ٧.

(٤) المصدر السابق: ص ١٥٣.

(٥) المصدر السابق: ص ١٨٦.

(٦) المصدر السابق: ص ٢٠١.

(٧) المصدر السابق: ص ٢٢٠.

(٨) عقبه ايلـه : مدينة على ساحل البحر الأحمر مما يلى الشام، ياقوت : معجم البلدان : جا : ٢٩٢.

راجع ما كتبه عنها العبدرى فى رحلتـه : ص ١٥٩.

العبدرى الى بلاد الشام مع الركب القادم اليها الى أن وصل الى مدينة الخليل بعد ثمانية أيام من عقبة ايله (بداية سنة ٦٩٠هـ) . ومكث بها خمسة أيام . ثم توجه الى بيت المقدس ومكث فيها أيضا خمسة أيام ، ثم غادرها لزيارة ثغر عسقلان فى أقل من نصف نهار ، ومنها رحل الى غزة ، وهى آخر حدود بلاد الشام (١) . ثم واصل سيره الى القاهرة ، ثم الاسكندرية سالكا طريق قدومه عن طريق البر ، الى ان وصل بلاد المغرب فمر بتلمسان وفاس ومكناسة (٢) ، واختتم العبدرى رحلته فى مدينة ازموره (٣) بالمغرب ، والتى زار بها قبور السادة والصالحين ، وفيها تم جمع الشمل والاجتماع باهله (٤) . وقد اقتصرت زيارة العبدرى لبلاد الشام على مدينة الخليل ـ والقدس وثغر عسقلان وغزه فقط أى دولة فلسطين .

ومن الواضح أن زيارة العبدرى لبلاد الشام لم يكن القصد منها الزيارة الشاملة الكاملة لأغلب أرض الشام ، بل كان الهدف منها هو المكوث لفترة وجيزة حتى يتهيأ للسفر الى القاهرة ومنها يعود الى بلاده . ويدل على ذلك أن فترة اقامته فى فلسطين لم تتجاوز اثنى عشر يوما . ولكنه على الرغم من هذا فقد أعطى صورة متكاملة عن المدن التى زارها ومكث بها ، وخاصة اهتمامه بالآثار ، وهى معلومات لو قيست بما كتبه ابن بطوطة لوجدت أنها أعم وأشمل .

---

(١) رحلة العبدرى : ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ ـ ٢٢٧ ـ ٢٣١ ـ ٢٣٣ .

(٢) مكناسه : مدينة بالمغرب فى بلاد البربر ، ياقوت : معجم البلدان : ج٥ / ١٨١ .

(٣) ازموره : بلد فى المغرب فى جبال البربر ، ياقوت : المصدر السابق ج١ / ١٦٩ .

(٤) رحلة العبدرى : ص ٢٨٠ .

د — منهجه فى تسجيل مشاهداته :—

بدأ العبدرى بتدوين أخبار رحلته المسماة " الرحلة المغربية " فى مدينة تلمسان ، حيث قال : " وهذه الرحلة بدأت بتقييدها فى تلمسان ، ولم يمكنني اظهارها هناك ، وأظهرتها بعد خروجنا منها ، ووقف عليها شيوخنا بمصر وغيرها " (١) . ثم أوضح العبدرى طريقته فى وصفه لجميع ما رآه قائلا : " وبعد فانى قاصد ، بعد استخارة الله سبحانه ، الى تقييد ما أمكن تقييده ، ورسم ما تيسر رسمه وتسديده ، مما سما اليه الناظر المطرق فى حين الرحلة الى بلاد المشرق ، من ذكر بعض أوصاف البلدان ، وأحوال من بها من القطان ، حسبما أدركه الحس والعيان ، وقام عليه بالمشاهدة شاهد البرهان ، من غير تورية ولا تلويح ، ولا تقبيح حسن ولا تحسين قبيح ، بلفظ قاصد لا يحجم معردا ، ولا يجمح فيتعدى المدى ، مسطرا لما رأيته بالعيان ، ومقررا له بأوضح بيان ، حتى يكون السامع لذلك المبصر " (٢) .

والواقع أن العبدرى يختلف فى منهجه عن غيره من الرحالة المسلمين ، بعيد ثه الصريح والذى أشار اليه فى مقدمته ، على أنه سيستعمل الصراحة فى هذه الرحلة ، ولا يعمد إلى تقبيح حسن ولا تحسين قبيح ، وأنه سيكتب كل ما رآه بأسلوب واضح حتى يكون السامع لذلك كالمبصر . وتتمثل هذه الصراحة فى وصفه الطريق بين فاس والاسكندرية حيث قال : " ان المسافر عند خروجه من مدينة فاس لا يزال الى الاسكندرية فى خوض ظلماء ، وضبط عشواء ، لا يأمن على حاله ولا على نفسه " (٣) .

---

(١) رحلة العبدرى : ص ٦ .

(٢) المصدر السابق : ص ١ — ٢ عند عودة العبدرى الى مدينة تلمسان (من رحلته الى مكة) لم يقم بها الا يوما واحدا ولم يتعرض لاخراج رحلته أو عدمه ، رحلة العبدرى (المقدمة) ص — اث .

(٣) رحلة العبدرى : ص ٤ .

كما أنه أشاد بالحركة العلمية فى مدينة تونس " وما من فن من فنون العلم الا وجدت بتونس به قائما ، ولا مورد من موارد المعارف الا رايت بها حوله وارد ا وقائما "[1] . بينما لم يعجبه الوضع فى مدينة قابس "Gabes" حيث قال : " وأما العلم عند هم فقد ركدت ريحه ، والجهل لديهم لا يوس جريحه "[2] كما ندد بالمعاملة التى كان يلقاها الحجاج القادمون على ثغر الاسكندرية ، من قسوة مفتشي المكوس بقوله : " ومن الأمر المستغرب ، والحال الذى أفصح عن قلة دينهم وأعرب أنهم يعترضون الحجاج ويجرعونهم من بحر الاهانة الملح الاجاج ... الخ "[3] .كما وصف الأعراب فى أثناء طريقه الى المدينة من مكة : " وعرب تلك الناحية من أكفر العرب وأفجرهم ، وقد رأيت شخصا من الحجاج لما نزل الركب تقدم الى المدينة مفترا يقربها فما عدا الركب حتى أخذوه وجردوه بعد الضرب المبرح وأثخنوه جراحا "[4] .

وفى وصفه للمدينة المنوره ، وحالة العلم فيها يقول : " ولم أر مع شدة البحث والحاح الطلب وتكرر السؤال من هو بالعلم موصوف ، ولا من هو بفن من فنونه معروف "[5] .

ولقد كان العبدرى على معرفة لمن سبقوه فى هذا المضمار كابن جبير ، الذى

---

(١) المصدر السابق : ص ٤٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ٧٥ .

(٣) انظر المصدر السابق ص ٩٣ راجع ما ذكره السيد عبد العزيز سالم حول تحامل العبدرى على مصر والمصريين وسب أهلها ، التاريخ والمؤرخون العرب : ص ٢٢٦ وما بعدها .

(٤) المصدر السابق : ص ٢٠١ .

(٥) رحلة العبدرى : ص ٢٠٦ وأقام العبدرى فى المدينة المنورة يوما وبعض اليوم ، وهذه مدة غير كافية للحكم على الحركة العلمية فيها .

نقل عنه عدة مرات مع الإشارة اليه ، فقد أورد جزءاً من كلامه (عند حديثه عن المعاملة) التى كان يلقاها الحجاج القادمون على ثغر الاسكندرية . كما أورد قصيدة ابن جبير ينصح فيها صلاح الدين الأيوبى من جراء ذلك.(١) وكذلك عند حديثه عن سوق عرفه ، وما يفعله بدو اليمن فيه قائلا : " وقد ذكر ابن جبير أشياء من جهلهم وعبثهم فى صلاتهم وكانوا اذ ذاك يصلون ، واما الآن فانما يقصدون السوق بعرفة ومنى ، ثم ينصرفون من هنالك الى بلادهم ".(٢) وكذلك نقده لأبى عبيد البكرى والذى تتبع هفواته فى كتابه (المسالك والممالك) قائلا : " ومازال أهل الاتقان يقعون فى مثل هذا الأترى الى أبى عبيد البكرى ، مع تحققه وفرط اعتنائه . ونبل تواليفه قد أودع فى مسالكه من الغلط فى صفات البلدان وتحديدها وترجمتها ما لا غاية وراءه ".(٣)

وكان العبدرى بوجه عام يميل الى الشعر ، فقد ضمّن وصف رحلته عددا كبيرا من قصائده الشخصية ، كان من أعظمها تلك القصيدة الطويلة التى(٤) اختتم بها تدوين الرحلة فى وصف الطريق .(٥)

كما عنى العبدرى فى رحلته ببيان المواقع الجغرافية ، وذكر المعالم الأثرية ودراسة العادات فى البلاد التى مر بها ، فضلا عن الكلام على أعلام الفقهاء المسلمين فى عصره .(٦)

---

(١) رحله العبدرى : ص ٩٣ و ٩٤ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٨٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٥٨ .

لقد كان العبدرى على معرفة بمن سبقوه فى هذا الاتجاه ، وهو عندما يضمن وصفه لكلاما من المسعودى أو البكرى انما يدفعنا بذلك الى أعمال الحذر والتساؤل هل يعتمد وصفه على المصادر المكتوبة دون الملاحظة المباشرة . ومن حسن الحظ أن هذا الرأى الأخير لا يوجد ، كما رأينا ما يبرره تبريرا كافيا

كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب جا/ ٣٦٨ .

(٤) كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب جا/ ٣٦٨ .

(٥) رحلة العبدرى : ص ٢٨٠ .

(٦) زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون : ص ١٣٣ .

٢ ـ البلـوى ومنهجه فى تسجيل مشاهداته :ـ

أ ـ حياتـــه :

ــــــــــ هوأبوالبقاء خالد بن عيسى بن احمد بن ابراهيم بن أبـى خالد البلوى ، من أهل قنتورية (١) ، من حصون وادى المنصورة (٢) ، ينتمى الـى قبيلة البلويين. (٣) " لا يعرف شيئا عن طفولته ، وكل ما يعرف عنه أنه ولـــد بقنتورية التى كان والده قاضيا بها ،والغالب أنه ولد حوالى عـــام ٧١٣هـ تقريبا ،وقد نشأ البلوى فى أسرة علمية متدينة ،وتلقى تربية صالحة ، أخـذ أولا عن والده بقنتورية ، ثم رحل الى غرناطة حيث اتم دراسته بها ، كمـــا أخذ بفاس عن عدة علماء ، ثم رحل الى المشرق ، عاد بعدها الى الأندلس ، وأصبح من رجال الفقه والعلم ، تولى القضاء بقنتورية ثم انتقل الــــى برشانة (٤) ، حيث أتم كتابة الرحلة هناك " (٥) .

" وقد ذكره ابن الخطيب المعاصر له بقوله : " هذا رجل من أهـل

---

(١) قنتوريه أو قيتوريه : بلدة صغيرة من أعمال ولاية المريه تقع على نهرالمنصورة على مقربة من بلدة المنصورية ، ابن الخطيب : الاحاطة جـ١ / ٥٠٠حاشية رقم ٢ .

(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق جـ١/ ٥٠٠ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس القسم الاول ص ١٨٦ ، المقرى التلمسانى : نفح الطيب جـ٣/ ٢٨٥ .

(٣) قبيلة عربية صميمة من قضاعه اليمنية ، هاجرت الى الحجاز قبل الاســلام ، وبعد انتشار الاسلام كان منهم العديد فى بلاد الأندلس والمغـــرب ، راجع البلوى : تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق (تحقيق الحسن السائح) جـ١/ ١٦ (المقدمة).

(٤) برشـانه : من قرى اشـــبيليه بالاندلـس ، ياقوت / معجم البلـدان جـ١/ ٣٨٤ .

(٥) البلـــوى: المصدرالسابق ص ٢٥ ـ ٢٧ .

الفضل والسذاجة ، كثير التواضع حسن الاخلاق ، جميل العشرة ، ومحب في الأدب ، قضى ببلده وبغيرها وحج ، وقيد رحلته في سفر وصف فيه البلاد ومن لقي بفصول جلب أكثرها من كلام العماد الأصبهاني ، وصفوان وغيرهما ،وقفل الى الأندلس ، وارتسم في تونس في الكتابة عن أميرها زمانا يسيرا ، وهو الآن قاض ببعض الجهات الشرقية (١) . وقد ذكر احمد بابا التنبكتي عن غير ابن الخطيب : " أن البلوي ارتسم بديوان الكتابة بتونس عن أميرها زمانا يسيرا ،وكان يتشبه المشارقة شكلا ولسانا ،ويصبغ لحيته بالحناء والكتم (٢) " . أما عن وفاته فلم يقف عليها أحد من المتاخرين ، بينما يرجح الحسن السائح أنه توفي قبل سنة ٧٨٠ هـ (٣) . وقام البلوي بثلاث رحلات الأولى : الى مدينة فاس للدراسة بها ، والثانية : الى المشرق لأداء فريضة الحج ، وألف خلالها كتابه (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق) وهذه الرحلة هي التي تهمنا في دراستنا (٤) أما الرحلة الثالثة : فكانت الى شرق الأندلس وغرناطة (٥) .

ب ـ رحلته الى بلاد المشرق وزيارته بلاد الشام سنة ٧٣٧هـ ٧٣٨هـ :ـ

رحل البلوي من بلده قنتوريه سنة ٧٣٦ هـ ، قاصدا حج بيت الله الحرام ، وطالبا للعلم ، ووصف ذلك قائلا : " اني خرجت قاصدا الحج ، وطالبا للعلم من بلدي قنتورية فوقع اتفاق الخروج في ضحوة يوم السبت الثامن عشر لصفر من عام ستة وثلاثين وسبعمائة ، ٧٣٦هـ مودعا لجميع الأهل ، ومتجرعا من ذلك

(١) ابن الخطيب : الاحاطة جـ١/ ٥٠٠

(٢) احمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج : ص ١١٥ ـ وهو بهامش كتاب الديباج المذهب لابراهيم المدني المالكي .

(٣) انظر ابن القاضي : جذوة الاقتباس . القسم الاول ص ١٩٢ .

(٤) انظر مقدمة تاج المفرق ، الحسن السائح جـ١/ ٢٦ . ويقال بعد ٧٦٥هـ ، انظر الزركلي: الاعلام : ج ٢/ ٣٣٩ .

(٥) البلوي : تاج المفرق : جـ١/ ٤٥ (المقدمة) .

ماليس بالعذب ولا بالسهل "(١) وقد اتجه الى تلمسان ، والجزائر وبجايه ، وقسنطينه ، (وهو نفس الطريق الذى كان قد سلكه المعاصر له الرحالة ابن بطوطة) الـــى أن وصل الى مدينة تونس ، ومنها سافر بحرا الى الاسكندرية والقاهرة " والتى غادرهـــا يوم الاثنين الثامن والعشرين من رجب سنة ٧٣٧هـ قاصدا بلاد الشام (التى اقتصرت زيارته لها على مدن فلسطين) عن طريق البر ، فوصل الى مدينة غزة فى السابع مـــن شهر شعبان ، وفى التاسع من شعبان وصل مدينة الخليل "(٢) ، " وبقى بها أربعة أيام ، ثم وصل الى مدينة القدس ، فى الثانى عشر من شعبان حيث بقى بها ما يقـــارب الشهرين ، ومنها رحل البلوى فى الثانى عشر لشوال مع الركب الشامى ، قاصدا أرض الحجاز لأداء فريضة الحج ، فوصل الكرك فى الثالث والعشرين من شوال "(٣) ومنهـــا سلك الطريق البرى المؤدى الى مكة ، حيث أدى فريضة الحج لتلك السنة ٧٣٧هـ . وكان الوقوف بعرفه يوم الأربعاء(٤) ، ومن مكة سار مع الركب المصرى الى المدينة المنـــورة ، التى وصلها يوم الخميس ٢٤ ذى الحجة ، ورحل عنها فى نفس اليوم(٥) ، الى عقبة ايله ، ومنها اتجه الى فلسطين مرة أخرى بقصد الزيارة (وهذه هى الزيارة الثانية لفلسطين) وقد عبر البلوى عن ذلك بقوله : " الى أن وردنا ماء العقبة الكبرى على ساحل البحـــر وهى التى تسمى عقبة ايلة ، يجتمع عندها من الناس من الشام ومصر وغيرها للقــــاء الركبان ، والسؤال عن الأحباب والاخوان ، وصلنا اليها ضحى يوم الخميس السادس عشر لشهر الله المحرم مفتتح عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة ، ثم تقسمت الركبان فبعـــض انقلب الى الديار المصرية ، والبعض ذهب الى البلاد الشامية . فكنت ممن آثر زيارة تلك البقاع السامية الكريمة ، واستخار الله تعالى فأختار له أفضل الغنيمة ، ورحلنـــا

---

(١) البلوى : تاج المفرق ج١/١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٢) البلوى : المصدر السابق ج١/٢٣٨ الى ٢٤٠ .

(٣) البلوى : المصدر السابق ج١/٢٤٥ الى ٢٧٧ .

(٤) البلوى : المصدر السابق ج١/٣١٧ .

(٥) البلوى : المصدر السابق ج٢/١٢ .

من العقبة فى ليلة يوم السبت الثامن عشر من شهر الله المحرم المذكور[١]، الى أن وصل الى مدينة الخليل فى الثالث والعشرين من محرم سنة ٧٣٨هـ. ثم غادرها الى مدينة القدس، حيث تم له الاجتماع بأخيه محمد[٢]، فى الخامس والعشرين من محرم، وقد عبر البلوى عن هذا اللقاء فقال: " فوصلنا الى مدينة القدس الشريف فى صبيحة يوم السبت الخامس والعشرين من شهر الله المحرم المذكور، وبها اجتمعت باخى محمد حيث تركته بعد ما جال فى أطراف بلاد الشام[٣]، وكاد يبلغ مدينة السلام (بغداد). فتلاقينا بتحية الاخوان اذا التقيا بعد البين، وحظيا بعد الأثر بالعين، فكان بذلك لنوم عينى سبيل وعهدى بالنوم عهد طويل[٤] " وبقى فى القدس حوالى سبعة أيام، ثم غادرها الى الرملة، ومنها الى عسقلان ثم غزة، حتى وصل الى قرية قاطية[٥] فى العاشر من شهر صفر، الى أن وصل الى القاهرة[٦] فى الرابع عشر من صفر ومنها اتجه الى الاسكندرية، فطرابلس حتى وصل الى تونس، وأقام بها قرابة عامين عاد بعدها الى مسقط رأسه قنتوريه قائلا: " فاجتمع والحمد لله الشمل والأحباب والأهل " الى أن يقول: " فجاءت هذه الغيبة المباركة خمسة أعوام الا شهرين اثنين وثمانية عشر يوما "[٧]

---

(١) البلوى : تاج المفرق : ج ١٣/٢ .

(٢) كان أخوه محمد قد خرج من قنتوريه لأداء فريضة الحج فى يوم السبت أول صفر سنة ٧٣٥هـ أى قبل أخيه خالد البلوى صاحب الرحلة بنحو عام، فلقيه خالد عند ما كان قافلا الى الاندلس ميمما شطر مصر، وبقى معه مدة طويلة، كما أورد أسمه عند رحيله من الاسكندرية سنة ٧٣٨هـ راجع : البلوى — تاج المفرق مقدمة الحسن السائح : ج١/٤٨، ٢١٥ وراجع ج٢/٢٨ .

(٣) أشار البلوى الى ذلك راجع : تاج المفرق ج١/٢٧٥ .

(٤) البلوى : المصدر السابق : ج٢/١٤ .

(٥) قاطية : فى معجم البلدان قطية : قرية فى طريق مصر وسط الرمل قرب الفرما : ياقوت : ج٤/٣٧٨ .

(٦) البلوى: تاج المفرق : ج٢/١٤ الى ١٩ .

(٧) البلوى: المصدر السابق ج٢/١٥٦ .

ولكنه لم يكد يستقر في بلدته ، حتى اخذ يطوف بالمدن المجاورة لبلده ، حيث مدح في رحلة بعض علماء المرية وغرناطة ". (١)

ج — منهجه في تسجيل مشاهداته :—

قام البلوى بتدوين أخبار رحلته المسماة (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق) ، فقد أشار الى ذلك منذ بداية تدوينه للرحلة فقال : " هذا تقييد اطلعه هون من الله وتأييد قصدت به ضبط موارد الرحلة الحجازية ، وذكر معاهد الوجهة المشرقية ، جعلها الله تعالى في ذاته وابتغاء مرضاته ، بمنه وكرمه ، وألممت مع ذلك بذكر بعض الشيوخ من العلماء الفضلاء ، الذين يطئون ذيول البلاغة ، ويجرون فضول البراعة ، ولهم كلام يتألف منه شعاع الشرق ، ويترقرق عليه صفاء العقل ٠٠٠٠٠٠ والممت بذكر نبذ من فوائدهم ، وأختيار طرف من أناشيدهم ٠٠٠ ثم يقول : ولما بوبت ما ألفت ، ورصصت ما جمعت ، وشعشعت ما وضعت ، فجاء كما تراه حسن الزى ، عذب الرى ، عالى القدر ، غالى الدرر ، مسبوك الحلية والتبر ، فيه للمسمع مراد ، وللفكر معاد ، وللألباب مسرح ومرتاد سميته (بتاج المفرق في تحلية علماء المشرق) ودعوت الله تعالى في مواطن الاجابة : أن يوفقني فيه للإجادة والاصابة ، وأن ينفع به كل من يلتمس النفع به في المطالعة او الكتابة " . (٢)

وبعد عودته الى بلده عكف على مراجعة رحلته التي وضعها في حجة فأكملها ببرشانه في اليوم الاخير من شهر ربيع الاول سنة ٧٦٧هـ . وأضاف اليها تقريظ العلماء والأدباء الذين اطلعوا عليها ، (٣) ثم نسخها حفيده خالد بن احمد بن خالد (المؤلف) من مبيضة جده وأتمها ببرشانه في الحادى والعشرين من شهر صفر

---

(١) البلوى : المصدر السابق : (المقدمة) جـ١/ ٥٣ — ٥٤ .

(٢) البلوى : المصدر السابق : جـ١/ ١٤٢ — ١٤٣ .

(٣) البلوى : المصدر السابق : (المقدمة) جـ١/ ٥٤ و جـ٢/ ١٥٩ .

سنة ٨١٩هـ [١]. وقد اهتم البلوى فى رحلته بذكر العلماء والرجال ، فيذكرهم بأسمائهم والقابهم ونعوتهم وتآليفهم ، مع تاريخ ولاداتهم ، ثم يأخذ عنهم السند وينتسخ من كتبهم [٢]. ففى زيارته لفلسطين افرد جزءا كبيرا من حديثه لها عند حديثه عن العلماء الذين التقى بهم فى بيت المقدس [٣]" كما أنه لا يحتفل بالآثار كجغرافى ، أوالفوائد كرحالة اجتماعى بل يذكر ذلك فى رحلته ذكرا عابرا ، ينقصه الوصف الدقيق ، وهو يمزج موضوعاته بما حفظ من الآثار النبوية والنصوص ، ليرى غزير علمه فى الموضوع [٤]" .

أما عن استعانته بكتب من سبقه فى هذا المضمار ، فان البلوى استعان برحلة ابن جبير ، استعانة كبيرة فى رحلته ، اذ أخذ عنه وصف الاسكندرية والقاهرة ومكة والمدينة ، دون أن يشير الى ذلك ، أو يورد ذكره [٥]، بل أن معاصره لسان الدين ابن الخطيب فطن لذلك فكتب عنه : " حج وقيد رحلته فى سفروصف فيه البلاد ومن لقيه بفصول جلب اكثرها من كلام العماد الأصبهانى وصفوان وغيرهما [٦]" . أما الحسن السائح فدافع عن البلوى بقوله : " ان المصدر الحق لرحلة البلوى هى تجربته الشخصية ووقوفه بنفسه على المشاهد والآثار ، والاتصال بالعلماء مباشرة للرواية عنهم ولا يعتمد فى ذكر المدن التى زارها على وصف ما جاء فى كتب الرحالة

---

(١) البلوى : المصدر السابق : جـ٢/ ١٥٨ .

(٢) البلوى : المصدر السابق: (المقدمة) جـ١/ ٥٨ .

(٣) راجع المصدر السابق : جـ١/ ٢٥٦ الى ٢٧٥ وسوف نتطرق لذكرهم فى الباب الثالث .

(٤) البلوى : تاج المفرق المقدمة جـ١/ ٥٩ .

(٥) رحلة ابن جبير : تحقيق حسين نصار المقدمة ص : ز

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة جـ١/ ٥٠٠ . علق الحسن السائح قائلا : " والواقع أن ابن الخطيب كان قاسيا على البلوى فى اتهامه بالسرقة لأن البلوى لم يكن امام مدرسة ، وانما كان مقلدا كأكثر الكتاب فى عصره ، ومن حقه أن يتأثر بمن يشاء فى الكتابة ،وعلى هذا فالبلوى لم يكن سارقا فى نظر النقد ، بل هو مقتبس بعض التعابير الوصفية والأدبية ، البلوى : تاج المفرق جـ١/ ١٠٧ .

والمؤرخين الذين سبقوه ، انما يعتمد على مشاهداته بنفسه " ويعتمد الحسن السائح فى دفاعه على أن البلوى لم يشر فى رحلته الى نقله عن ابن جبير حيث يقول : " ان طريق رحلته فى بعض الأحيان غير طريق سلفه ، واذا كان تشابه الوصف يقع بين الكاتبين فذلك يرجع لتشابه الموصوف. وبذلك فان قيمة رحلة البلوى تبدو فى طراوة كتابتها ، وحيوية كاتبها الذى لم ينقل فى هذا الموضوع عمن سبقه وانما تحدث عن المشاهد الحية كما رآها " (١) .

وفى الحقيقة أن دفاع الحسن السائح عن البلوى غير صحيح " فقد أشار الى نقله عن ابن جبير كل من كراتشكوفسكى وزكى محمد حسن ، وحسين نصار ، محقق رحلة ابن جبير ، الذى أشار الى الرحالة والمؤرخين الذين قاموا بالنقل من رحلة ابن جبير بوضع رموز ترمز لهم فى الهامش حيث أشار الى البلوى بالحرف (ب) (٢) ، ومن المؤكد أن البلوى نقل عن رحلة ابن جبير كما نقل معاصره الرحالة ابن بطوطة ، الذى أشار فى رحلته عن نقله من رحلة ابن جبير ، ودليل ذلك ما كتبه ابن الخطيب فى كتابه الاحاطة عن ابن جبير (٣) . ويتضح نقل البلوى عن ابن جبير عند مقارنة ما كتبه كل منهما عند وصفهما للمسجد الحرام (٤) ، والروضة الشريفة ، ومسجد قباء (٥) ، نجد أن هناك تشابها كبيرا بين ما كتبه كل منهما مع اختلاف بسيط

---

(١) البلوى : تاج المفرق (المقدمة) ج ١/٤٧ ـ ٤٨ .

(٢) كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب جـ١/٣٠٠ ، زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون : ص١٣٤ ، رحلة ابن جبير تحقيق حسين نصار المقدمة ص: ز

(٣) انظر ابن الخطيب : الاحاطة جـ٢/٢٣٠ الى ٢٣٩ .

(٤) انظر البلوى : تاج المفرق : جـ١/٢٩٨ ، ورحلة ابن جبير ص ٥٦ ـ ٦٥

(٥) انظر البلوى : المصدر السابق جـ١/٢٨٥ ـ ٢٨٧ ، ورحلة ابن جبير ص ١٧٥ ـ ١٨٢ .

وذلك عن طريق التلاعب بالألفاظ والتقديم والتأخير ، لايهام القارئ أن البلوى لم ينقل عن ابن جبير .

٣ — ابن جبير وعلاقة ابن بطوطة برحلته :—

أ : حياته ورحلاته :— ٥٤٠ — ٦١٤

أبو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكنانى ، ولد ببلنسيه فى بلاد الأندلس عاشر ربيع الأول سنة ٥٤٠ هـ ، سمع من أبيه وعنى بالادب فبلغ الغاية فيه ، وتقدم فى صناعة القريض والكتابة " (١) .

يقول عنه ابن الخطيب : " كان أديبا بارعا ، شاعرا مجيدا نزيه المهمة سرى النفس ، كريم الأخلاق ، أنيق الطريقة فى الخط" (٢) .

قام ابن جبير بثلاث رحلات المشرق ، حاجا فى كل واحدة منها ، أما رحلته الأولى فكان سببها " أن أبا سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة استدعاه ليكتب عنه كتابا وهو على شرابه ، فمد يده اليه بكأس ، فأظهر الانقباض لأنه لم يشربها قط ، فأقسم أبا سعيد ليشربن منها سبعا ، فلما رأى العزيمة ، شرب سبع أكؤس ، فملأله السيد الكأس من دنانير سبع مرات وصب ذلك فى حجره فحمله الى منزله ، وأضمر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ، فأعلم سيده بذلك فأسعفه وباع ملكا له وتزود به ، وانفق تلك الدنانير فى سبيل البر " (٣) .

---

(١) المقرى التلمسانى : نفح الطيب (تحقيق محمد محى الدين بن عبد الحميد) جـ٣ / ١٤٢ ، ذكر الخطيب أن مولده ببلنسيه سنة ٥٣٩ هـ وقيل بشاطبه سنة ٥٤٠ هـ الاحاطة جـ٢/ ٢٢٩ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة جـ٢/ ٢٣١ .

(٣) المقرى التلمسانى : المصدر السابق جـ٣/ ١٤٥ — ١٤٦ ولم يذكر ابن الخطيب هذه القصة بل قال : أنه كتب بسبته عن أبى سعيد عثمان بن عبد المؤمن وبغرناطة عن غيره من ذوى قرابته ، وله فيهم أمداح كثيرة ، ثم نزع عن ذلك وتوجه الى المشرق ، الاحاطة جـ٢/ ٢٣١ .

واستغرقت رحلته هذه منذ خروجه من غرناطة (١) ، فى يوم الخميس الثامن عشر من شهر شوال سنة ٥٧٨ هـ ، الى عودته اليها يوم الخميس الثانى والعشرين من المحرم سنة ٥٨١ هـ عامين كاملين وثلاثة أشهر ونصف (٢) . ولقد دون ابن جبير اخبارها على هيئة مذكرات يومية ، وأوضح ذلك فى بداية رحلته حيث قال : " ابتدئ بتقييد هذا يوم الجمعة الموفى ثلاثين لشهر شوال سنة ثمان وسبعين وخمسمئة ، على متن البحر بمقابل جبل (شلير) (٣) ، عرفنا الله السلامه بمنه (٤) " .

وقد ضمنها وصف المدن التى مر بها ، والمنازل التى حل فيها من الأقطار التى زارها ، وصفا يختلف باختلاف انطباعاته ، وينظر الى كل منها من زاوية خاصة ، فهو فى مصر يعنى بالنواحى الاجتماعية والاقتصادية ، وفى الحجاز بالنواحى الدينية ، وفى الشام اهتم بالنواحى السياسية وبالحرب بين المسلمين والصليبيين ، وفى صقلية اهتم بوصف حالة المسلمين بها ، كما عنى عناية خاصة بابراز ما تنفرد به كل مدينة من شهرة خاصة بها . لذلك كانت رحلته متضمنة معلومات هامة جغرافية وتاريخية واقتصادية وأدبية . وقد استغرق حديثه عن الأماكن المقدسة بالحجاز أكثر من ثلثى كتاب رحلته ، فوصف مكة والمسجد الحرام ، وعادات أهلها فى مستهل كل شهر بالاضافة الى حديثه عن المدينة المنورة .

أما رحلته الثانية : " فكانت عند سماعه بالخبر المبهج بفتح بيت المقدس على يد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى (٥) سنة ٥٨٣ هـ فتحرك اليها من غرناطة

---

(١) غرناطة أعظم مدن البيره وأقدمها ، وبينهما أربعة فراسخ ، ياقوت : معجم البلدان ج٤/١٩٥ .

(٢) رحلة ابن جبير تحقيق حسين نصار ص ١ ، ٣٣٩ ، ابن الخطيب : الاحاطة ج٢/٢٤١ .

(٣) شلير : جبل بالاندلس من أعمال البيره ، ياقوت : معجم البلدان ج٣/٣٦٠

(٤) رحلة ابن جبير : ص ١ .

(٥) استعاد المسلمون مدينة القدس فى شهر رجب سنة ٥٨٣ هـ ، راجع ابو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ج٣/٦٦ .

يوم الخميس ، لتسع خلون من ربيع الأول سنة ٥٨٥هـ ، ثم عاد الى غرناطة يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة ٥٨٧هـ".

أما رحلته الثالثة والأخيرة : فكانت من سبته (١) ، بعد موت زوجته.جاور بمكة فترة طويلة ثم انتقل الى بيت المقدس ، كما تجول بمصر والاسكندرية ، فأقام يحدث ويؤخذ عنه (٢) ، الى أن وافته المنية بالاسكندرية فى شعبان سنة ٦١٤هـ (٣) . وهاتان الرحلتان الأخيرتان ليس لدينا عنهما تفاصيل (٤) .

ب — أهمية رحلة ابن جبير :—

تعتبر رحلة ابن جبير من أدق الرحلات التى قام بها الرحالة المغاربة بقصد أداء فريضة الحج . اذ دون فيها مشاهداته وملاحظاته ، منذ البداية حتى رجوعه الى بلاده ، كما أن خط سير رحلته معروف لنا جيدا ، بفضل الاشارات الدقيقة والتواريخ المحددة (٥) . لدرجة أنه أثر فى كثير من الكتاب الذين جاءوا من بعده ، فنقلوا أجزاء كبيرة من رحلته (٦) . فممن رجع اليه من المؤرخين كان : ابن الخطيب ، المقريزى ، الفاسى ، والمقرى التلمسانى (٧) .

---

(١) سبته : بلدة بالمغرب على البحر تقابل جزيرة الاندلس ، ياقوت : معجم البلدان جـ٣/ ١٨٢ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة جـ٢/ ٢٣٢ ، ذكر كراتشكوفسكى قيامه بالرحلة الثالثة عام ٦٠١هـ انظر تاريخ الأدب جـ١/ ٢٩٩ .

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق جـ٢/ ٢٣٩ ، المقرى التلمسانى :نفح الطيب جـ٣/ ٢٤٦ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس القسم الأول ص ٢٨٠ .

(٤) كراتشكوفسكى : تاريخ الادب جـ١/ ٢٩٩ .

(٥) كراتشكوفسكى : المصدر السابق جـ١/ ٢٩٩ .

(٦) نيقولا زيادة : رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى ص ٦٨ .

(٧) كراتشكوفسكى : المرجع السابق جـ١/ ٣٠٠ .

أما عن الرحالة الذين أفادوا من رحلة ابن جبير ، فكان منهم البلوى صاحب (تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق) اذ نقل كثيرا من كلام ابن جبير دون أن يذكره ، وخاصة فى وصف الاسكندرية والقاهرة ومكة والمدينة[(١)] . اما صاحبنا الرحالة الشهير ابن بطوطة ، فقد استعان برحلته فى وصف مدينة حلب ودمشق وبغداد ، وقد أشار الى ذلك بقوله قال : أبو الحسن بن جبير[(٢)] .

جـ — نشأة هذه العلاقة :—

ان سبب نشأة هذه العلاقة يرجع الى أن ابن بطوطة لم يقم بتدوين أخبار رحلته ، منذ بداية خروجه فى شهر رجب عام ٧٢٥هـ ، الى أن استقر فى فاس بنهاية عام ٧٥٤هـ كغيره من الرحالة الذين سبقوه فى هذا المضمار كابن جبير والعبدرى . بل ان ابن بطوطة قام باملاء رحلته على ابن جزى الكلبى (كاتب السلطان أبى عنان فى فاس) بعد انتهائه من رحلته . وقد أشار فى مقدمته قائلا : " ونفذت الاشارة الكريمة بأن يملى ما شاهده فى رحلته من الأمصار وما علق بحفظه من نوادر الأخبار"[(٣)] . وان كان ابن بطوطة قد أشار فى بعض أخبار رحلته الى تدوين بعض المعلومات البسيطة ، ثم لا يلبث أن يشير الى فقدانها ، أو سلبها على يد الكفار الهنود[(٤)] .

فالفترة الزمنية من خروج ابن بطوطة الى عودته تعتبر فترة طويلة . ومن المحتمل

---

(١) رحلة ابن جبير : ص — ز (المقدمة) وقد قام د / حسين نصار محقق الرحلة فى مقدمته عن ابن جبير بذكر الرحالة والمؤرخين الذين قاموا بالاعتماد والنقل عن رحلة ابن جبير وذلك بوضع رموز ترمز لهم فى الهامش ، فقد أشار الى ابن بطوطة (بط) . والبلوى بالحرف (ب) راجع المقدمة ص : و ، ز .

(٢) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٦٨ ، ٨٤ — ٢٢١ .

(٣) رحلة ابن بطوطة المقدمة ص : ١٢ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٦٩ ، ٦٠٨ .

أن يكون قد نسى خلالها كثيرا من المعلومات والأحداث التى كانت عالقة بذاكرتـه ، خاصة فيما يتعلق بوصف المدن •

ولما كان ابن جبير قد رحل الى بلاد المشرق فى القرن السادس الهجـــرى عام ٥٧٨هـ لأداء فريضة الحج ، وتجول خلالها بمدن الحجاز والشام والعراق ، فانـه وصف هذه البلاد وصفا دقيقا شاملا • ويعود ذلك الى تدوينه لرحلته منذ بدايتهـا الى نهايتها •

كما تمتاز رحلة ابن جبير عن رحلة ابن بطوطة بصدق الوصف ودقة الرواية وحسن العبارة ويبدو أن ابن بطوطة أراد أن يعوض النقص الذى كان فى رحلته بالاقتباس مـن رحلة ابن جبير (١) • الذى كان قد سبقه فى رحلته الى بلاد الحجاز والشام والعـــراق بفترة طويلة (فهو من رحالة القرن السادس الهجرى) بينما ابن بطوطة (من رحـــالة القرن الثامن الهجرى) •

وكانت رحلة ابن جبير معروفة فى فترة ابن بطوطة ، لدى سكان المغرب بشكل كبير ، بدليل ما ترجمه ابن الخطيب عن ابن جبير فى كتابه الاحاطة (٢) •

من هنا نشأت العلاقة بين ابن بطوطة وبين رحلة ابن جبير • فقد اقتبس ابـن بطوطة عنه وصف مدينة حلب ، قال ابو الحسين بن جبير فى وصفها " قدرها خطـير ، وذكرها فى كل زمان يطير ، خطابها من الملوك كثير ، ومحلها من النفوس اثير ، فكـم هاجت من كفاح ، وسل عليها من بيض الصفاح ، ••• الخ " (٣) •

(١) احمد العوامرى بك : مهذب رحلة ابن بطوطة : ص ـ س ـ المقدمة •
(٢) ابن الخطيب : الاحاطة ج٢/٢٣٠ ـ ٢٣٩ ، وفيها أورد كثيرا من أشعار ابن جبير الواردة فى رحلته •
(٣) انظر حلة ابن بطوطة : ص ٦٨ •
انظر رحلة ابن جبير : تحقيق حسين نصار ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ •

كما وصف مدينة دمشق قائلا : " وكل وصف وان طال فهو قاصر عن محاسنها ، ولا أبدع مما قاله أبو الحسين بن جبير رحمه الله تعالى ، فى ذكرها ، قال : وأما دمشق فهى جنة المشرق ومطلع نورها المشرق وخاتمه بلاد الاسلام التى استقرينا ها ، وعروس المدن التى اجتليناها ... الخ " (١) .

وعن مدينة بغداد قال أبو الحسين بن جبير رضى الله عنه :

وهذه المدينة العتيقة ، وان لم تزل حاضرة الخلافة العباسية ومثابة الدعوة الامامية القرشية ، فقد ذهب رسمها ، ولم يبق الا اسمها .... الخ " (٢) .

ولم يقتصر اقتباس ابن بطوطة عن ابن جبير على وصف تلك المدن الثلاث التى أشار اليها ابن بطوطة بكل صراحة (٣) ، فمثلا فى وصف بلاد الشام ، لم يقتبس ابن بطوطة وصفا عاما لمدينتى دمشق وحلب فقط بل نقل أيضا ، مشاهد كثيرة أخرى تتعلق بمدينة دمشق ، مثال ذلك وصفه للجامع الأموى (٤) ، ووصف جبل قاسيون ومشاهده المباركة (٥) ، وكذلك وصف الربوة والقرى التى تواليها (٦) ، كما اقتبس عنه وصف

---

(١) انظر رحلة ابن بطوطة : ص ٨٤ .
انظر رحلة ابن جبير : ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

(٢) انظر رحلة ابن بطوطة : ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

(٣) لقد قام د / شاكر حضباك بتغطية معظم مواضع الاقتباس التى اقتبسها ابن بطوطة من رحلة جبير انظر ابن بطوطة ورحلته ص ١٥٤ ـ ١٦٥ .

(٤) راجع رحلة ابن بطوطة : ص ٨٨ ـ ٩٢ ورحلة ابن جبير تحقيق حسين نصار ص ٢٤٩ ـ ٢٦١ .

(٥) من مشاهد جبل قاسيون المباركة حسب اعتقاده هى :ـ الغار الذى ولد فيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، ومغار الدم ، والكهف الذى ينسب لآدم عليه السلام ، ومغارة الجوع .
راجع رحلة ابن بطوطة : ص ١٠١ ـ ١٠٢ ورحلة ابن جبير : ص ٢٦٢ ـ ٢٦٤ .

(٦) راجع رحلة ابن بطوطة : ص ١٠٢ ـ ١٠٣ " " " " : ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

مدينة عكا (١) ، ومدينة صور وذلك عن طريق التقديم ، أو التأخير في بعض العبارات أحيانا . وادخال بعض التغيير الطفيف في أحيان أخرى ، في محاولة لتغطية مواضع الاقتباس .

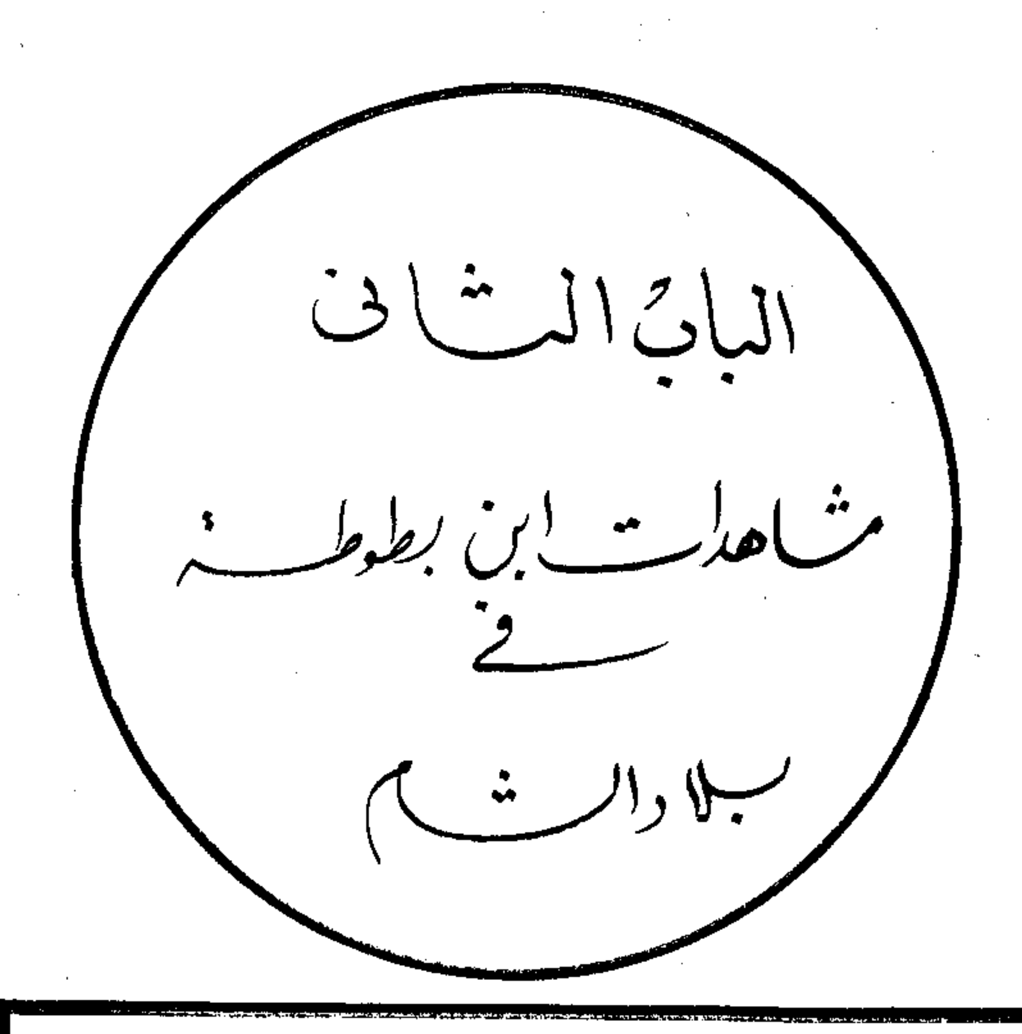
وعلى الرغم من كل هذه الاقتباسات من رحلة ابن جبير ، الا أنها لا تمس جوهر " الرحلة " (٢) كما أنها لم تنل من قيمة ابن بطوطة ، فقد سبقه الى ذلك العديد من الرحالة والمؤرخين فمثلا البلوى المعاصر لابن بطوطة نقل كثيرا عن ابن جبير دون أن يشير الى ذلك ، وخاصة في وصف الاسكندرية والقاهرة ومكة والمدينة (٣).

---

(١) راجع رحلة ابن بطوطة : ص ٦١ — ٦٢ ورحلة ابن جبير : ص ٢٩٣ — ٢٩٥

(٢) شاكر خصباك : ابن بطوطة ورحلته : ص ١٦٤ — ١٦٥ .

(٣) راجع ص ٧٩ حاشية رقم ١



أولا: الأحوال السياسية في بلاد الشام ابان القرن الثامن الهجري في رحلة ابن بطوطة

ثانيا: الأحوال الاقتصادية لبلاد الشام في القرن الثامن الهجري في رحلة ابن بطوطة

ثالثا: الحياة الاجتماعية والفكرية لبلاد الشام في القرن الثامن الهجري في رحلة ابن بطوطة.

رابعا: المدارس والمساجد في بلاد الشام في القرن الثامن الهجري في رحلة ابن بطوطة.

خامسا: تعليقات ابن جزي الكلبي على رحلة ابن بطوطة لبلاد الشام

الباب الثانـــــــى

" مشاهدات ابن بطوطـــة فى بلاد الشــام "

أهمية موقع بلاد الشام وأهم مدنه :ــ

أ : تســـميته :ــ

الشام بفتح أوله وسكون همزته ، أو الشأم بفتح همزتـــه ، أو الشام بغير همزة[١] . ويجوز فى اسم الشام التذكير والتأنيث[٢] والمشهور التذكـــير[٣] . وقد اختلف فى سبب تسميته شاما ، فقيل انها سميت بالشام لتشأم بنى كنعـــان بنى حام ابن نوح عليه السلام اليها أى أخذوا ذات الشمال فسميت بالشام لذلـك[٤] ، وقيل لأن سام بن نوح كان أول من نزلها فجعلت السين شينا[٥] ، وقيل لأن أرضـــه مختلفة الألوان بالحمرة والسواد والبياض ، فسمى شاما لذلك[٦] ، وقيل سميت شامـــا لأنها عن شمال الكعبة والشام لغة فى الشمال[٧] ، وقيل سميت الشام شا ما لكثـــرة

---

(١) ياقوت : معجم البلدان : ج٣/ ٣١١ ، ابن عبد الحق : مراصد الاطـــلاع ج٢/ ٧٧٥ .

(٢) ياقوت : المصدر السابق ج٣/ ٣١٢ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ج٤/ ٧٨ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان : ج٣/ ٣١٢ ، ابن عبد الحق : مراصد الاطـــلاع ج٢/ ٧٧٥ ، والقلقشندى : صبح الأعشى : ج٤/ ٧٨ .

(٥) ياقوت : معجم البلدان : ج٣/ ٣١٢ .

(٦) ياقوت : المصدر السابق ج٣/ ٣١٢ ، شيخ الربوة : نخبة الدهر ص/ ١٩٢ وابن عبد الحق : مراصد الاطلاع : ج٢/ ٧٧٥ .
وقيل سمي بسام بن نوح لأنه نزل به واسمه بالسريانية شام (بالشين) شـــين معجمة والعرب تنقلها الى السين المهملة . انظر القلقشندى : صبح الأعشى ج٤/ ٧٨ .

(٧) القلقشندى : المصدر السابق ج٤/ ٧٨ ، المقدسى : احسن التقاسيم ص١٥٢ قالوا سمى الشام شاما لشامات فى أرضه بيض وسود . انظر : شيخ الربوة : نخبة الدهر : ص ١٩٢ .

(٨) القلقشندى : صبح الأعشى ج٤/ ٧٨ . ويقال انها سميت الشام لانها شـــامة الكعبة انظر المقدسى : أحسن التقاسيم : ص/ ١٥٢ . =

قراها وتدانى بعضها من بعض فشبهت بالشامات [١] .

ويجوز فيها وجهان ، أحدهما أن يكون من اليد الشؤمى وهى اليسرى . والثانى أن يكون فعلا من الشؤم [٢] . وقد كان اسم الشام الأول سورى [٣] ، فاختصرت العرب من شاميين الشام ، وغلب على الصقع كله وهذا مثل فلسطين وقنسرين وحوارين وهى كثير من نواحى الشام [٤] .

" وقد تجمع الشام على شامات وتسمى الشام بذلك ، ومن الناس من لا يجعل الا شاما واحدا ، ومنهم من يجعله شامات فيجعل بلاد فلسطين والأرض المقدسة الى حد الأردن شاما ويقولون الشام الأعلى ، ويجعل دمشق وأرجاءها من الأردن الى الجبال المعروفة بالطوال شاما ، ويجعل سورية وهى حمص وما ضمت الى رحبة مالك شاما ، ويجعلون حماة وشيزر من مضافاتها ، ويجعل قنسرين من اقليمها ، وحلب ما يدخل فى هذا الحد الى جبال الروم والعواصم والثغور . فأما عكا وكل ما هو على ساحل البحر وكل ما قابل شىء منه شيئا من الشامات فيحسب منه [٥] " .

ب : أهمية موقع بلاد الشام :ـ

تعود أهمية موقعه الى توسطه بين دول الشرق الأوسط والى موقعه على الطرق البرية بين البحر المتوسط والخليج العربى وأواسط آسيا .

= ويقول ياقوت : " وهذا قول فاسد لأن القبلة لا شامة لها ولا يمين لأنها مقعد من كل وجه يمنه . انظر : معجم البلدان : ج٣/ ٣١٢ .

(١) ياقوت : المصدر السابق : ج٣/ ٣١٢ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ج٤/ ٧٨ .

(٣) وكان اسمها الأول سوريا ، انظر ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ج٢/ ٧٧٥

(٤) ياقوت : معجم البلدان : ج٣/ ٣١٢ .

(٥) محمد كرد على : خطط الشام ج١/ ٨ .

وكانت طبيعة وجغرافية بلاد الشام مع موقعها المتوسط ذا أثر كبير على تاريخ الشام فقد كانت تقوم بدور الوسيط بين الحضارات القديمة · وكانت حلقة وصل بين قارات العالم القديم ·(١)

ج : حـدوده :— يحده من الشرق البادية من أيلة حتى الفرات· ومن الغرب البحر المتوسط ، كما يمتد من ناحية الغرب · من طرسوس غرب أثينا الى رفح بين مصر والشام ·

وشمالا من بالس مع الفرات الى قلعة نجم ثم البيرة الى قلعة الروم الى سمساط الى حصن منصور ويمتد الى بلاد سيس الى طرطوس · وجنوبا يمتد من رفح الى تيه بنى اسرائيل الى ما بين الشوبك وأيلة الى البلقاء ·(٢)

د : أهم مدنه :— كانت بلاد الشام فى ذلك الوقت مقسمة الى ست نيابات أهمها :—

نيابة مدينة دمشق وقد كانت قاعدة بلاد الشام فى دولة المماليك البحرية · وتليها نيابة مدينة حلب ثم نيابة طرابلس فنيابة حماة ، ثم نيابة صفد وأخيرا نيابة الكرك · وقد كان يتبع هذه النيابات الستة عدد من النيابات الصغرى والولايات ·(٣)

---

(١) احمد رمضان : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ص ١٩ — ٢٠ ·

(٢) احمد رمضان : المرجع السابق ص ١٤ ·

(٣) سوف نتطرق الى ذلك بتوسع فى الباب الرابع عند شرح الحياة السياسية فى بلاد الشام بالتفصيل ·

أولا : الأحوال السياسية فى بلاد الشام ابان القرن الثامن الهجرى من رحلة ابن بطوطة

أ ـ ذكره لملوك مصر :ـ

كانت رحلة ابن بطوطة فى عصر دولة المماليك البحرية ،وفى فترة حكم ملك من أعظم ملوكها ، هو الناصر محمد ابن قلاوون ، " وفى الفترة الثالثة من حكمه من عام ٧٠٩ هـ ـ ٧٤١ هـ والتى حكم فيها اثنين وثلاثين عاما وشهرين وخمسة وعشرين يوما "(١) ، ويمثل ذلك العصر بالذات أعظم عصور التاريخ المصرى زمن المماليك ، وأكثرها ازدهارا ورقيا واستقرارا . ذلك أن نفوذ الملك الناصر محمد ابن قلاوون امتد من المغرب غربا حتى الشام والحجاز شرقا ، ومن النوبة جنوبا حتى آسيا الصغرى شمالا(٢) ، كما كان عهده عهد رخاء واستقرار ، ففيه توطدت دعائم هذه الدولة ، وبدأت أساليب الحكم والادارة فى الاستقرار(٣) فقد انفرد الملك الناصر بأمور مملكته ، وانفرد بالاحكام ، حتى انه أبطل نيابة السلطنة ، ليستقل بأعباء الدولة وحده ، وكان يكره أن يقتدى بمن قبله من الملوك ولا يحتمل أن يذكر عنده ملك ، كما كان يكره شرب الخمر ويعاقب عليه ويبعد من شربه من الأمراء عنه(٤) ، وقد أقيمت فى عهده الكثير من المنشآت مثل المساجد والقناطر والجسور والحمامات والقصور وغيرها(٥) ، والملك الناصر بن قلاوون غنى عن التعريف فقد تناولته

---

(١) المقريزى : الخطط : جـ٣/٩٦ ، المقريزى : الذهب المسبوك: ص ٩٨

(٢) عبد الرحمن الرافعى وسعيد عاشور: مصر فى العصور الوسطى : ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، سعيد عاشور : مصر والشام فى عصر الايوبيين والمماليك : ص ٢١٥ .

(٣) على ابراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى : ص ٢١٩ .

(٤) المقريزى : السلوك جـ٢ ق٢ص ٥٣٤ ، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة : جـ٩/١٧٤ .

(٥) ذكر كل من ابن تغرى بردى والمقريزى منشآت الملك الناصر محمد بن قلاوون واصلاحاته بالتفصيل ، انظر: النجوم الزاهرة جـ٩/١٧٨ وما بعدها ، السلوك جـ٢ ق٢ص ٥٣٨ وما بعدها .

كتب المؤرخين بالتفصيل قديما وحديثا[1] .

وبعد وفاته ولى السلطنة ثمانية من أولاده وهم : أبو بكر ،كجك ، احمد ، اسماعيل ، شعبان ، حاجى صالح ، حسن[2] . وقد ذكر ابن بطوطة ثلاثة فقط من ملوك هذه الفترة وهم :ـ

ب ـ الملك الناصر محمد بن قلاوون :ـ

ذكره ابن بطوطة فى رحلته أثناء حديثه عن بلاد الشام ومصر والحجاز ، وأحاديثه عنه خلال هذه الفترة منها ما كان هو معاصرا لها ، ومنها ماحدث قبل مجيئه ، ومن ذلك قوله عند دخوله لأرض مصر عام ٧٢٦هـ[3] " وكان سلطان مصر على عهد دخولى اليها الملك الناصر أبو الفتح[4] ، محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى[5] ،وكان قلاوون يعرف بالألفى لأن الملك الصالح اشتراه

---

(١) انظر ترجمته فى ابن شاكر : فوات الوفيات : جـ٤/٣٥ ، ابن حجر: الدرر الكامنة : جـ٤/١٤٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦/١٣٤ ، ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل ج ٢/٩٠ ، ابن خلدون : كتاب العبر ج ٥ ق ٤ ص ٨٧٣ وما بعدها ، الصفدى: الوافى بالوفيات جـ٤/٣٥٣ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ٢ ق٢ ص ٥٤٦ ، المقريزى : الخطط جـ٣/٩٦ ـ ٩٧ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٤٣ .

(٤) السلطان الملك الناصر ناصرالدين ابو المعانى محمد بن الملك المنصور . المقريزى : الذهب المسبوك ص ٩٥ .

(٥) هو السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الالفى العلائى الصالحى ، تولى الحكم فى رجب سنة ٦٧٨هـ ،بعد خلعه للسلطان العادل بدر الدين سلامش ابن الظاهر بيبرس ، وكان ملكا حكيما قليل سفك الدماء ، كثير العفو ، شجاعا ، فتح فى عهده حصن المرقب وطرابلس .
توفى فى سادس القعدة سنة ٦٨٩ ، بعد حكم دام احدى عشرة عاما وثلاثة أشهر ، خلف ولدين هما الملك الاشرف صلاح الدين ، والسلطان الملك الناصر محمد قلاوون ، انظر ابن شاكر: فوات الوفيات جـ٣/٢٠٣ ، ابو الفداء : المختصر : جـ٤/١٢ ، ٢٣ .

بألف دينار ذهبا وأصله من قفجق (٢) ، وللملك الناصر رحمه الله السيرة الكريمة (١)
والفضائل العظيمة ، وكفاه شرفا انتماؤه لخدمة الحرمين الشريفين (٣) ، وما يفعله

---

(١) الذى اشتراه هو الامير علاء الدين أقسنقر الساقى العادلى — أحد مماليك العادل أبى بكر بن أيوب — بألف دينار ، وهومبلغ ضخم يدل على ما فيه من مواهب وغالى فى ثمنه لحسنه وصورته مقرن بالألفى .
ولما مات الأمير علاء الدين فى سنة ٦٤٧هـ انتقل قلاوون الى الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فأصبح لقبه الألفى العلائى الصالحى النجمى أبو الناصر محمد . على ابراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية : ص ٥٤ ، سعيد عاشور : مصر والشام فى عصر الايوبيين والمماليك : ص ١٩٠ — ١٩١ .

(٢) هو قفجاقى من قبيلة برج أغلى ، على ابراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية ص ٥٤ .

(٣) خلال زيارات ابن بطوطة لمكة لأداء فريضة الحج ، ذكر بعضا من اصلاحات الملك الناصر حيث يقول : وبين الصفا والمروه دار العباس رضى الله عنه ، وهى الآن رباط يسكنه المجاورون ، عمره الملك الناصر رحمه الله وبنى أيضا دار وضوء فيما بين الصفا والمروه سنة ثمان وعشرين ، وجعل لها بابين أحدهما فى السوق المذكور (يقصد السوق المقام بين الصفا والمروه) والآخر فى العطارين ، وعليها ربع يسكنه خدامها ، وتولى بناء ذلك الأمير علاء الدين بن هلال ، رحلة ابن بطوطة : ص ١٤١ .
وفى الحقيقة كان للملك الناصر العديد من الاصلاحات والخدمات الجليلة لسكان الحرمين الشريفين ، ففى سنة ٧١٩هـ ، حج الملك الناصر وكانت هى حجته الثانية فأمر باصلاح عين خليص وكانت قد انقطعت منذ سنتين ، فصار الحجاج يجدون شدة بخليص من عدم الماء ، فأمر باصلاحها ، ورسم مبلغ خمسة آلاف درهم لاجراء الماء من العين الى البركة ، وجعلها مقررة لصاحب خليص فى كل سنة . راجع : المقريزى : السلوك جـ٢ ق١ ص ٢٠٠ ، الجزيرى : درر الفوائد المنظمة : ص ٢٩٧ .
أما عن ابطال المكوس ، فقد أبطل سائر المكوس من الحرمين وعوض أميرى مكة والمدينة اقطاعا بمصر والشام وكان ذلك فى حجته سنة ٧١٩هـ كما أحسن الى أهل الحرمين وأكثر من الصدقات لهم . راجع : الجزيرى : المصدر السابق ص ٢٩٧ .
وفى سنة ٧٢٢هـ اسقط المكس المتعلق بالمأكولات وعوض أميرها عطيفة بن أبى نمى عن ذلك اقطاعا بصعيد مصر ، الفاسى : العقد الثمين جـ١/١٩٤ ، =

فى كل سنة من أفعال البر التى تعين الحجاج من الجمال التى تحمل الزاد والماء للمنقطعين والضعفاء ، وتحمل من تأخر أو ضعف عن المشى . فى الدربين المصرى والشامى ، وبنى زاوية عظيمة بسرياقوس خارج القاهرة .(١)

ومما أورده ابن بطوطة(٢) عن الملك الناصر أنه تحصن بحصن الكرك ، على الرغم من أنه لم يكن معاصرا لهذا الحديث السياسى ، انما أورده حين مروره بهذا الحصن قاصدا أرض الحجاز لأداء فريضة الحج عام ٧٢٦هـ بعد تجوله بأرض الشام قائلا : " وهو من أعجب الحصون وأمنعها وأشهرها ، ويسمى بحصن الغراب ،(٣) والوادى يطيف به من جميع جهاته ، وله باب واحد قد نحت المدخل اليه فى الحجر الصلد ومدخل دهليزه كذلك ، وبهذا الحصن يتحصن الملوك واليه يلجأون فى النوائب ، وله لجأ الملك الناصر لأنه ولى الملك وهو صغير السن ،(٤) فاستولى على

= الجزيرى : المصدر السابق ص ٣٠٠ . وفى عام ٧٣١هـ رسم الملك الناصر بعمل باب جديد للكعبة من الخشب السنط الأحمر ، وصفحه بالفضة عوضا عن الحديد ، وركب الباب فى شهر ذو القعدة سنة ٧٣٣هـ ، انظر ابن اياس الحنفى : بدائع الزهور : جـ١ ق١ ص ٤٦١ ، ابن كثير : البداية والنهاية : جـ١٤/ ١٦٢ .

(١) فى رحلة ابن بطوطة وردت بسرياقص انظر الرحلة ص ٤٣ .
وسرياقوس : بليده من نواحى القاهرة . راجع ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ٢١٨ . وفيها عمر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخانقاه بناحية منها وعرفت (بخانقاه سرياقوس) وجعل فيها مائة خلوه لمائة صوفى ، وبنى بجانبها مسجدا تقام به الجمعة . وبنى بها حماما ومطبخا ، وكان ذلك سنة ٧٢٥ هـ بعد أن تم بناؤها . انظر المقريزى : الخطط جـ٣/ ٤١٤ ، المقريزى : السلوك جـ٢ ق٢ / ٥٣٩ .

(٢) سبق تعريفه فى الباب الأول انظر ص ٤٩ حاشية ٤

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ١١١ .

(٤) تولى الملك الناصر الحكم ثلاثة مرات ، الأولى كانت سنة ٦٩٣هـ وذلك بعد مقتل أخيه الملك الأشرف صلاح الدين بن قلاوون فى شهر محرم وعمره تسعة سنوات(١) وفى سنة ٦٩٤هـ خلع بمملوك أبيه زين الدين كتبغا ولقب نفسه =

(١) المقريزى : الذهب المسبوك : ص ٩٥ .

التدبير مملوكه سلار النائب عنه[1] ، فأظهر الملك الناصر أنه يريد الحج ، ووافقه الأمراء على ذلك ، فتوجه الى الحج ، فلما وصل عقب أيلة[2] ، لجأ الى الحصن

= بالملك العادل[1] واستحلف الناس على ذلك وخطب له بمصر والشام[2] ونقشت السكة باسمه ، وجعل الملك الناصر فى قاعة بجبل القلعة وحجب عنه الناس ، وجعل نائبه فى السلطنة حسام الدين لاجين[3] . وفى سنة ٦٦٦هـ تولى الملك لاجين وتلقب بالملك المنصور وفى هذه السنة أرسل الملك المنصور ، الناصر من القاعة التى كان فيها بقلعة الجبل الى الكرك ، وسار معه سلار الى أن أوصله ثم عاد[4] ، وكانت مدة سلطنته الأولى سنة الا ثلاثة أيام[5] ، وفى سنة ٦٦٨هـ قتل الملك المنصور ، وأحضر الملك الناصر من الكرك ، وهذه سلطنته الثانية وعمره يومئذ خمس عشرة سنة[6] .

(١) المقريزى : المصدر السابق ص ٩٥ ، ابو الفداء : المختصر ج ٤ / ٣١ .

(٢) ابو الفداء : المختصر ج٤ / ٣١ ، ابن شاكر : فوات الوفيات ج٤ / ٣٥ .

(٣) ابو الفداء : المصدر السابق ج٤ / ٣١ .

(٤) ابو الفداء : المصدر السابق ج٤ / ٣٤ .

(٥) المقريزى : المصدر السابق ص ٩٥ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج٤ / ١٤٥ .

(٦) ابن شاكر : فوات الوفيات : ج٤ / ٣٥ .

(١) كان سلار من مماليك الصالح علاء الدين على بن المنصور قلاوون ، فلما مات صار من خواص أبيه ثم اتصل بخدمة الاشرف وحظى عنده وتأمر ، وكان عاقلا تاركا للشر ، عمل فى نيابة السلطنة للملك الناصر أكثر من عشرة سنوات ، ولما توجه الملك الناصر الى الكرك وتملك الجاشكنير استمر فى نيابة السلطنة ، فلما عاد الملك الناصر من الكرك سنة ٧٠٩هـ أعطاه الشوبك ثم قبض عليه الناصر الى أن مات بالسجن سنة ٧١٠هـ . ابن شاكر : فوات الوفيات ج٢ / ٨٦ ، ابن حجر : الدرر الكامنة : ج٢ / ١٧٩ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ج١ / ٣١٤ .

(٢) سبق تعريفها فى الباب الأول انظر ص ٦٤ حاشية ٨ .

وأقام به أعواما (١) ، الى أن قصده أمراء الشام ، واجتمعت عليه المماليك (٢)

وكان الملك فى تلك المدة بيبرس الجاشنكير (٣) وهو أمير الطعام ، وتسمى بالملك

---

(١) كان هذا هو الاغتصاب الثانى للملك الناصر بعد أن أعيد الى السلطنة مرة ثانية سنة ٦٩٨هـ واستمر الى سنة ٧٠٨هـ. وفيها أظهر أنه يريد الحج بعياله نوافقه الاميران سلار نائب السلطنة ، وبيبرس الجاشنكير (المقريزى : الذهب المسبوك ص ٩٦ وما بعدها ، ابن اياس : بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٤٢٠ — ٤٢١) وقد وضح لنا أبو الفداء الأسباب التى أدت الملك الناصر لفعل ذلك فقال : وكان سبب ذلك استيلاء سلار وبيبرس الجاشنكير على المملكة ، واستبدادهما بالأمور ، وتجاوز الحد فى الانفراد بالأحوال ، والأمر والنهى ، ولم يتركا لمولانا السلطان غير الاسم ، مع ما كان منهما فى محاصرة مولانا السلطان فى القلعة وغير ذلك مما لا تنكمش النفس منه ، فحاقه من ذلك وترك الديار المصرية وأقام بالكرك (ابو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ج٤ / ٥٥) ولم يقم الملك الناصر فى الكرك فى فترة الاغتصاب الثانى إلا قرابة عام واحد فقط ، فقد التبس الأمر على ابن بطوطة . لأن الملك الناصر أقام فى الكرك فى فترة الاغتصاب الأولى أكثر من عامين .

(٢) هذه هى العودة الثالثة للملك الناصر فى الحكم من سنة ٧٠٩ — ٧٤١هـ . ففى سنة ٧٠٩هـ سار اليه جماعة من المماليك من الديار المصرية مفارقين طاعة بيبرس وأعلموه بما الناس عليه من طاعته ومحبته ، ثم كاتب نواب الشام يشكو ما هو فيه ، فحثوه على القيام لأخذ ملكه ووعدوه بالنصر فسار الى دمشق ثم مصر . راجع :
(ابى الفداء : المختصر فى أخبار البشر ج٤ / ٥٦ ، المقريزى : الذهب المسبوك : ص ٩٨ ، ابن خلدون : كتاب العبر ج٥ ق٤ ص ٩٠٧) .

(٣) فى رحلة ابن بطوطة " الششنكير " انظر ص ١١١ .
وهى كلمة فارسية من لفظين فارسيين ، جاشنا ومعناه الذوق وكير ومعناه المتعاطى ، ومعناها الذى يذوق المأكولات والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفا من أن يدس عليه سم أو نحوه ، وكان بيبرس الجاشنكير يقوم بهذه المهمة (انظر : القلقشندى : صبح الأعشى ج٥ : ٤٦٠ ، حسن الباشا : الفنون الاسلامية : ج١ / ٣٢٤) . وكان بيبرس الجاشنكير من مماليك المنصور =

المظفر وهو الذى بنى الخانقاه البيبرسيه (١) بمقربة من خانقاه سعيد السعداء (٢) التى بناها صلاح الدين أيوب (٣) ، فقصده الناصر بالعساكر ففر بيبرس الى الصحراء ،

= قلاوون ، وترقى الى أن قرره جاشنكير ، عمل استادار للملك الناصر وسلار نائب السلطنة ، فلما ترك الناصر ملكه سنة ٧٠٨هـ ، وتوجه الى الكرك حسن سلار لبيبرس السلطنة فتسلطن وتلقب بالملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصورى ، فلما عاد الناصر للحكم سنة ٧٠٩هـ قبض عليه وقتل فى نفس العام

انظر ابن حجر: الدرر الكامنة : جـ١/٥٠٢ ، ابو الفداء : المختصر : جـ٤/٥٥ — ٥٩ ، الصفدى : الوافى بالوفيات : جـ١٠/٣٤٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : جـ٨/٢٣٢ — ٢٧٧ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافى : جـ١/٢٠٣ .

(١) الخانقاه : كلمة فارسية من خونكاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك وهى زوايا الصوفية ، وأول من بناها من الملوك فى مصر السلطان صلاح الدين ، ورتب للفقراء والواردين أرزاقا معلومة (انظر : المقريزى : الخطط جـ٣/٣٩٩ ، محمد كرد على : خطط الشام : جـ٦/١٣٠ ، عبد اللطيف حمزه : الحركة الفكرية فى مصر : ص ١٠٧) .

(٢) وهى مجاورة لخانقاه سعيد السعداء وقد بدأ فى عمارتها سنة ٧٠٧ هـ فى موضع دار الوزارة للفاطميين وأنهى عمارتها فى سنة ٧٠٩ هـ ، وبعد مقتله أغلقها الملك الناصر ، ثم أمر بفتحها بعد ذلك ، انظر (ابن حجر : الدرر الكامنة جـ١/٥٠٧ ، الصفدى : الوافى بالوفيات جـ١٠/٣٥٠ ، عبد اللطيف حمزه : المرجع السابق ص ١٠٨) .

(٣) سعيد السعداء هو أحد الأستاذين المحنكين خدام القصر الفاطمى ، وعتيق الخليفة المنتصر قتل عام ٥٤٤ هـ ، وكانت داره مقابل دار الوزارة ، ثم حولها صلاح الدين الى خانقاه فى عام ٥٦٩هـ . (انظر عبد اللطيف حمزه : المرجع السابق : ص ١٠٧ حاشية ٢ ، سعيد عاشور : مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك ص ١١٧) .

فتتبعه العساكر وقبض عليه وأتى به الى الملك الناصر فأمر بقتله ، فقتل[1] ، وقبض على سلار وحبس في جب حتى مات جوعا[2] ، ويقال أنه أكل جيفه من الجوع[3] ، نعوذ بالله من ذلك " ومما وقع أيضا في هذه الفترة فترة رحلة ابن بطوطة ارسال الملك الناصر الفداوية لقتل الأمير قراسنقر ، بعد أن أستقر له الحكم في المرة الثالثة سنة ٧٠٩هـ والتي ذكرها ابن بطوطة أثناء مروره بحصون الفداوية — أو قلاع الدعوة أثناء تجوله بأرض الشام عام ٧٢٦هـ قائلا : " ثم سافرت منها — يقصد صهيون — فمررت بحصن القدموس ، المينقة ثم بحصن العليقة واسمه على لفظ واحد العليق ثم بحصن المصياف ثم بحصن الكهف وهذه الحصون[4] لطائفة يقال لهم الاسماعيلية[5] ويقال لهم الفداوية[6] ولا يدخل عليهم

(١) قبض على بيبرس في موضع بأطراف غزه على يد الأمير قراسنقر أثناء توجهه الى دمشق نائبا بها بمرسوم من الملك الناصر ابو الفداء : المختصر ج٤ / ٥٨

(٢) سجن سلار بقلعة الجبل بالقاهرة ، انظر المقريزي : السلوك ج٢ ق٢ ص ٨٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٩ / ١٨ .

(٣) هناك روايات مختلفة في موته انظر ابن تغرى بردى : المصدر السابق ج٩ / ١٨ ، ابن شاكر : فوات الوفيات : ج٢ / ٨٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج٢ / ١٨ .

(٤) سبق تعريف هذه القلاع في الباب الأول ص : ٤٨ حاشية ١ الى ٥ . وقلاع الدعوة : من أعمال نيابة طرابلس في عصر المماليك ، وهي سبعة قلاع ويقول عنها القلقشندى " رفيعة المقدار لا تسامى منعه ولا ترام حصانه وهي مصياف ، والرصافه ، والخوابي — والقدموس — والكهفة والمينقة والعليقة ، ثم نقلت مصياف الى نيابة دمشق (انظر : صبح الأعشى ص ١٤٦ ، ١٧٦ — ١٨٠)

(٥) نسبه الى اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على بن زين العابدين ابن الحسين السبط بن على بن أبي طالب ، وهم فرقة من الشيعة معتقد هم معتقد غيرهم من سائر الشيعة (راجع : القلقشندى : صبح الاعشى ج١ ص ١١٩ — ١٢٠) ، محمد ابو زهره : تاريخ المذاهب الاسلامية ج١ / ٥٩ وما بعدها .

(٦) سموا بالفداوية لأنهم يفادون بالمال على من يقتلونه ، ويسمونه في بلاد العجم بالباطنية لأنهم يبطنون مذهبهم ويخفونه ، وتارة بالملاحدة ، وهم =

أحد من غيرهم ، وهم سهام الملك الناصر (١) بهم يصيب من يعدو عنه من أعدائه بالعراق وغيرها ، ولهم المرتبات (٢) ، واذا أراد السلطان أن يبعث أحدهم الى اغتيال عدو له أعطاه ديته ، فان سلم بعد تأتى ما يراد منه ، فهى له ، وان أصيب فهى لولده (٣) ، ولهم سكاكين مسمومة يضربون بها من بعثوا الى قتله ، وربما لم تصح حيلهم ، فقتلوا كما جرى لهم مع الامير قراسنقر (٤) ، فانه لما هرب الى العراق

= يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية ، كما كانوا يعرفون فى ديوان الانشاء بالقصاد ، وبين العامة بالفداوية • انظر القلقشندى : المصدر السابق جـ١ / ١٢٠ ، جـ٤ / ١٤٦ •

(١) كان السلاطين فى الزمن المتقدم تمنع الفداوية من مخالطة الناس ، فلا يخرجون من بلادهم الى غيرها ، الا من رسم لهم بالخروج لما يتعلق بالسلطان ولا يمكن لأحد من التجار الدخول الى بلادهم لشراء قماش وغيره ، الا بمرسوم من السلطان الى نائب الشام (القلقشندى : صبح الأعشى : جـ١ / ١٢٢) •

(٢) يذكر ابن تغرى بردى : أن الملك الناصر كان كثير الدهاء مع ملوك الاطراف يهاديهم ويستجليهم الى طاعته بالهدايا والتحف ، حتى يذعنوا له ، فيستعملهم فى حوائجه ويأخذ بعضهم ببعض ، وكان يصل الى قتل من يريد قتله بالفداوية لكثرة بذله الأموال لهم (راجع ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : جـ٩ / ١٧٦) •

(٣) أورد القلقشندى نقلا عن مسالك الأبصار " ولصاحب مصر بهذا بعثهم مزية يخافه بها أعداؤه ، لأنه يرسل منهم من يقتله ولا يبالى أن يقتل بعده ، ومن بعثه الى عدوله فجبن عن قَتْلِه قتله أهله ، اذا عاد اليهم وان هرب تبعوه وقتلوه • (راجع : القلقشندى : صبح الأعشى جـ١ / ١٢٢) •

(٤) فى رحلة ابن بطوطة : قراسنقور انظر الرحلة ص ٧٦ •

هو شمس الدين قراسنقر بن عبد الله المنصورى ، كان من كبار المماليك المنصورية وأجل أمرائهم ، وهو أحد من كان سببا فى قتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، وكان السبب لعودة الملك الناصر محمد الى ملكه فى المرة الثانية ، ولى نيابة حلب ، نائبا للسلطان بمصر فى عهد سلطانة لاجين ، ولما عاد الملك الناصر الى الحكم فى سنة ٧٠٩هـ ، نقل الى نيابة دمشق ثم حلب ، ثم فر الى بلاد التتر فى العراق سنة ٧١٢هـ • وأقطعه ملكها =

بعث اليه الملك الناصر جملة منهم فقتلوا ، ولم يقدروا عليه لأخذه بالحزم .(١)

ما ذكره ابن بطوطة عن قراسنقر ومطاردة الملك الناصر محمد بن قلاوون له :

يقول(٢) " وكان قراسنقر من كبار الأمراء وممن حضر قتل الملك الأشرف أخي الملك الناصر(٣) ، وشارك فيه(٤) ولما تمهد/ الملك الناصر وقربه القرار واشتدت أواخى سلطانه جعل

= بوسعيد بن خربندا مراغه ، مات سنة ٧٢٨هـ (راجع: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة : ج٩/ ٢٧٣ ــ ٢٧٤ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣/ ٢٤٦ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ج٢/ ٤١٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية: ج١٤/ ١٤٠)

(١) لقد أعيا الملك الناصر قتل الأمير قراسنقر ، اذ بعث اليه كثيرا من الفداوية ، بحيث قتل بسببه نحو مائة وأربعة وعشرين فداويا ممن كان يتوجه لقتله فيمسك ويقتل (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٩/ ٢٢٦ ، المقريزى: السلوك ج٢ق٣ / ٥٥٤ ، أما ابن حجر فيقول ان الذين هلكوا بسببه ثمانون رجلا : الدرر الكامنة ج٣/ ٢٤٧) . (٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٧٦ ــ ٧٨ .

(٣) هو الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون ، تسلطن بعد موت أبيه في ذى القعدة سنة ٦٨٩هـ ، وفي عهده ، فتح عكا سنة ٦٩٠هـ ، وقتل أهلها ودكها دكا ، وكان والده قد عزم على فتحها من قبل ، كما تسلم صيدا وبيروت وصور سلما ، حينما علم أهلها بما حصل في عكا وهروب الافرنج منها ، واتفق له من السعادة ما لم يتفق لغيره من الملوك بفتح هذه البلاد الحصينة من غير قتال ولا تعب ، كما أن على يده كان انقطاع الافرنج وزوال دولتهم من بلاد الشام والسواحل ، وفتح قلعة الروم سنة ٦٩١هـ ، قتل بتروجة على يد مماليك والده في ذهابه للصيد في محرم سنة ٦٩٣هـ ، انظر(ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ج٨/ ٣ ، ٤١ ، ابو الفداء : المختصر ج٤/ ٢٤ــ٣٠ ، ابن شاكر: فوات الوفيات ج١/ ٤٠٦ ، ابو اليمن الحنبلي : الأنس الجليل : ج٢/ ٨٩ ــ ٩٠ ، المقريزى : السلوك ج١ق٣/ ٧٥٦ وما بعدها ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٥/ ٤٢٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج١٤/ ٣٤٤ ، ابن تغرى بردى: الدليل الشافي ج١/ ٢٩٢) .

(٤) ذكر ابن تغرى بردى : أن قراسنقر لم يشترك في قتل الملك الأشرف ، وأن الذين شاركوا في قتله هم بيدرا نائب السلطنة وحسام الدين لاجين ، وبهادر رأس النوبة (النجوم الزاهرة ج٨/ ١٧)(وراجع ابن شاكر: فوات الوفيات ج١/ ٤٠٧ ، ابو الفداء : المختصر ج٤/ ٢٩ ــ ٣٠) .

يتتبع قتلة أخيه فيقتلهم واحدا واحدا ، اظهارا للأخذ بتأثر أخيه ، وخوفا من أن يتجاسروا عليه بما تجاسروا على أخيه ، وكان قراسنقر أميرا لأمراء بحلب فكتب الملك الناصر الى جميع الامراء أن ينفروا بعساكرهم ، وجعل لهم ميعادا يكون فيه اجتماعهم بحلب ونزولهم عليها حتى يقبضوا عليه ، فلما فعلوا ذلك خاف قراسنقر على نفسه ، وكان له ثمانمائة مملوك ، فركب فيهم وخرج على العساكر صياحا ، فاخترقهم وأعجزهم سبقا . وكانوا فى عشرين ألفا ،وقصد منزل أمير العرب (١) ، مهنا ابن عيسى (٢) وهو على مسيرة يومين من حلب ، وكان مهنا فى قنص له ، فقصد بيته ونزل عن فرسه ، وألقى العمامة فى عنق نفسه ، ونادى : الجوار يا أمير العرب وكانت

---

(١) كانوا يعرفون بآل فضل ،وهم عرب رحالة ما بين الشام والجزيرة ، وتربه نجد من أرض الحجاز يتقلبون بينهما فى الرحلتين وينتسبون فى طىء ، ثم اتصل آل فضل بالدولة السلطانية وولوهم على أحياء العرب ،واقطعوهم على اصلاح السابله بين الشام والعراق ، (راجع ابن خلدون : كتاب العبر ج٥ق٤ / ٩٣٦) . القلقشندى : صبح الأعشى ج٤ / ٢٠٤ وما بعدها وقد جرت العادة أن يكون لهم أمير كبير يولى من الأبواب السلطانية ويكتب له تقليد بذلك . القلقشندى : صبح الاعشى ج٤ / ٢٠٥ .

(٢) هو مهنا بن عيسى بن مهنا ، أمير آل فضل ، وعندما توفى عيسى بن مهنا سنة ٦٨٤هـ ، ولى الملك المنصور قلاوون مكانه ابنه مهنا بن عيسى . توفى فى ذى القعدة سنة ٧٣٥ هـ . (راجع ابن خلدون : كتاب العبر ق٤ : ٩٣٧ وما بعدها . القلقشندى : صبح الاعشى : ج ٤ / ٢٠٦ ، المقريزى : السلوك ج١ ق ٢ / ٥٢٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٧ : / ٢١٧) .

هنالك أم الفضل زوج مهنا وبنت عمه ، فقالت له : قد أجرناك وأجرنا من معـك ، فقال : انما أطلب أولادى ومالى فقالت له : لك ما تحب ، فأنزل فى جوارنا ، ففعل ذلك ، وأتى مهنا فأحسن نزله وحكمه فى ماله ، فقال : انما أحب أهلى ومالـى الذى تركته بحلب ، فدعا مهنا باخوته وبنى عمه ، فشاورهم فى أمره ، فمنهم مـن أجابـه الى ما أراد ، ومنهم من قال : كيف نحارب الملك الناصر ، ونحن فى بلاد بالشام . فقال لهم مهنا : أما أنا فأفعل لهذا الرجل ما يريد ، وأذهب معه الـى سلطان العراق .

وفى أثناء ذلك ورد عليهم الخبر بأن أولاد قراسنقر سيروا على البريد الى مصر ، فقال مهنا لقراسنقر : أما أولادك فلا حيلة فيهم وأما مالك فنجتهد فـى خلاصه ، فركب فيمن أطاعه من أهله واستنفر من العرب نحو خمسة وعشرين ألفـا وقصدوا حلب ، فأحرقوا باب قلعتها وتغلبوا عليها ، واستخلصوا منها مـال قراسنقر ومن بقـى من أهله ، ولم يتعدوا الى سوى ذلك وقصدوا ملك العراق وصحبهم أمير (١) طرابلس (٢) الأقرم ، ووصلوا الى الملك محمد خربندا (٣) سلطان العـراق ،

(١) فى رحلة ابن بطوطة : أمير حمص انظر الرحلة : ٧٧ .

(٢) هو الامير جمال الدين أقوش الاقرم نائب طرابلس ، كان قد قدم مع الملك الناصر محمد بن قلاوون حينما توجه من دمشق إلى مصر سنة ٧٠٩هـ. ثم ولاه صرخـد وفى سنة ٧١٠هـ توفى الأمير الحاج بهادر الحلبى نائب طرابلس ، فكتب الملك الناصر بنقله من صرخد إلى نيابة طرابلس ، وظل بها إلى سنة ٧١٢هـ ، عندما هرب مع قراسنقر إلى أرض التتر . راجع :
(الصفدى : الوافى بالوفيات : جـ٩/٣٢٦ ، ابن تغرى بردى : النجـوم الزاهرة جـ٩/٢٤ ، ابو الفداء : المختصر جـ٨/٥٨ ، المقريزى : السـلوك جـ٢ق١/١٠٩ ، السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام ص ٣١٨) .

(٣) فى رحلة ابن بطوطة : (خدابندا) انظر الرحلة ص: ٧٧ وأصل اسمه خربندا ثـم غيره خرابندا ومعناها بالفارسية عبد الله (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهـرة جـ٩/٢٣٨ ، المقريزى : السلوك جـ١ ق٣ ص٦) =

وهو بموضع مصيفه المسمى قراباغ (١) ، وهو ما بين السلطانية (٢) وتبريز (٣) ، فأكرم نزلهم ، وأعطى مهنا عراق العرب (٤) وأعطى قراسنقر مدينة مراغة (٥) من عراق العجم ، وتسمى دمشق الصغيرة ،

= وهو خربندا محمد بن أرغون بن ابغا بن هولاكو ، ملك العراق وخرسان وعراق العجم والروم وأذربيجان والبلاد الارمينية ،حكم بعد أخيه غازان فى سنة ٧٠٣هـ واسلم ، وتسمى بمحمد ،وجرت فى أيامه فتن ومصائب ، توفى سنة ٧١٦هـ ودفن بمدينة السلطانية التى أنشأها (راجع : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٩ / ٢٣٨ — ٢٣٩ ، ابن كثير: البداية ج١٤ / ٧٧، ابو الفداء :المختصر ج ٤ / ٨١ ابن الوردى: تتمة المختصر ج٢ / ٣٧٧) راجع أيضا ماكتبه ابن بطوطة عن هذا الملك أثناء زيارته للعراق ،انظار الرحلة ص ٢٢٧ وما بعدها .

(١) مصيف ملوك التتر المسمى بقراباغ، ومعناه البستان الأسود ، وفيه قرى ممتدة ، وهو صحيح الهواء ، طيب الماء ، كثير المراعى (القلقشندى :صبح الاعشى ج٤ / ٤٢٧)

(٢) السلطانية : مدينة بناها خربندا بن أرغون في الجنوب الشرقى من توريز ، بالقرب من جبال كيلان (القلقشندى : صبح الاعشى ج٤ / ٣٥٨) .

(٣) تبريز : بلدة مشهورة بأذربيجان ، كان بها مقر الحكم فى بيت هولاكو من التتر ثم انتقل بعد ذلك الى مدينةالسطانية (القلقشندى: صبح الاعشى ج٤ / ٣٥٧) .

(٤) عراق العرب : ويعرف بذلك لأن العرب كانت تنزله لقربه من بلادهم ، القلقشندى : صبح الأعشى ج٤ / ٣٢٧ ، وهو بغداد وبلادها وما يليها ديار بكر وربيعة ومضر (القلقشندى : المصدر السابق ج٤ / ٤٢١) أما عن اقطاعه لعراق العرب فلم يشر الى ذلك المؤرخون " فعندما هرب قراسنقر والاقرم الى خربندا أستوحش مهنا من الملك الناصر وأقام فى أحيائه منقبضا عن الوفادة ، ابن خلدون: كتاب العبر ج٥ ق٤ / ٩٤١ وفى سنة ٧١٢هـ وفد أخوه فضل بن عيسى على الملك الناصر وولاه على العرب مكانه ، وبقى مهنا مشردا ثم لحق فى سنة ٧١٦هـ بخربندا ملك التتر ، فأكرمه وأقطعه بالعراق ، ثم هلك خربندا فى تلك السنة ، فرجع الى أحيائه ،وأوفد بنيه وأخاه محمد الى الملك الناصر فأكرمهم وأحسن اليهم ، ورد مهنا الى أمارته واقطاعه وذلك فى سنة ٧١٧هـ ، ثم رجع الى موالاه التتر فطارد الناصر آل فضل بأجمعهم من الشام وجعل مكانهم آل على فى سنة ٧٢٠هـ (ابن خلدون :العبر ج٥ ق٤ / ٩٤٢ ، القلقشندى: المصدر السابق ج٤ / ٢٠٦) .

(٥) مراغه : بلد مشهورة بأذربيجان (انظر: ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع ج٣ / ١٢٥٠)

وأعطى الأقرم همذان وأقاموا عنده مدة مات فيها الاقرم (٢) ،وعاد مهنا الى الملك الناصر (١) بعد مواثيق وعهود أخذها منه (٣) ، وبقى قراسنقر على حاله (٤) . وكان الملك الناصر يبعث له الفداوية مرة بعد مرة ، فمنهم من يدخل عليه داره فيقتل دونه ، ومنهم من يرمى بنفسه عليه وهوراكب فيضربه ، وقتل بسببه من الفداوية جماعة ، وكان لا يفارق الدرع أبدا ، ولا ينام الا فى بيت العود والحديد (٥) ، فلما مات السلطان محمد وولى ابنه

---

(١) مدينة فى الجبال أكبر مدينة بها ، انظر : ابن عبد الحق: المصدر السابق جـ٣/ ١٤٦٤ . راجع ما كتبه المقريزى ، وابن تغرى بردى عن اقطاع مراغه لقراسنقر وهمذان الى الاقرم ، انظر (السلوك جـ١ق١/ ١١٥ النجوم الزاهرة جـ٩/ ٣٣) وفايد حماد : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ص ١٨١/ ١٨٢ .

(٢) توفى الأقرم بهمذان بعد عام ٧٢٠هـ ودفن بها (الصفدى:الوافى بالوفيات جـ٩/ ٣٣٤)(ابن تغرى بردى : الدليل الشافى جـ١/ ١٤٤ ، توفى سنة ٧٢٠ هـ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٩/ ٢٣٤ وفيه توفى سنة ٧١٦هـ) .

(٣) عاد مهنا بن عيسى الى طاعة الملك الناصر فى سنة ٧٣٤هـ ،فى صحبته صاحب حماه الملك الأفضل وقد فرح الملك الناصر بقدومه ،وعاتبه على عدم حضوره اليه ، وخلع عليه وعلى من معه ، ورده الى أمرته (انظر المقريزى: السلوك جـ٢ق٢ : ٣٧٢ ــ ٣٧٤ ، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٤/ ١٦٦ ابن الوردى : تتمة المختصر جـ٢/ ٤٣٦ ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٤/ ٣٧٠) .

(٤) على الرغم من تطرق ابن بطوطة لهذا الحدث السياسى (هروب الامير قراسنقور الى ارض التتر بالعراق ومطاردة الملك الناصر له) الا أنه لا يعتبر شاهد عيان لهذا الحدث السياسى ، أنما تناقله سماعا من عامة الناس، وقد توسع المؤرخون فى ذكر هذا الحدث وأوردوه بالتفصيل الدقيق، (راجع: المقريزى: السلوك جـ٢ق١/ ٩٣ ــ ٩٤ ، ٩٩ ، ١٠٧ ــ ٧١١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٩/ ١١ ، ٣٠ ــ ٣٢ ، ٢٢٧ ابو الفداء : المختصر ص٥٨ ، ٦٣)

(٥) على الرغم من هروب قراسنقر الى بلاد المغول الا ان الملك الناصر ظل يرسل له الفداوية لقتله ففى سنة ٧٢٠هـ ارسل اليه الملك الناصر ثلاثين فداويا من أهل قلعة مصياف لقتله ، ولكنهم لم يتمكنوا من قتله الا أنها نشرت الذعر فى المغول ، واحتجب السلطان ابو سعيد ملك التتر بخيمته أحد عشر يوما خوفا على نفسه كما أنكر جوبان كبير أمراء المغول على مجد الدين اسماعيل السلامى ، سفير =

أبو سعيد وقع(١) ما سنذكره ٠

من أمر الجوبان(٢) كبير أمرائه وفرار ولده الدمرداش(٣) الى الملك الناصر ووقعت

المراسلة بين الملك الناصر وبين أبى سعيد واتفقا على أن يبعث أبو سعيد الى الملك

= الملك الناصر للمغول هذه العملية ، وقال له " ويلك أنت كل قليل تحضر الينا هديه وتريد منا أن نكون متفقين مع صاحب مصر لتمكر بنا حتى تقتلنا بالفداوية وهدده أن يقتله شر قتلة " ٠
كما كان قراسنقر بدوره يبعث الفداوية لقتل الملك الناصر ، مما جعله يحترس على نفسه ويمنع المتفرجين من الجلوس فى الطرقات عند ركوبه الى الميدان ، والزم الناس بغلق طاقات البيوت (المقريزى: السلوك ج٢ق١/ ٢٠٧ — ٢٠٩) وهناك العديد من القصص لهؤلاء الفداوية التى كان يبعثها الملك الناصر لقتل قراسنقر (انظر المقريزى: السلوك ج٢ق٣/ ٥٥٤ — ٥٥٨) ٠

(١) لقد شاهد ابن بطوطة السلطان أبو سعيد فى اثناء زيارته للعراق سنة ٧٢٧هـ فى سفينة بنهر دجلة ، وقال عنه :وكان ملكا فاضلا كريما ملك وهو صغير السن (الرحلة ص: ٢٨) وهو ابو سعيد بن خربندا ابن أرغون بن هولاكو ، يقول عنه ابن كثير: كان من خيار ملوك التتار واحسنهم طريقة وأثبتهم على السنة وأقومهم بها ، وقد عز أهل السنة بزمان وذلت الرافضة بخلاف دولة أبيه٠ توفى سنة ٧٣٦هـ وبموته لم يقم للتتار قائمة ٠ (البداية والنهاية ج١٤/ ١٧٣)، وله فى الدرر الكامنة ج٢/ ١٣٧ وفيه توفى فى ربيع الآخر سنة ٧٣٧هـ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٩/ ٣٠٩ ابن خلدون : العبر ج٥ق٤/ ٩٤٤ ٠

(٢) هذا بالاحوال السياسية فى بلاد التتر والمغول الخاصة بالسلطان ابو سعيد وقتله لجوبان نائب مملكته وابنائه ٠ التى ذكرها ابن بطوطة (انظر الرحلة : ص ٢٢٨ — ٢٣٠) ، جوبان هو الامير سيف الدين نائب القان بو سعيد بن خربندا ، قتل بهراه سنة ٧٢٨هـ ، ثم حمل الى مكة مع الركب العراقى ثم مضى به الى المدينة المنورة ودفن بالبقيع ، (ابن‌تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٩/ ٢٧٢ — ٢٧٣ ، وله فى المقريزى : السلوك ج٢ق١/ ٣٠٤، ابن حجر : الدرر الكامنة ج١/ ٥٤١) ٠

(٣) فى رحلة ابن بطوطة الدمرطاش(انظر الرحلة ص ٧٨) وذكره ابو الفداء تمرتاش ، (المختصر ج٤/ ٩٨ وكذلك ابن حجر : الدرر الكامنة ج١/ ٥١٨) وقد ذكر ابن بطوطة جزءا من اخباره (راجع الرحلة ص ٢٣٠) ٠

الناصر برأس قراسنقر ويبعث اليه الملك الناصر برأس الدمرداش ، فبعث الملك الناصر برأس الدمرداش الى أبى سعيد ، فلما وصله أَمَرَ بحمل قراسنقر اليه ، فلما عرف قراسنقر بذلك أخذ خاتما كان له مجوفا ، فى داخله سم ناقع فنزع فصه وامتص ذلك السم فمات لحينه ، فعرّف أبوسعيد بذلك الملك الناصر ولم يبعث له برأسه .(1)

قتل الملك الناصر لبكتمر الساقى وولده أحمد :

فى عام ٧٣٢هـ حج ابن بطوطة حجته الخامسة حيث قال :(2) " وحج فى تلك السنة الملك الناصر سلطان مصر ، رحمه الله ، (3) جملة من أمرائه وهى آخر حجة حجها واجزل الاحسان لأهل الحرمين الشريفين وللمجاورين ، وفيها قتل الملك الامير أحمد الذى يذكر أنه ولده ، (4) وقتل أيضا كبير أمرائه بكتمر الساقى (5) .

(١) بعد أن أرسل الملك الناصر برأس دمرداش الى السلطان أبو سعيد أرسل اليه الناصر يقول له : قد أرسلت لك برأس غريمك فأرسل الى رأس غريمى يعنى (قراسنقر) فلم يصل كتاب الناصر الا بعد موت قراسنقر ، فكتب ابو سعيد الى الناصر بأنه قد مات حتف أنفه ، ولو كنت أنا قتلته لأرسلت لك برأسه ، راجع ابن حجر: الدرر الكامنة ج١ / ٥١٨ . وكان قراسنقور قد توفى ببلاد مراغه سنة ٧٢٨هـ وكان موته بمرض الاسهال فلما بلغ السلطان الناصر موته قال : " والله ما كنت اشتهى موته الا من تحت سيفى وأكون قد قدرت عليه " (المقريزى: السلوك ج٢ق٣ / ٥٥٤ ، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ج٩ / ٢٦٦) .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٢٨٠ .

(٣) كان ممن توجه معه من الامراء الملك الافضل صاحب حماه ، وعدد من الأمراء ، (المقريزى : السلوك ج٢ق٢ / ٤٥١ ، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ج ٩ / ٥٩) .

(٤) هو احمد بن بكتمر الساقى ولد سنة ٧١٣هـ وقد أحبه الملك الناصر وهو صغير ، حتى كان أكثر الناس يقول هذا هو ابن السلطان ، وأمره مائة وكان يقضى عند الناصر اشغالا لا يقضيها غيره ، ولم يزل على ذلك الى أن حج مع الملك الناصر فمات راجعا فى محرم سنة ٧٣٣ ، (ابن حجر: الدرر الكامنة ج١ / ١١٤)

(٥) فى رحلة ابن بطوطة بكتمور انظر الرحلة ص ٢٨٠ . وهو الامير سيف الدين بكتمر الساقى ، كان من مماليك الملك المظفر بيبرس الجاشنكير ، ثم انتقل الى الملك الناصر وجعله ساقيا ، يقول عنه الصفدى " وعظمت مكانته عند السلطان وزادت محبته له ، وعظم شأنه فى مملكة السلطان ، وصار هو الدولة ، فكان يقال أن السلطان وبكتمر لا يفترقان ، وكان السلطان لا يأكل الا فى بيت أم أحمد حتى كان الناس يظنون أن أحمد ابن السلطان مما يحمله ويحبه (الوافى بالوفيات ج ١٠ / ١٩٢) توفى أثناء عودته فى طريق الحجاز سنة ٧٣٢ هـ مع ابنه ونقلا الى القرافه بالقاهرة ودفن هناك واتهم الملك الناصر باغتيالهما بالسم (النجوم الزاهرة ج٩ / ٢٣٠ ، الدرر الكامنه ج ١ / ٤٨٦) .

قصة نكبتهمـــا (١) :ـــ

" ذكر أن الملك الناصر (٢) وهب لبكتمر الساقي جارية ، فلما أراد الدنو منها قالت له : " انى حامل من الملك الناصر (٣) ، فاعتزلها ، وولدت ولدا أسماه بأمـير أحمد ، ونشأ فى حجره ، فظهرت منجابته ، وأشتهر بابن الملك الناصر ، فلمـا كان فى هذه الحجة (عام ٧٣٢هـ) تعاهدا على الفتك بالملك الناصر (٤)، وأن يتولى أمير أحمد الملك ، وحمل بكتمر معه العلامات والطبول والكسوات والأموال ، فنمـى الخبر الى الملك الناصر فبعث الى أمير أحمد فى يوم شديد الحر ، فدخل عليـــه وبين يديه أقداح الشراب ، فشرب الملك الناصر قدحا وناول أمير أحمد قدحا ثانيا فيه السم ، فشربه وأمر بالرحيل فى تلك الساعة ليشغل الوقت ، فرحل الناس ولـم يبلغوا المنزل حتى مات أمير أحمد ، فأكثر بكتمر بموته وقطع أثوابه وامتنع مــــن الطعام والشراب ، وبلغ خبره الى الملك الناصر فأتاه بنفسه ولاطفه وسلاه وأخـــذ قدحا فيه السم فناوله اياه وقال له : بحياتى عليك الا شربت فبردت نار قلبـــك ، فشربه فمات فى حينه (٥)، ووجد عنده خلع السلطنة والأموال فتحقق ما نسب اليه مـــن

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٢٨١ .

(٢) على رغم معاصرة ابن بطوطة لهذا الحدث السياسى الا أنه تناقله سماعا ، ففى هذا الوقت كان ابن بطوطة فى جده ، بقصد ركوب البحر الى اليمن والهنـــد (انظر الرحلة ص ٢٨١) .

(٣) لقد انفرد ابن بطوطة بهذا الخبر الذى أورده عن أم احمد وحملها من الملك الناصر .

(٤) علم الملك الناصر بهذا الخبر أثناء قدومه الى الحج فى عقبة ايله وهو اتفـاق بكتمر على الفتك به مع عدد من المماليك فتمارض وعزم على الرجوع الى مصر ، فوافقه الأمراء على ذلك ، ولكن بكتمر أشار اليه باتمام السفر ، وكان الناصر فى سـفره متحرز غاية التحرز بحيث يتنقل فى الليل عدة مرات من مكان الى آخر ، ويخفى موضع مبيته من غير أن يظهر لأحد على ما فى نفسه مما علمه (المقريزى : السلوك ج٢ق٢/ ٣٥٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٩/ ١٠٤) .

(٥) فى أثناء عودة الناصر من الحج سنة ٧٣٢هـ أراد قتل بكتمر وولده احمد فـى المدينة المنورة ، ولكنه فشل فى ذلك ، وفى أثناء الطريق سقى احمد بـــن =

الفتك بالملك الناصر ٠

جـ — ملوك مصر بعد الناصر فى رحلة ابن بطوطة :—

وفى عام ٧٤٩هـ عاد ابن بطوطة الى مصر بعد زيارته الثالثة لأرض الشام (١) فقال عنها : " وكان ملك ديار مصر فى هذا العهد الملك الناصر حسن (٢) ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون ، وبعد ذلك خلع على الملك وولى أخوه الملك الصالح (٣) " ٠

د — ما ذكره ابن بطوطة عن الأحوال السياسية فى بلاد الشام :—

ان معظم ما ذكره ابن بطوطة عن الاحوال السياسية فى بلاد الشام يكاد

= بكتمر ماء باردا فى مسيره كان فيه منيته ،ثم سقى بكتمر فلحق بابنه واشتهر ذلك ، راجع(المقريزى : السلوك جـ٢ق٢/٣٦٤ — ٣٦٥، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٩/١٠٦) ٠

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٥٤ ٠

(٢) هو الناصر بدر الدين أبو المعالى حسن، ولى السلطنة بعد خلع أخيه الملك المظفر زين الدين حاجى فى رمضان سنة ٧٤٨هـ، ولقبوه بالناصر سيف الدين قمارى وعمره احدى عشرة سنة٠ ثم خلع بأخيه الصالح فى جمادى الآخرة سنة ٧٥٢هـ ، ثم أعيد الى الحكم فى شوال سنة ٧٥٥هـ بعد خلع الملك الصالح ، قتل فى جمادى الأول سنة ٧٦٢هـ ، وولى مكانه ابن أخيه المنصور محمد ٠ (المقريزى: السلوك جـ٢ق٣/٧٤٤ وما بعدها ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ١٠/١٨٧ ، ٣٣٦، ابن تغرى بردى : الدليل الشافى جـ٢/٢٦٨، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٢/٣٨) ٠

(٣) تسلطن بعد خلع أخيه الملك الناصر حسن فى يوم الاثنين ثامن عشرين جمادى الآخرة سنة ٧٥٢ ،ثم خلع فى شوال سنة ٧٥٥هـ، وحبس بالقلعة فى القاهرة فى بعض دورها الى أن توفى فى ذى الحجة سنة ٧٦١هـ انظر (المقريزى: السلوك جـ٢ق٣/٨٤٣ وما بعدها ابن تغرى بردى: النجوم جـ١٠/٢٥٤، المؤلف السابق : الدليل الشافى : جـ٢/٣٥١، ابن حجر الدرر الكامنة : جـ٢/٢٠٣ ،وفيه توفى فى صفر سنة ٧٦٢هـ) ٠

ينحصر فيما ذكره عن أسماء نوابها وأمرائها فى كل من مدينة دمشق ، وحلب ، وطرابلس ، بالاضافة الى ما ذكره عن بعض الاحداث السياسية التى وقعت لبعض المدن كمدينة القدس ، وطرابلس وعكا ، وصور واللاذقية . والى ما ذكره من أحداث عن الحصون والقلاع والثغور التى مر عليها خلال رحلته للشام . وأغلب هذه الاحداث السياسية كانت بالطبع قبل مجيئه الى أرض الشام بفترة قصيرة ، أى زمن حكم دولة المماليك البحرية .

وبالرجوع الى هذه الأحداث وجدنا أن ابن بطوطة وقع فى كثير من الأخطاء التاريخية ، خاصة فيما يتعلق بالأسماء التى كان يوردها ، كما أنه لم يحدثنا وصفا شاملا لبعض المدن التى كان قد تم خرابها وهدمها على يد بعض ملوك المماليك البحرية ، كمدينة عكا وصور بل اكتفى بقول وهى خراب (١) باستثناء مدينة طرابلس ، فأغلب وصفه يكاد ينحصر فيما كانت عليه هاتان المدينتان قبل تخريبهما ، أى فى زمن أوجهما وأزدهارهما .

وبالتدقيق فى ذلك وجدنا أن ابن بطوطة كان يعتمد اعتمادا كليا فى وصف هذه المدن على الرحالة السابق له ابن جبير لاطلاعه على رحلته واقتباسه منها جزءا ليس باليسير كما سبق أن أشرنا الى ذلك فى الباب الأول (٢) .

هـ ـ نواب الشام الذين ذكرهم ابن بطوطة :ـ

أما عن نواب مدينة دمشق فقد ذكر منهم اثنين فقط ، وبصورة مختصرة جدا ، ففى رحلته الأولى لبلاد الشام عام ٧٢٦هـ ، ذكر نائبها أثناء حديثه عن

---

(١) انظر رحلة ابن بطوطة : ص ٦١ .

(٢) انظر الباب الأول ص ٦٠ وما بعدها .

مدينة القدس فقال " ولم يكن بهذه المدينة نهر فيما تقدم وجلب لها الماء في هذا العهد الأمير سيف الدين تنكز أمير دمشق [2] [3] ، كما ذكره مرة أخرى في حديثه عن مدينة دمشق حيث ، قال : " وكان من خيار الأمراء وصلحائهم" [4] .[1]

وحينما عاد ابن بطوطة إلى مدينة دمشق سنة ٧٤٨ — ٧٤٩هـ ، ذكرنائبهـا

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٥٧ .

(٢) يقول ابن كثير : " وفي آخر ربيع الأول سنة ٧٢٨هـ وصلت القناة الى القدس التي أمر بعمارتها وتجديدها سيف الدين تنكز ، وفرح المسلمون بهـا ودخلت حتى الى شط المسجد الأقصى ، وعمل بركة هائلة وهي مرخمة ما بين الصخرة والأقصى وكان ابتداء عملها من شوال من السنة الماضية ، (البداية والنهاية : جـ١٤/١٣٣ انظر المقريزي : السلوك جـ٢ق١/٢٨٩، ٣٠٢) .

(٣) في رحلة ابن بطوطة تنكيز انظر الرحلة ص ٥٧ ، ٩٦ . وهو الامير سيف الدين تنكز بن عبد الله الحسامي الناصري نائب الشام ، كان أصله من مماليك الملك المنصور حسام الدين لاجين ، فلما قتل لاجين صار من خاصية الناصر ، وشهد معه واقعة وادي الخازندار ، ثم وقعة شقحب ، ثم توجه مع الملك الناصر الى الكرك ، فلما تسلطن الملك الناصر ثالث مرة رقاه حتى ولاه نيابة الشام في سنة ٧١٢هـ ، وظل بها الى أن قبض عليه الملك الناصر ونقل بثغر الاسكندرية سنة ٧٤١هـ (انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٩/٣٢٤، ٣٢٧) ولتنكز العديد من الاصلاحات في بلاد الشام ، فقد عمر الجامع المعروف به بدمشق ، وانشأ الى جانبه تربة وحماما ، وعمر دارا للقرآن ، الى جانب داره دار الذهب وأنشأ بالقدس رباطا ، وعمر القدس وساق اليه الماء وأدخله الحرم ، وعمر بـه حمامين وقيسارية مليحة ، وعمر البيمارستان المعروف باسمه ، وجدد القنوات بدمشق ، وجدد عماير المساجد والمدارس ، انظر ابن شاكر : فوات الوفيات : جـ١/٢٥٢، الصفدي : الوافي بالوفيات جـ١٠/٤٢٠ وما بعدها ، وله ترجمة في ابن حجر : الدرر الكامنة جـ١/٥٢٠ ، والسلوك جـ٢ق٢/٥٠٩ وابن خلدون كتاب العبر جـ٥ ق٤/٩٤٨ وما بعدها وص ٤٧٩ وما بعدها ، ابن الوردي : تتمة المختصر جـ٢/٤٦٦ .

(٤) رحلة ابن بطوطة : ص ٩٦ .

فى ذلك الوقت الامير أرغون شاه وقصة قتله لخاطفى الخبرة[1] فى مدينة دمشق[2] ، كما أورده مرة أخرى أيام انتشار وباء الطاعون فى أواخر شهر ربيع الثانى سنة ٧٤٩ هـ ، وقال عنه " ملك الأمراء[3] نائب السلطان[4] أرغون شاه " .

أما عن نواب مدينة حلب فقد ذكر منهم اثنين فقط ، وبصورة موجزة ، ففى زيارته الأولى لمدينة حلب سنة ٧٢٦هـ أشار الى نائبها قائلا[5] : "وبحلب ملك الأمراء أرغون[6] الدوادار[7] أكبر أمراء الملك ، وهو من الفقهاء ، موصوف بالعدل

(١) رحلة ابن بطوطة (ص ٦٥١) هو الامير سيف الدين أرغون شاة الناصرى ، كان قد جلبه الكمال الخطائى الى السلطان بو سعيد من بلاد الصين ، فبعثه الى الملك الناصر محمد بن قلاوون فحظى عنده (الصفدى : الوافى بالوفيات ج٨/ ٣٥١) ، وقد ولى نيابة صفد سنة ٧٤٧هـ ، ثم نيابة حلب فى سنة ٧٤٨هـ ثم دمشق . وعظم قدره حتى كان يكتب الى مصر بكل ما يريد ، حتى فى حلب وطرابلس وحماه وصفد وسائر ممالك الشام ولم يزل على ذلك الى أن جاء الأمر بامساكه ، فأمسك وذبح فى شهر ربيع الاول سنة ٧٥٠هـ . (ابن حجر : الدرر الكامنة ج١/ ٣٥٠) ويقول عنه ابن الوردى : كان متقنا لحفظ القرآن مواظبا على التلاوة ، عنده فقه وعلم ، (تتمة المختصر ج٢/ ٤١٩ ، له ترجمة فى السلوك ج٢ق٣/ ٨١٢ ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ج١/ ١٠٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج١٠/ ٢٤٣) .

(٢) خاص بالاحوال الاقتصادية انظر ص ١٤٠ حاشية ٢ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ص ١٠٠ .

(٤) ملك الامراء : من الالقاب المضافة الى لفظ ملك وهى ألقاب استعملت فى العصور الوسطى ، (حسن الباشا : الفنون الاسلامية ج٣/ ١١٤٠) .

(٥) رحلة ابن بطوطة : ص ٧٢ .

(٦) هو الأمير سيف الدين أرغون بن عبد الله الناصرى ، من مماليك الناصر محمد قلاوون ، عمل نائبا للسلطنة فى عهد الناصر من سنة ٧١٢هـ ـ ٧٢٦هـ ثم غضب عليه الناصر وأرسله الى نيابة حلب فى بداية سنة ٧٢٧هـ ، وظل بها نائبا الى أن توفى فى مدينة حلب سنة ٧٣١هـ . ويقول عنه ابن كثير : " كان عنده فهم وفقه ، وفيه ديانة واتباع للشريعة ، سمع البخارى على الحجار بن الشحنه وكتبه جميعه بخطه ، وأذن له بعض العلماء فى الافتاء وكان يميل الى الشيخ تقى الدين ابن تيمية وهو بمصر ، وكان يكره اللهو ، كما منع المغانى من اللهو واللعب (البداية والنهاية ج١٤/ ١٥٥) وفى عهده ، أوصل نهر الساجور الى مدينة حلب . راجع (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٩/ ٨٨ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج١/ ٣٥١ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ج٨/ ٣٥٨ ، المقريزى : السلوك ج٢ ق٢/ ٧٩ ، ٣٣٠ ، ابو الفداء : المختصر ج٤/ ١٠٢ ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ج١/ ١٠٦) .

(٧) الدواداريه : هى تبليغ الرسائل عن السلطان وابلاغ عامة الأمور ، وتقديم القصص =

لكنه بخيل ، وعندما عاد ابن بطوطة الى بلاد الشام سنة ٧٤٨هـ ،ودخل الى مدينة حلب سنة ٧٤٩هـ وذكر نائبها قائلا :" وكان أميرها فى هذا العهد الحاج أرقطاى" . أما عن نواب مدينة طرابلس ، فذكر ابن بطوطة بعضا منهم قائلا (١) (٢) (٣) (٤)

= اليه والمشاورة على من يحضر الى الباب الشريف وتقديم البريد (القلقشندى: صبح الأعشى ج٤ / ١٩)ولما برع أرغون الدوادار فى الفقه وأصوله وأذن له فى الافتاء والتدريس رقاه الملك الناصر وجعله دوادارا (ابن تغرى بردى : نفس المصدر ج٩/ ٢٨٨) .

(١) لم يكن أرغون نائبا لمدينة حلب أثناء رحلة ابن بطوطة الى بلاد الشام سنة ٧٢٦هـ فقد كان لا يزال يشغل منصب نائب السلطنة بالديار المصرية ، كما كان أمير الركب فى سنة ٧٢٦هـ وقد أشار ابن بطوطة الى ذلك (انظر الرحلة ص ٤٣ ، ١٧٠) وقد ناقض ابن بطوطة نفسه ، وكان نائب حلب قبل أرغون علاء الدين الطنبغا الصالحى ، انظر(ترجمته فى النجوم الزاهرة ج١٠ / ٧٣) ، المقريزى : السلوك ج ٢ق٢/ ٦١٤ ، ابن مصرى: الدرة المضيئة فى الدولة الظاهرية : ١٨٤ وما بعدها .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٥١ .

(٣) فى ابن بطوطة (الحاج رغطى) ص ٦٥١ ولقب الحاج من باب الشهرة.(ابن حجر : الدرر الكامنة ج١ / ٣٥٤)وهوالأمير سيف الدين ارقطاى بن عبد الله المنصورى ، وأصله من مماليك المنصور قلاوون ، كان مع الملك الناصر حينما توجه الى الكرك ، ولما عاد جعله من جملة الأمراء ثم ولاه نيابة حمص ثم نقل الى نيابة صفد من سنة ٧٢٠ الى ٧٣٦هـ ثم ولى نيابة طرابلس وظل بها الى أن توفى الملك الناصر سنة ٧٤١هـ. ثم قدم مصر وقبض عليه ، ثم ولى نيابة حلب سنة ٧٤٦هـ ، ثم طلب الى مصر حيث ولى نيابة السلطنة نحو سنتين ، ثم اعيد الى نيابة حلب فى نهاية سنة ٧٤٨هـ ، ثم نقل لنيابة الشام بعد قتل أرغون شاه فمات فى طريقه لدمشق ودفن بحلب سنة ٧٥٠هـ. راجع (المقريزى : السلوك ج٢ ق ٢ : ٧٤٧ وما بعدها ، ٨١٢ ، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة : ج١٠ / ٢٤٤ ، وله فى الصفدى : الوافى بالوفيات ج٨/ ٣٦١ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافى : ج١/ ١٠٩ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ج٤/ ٤٩٣) .

(٤) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٤ ـ ٦٥ .

: وبهذه المدينة نحو أربعين من أمراء الأتراك (١) ، وأميرها طينال الحاجب (٢) المعروف بملك الامراء ، ومسكنه منه بالدار المعروفة بدار السعادة (٣) ، ومن عوائده أن يركب فى كل يوم اثنين وخميس ، ويركب معه الأمراء والعساكر ، ويخرج الى ظاهر المدينة ، فاذا عاد اليها وقارب الوصول الى منزله ، ترجل الأمراء ونزلوا عن دوابهم ، ومشوا بين يديه حتى يدخل منزله ، وينصرفون وتضرب الطبلخانة (٤) عند دار كل أمير منهم بعد صلاة

---

(١) بها أمير واحد مقدم الف غير النائب ، القلقشندى : صبح الاعشى ج٤ / ٢٢٣

(٢) (فى رحلة ابن بطوطة : طيلان ص ٦٤ ، ٨١) وهو الامير سيف الدين طينال الحاجب ، ولى نيابة طرابلس ٣ مرات ، الأولى سنة ٧٢٦هـ بدلا من شهاب الدين قرطاى (المقريزى : السلوك ج٢ق١ / ٢٧٢ ابو الفداء : المختصر ج٤ / ٩٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج١٤ / ١٢٣) وفى سنة ٧٣٣هـ شكا تنكز نائب الشام الأمير طينال لترفعه عليه وخرق حرمته ، وأعراضه عما يكتبه فيه ، فعزل طينال وأستقر الامير قرطاى فى نيابة طرابلس ، ونقل طينال الى نيابة غزة اهانة له (السلوك : ج٢ق٢ / ٣٥٨) ثم أعيد الى نيابة طرابلس للمرة الثانية سنة ٧٣٥هـ عوضا عن الامير جمال الدين أقوش (السلوك ج٢ق٢ / ٣٧٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج١٤ / ١٧٠) وفى سنة ٧٤١ هـ استقر الامير سيف الدين ارقطاى فى نيابة طرابلس عوضا عن طينال وأقام طينال بدمشق (السلوك ج٢ق٢ / ٥٠٨) ثم أعيد الى نيابة طرابلس للمرة الثالثة سنة ٧٤٢هـ ثم نقل فى سنة ٧٤٣هـ الى نيابة صفد فى أيام المالك الصالح اسماعيل بن الناصر ومات بها فى ربيع الأول من نفس السنة (السلوك ج٢ق ٢ / ٥٩٦ ، ٦٣٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج٢ / ٢٣٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج١٠ / ١٠٣) .

(٣) وتعرف أيضا بدار النيابة ، وكانت تشغل جزءا من قلعة صنجيل ، حتى يتهيأ للنائب الاشراف منها على المدينة كلها ، (السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام : ص ٣٠٧) .

(٤) الطبلخانة : هى طبول متعددة معها أبواق وزمر تختلف اصواتها على ايقاع مخصوص : (القلقشندى : صبح الأعشى : ج٤ / ٨٠) .

المغرب من كل يوم ، وتوقد المشاعل (١) .

كما ذكر أيضا ابن بطوطة الأمير طينال مرة أخرى فى حديثه عن مدينة اللاذقية (٢) وقصته مع ابن المؤيد قائلا (٣) : " وقاضيها الفقيه الفاضل جلال الدين ابن عبد الحق المصرى المالكى فاضل تعلق بطينال ملك الأمراء فولاه قضاءها ، كان باللاذقية رجل يعرف بابن المؤيد هجّاء ، لايسلم أحد من لسانه ، متهم فى دينه مستخف ، يتكلم بالقبائح من الالحاد ، فعرضت له حاجة عند طينال ملك الأمراء ، فلم يقضها له ، فقصد مصر وتقول عليه أمورا شنيعة وعاد الى اللاذقية ، فكتب طينال الى القاضى جلال الدين أن يتحيل فى قتله بوجه شرعى ، فدعاه القاضى الى منزله وباحثه ، واستخرج كامن الحاده ، فتكلم بعظائم ، أيسرها يوجب القتل ، وقد أعد القاضى الشهود خلف الحجاب ، فكتبوا عقدا بمقاله ، وثبت عند القاضى ، وسجن وأعلم ملك الأمراء بقضيته ، ثم أخرج من السجن وخنق على بابه (٤) .

---

(١) هذا خاص بترتيب النيابة بطرابلس ، انظر (القلقشندى : صبح الأعشى ج٤ / ٢٣٤ ، المقريزى : السلوك : ج٢ق١ / ٤٠ حاشية ٢) .

(٢) اللاذقية سبق تعريفها انظر الباب الأول ص٥٤ ، حاشية ٩ وهى من أعظم النيابات التابعة لطرابلس أنظر (القلقشندى : المصدر السابق ج٤ / ١٤٥ ، السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام / ٣١١) .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٨١ — ٨٢ .

(٤) هذه القصة كانت أثناء نيابة الأمير سيف طينال الحاجب على طرابلس للمرة الثانية (فى الفترة من سنة ٧٣٥هـ — الى مطلع سنة ٧٤١هـ) ويدل على ذلك ما ذكره ابن الوردى فى حوادث سنة ٧٤٠هـ حيث قال : " وفيها فى المحرم بلغنا شنق المؤيد شرف الدين أبى بكر الواعظ المحتسب نائب الوكالة باللاذقية ، خافوا بطرابلس من طول لسانه واتصاله بأعيان المصريين ، وقامت عليه بينة بألفاظ تقتضى انحلال العقيدة ، فحملوا عبد العزيز المالكى قاضى القدموس على الحكم بقتله وشارك فى موافقته القاضى جلال الدين عبد الحق المالكى قاضى اللاذقية ، فتعصب القاضيان بجريرته وقاسيا شدائد" (تتمة المختصر ج٢ / ٤٦٣) .

ثم لم يلبث ملك الأمراء طينال (١) أن عزل عن طرابلس ، ووليها الحاج أرقطاى (٢) ، من كبار الأمراء وممن تقدمت له فيها الولاية (٣) ، وبينه وبين طينال عداوة فجعل يتتبع سقطاته وقام لديه أخوه ابن المؤيد شاكيين القاضى جلال الدين ، فأمر بـه وبالشهود الذين شهدوا على ابن المؤيد فأحضروا ، وأمر بخنقهم ، وأخرجوا الى ظاهر المدينة حيث يخنق الناس ، وأجلس كل واحد منهم تحت مختنقه ونزعت عمائمهم .

وقد كان من عادة أمراء تلك البلاد أنه متى أمر أحدهم بقتل أحد من الناس يمر الحاكم من مجلس الأمير سبغاً على فرسه الى حيث المأمور بقتله ، ثم يعود الى الأمير

---

(١) عزل طينال عن نيابة طرابلس فى محرم سنة ٧٤١هـ ، وأقام بدمشق اميرا بها واستقر مكانه الامير سيف الدين ارقطاى بن عبد الله المنصورى :(المقريزى : السلوك جـ٢ق٢/ ٥٠٨) .

(٢) فى رحلة ابن بطوطة (الحاج قرطيه) انظر الرحلة ص ٨١ ٠ أى أن الأمير سيف الدين ارقطاى بن عبد الله المنصورى ولى نيابة طرابلس ٧٤١هـ بعد عزل طينال عنها ، ولقبه الحاج من باب الشهرة ، وقد ولى نيابة حلب فى نهاية سنة ٧٤٨هـ. وقد ذكره ابن بطوطة فى حديثه عن زيارته لمدينة حلب للمرة الثانية سنة ٧٤٩هـ باسم الحاج رغطى (انظر الرحلة ص ٦٥١). راجع ترجمة الامير ارقطاى ص١٠٨ حاشية ٣ .

(٣) الامير ارقطاى لم يسبق له أن ولى نيابة طرابلس الا مرة واحدة فقط (انظر السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام ص ٣٢٠) فقد وقعت احداث هذه القصة أثناء غياب ابن بطوطة عن بلاد الشام حيث كان لا يزال فى الهند . ويبدو أنه قد سمع بها فى بلاد الشام عند عودته للشام فى الفترة ما بين سنة ٧٤٨هـ ، ٧٤٩هـ ، لذلك أشكلت عليه أسماء الأمراء فى هذه القصة ، واذا كان ابن بطوطة يقصد الامير شهاب الدين قرطاى الذى ولى نيابة طرابلس مرتين الأولى من سنة ٧١٦هـ الى ٧٢٦هـ والثانية من سنة ٧٣٣هـ وظل بها إلى أن توفى فى صفر سنة ٧٣٤هـ ، فهذا غير صحيح لأن حوادث هذه القصة وقعت بعد وفاته ، وفى أثناء توليه الأمير طينال الثانية على طرابلس ثم اكملت أثناء توليه الأمير ارقطاى سنة ٧٤١هـ .

فيكرر استئذانه ، ويفعل ذلك ثلاثا ، فاذا كان بعد الثلاث أنفذ الأمر ، فلما فعل الحاكم ذلك قامت الأمراء في المرة الثالثة وكشفوا رؤوسهم ، وقالوا : أيها الأمير هذه سبة في الاسلام يقتل القاضي والشهود ، فقبل الأمير شفاعتهم وخلى سبيلهم .

ومن نواب طرابلس الذين ذكرهم ابن بطوطة أيضا الأمير سيف الدين أسندمر الكرجي (ت ٧١١هـ) أي أن ابن بطوطة لم يكن معاصرا له حين زيارته لطرابلس ولكنه ذكره عرضا حينما تعرض لذكر حمامه قائلا (١) : " وكان أسندمر (٢) أمير هذه المدينة (يقصد طرابلس) " ويذكر عنه أخبار كثيرة في الشدة على أهل الجنايات منها : أن أمرأة شكت إليه أن أحد مماليكه الخواص تعدى عليها في لبن كانت تبيعه فشربه ،

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٥ .

(٢) في الرحلة (سندمور وهو تصحيف ص ٦٥) وفي شذرات الذهب : لابن العماد (أسندمر ج٦/ ٢٥) . وهو سيف الدين أسندمر الكرجي ولاه الملك الناصر محمد نيابة طرابلس بعد أن استرجع عرشه سنة ٦٩٨هـ مكافأة له على تآمره مع جماعة من المماليك خاصة لاجين على قتله ، وأعادة الناصر إلى السلطنة ، وظل بها إلى ٦٩٩هـ (السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام / ٣١٨) ثم وليها مرة ثانية سنة ٧٠١هـ وكان جبارا سفاكا للدماء شجاعا ، وكانت له سمعة ببلاد العدو ، وبلغت عدد مماليكه خمسمائة ، وكان أكولا ، وهو صاحب الحمام بطرابلس (ابن حجر : الدرر الكامنة ج١/ ٣٨٧) وظل نائبا بطرابلس إلى أن عاد الملك الناصر من الكرك سنة ٧٠٩هـ ، فرسم له نيابة حماه ثم انتزعها منه وأعطاها للملك المؤيد اسماعيل على كرة من أسندمر ، ثم رسم له نيابة حلب ، ثم قبض عليه في سنة ٧١١هـ وسجن بالكرك حيث توفي في نفس السنة انظر (الصفدي : الوافي بالوفيات : ج٩/ ٢٤٨) (أما ابن حجر فذكر مقتله في ذي القعدة سنة ٧٢١هـ) (له في ابو الفداء : المختصر ج٤/ ٥٨ — ٦٣ ابن تغري بردي : الدليل الشافي ج١/ ١٣٢) .

ولم تكن لها بينة ، فأمر به فوسط (١) ، فخرج اللبن من مصرانه ، وقد اتفق مثل هذه الحكاية للمتريس أحد أمراء الملك الناصر أيام امارته على عيذاب ، واتفق مثلها للملك كبك سلطان تركستان (٢) " .

و — المدن :—

يقول ابن بطوطة عن مدينة القدس (٣) : " وكان الملك الصالح صلاح الدين بن أيوب جزاه الله عن الاسلام خيرا ، لما فتح هذه المدينة هدم بعض سورها ، ثم استنقض الملك الظاهر (٤) هدمه خوفا من أن يقصدها الروم فيتمنعوا بها (٥) " .

---

(١) هو التوسيط بالسيف نصفين ، وهذا النوع من القتل كان شائعا فى مصر فى زمن المماليك وفى غيرها من بلاد الشرق . وطريقته أن يعرى المحكوم عليه من الثياب ثم يربط إلى خشبتين على شكل صليب ويطرح على ظهر جمل ، ثم يأتى السياف فيضرب المحكوم عليه بقوة ضربة تقسم الجسم نصفين فى وسطه ، على ابراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية : ٤٠٥ ، وفى سنة ٧٤١ هـ وسط بدمشق طقيه وجنغيه من أصحاب تنكز ، انظر (ابن الوردى : تتمة المختصر ج٤/ ٤٦٨) .

(٢) انظر رحلة ابن بطوطة : ص ٢٠٧ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٥٧ .

(٤) هو الظاهر ركن الدين ابو الفتح بيبرس البندقدارى الصالحى ، من أعظم ملوك دولة المماليك البحرية ، ويعتبر المؤسس الحقيقى لها ، تولى الحكم بعد قتل السلطان المظفر سيف الدين قطز سنة ٦٥٨هـ فى شهر ذى القعدة ، فتح فى عهده صفد ، وحصن الاكراد وانطاكية ، وله الكثير من الاعمال الجليلة فى الحجاز والشام ومصر ، توفى فى مدينة دمشق سنة ٦٧٦هـ ودفن هناك ، راجع (ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات ج١/ ٢٣٥ الصفدى : الوافى بالوفيات ج١٠/ ٣٢٩ ، ابو اليمن الحنبلى : الأنس الجليل ج٢/ ٨٦ ، ابو الفداء : المختصر ج٤/ ١٠) .

(٥) كان الفرنج قد قصدوا مدينة القدس فى سنة ٤٩٢هـ ودخلوها فى ٢٣ شعبان من نفس العام ، ثم استرجعها منهم صلاح الدين بن أيوب فى سنة ٥٨٣هـ ، وأحكم سورها وعمره وجوده [ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ج٣/ ١٢٩٦ (وراجع رشاد الامام : مدينة القدس فى العصر الوسيط ص ١٦٤)]
والصحيح أن هدم أسوار مدينة القدس تم على يد الملك " المعظم عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق فى سنة ٦١٦هـ " لما رأى من قوة الفرنج وتغلبهم على دمياط خشى أن يقصدوا القدس فلا يقدر على منعهم فخربها لذلك ، (ابو الفداء : المختصر ج٣/ ١٣٢ ، ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل ج١/ ٤٠٢ ، ابن كثير : البداية =

وعن مدينة طبرية يقول : " وكانت فيما مضى مدينة كبيرة ضخمة ، لم يبق منها الا رسوما تنبئ عن ضخامتها وعظم شأنها (٢) " (١) .

أما عن مدينتى عكا وصور فيقول عنهما : (٣) " ثم سافرت على الساحل فوصلت الى مدينة عكا وهى خراب ، وكانت عكا (٤) قاعدة بلاد الأفرنج بالشام ومرسى سفنهم وتشبه قسطنطينية العظمى ، ثم سافرت منها (٥) " يقصد عكا " الى مدينة صور ،

= والنهاية : ج١٣/٨٣ ، راجع رشاد الامام : مدينة القدس فى العصر الوسيط ص ٥١ — ٥٢) .

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٢ .

(٢) كانت طبرية قديما قاعدة الأردن ، ثم خربت عندما فتحها صلاح الدين بن أيوب عنوة بالسيف من الفرنج سنة ٥٨٣هـ وأخذ مافيها وأحرقها ، راجع (إبن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٩/١٧٧ ابو الفداء : تقويم البلدان ص ٨٤٣ ، ابو الفداء : المختصر ج٣/٧١) ويقول عنها القلقشندى : وطبرية مدينة خراب (صبح الأعشى ج٤/٨٣) .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٦١ — ٦٢ .

(٤) كانت مدينة عكا قديما فى غاية الحصانة ، ثم اصبحت بيد الافرنج سنة ٤٩٧هـ واستعادها منهم صلاح الدين بن أيوب سنة ٥٨٣هـ ، ثم أخذها الفرنج بعد ذلك فى سنة ٥٨٧هـ (ياقوت : معجم البلدان ج٤/١٤٤) وفى سنة ٦٩٠هـ فتحها الملك الاشرف بن المنصور قلاوون ، ونقض بيوتها وابراجها وقتل من بها من الافرنج . وكان ذلك من فتوح المسلمين العظيمة (ابن عبد الحق مراصد الاطلاع ج٢/٦٥٤) وكان ابو الفداء ممن شارك فى حصار وفتح مدينة عكا فى سنة ٦٩٠هـ ، وكان أمير عشره ، وقد قال عن فتحها : " ثم استنزل السلطان جميع من عصى بالابرجة ولم يتأخر منهم أحد ، فأمر بهم فضربت أعناقهم عن آخرهم حول عكا ثم أمر بمدينة عكا فهدمت إلى الأرض ودكت دكا (المختصر ج٤/٢٤ — ٢٥) (وراجع ابو اليمن الحنبلى : الأنس الجليل ج٢/٨٩ ، القلقشندى صبح الأعشى ج٤/١٥٢) .

(٥) لقد اقتبس ابن بطوطة من أبن جبير وصف مدينة عكا ، فعند زيارة ابن جبير لها سنة ٥٨٠هـ فى جمادى الثانية كانت عكا لا تزال بأيدى الصليبيين وعنها =

وهى خراب ، وبخارجها قرية معمورة ، وأكثر اهلها أرفاض(٢) ، ولقد نزلت بها مرة(١) على بعض المياة أريد الوضوء ، فأتى بعض أهل تلك القرية ليتوضأ ، فبدأ بغسل رجليه ثم غسل وجهه ، ولم يتمضمض ولا استنشق ، ثم مسح بعض رأسه ، فأخذت عليه فى فعله فقال لى : ان البناء انما يكون ابتداؤه من الأساس " . ومدينة صور(٣) هى التى يضرب بها المثل فى الحصانة والمنعة ، لأن البحر محيط بها من ثلاث جهاتها لها بابان أحدهما للبر والثانى للبحر ، ولبابها الذى يشرع للبر أربعة فصلات

= يقول : " هى قاعدة مدن الافرنج ، ومحط الجوارى المنشآت فى البحر كالاعلام مرفأ كل سفينة ، والشهبية فى عظمها بالقسطنطينية مجتمع السفن والرفاق ، وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الافاق " (رحلة ابن جبير ص ٢٩٣) .

(١) كان لفتح مدينة عكا على يد الملك الاشرف فى سنة ٦٩٠هـ ، أن ألقى الله الرعب فى قلوب الفرنج بساحل الشام فأخلوا صيدا وبيروت ، وكذلك هرب أهل مدينة صور ، فارسل الملك الاشرف وتسلمها ثم أمر بها فخربت عن آخرها (ابو الفداء : المصدر السابق جـ٤ / ٢٥ ، ابو اليمن الحنبلى : المصدر السابق جـ٢ / ٨٩) ويقول عنها القلقشندى (وهى خراب إلى الآن) صبح الاعشى جـ٤ / ١٥٣) .

(٢) هم الروافض الغلاه فى حب على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وبغض أبى بكر وعمر وعثمان وعائشة رضى الله عنهم . وسموا رافضة لأن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه امتنع من لعن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما (المقريزى : الخطط جـ٣ / ٢٩٢) ويقول عنهم القلقشندى : وسكان هذا العمل من الرافضة لا يشهدون جمعة ولا جماعة ، صبح الأعشى جـ٤ / ١٥٣ .

(٣) لقد اقتبس ابن بطوطة وصف مدينة صور من ابن جبير لأن المدينة كانت قد خربت قبل مجيئه إليها على يد الملك الاشرف سنة ٦٩٠هـ فابن جبير حينما زارها كانت لا تزال بأيدى الافرنج ، وكان من الأجدر على ابن بطوطة عدم ايراد هذا الوصف لمدينة كان قد تم هدمها وخرابها ، كما أشار هو إلى ذلك عند زيارته لها سنة ٧٢٦هـ بقوله : " وهى خراب " انظر رحلة ابن بطوطة ص ٦١ ، رحلة ابن جبير ص ٢٩٤ — ٢٩٥ .

كلها فى ستائر محيطة بالباب ،وأما الباب الذى للبحر فهو بين برجين عظيمين• وبناؤ ها ليس فى بلاد الدنيا أعجب ولا أغرب شأنا منه ، لأن البحر محيط بها من ثلاث جهاتها ، وعلى الجهة الرابعة سور تدخل السفن تحت السور وترسو هنالك •

وكان فيما تقدم بين البرجين سلسلة حديد معترضة ، لا سبيل الى الداخل هنالك ولا الى الخارج الا بعد حطها وكان عليها الحراس والأمناء ، فلا يدخل داخل ولا يخرج خارج الا على علم منهم •

وكان لعكا أيضا ميناء مثلها (١) ، ولكنها لم تكن تحمل الا السفن الصغار (٢) "•

أما عن مدينة طرابلس فيقول عنها ابن بطوطة (٣) : " وهى احدى قواعد الشام وبلدانها الفخام ، تخترقها الانهار وتحفها البساتين و الأشجار ، ويكتنفها البحر بمرافقة العميمة ، والبر بخيراته المقيمة ، ولها الاسواق العجيبة ، والمسارح الخصيبة ، والبحر على ميلين منها ، وهى حديثة البناء • وأما طرابلس القديمة فكانت على ضفة البحر (٤) ، وتملكها الروم زمانا (٥) ، فلما استرجعها الملك

(١) يقول القلقشندى نقلا عن الشريف الادريسى " وكان بها (يقصد عكا) مرسى يدخل اليه من تحت قنطرة عليها سلسلة تمنع المراكب من الدخول " راجع صبح الأعشى جـ٤ /١٥٣ ، رحلة ابن جبير ص ٢٩٥ •

(٢) ولعكا مثلها فى الوضع والصفة لكنها لا تحمل السفن الكبار حمل تلك (يقصد صور) وانما ترسى خارجها والمراكب الصغار تدخل اليها • رحلة ابن جبير/ ٢٩٥

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٤ •

(٤) كانت تعرف بالمنياشيه جزيرة يحيط بها البحر من ثلاث جهات وتبعد عن مدينة طرابلس المحدثة ثلاثة كيلو مترات ، وما زالت تؤلف حتى اليوم مركزا عمرانيا قائما بذاته ، ولكنه يعد حيا من احياء طرابلس بعد أن امتد العمران من طرابلس اليها (السيد عبد العزيز سالم: طرابلس الشام : ١٣) •

(٥) كان الفرنج قد استولوا على مدينة طرابلس فى شهر ذى الحجة سنة ٥٠٣ هـ ، ونهبوا ما فيها وأسروا الرجال وسبوا النساء والاطفال ، ونهبوا الأموال ، كما أن أهلها كانوا من أكثر أهل البلاد أموالا وتجارة ، (انظر ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ٨/ ٢٥٩ ، ابو الفداء : المختصر جـ٤/ ٢٣) •

الظاهر خربت ، واتخذت هذه الحديثة (١) (٢) .

كما مر ابن بطوطة على قنسرين (٣) فقال عنها : " وكانت مدينة قنسرين قديمة (٤) كبيرة ثم خربت ، ولم يبق إلا رسومها ".

وأما عن مدينة انطاكية (٥) فيقول : " وهى مدينة عظيمة أصيلة (٦) ، وكان عليها

---

(١) كان فتح طرابلس على يد الملك المنصور قلاوون سنة ٦٨٨هـ (وليس الملك الظاهر كما ذكر ابن بطوطة لأنه توفى سنة ٦٧٦هـ فى دمشق) بعد أن مضى عليها فى يد الافرنج ١٨٥ عاما ، وأعجز عن فتحها من مضى من الملوك (ملوك بنى أيوب) ومن بعدهم (القلقشندى : صبح الاعشى ج٤/١٧٤) وقد شاهد أبو الفداء حصار طرابلس وفتحها على يد الملك المنصور قلاوون فى ربيع الآخرة سنة ٦٨٨هـ حيث يقول : " وحصار طرابلس هو أيضا مما شاهدته وكنت حاضرا فيه مع والدى الملك الافضل وابن عمى الملك المظفر صاحب حماه ، ولما فرغ المسلمون من قتل أهل طرابلس ونهبهم أمر السلطان فهدمت ودكت الى الأرض (المختصر ج٤/٢٣) راجع (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٧/٣٢١ وما بعدها) .

(٢) وعن طرابلس الحديثة يقول القلقشندى : " وعمروا مدينة على نحو ميل منها وسموها باسمها وهى الموجودة الآن ولما بنيت هذه الجديدة وخيمة البقعة ذميمة السكن ، فلما طالت مدة سكنها وكثر بها الناس والدواب وصرفت المياه الأسنه التى كانت حولها وعملت البساتين ونصبت بها النصوب والغروس ، خف ثقلها وقل وخمها (صبح الأعشى /١٤٣) وكان الهدف من انشاء هذه المدينة الحديثة هو ازالة آثار مدينة الصليبيين وتجنب المدينة من الاضرار التى قد تصيبها من غارات الفرنجة الذين تكتلوا بعد ذلك فى عكا وقبرص (السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام : ٢٩٤) وراجع شيخ الربوه : نخبة الدهر / ٢٠٧ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٧٤ .

(٤) كانت قنسرين عامرة آهلة حتى سنة ٣٥١هـ ، عندما غلب الروم على حلب فخاف اهل قنسرين ،رحلوا عنها وتفرقوا فى البلاد (الباب الاول ص ٤٧ حاشية ٤) راجع ياقوت : معجم البلدان ج٤/٤٠٤ .

(٥) سبق تعريفها (انظر الباب الاول ص٤٧ حاشية ٥) وهى من الولايات الصغرى التابعة لنيابة حلب (القلقشندى ج٤/٢٢٠).

(٦) رحلة ابن بطوطة : ص ٧٤ .

سور محكم لا نظير له من أسوار بلاد الشام ، فلما فتحها الملك الظاهر هدم سورها"(١).

وعن مدينة جبلة يقول : " وأكثر أهل هذه السواحل(٢) هم الطائفة(٣) النصيرية(٤)، الذين يعتقدون أن علي بن أبي طالب إله ، وهم لا يصلون ولا يتطهرون ولا يصومون. وكان الملك الظاهر ألزمهم بناء المساجد بقراهم ، فبنوا بكل قرية مسجدا بعيدا عن العمارة ولا يدخلونه ولا يعمرونه ، وربما أوت اليه مواشيهم ودوابهم ، وربما وصل الغريب اليهم فينزل بالمسجد ويؤدي الصلاة ، فيقولون له : لا تنهق علفك يأتيك وعددهم كثير .

---

(١) كان الفرنج قد استولوا على انطاكية سنة ٤٩١هـ (ياقوت : معجم البلدان ج١ / ٢٦٩ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج٤ / ١٧٨) وتم فتحها على أيدي الملك الظاهر بيبرس في رمضان سنة ٦٦٦هـ (ابو الفداء : المختصر ج٤ / ٤ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ / ٣١٣ ، ابو اليمن الحنبلي : الانس الجليل ج ٢ / ٨٦) . اما عن هدم الملك الظاهر لسور انطاكية فلم يشر المؤرخون إلى ذلك ، اذ أن ابو الفداء أشار إلى سورها بقوله : " وهي بلدة كبيرة ذات أعين وسور عظيم داخله خمس أجبل وقلعة (تقويم البلدان / ٢٥٧) وكذلك ابن عبد الحق البغدادي المتوفى سنة ٧٣٩هـ. قال : " ولسورها ثلاثمائة وستون برجا ، وله خمسة ابواب إلى السور (مراصد الاطلاع : ج١ / ١٢٤) .

(٢) سبق تعريفها (انظر الباب الاول ص ٤٧ حاشية ٧) وهي من الولايات الصغرى التابعة لنيابة طرابلس (انظر القلقشندي : صبح الاعشى ج٤ / ١٤٨ و ٢٣٦) .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٧٩ — ٨٠ .

(٤) النصيرية : فرقة من غلاة الشيعة ، ينتسبون إلى مؤسسها محمد بن نصير النميري العبدي ، وقد عرفت أيضا بالنميرية (المقريزي: السلوك ج٢ق٢ / ١٧٨ حاشية ٦ ، الذهبي : دول الاسلام : ج٢ / ٢٢٤ حاشية ٢) راجع : (القلقشندي : صبح الاعشى ج٤ / ٢٥٠ ، السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام : ٣٠٩) .

قصة ظهور المهدي الضال :ـ

وعن طائفة النصيرية بأرض جبلة ذكر لنا ابن بطوطة قصة ظهور المهدى الضال قائلا : " ذكر لى أن رجلا مجهولا وقع ببلاد هذه الطائفة فادعى الهداية [1] [2]، وتكاثروا عليه فوعدهم بتملك البلاد ، وقسم بينهم بلاد الشام ، وكان يعين لهم البلاد ويأمرهم بالخروج إليها ، ويعطيهم من ورق الزيتون ، ويقول لهم : " استظهروا بها فإنها كالأوامر لكم " ، فاذا خرج أحدهم الى بلد أحضره أميرها فيقول له :ان الامام المهدى أعطانى هذا البلد ، فيقول له : أين الأمر ؟ فيخرج ورق الزيتون ، فيضرب ويحبس ، ثم انه أمرهم بالتجهز لقتال المسلمين وأن يبدأوا بمدينة جبلة ، وأمرهم أن يأخذوا عوض السيوف قضبان الآس ، ووعدهم أنها تصير فى أيديهم سيوفا عند القتال ، فغدروا بمدينة جبلة وأهلها فى صلاة الجمعة [3]، فدخلوا الدور وهتكوا

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٨٠ .

(٢) ان قصة ظهور المهدى الضال بأرض جبلة كانت قبل رحلة ابن بطوطة إلى بلاد الشام بحوالى ٩ سنوات لهذا تناقلها سماعا من عامة الناس أثناء مروره بجبلة سنة ٧٢٦هـ ، وكان ظهوره فى السابع من ذى القعدة سنة ٧١٧ هـ .
اذ ظهر رجل من أهل قرية تسمى (قرطياوس) من أعمال جبلة زعم أنه محمد بن الحسن المهدى وأنه بينما هو قائم يحرث اذ جاءه طائر أبيض فنقب جنبه وأخرج روحه وأدخل فى جسده روح محمد بن الحسن ، فاجتمع عليه من النصيرية القائلين بإلهية على بن ابى طالب نحو الخمسة آلاف وأمرهم بالسجود له فسجدوا ، وأباح لهم الخمر وترك الصلوات ، وصرح بأن لا اله الا على "..الخ (انظر المقريزى : السلوك ج٢ق١/١٧٤) .

(٣) كان ذلك فى يوم الجمعة ٢٠ من ذى القعدة سنة ٧١٧هـ (المقريزى: السلوك ج ٢ق١/١٧٤) حيث قتلوا خلقا من أهلها ، وخرجوا منها يقولون لا اله الا على ، وسبوا الشيخين ،وصاح أهل البلد : وإسلاماه واسلطاناه ، فلم يكن لهم يومئذ ناصر ولا منجد ، وجعلوا يبكون ويتضرعون إلى الله عز وجل . كما أمر أصحابه بخراب المساجد واتخاذها خمارات ، وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين : قل لا اله إلا على واسجد لإلهك المهدى ، الذى يحيى ويميت =

الحريم ، وثار المسلمون من مسجدهم فأخذوا السلاح وقتلوهم كيف شاؤوا ، واتصل الخبر باللاذقية فأقبل أميرها بهادر عبد الله بعساكره (١) ، وطيرت الحمام الى طرابلس ، فأتى أمير الأمراء بعساكره (٢) ، واتبعوهم حتى قتلوا منهم نحو عشرين ألفا ، وتحصن الباقون بالجبال وراسلوا ملك الأمراء ، والتزموا أن يعطوه دينارا عن كل رأس ان هو حاول ابقاءهم .

= حتى يحقن دمك ويكتب لك فرمان . (بتصرف : ابن كثير: البداية والنهاية ج١٤/٨٣ وعن خروج المهدى انظر أيضا (ابو الفداء : المختصر ج ٤ /٨٣ ، اليافعى : مرآة الجنان ج٤/٢٥٦ — ٢٥٧).

(١) وردت أسماء عديدة باسم بهادر بن عبد الله ، ولكن لم تشر إلى تولى أحد من هؤلاء لنيابة اللاذقية ، (انظر ابن حجر: الدرر الكامنة ج١/٤٩٥ وما بعدها الصفدى : الوافى بالوفيات ج٩/٢٩٩ وما بعدها ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ج١/١٩٩ وما بعدها) .

(٢) أمير الأمراء هو نائب طرابلس (الامير شهاب الدين قرطاى بن عبد الله الاشرفى الحاجب) ولى نيابة طرابلس مرتين فى عهد الملك الناصر محمد ، الأولى من سنة ٧١٦هـ واستمر بها إلى سنة ٧٢٦هـ ، ووليها عوضا عنه الامير سيف الدين طينال ، ثم أعيد إلى نيابة طرابلس للمرة الثانية سنة ٧٣٣هـ وظل بها إلى أن توفى فى صفر سنة ٧٣٤هـ (المقريزى: السلوك ج٢ ق٢/٣٧٦ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣/٢٤٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٩/٣٠٤) . وكان الأمير شهاب الدين قرطاى قد أرسل الى المهدى الضال بجبلة الأمير (بيليك العثمانى المنصورى) على ألف فارس ، فقاتلهم إلى أن قتل الداعى . وكانت مدة خروجه إلى قتله خمسة أيام (المقريزى : السلوك ج٢ق١/١٧٥) والامير بيليك العثمانى المنصورى كان واليا على القاهرة ، ثم أصبح من جملة أمراء طرابلس وظل بها إلى أن توفى فى سنة ٧٣٩ هـ(المقريزى : السلوك ج٢ ق ٢ : ٤٧١)، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٩ / ٣٢١ .

وكان الخبر قد طيره الحمام الى الملك الناصر وصد رجوابه أن يحمل عليهم بالسيف ، فراجعه ملك الأمراء وألقى اليه أنهم عمال المسلمين فى حراثة الأرض ، وأنهم ان قتلوا ضعف المسلمون لذلك ، فأمر بالابقاء عليهم .

ز — القلاع والحصون والثغور :—

مر ابن بطوطة على عدد من القلاع والحصون والثغور خلال تجوله بأرض الشام فى رحلته الأولى عام ٧٢٦هـ (١) ، فعن قلعة حلب (٢) يقول : " وقلعة حلب تسمى الشهباء (٣) ، وبداخلها جبان (٤) ينبع منها الماء فلا تخاف الظمأ ، ويطيف بها سوران ، وعليها خندق عظيم ينبع منه الماء ، وسورها متدانى الأبراج (٥) ، وقد انتظمت بها العلالى العجيبة ، المفتحة الطيقان ، وكل برج منها مسكون ، والطعام لا يتغير بهذه القلعة على طول العهد وبها مشهد يقصده بعض الناس ، يقال ان الخليل عليه السلام كان يتعبد به (٦) .

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) وعن قلعة حلب يقول ياقوت : " واما قلعتها فيها يضرب المثل فى الحسن والحصانة لأن المدينة في وطأ من الأرض ، وفى وسط ذلك الوطء جبل عال مدور صحيح التدوير مهندم بتراب صح به تدويره ، والقلعة مبنية فى رأسه ، (معجم البلدان : جـ٢/٢٨٥) .

(٣) تسمى بالشهباء لبياض فى حجرها ، (شيخ الربوه : نخبة الدهر : ٢٠٢) .

(٤) اقتبس ابن بطوطة وصف قلعة حلب من ابن جبير ، ومع ذلك عن طريق التقديم والتأخير، فعن ماء هذه القلعة قال ابن جبير (ومن كمال خلالها المشترط فى حصانة القلاع ، أن الماء بها نابع ، وقد صنع عليه جبان ، منهما ينبعان ماء فلا تخاف الظمأ ابد الدهر) الرحلة ص ٢٣٩ .

(٥) وسورها الاعلى كله ابراج منتظمة ، رحلة ابن جبير ص ٢٣٩ .

(٦) آى بها مقام ابراهيم الخليل عليه السلام ، انظر (ابن عبد الحق البغدادى : مراصد الاطلاع : جـ١/٤١٧) .

وهذه القلعة تشبه قلعة رحبة مالك بن طوق (١) التى على الفرات بين الشام والعراق .

ولما قصد قازان (٢) طاغية التتر مدينة حلب حاصر هذه القلعة أياما ، ونكص عنها خائبا (٣) .

---

(١) كان ابن بطوطة قد مر على الرحبة فى عودته إلى مدينة دمشق عام ٧٤٨ هـ لكنه لم يشر إلى قلعتها (انظر الرحلة ص ٦٥٠) وهذه الرحبة أحدثها مالك بن طوق بن عتاب التغلبى فى خلافة المأمون ، بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات (ياقوت : معجم البلدان جـ١/٣٤) ثم خربت الرحبة فأستحدث شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادى ، صاحب حمص ، من جنوبها الرحبة الجديدة ، على نحو فرسخ من الفرات ، وهى بلدة صغيرة ولها قلعة على تل تراب ، وهى اليوم محط القوافل من الفرات والشام ، وهى احدى الثغور الاسلامية فى زماننا (القلقشندى : صبح الأعشى جـ٤/١١٥) .

(٢) قازن وقيل غازان وكلاهما يصح معناه (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٨/٢١٢) وهو ابن أرغون بن أبغا بن هولاكو ، تولى الملك فى أواخر سنة ٦٩٤هـ ، وكانت بينه وبين الملك الناصر محمد بن قلاوون وقعات بحمص وغيرها ، وآخرها موقعة مرج الصفر قرب دمشق سنة ٧٠٢هـ ، والتى هزم فيها قازان ، وقد توفى ببلاد قزوين سنة ٧٠٣هـ ، راجع (ابو الفداء : المختصر جـ٤/٥٠ ، بن تغرى بردى : الدليل الشافى جـ٢/٥١٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ٤/٤٢ ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٣/٢١٢ ، وفيها كان جلوسه على تخت الملك سنة ٦٩٣هـ) .

(٣) هذا غير صحيح فقد كان حصار قازان لقلعة دمشق ، ففى سنة ٦٩٩هـ استولى قازان على مدينة دمشق ، وعصت عليه قلعتها فحاصرها قازان ، وكان النائب بها الأمير سيف الدين ارجواش المنصورى . فقام فى حفظها أتم قيام ، وصبر على الحصار ولم يسلمها ، وأحرق الدور التى حوالى القلعة والمدارس فأحترقت دار السعادة التى كانت مقر نواب السلطنة ، وغيرها من الأماكن الجليلة . وفى سنة ٧٠٠هـ وصل قازان إلى مدينة حلب ، فأرسل الله على =

هذا وقد مر ابن بطوطة بالعديد من الحصون فى طريقه الى دمشق بعد زيارته لأنطاكية عام ٧٢٦هـ ووصف ذلك قائلا (١) : " ثم سافرت الى حصن بغراس (٢) ، وهو حصن منيع لايرام، عليه البساتين والمزارع ، ومنه يدخل الى بلاد سيس (٣) ، وهى بلاد كفار الأرض ، وهم رعية للملك الناصر ، يؤدون اليه مالا ، ودراهمهم فضة خالصة تعرف بالبغلية (٤) ، وأمير هذا الحصن هو صارم الدين بن الشيبانى ، وله ولد فاضل

= قازان وعساكره الامطار والثلوج فهلك منهم عالما كثيرا ، ورجع قازان بعساكره إلى بلادهم : (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٨/١٢٥ و ١٢٢ ، ابو الفداء : المختصر جـ٤/٤٣ ، ٤٥) .

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٧٤ .

(٢) سبق تعريفه ، وبغراس من النيابات الصغرى التابعة لنيابة حلب داخل حدود بلاد الشام ، (انظر الباب الأول ص ٤٧ حاشية ٦).

(٣) سيس (SeiS) بين انطاكية وطرسوس (ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع جـ ٢ / ٧٦٦)وهى بلدة كبيرة ذات قلعة بأسوار ثلاثة على جبل مستطيل ، ولها بساتين ونهر صغير ، وهى بلدة ملك الأرمن وقاعدة ملكه فى زماننا (ابو الفداء : تقويم البلدان : ٢٥٦)وقد فتحت سيس وسائر بلاد الأرمن على يد خشتمر المنصورى نائب حلب سنة ٧٧٦هـ فى عهد السلطان الملك الأشرف شعبان ابن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون (القلقشندى : صبح الأعشى جـ٤/ ١٧٩) وهى من النيابات الصغرى التابعة لنيابة حلب خارج حدود البلاد الشامية (انظر القلقشندى : المصدر السابق جـ٤ / ٢٢٩) وعن علاقة المماليك بالأرمن راجع بالتفصيل :

محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون : ص ٢٣٤ — ٢٣١ .

على ابراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية : ص ١٦٩ — ١٧٢ .

(٤) الدراهم البغلية : هى الدراهم الكبار التى أطلق عليها السود الوقية لاستيفائها الوزن الاساسى للدرهم ، كما أطلق عليها الدراهم الكسروية وسميت بالدراهم البغلية نسبة إلى رجل يهودى كان يضربها فى فارس يسمى (بغل)وهى على أية حال دراهم أجنبية ، راجع (ناصر السيد النقشبندى : الدرهم الاسلامى المضروب على الطراز الساسانى جـ١/ ٣ ، د /ابراهيم =

اسمه علاء الدين ، وابن أخ اسمه حسام الدين فاضل كريم يسكن الموضع المعـروف بالرصص (١) ويحفظ الطريق الى بلاد الأرمن .

وعن الأرمن فى بلاد سيس قص لنا ابن بطوطة ما حدث بينهم وبين الأمير حسام الدين فقال (٢) : " شكا الأرمن مرة الى الملك الناصر من الأمير حسام الدين ، وزوروا عليه أمورا لا تليق به ، فنفذ أمره لأمير الأمراء بحلب أن يخنقه . فلما توجه الأمير بلغ ذلك صديقا له من كبار الأمراء ، فدخل على الملك الناصر وقال : يا خونداان ، الأمير حسام الدين هو من خيار الأمراء ينصح للمسلمين ، ويحفظ الطريق ، وهو من الشجعان والأرمن يريدون الفساد فى بلاد المسلمين ، فيمنعهم ويقهرهم ، وانما أرادوا اضعاف شوكة المسلمين بقتله . ولم يزل ٍحتى أنفذ أمرا ثانيا بسراحه ، والخلع عليه ، ورده لموضعه . ودعا الملك الناصر بريديا يعرف بالأقوش ، وكان لا يبعث الا فى مهم ، أمره بالاسراع والجد فى السير ، فسار من مصر الى حلب فى خمس ، وهى مسيرة شهر ، فوجد أمير حلب قد أحضر حسام الدين وأخرجه الى الموضع الذى يخنق الناس به ، فخلصه الله تعالى وعاد الى موضعه . ولقيت هذا الأمير ومعه قاضى بغراس شرف الدين الحموى بموضع يقال له العمق (٣) ، متوسط بين انطاكية وتيزين وبغراس (٤) ، ينزله التركمان بمواشيهم لخصبته وسعته .

ثم سافرت الى حصن القصير (٥) ، تصغير قصر ، وهو حصن حسن ، أميره علاء الدين

= على طرخان : النظم الاقطاعية فى الشرق الاوسط فى العصور الوسطى : ٢٤ه .

(١) بلدة على الساحل وهى من ثغور بلاد الأرمن (القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٤ ١٢٣) .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٧٥ .

(٣) العمق كورة بنواحى حلب بالشام ، ياقوت : معجم البلدان جـ٤/١٥٦ .

(٤) سبق تعريفها انظر (الباب الأول ص ٤٧ حاشية ٢) .

(٥) القصـير : سبق تعريفها فى الباب الأول ص ٤٦ حاشية ١ .

الكردى . ثم سافرت الى حصن الشغربكاس (١) ، وهو منيع فى رأس شاهق ، أميره سيف الدين الطنطاش فاضل . ثم سافرت الى مدينة صهيون (٢) ، ولها قلعة جيدة ، وأميرها يعرف بالابراهيمى ، ومن صهيون مر ابن بطوطة ، بحصون طائفة الاسماعيلية ، وهى حصن (القدموس وحصن المنيقه ، والعليقه ، ومصياف ، وحصن الكهف) (٣) .

بعد أن أتم ابن بطوطة زيارته لمدينة اللاذقية ، مر بحصن المرقب (٤) فوصفه قائلا (٥) : " وهو من الحصون العظيمة يماثل حصن الكرك ، ومبناه على جبل شامخ وخارجه ربض ينزله الغرباء ، ولا يدخلون قلعته و افتتحه من أيدى الروم الملك المنصور قلاوون (٦) ، وعليه ولد ابنه الملك الناصر (٧) . كما زار ابن بطوطة ثغر

---

(١) الشغربكاس : قلعتين متجاورتين بينهما واد كالخندق قرب انطاكية . (ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ج٢/٨٠٣).

(٢) صهيون : سبق تعريفها (الباب الأول ص ٤٧ حاشية ٩) وقد تم فتحها فى عهد الظاهر بيبرس سنة ٦٦٦هـ (القلقشندى : صبح الأعشى ج٤ / ١٧٨).

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٧٦ . وقد سبق تعريف هذه الحصون انظر الباب الأول ص ٤٨ حاشية ١ الى ٥ .

(٤) المرقب : سبق تعريفه (انظر الباب الأول ص ٤٨ حاشية ٧) ويقول ياقوت: "وفى سنة ٤٥٤هـ عمر المسلمون الحصن المعروف بالمرقب بساحل جبلة وهو حصن يحدث كل من رآه أنه لم ير مثله (معجم البلدان : ج٥ / ١٠٨) .

(٥) رحلة ابن بطوطة : ص ٨٢ .

(٦) تم فتح حصن المرقب على يد الملك المنصور سيف الدين قلاوون بالأمان فى يوم الجمعة ١٩ ربيع الأول سنة ٦٨٤هـ وكان ابو الفداء ممن حضر حصار هذا الحصن فقال : أننى حضرت حصار الحصن المذكور وعمرى اذ ذاك اثنتى عشر سنة وهو أول قتال رأيته وكنت مع والدى (ابو الفداء : المختصر ج٤ / ٢١) راجع ابو اليمن : الأنس الجليل ج٢ / ٨٨ .

(٧) وردت البشائر بمولد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أبيه الملك المنصور عند نزوله على بحيرة حمص عند عودته من فتح المرقب . (ابو الفداء : المختصر ج٤ / ٢١) .

عسقلان بعد زيارته للقدس الشريف فقال : " ثم سافرت من القدس الشريف برسم زيارة (١) (٢)
ثغر عسقلان ، وهو خراب قد عاد رسوما طامسة وأطلالا دارسة ، وقل بلد جمع من (٣)
المحاسن ما جمعته عسقلان اتقانا وحسن وضع وأصالة مكان وجمعا بين مرافق
البر والبحر " .

ثانيا — الأحوال الاقتصادية لبلاد الشام فى القرن الثامن الهجرى من رحلة ابن بطوطة :—

ان ما ذكره ابن بطوطة عن الأحوال الاقتصادية لبلاد الشام فى ذلك العصر ، تدل على أنها كانت فترة ازدهار ، وكانت حسب الميزان الاقتصادى فى صالح بلاد الشام ، اذ نشطت كل من الزراعة والتجارة والصناعة . وأصبح الفائض من الحاصلات الزراعية والصناعية المختلفة يصدر الى البلاد المجاورة وخاصة مصر . وقد شاهد ابن بطوطة الأسواق العامرة والزاخرة بمختلف أنواع المنتجات المحلية ، التى لم تكن تقتصر على المدن الكبرى كمدينة دمشق وحلب ، بل تعدتها الى المدن

(١) الثغر : كل موضع قريب من أرض العدو ياقوت : معجم البلدان : ج٢/ ٧٩
وعسقلان سبق تعريفها (الباب الأول ص ٤٥ حاشية رقم ٥)

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٥٩ — ٦٠ .

(٣) كانت عسقلان عامرة حتى استولى عليها الفرنج فى جمادى الثانية سنة ٥٤٨هـ ثم استعادها منهم صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٨٣هـ ، (ياقوت : المصدر السابق : ج٤/ ١٢٢ ، القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٢٢)
ثم خربها صلاح الدين فى شعبان سنة ٥٨٧هـ عندما نزل الفرنج بيافا . وهى بين القدس وعسقلان ، فخاف من استيلائهم عليها وأن يحصل لها ما حصل لعكا فنقض أسوارها وهدم منازلها وكانت من أحسن المدن وأظرفها فصارت خرابا وحصل لأهلها مشقة زائدة بهدمها وباعوا أمتعتهم بأبخس الاثمان وتشتتوا فى البلاد (ابى الفداء : المختصر ج٣/ ٧٩ ، ابو اليمن الحنبلى : الأنس الجليل ج١/ ٣٨٠) راجع بالتفصيل ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٩/ ٢١٦ ، ابو شامة المقدسى : الروضتين فى أخبار الدولتين ج٢/ ١٩٢ =

الصغرى والقرى التى كانت تحيط بها • وهذا دليل واضح على ازدياد القوة الشرائية لدى سكان بلاد الشام ، سواء أكان من سكان المدن أو القرى • وقد تخصصت بعض المدن فى صناعات معينة صارت تشتهر بها ، وتصدرها الى الخارج وهذا بالطبع ينعكس أثره على سكان بلاد الشام ، فى مظاهر الرخاء والترف ، وتدل على تمكن أهلها من العمل فى الميادين المختلفة ، الفكرية والعلمية والعملية ويتضح ذلك من خلال وصف ابن بطوطة فى المجالات الاقتصادية المختلفة حسبما نرى •

أ ـ الزراعـــة :ـ

من المعروف عن بلاد الشام أنها ذات أرض زراعية خصبة ، وذلك بسبب كثرة جريان الأنهار بها ، كنهر العاصى (١) ، ونهر قويق (٢) ، ونهر بردى (٣) ، ونهر الساجور (٤) بالاضافة الى مرور بعض الأنهار بأجزاء منها كنهر الفرات • لذلك كان من الطبيعى

= ويقول ابو اليمن الحنبلى : واستمرت إلى يومنا لم تعمر : المصدر السابق ج٢ / ٧٤ •

(١) العاصى : اسم نهر حماه وحمص ويعرف بالمياس ، مخرجه من بحيرة قدس ، يصب إلى البحر المتوسط قرب انطاكية ، وسمى بالعاص لأن أكثر الأنهار تتوجه للجنوب ، وهو يتوجه إلى الشمال ، راجع ، (ياقوت : معجم البلدان : ج ٤ / ٦٧ ، ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ج٢ / ٩١ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج٤ / ٨٠) •

(٢) قويق : نهر مدينة حلب• راجع (ياقوت : معجم البلدان ج٤ / ٤١٧ ، ابن عبد الحق : المصدر السابق ج٣ / ١١٣٥ ، ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار ج١ / ٨٠ •

(٣) بردى : نهر مدينة دمشق ، يخرج من عين فى صحراء الزبدانى بين بعلبك ودمشق ، ثم يمده نهر يخرج من مكان يعرف بالفيجه ، وينقسم إلى سبعة أنهر ، أربعة غربية واثنان شرقية ، وهو يعم دورها وبساتينها ويسقى بعض قراها ومزارعها • (القلقشندى : المصدر السابق ج٤ / ٩٥ ، العمرى : المصدر السابق ج١ / ٨١ ، شيخ الربوه : نخبة الدهر / ١٩٤) •

(٤) الساجور : نهر مستحدث فى مدينة حلب ، ساقه اليها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وتم ايصاله إلى حلب عام ٧٣١هـ أيام نيابة أرغون الدوادار على حلب =

أن تتنوع فيها الحاصلات الزراعية من مدينة الى أخرى • وقد ذكر ابن ابن بطوطة بعضا من هذه الحاصلات الزراعية أثناء تجواله بأرض الشام ، ومنها زراعة الزيتون في كل من نابلس وسرمين (١) (٢) ، والفواكه المختلفة في كل من مدينة صيدا (٣) وبيروت وقرية الزبداني (٤) ، كما تتميز مدينة حماه بمشمشها اللوزى • وقال في ذلك : " اذا كسرت نواته وجدت في داخلها لوزة حلوة " (٥) • وتشتهر نابلس بالبطيخ المنسوب اليها (٦) ، وزراعة التين والزبيب في مدينة صيدا (٧) ، والفستق والتين في المعرة (٨) ، أما مدينة بعلبك ففيها يزرع حب الملوك ماليس في سواها (٩) •

وعلى الرغم من هذه الحاصلات الزراعية البسيطة التي ذكرها ابن بطوطة عن بلاد الشام ، الا أنه وصف لنا جمال الطبيعة الخلابة ، المتمثلة في كثرة البساتين

= راجع ابن كثير : البداية والنهاية ج١٤/ ١٥٢ ، القلقشندى : المصدر السابق ج٤/ ١١٧ ، العمرى : المصدر السابق ج١/ ٨٠ •

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٠ ، ٦٧ •

(٢) المصدر السابق ص ٦٢ •

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٨٣ والزبدانى كوره مشهورة بين دمشق وبعلبك ومنها يخرج نهر دمشق (بردى) • ياقوت : معجم البلدان ج٣/ ١٣٠ ، ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ج٢/ ٦٥٧ •

(٤) (رحلة ابن بطوطة : ص ٦٦) وعن مشمشها يقول شيخ الربوه : " وبها المشمش الكافورى اللوزى الذى لم ير في سائر الافاق مثله أصلا " نخبة الدهر ص ٢٠٦ •

(٥) (رحلة ابن بطوطة : ص ٦١) هو البطيخ الاصفر الزائد الحلاوة على جميع بطيخ الارض (شيخ الربوه : المصدر السابق : ص ٢٠٠) •

(٦) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٢ •

(٧) (رحلة ابن بطوطة : ص ٦٧) وغالب شجر المعره الفستق واللوز والمشمش والزيتون والرمان وكثير من الفواكه وسائرها يشرب من ماء السماء (شيخ الربوه : المصدر السابق : ٢٠٥) •

(٨) حب الملوك (الكرز) : رحلة ابن بطوطة (تحقيق المنتصر الكتانى)ص ١٠٠ حاشية ١ •

(٩) رحلة ابن بطوطة : ص ٨٣ •

والحدائق ، التى كانت تحيط ،بالمدن الكبرى ، كمدينة دمشق وحلب . هذا بالاضافة الى القرى والحصون ، والتى تكشف لنا ما كانت تنعم به بلاد الشام من الرخاء والنعيم ، فهى بلد زراعى فى المقام الأول ، وهذا الوصف يختلف من مدينة الى أخرى ، ومن قرية الى أخرى .

فقال فى وصف مدينة طرابلس (١) : " تخترقها الأنهار (٢) وتحفها البساتين ، والأشجار ويكتنفها البحر بمرافقة العميمة ، والبر بخيراته المقيمة ، ولها المسارح الخصيبة " .

كما وصف نابلس بأنها كثيرة الأشجار مطردة الأنهار (٣) . أما حمص فقال عنها (٤) : " مدينة مليحة ، أرجاؤها مونقة ، وأشجارها مورقة ، وأنهارها متدفقة " . وقال عن مدينة حماة (٥) : " هى احدى أمهات الشام الرفيعة وحدائقها البديعة ، ذات الحسن الرائق ، والجمال الفائق ، تحفها البساتين والجنات ، عليها النواعير (٦) كالأفلاك الدائرات ، يشقها النهر العظيم المسمى بالعاص " (٧) . وسرمين كثيرة البساتين . أما مدينة حلب فيصف ابن بطوطة خارجها قائلا (٨) : " وأما خارج المدينة فهو بسيط أفيح عريض ، به المزارع العظيمة ، وشجرات الأعناب منتظمة به ، والبساتين على شاطئ نهرها ، وهو النهر الذى يمر بحماه ، ويسمى العاص (٩) ، وقيل انه سمى بذلك لأنه يخيل

(١) المصدر السابق : ص ٦٤ .

(٢) يخترق طرابلس نهر قاديشا ، الذى يعرف فى الوقت الحاضر باسم نهر أبى على : السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام ص ١٠ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٠ (٤) المصدر السابق : ص ٦٥

(٥) المصدر السابق : ص ٦٦

(٦) (وعن النواعير يقول شيخ الربوه : " وعلى العاص نواعير كبار التى لم ير فى الأفاق مثلهن ، يحملن من العاص أنهارا من الماء يسقون به البساتين والأماكن انظر نخبة الدهر ص ٢٠٦) راجع : ابو الفداء : تقويم البلدان : ٢٦٣ .

(٧) (رحلة ابن بطوطة : ص ٦٧) وسرمين سبق تعريفها انظر الباب الاول ص ٤٧ حاشية ١

(٨) المصدر السابق : ص ٧٠

(٩) هذا خطأ فنهر العاص لا يمر بحلب ، ونهر حلب القويق راجع : ص ١٢٧ حاشية رقم ٢ .

لناظره أن جريانه من أسفل الى علو . والنفس تجد خارج مدينة حلب انشراحا وسرورا ونشاطا لا يكون فى سواها ، وهى من المدن التى تصلح للخلافة" (١) .

ومدينة انطاكية كثيرة العمارة ، ودورها حسنة البناء ، كثيرة الأشجار والمياه ، وبخارجها نهر العاص (٢) . وصهيون مدينة حسنة بها الأنهار المطردة ، والأشجار المورقة (٣) . وقال عن مدينة جبلة : " وهى ذات أنهار مطردة وأشجار البحر على نحو ميل منها " (٤) . ومدينة بعلبك حسنة قديمة من أطيب مدن الشام تحدّق بها (تحيط) البساتين الشريفة ، والجنات المنيفة ، وتخترق أرضها الأنهار الجارية ، وتضاهى دمشق فى خيراتها المتناهية . وعن جمال الطبيعة بها أضاف ابن بطوطة : " وأما الرفاق فيخرجون من بعلبك فيبيتون ببلدة صغيرة ، تعرف بالزبدانى ، كثيرة الفواكه ويغدون منها الى دمشق " (٥) . وحصن بخراس عليه البساتين والمزارع (٦) ، وحصن الاكراد كثير الأشجار والأنهار (٧) . والجبل الأقرع ، وهو أعلى جبل بالشام وأول ما يظهر منها من البحر ، وفيه العيون والأنهار (٨) . وجبل لبنان وهو من أخصب جبال الدنيا ، فيه أصناف الفواكه وعيون الماء والظلال الوافرة (٩) .

---

(١) وأمرها فى الاحتفال عظيم ، فهى بلد تليق بالخلافة . رحلة ابن جبير/ ٢٤١ .

(٢) (رحلة ابن بطوطة ص ٧٤) ويمر نهر العاص على سور انطاكية ، ثم يتجه جنوبا بغروب حتى يصب فى البحر المتوسط عند السويدية . راجع : القلقشندى : صبح الاعشى ج٤/٨٠ ، شيخ الربوه : نخبة الدهر : ٢٠٦

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٧٥ .

(٤) المصدر السابق : ص ٧٨ .

(٥) رحلة ابن بطوطة : ص ٨٣ .

(٦) المصدر السابق : ص ٧٤ .

(٧) المصدر نفسه : ص ٦٥ .

(٨) المصدر نفسه : ص ٨٢ .

(٩) المصدر نفسه : ص ٨٢ .

أما مدينة دمشق فقد أبدع ابن بطوطة فى وصف جمال الطبيعة بها ، وبخاصة الأرباض[(١)] التى كانت تحيط بالربوة والقرى التى تواليها قائلا[(٢)] : " وتدور بدمشق ما عـدا الشرقية أرباض فسيحة الساحات ، وداخلها أملح من داخل دمشق لأجل الضيق الذى فى سككها ، وبالجهة الشمالية منها ربض الصالحية[(٣)] (فى سفح جبل قاسيون[(٤)]) وهى مدينة عظيمة لها سوق لا نظير لحسنه . وفى آخر جبل قاسيون الربوة[(٥)] ، وهى من أجمل مناظر الدنيا ومنتزهاتها ، وبها القصور المشيدة ، والمبانى الشريفة ، والبساتين البديعة وهى رأس بساتين دمشق ، وبها منابع مياهها ، وينقسم الماء الخارج منها على سبعة أنهار ، كل نهر آخذ فى جهة ، ويعرف ذلك الوضع بالمقاسم[(٦)] ، وأكبر هذه الأنهـار

---

(١) الارباض : مفردها ربض وسبق تعريفه (انظر الباب الاول ص ٤٨ حاشية (١)) .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ١٠١ ــ ١٠٣ .

(٣) الصالحية : قرية كبيرة فى سفح جبل قاسيون من غوطة دمشق (ياقوت: معجـم البلدان : ج٣/٣٩٠ ، ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ج٢/٨٣٠) ويقـول القلقشندى عنها : " وهى مدينة ممتدة فى الجبل بازاء المدينة فى طول يشرف على دمشق وغوطتها ، ذات بيوت ومدارس وربط وأسواق وبيوت جليلة " (صبـح الأعشى ج٤/٩٤ ــ ٩٥) .

(٤) قاسيون هو الجبل المشرف على دمشق . ويقول عنه ابن عبد الحق: " وهـو الآن محله كبيرة ممتدة . فى سفحه بها ترب وربط ومدارس وجامعان يصلى فيهمـا الجمعة ، ومارستان وسوق كبير " مراصد الاطلاع ج٣/١٠٥٧ .

(٥) الربوه : هى ما ارتفع من الأرض وجمعها ربى . (ياقوت : معجم البلدان ج ٣ /٢٦) . وهى كهف فى فم واديها الغربى عنده تنقسم مياهها (ابو الفداء : تقويم البلدان : ٢٥٣) وبها الجوامع والمدارس والخوانق والربط والزوايـا والأسواق ..... الخ (انظر القلقشندى : صبح الأعشى ج٤/٩٢ ــ ٩٣) .

(٦) هو انقسام نهر بردى إلى سبعة أقسام ، أربعة غربية وهى نهر داريا ، المـزة ، القنوات ، باناس واثنان شرقية وهما نهر يزيد ، ثورا . ونهر بردى ممتد بينهما . (العمرى : مسالك الأبصار ج١/٨١ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج٤/٩٥ ، ياقوت : معجم البلدان : ج١/٣٧٨) .

النهر المسمى بثورا (١) ، وهو يشق تحت الربوة ، وقد نحت له مجرى فى الحجر الصلد كالغار الكبير وربما انغمس ذو الجسارة من العوامين فى النهر من اعلى الربوة ، واندفع الماء حتى يشق مجراه ، ويخرج من أسفل الربوة ، وهى مخاطرة عظيمة .

وهذه الربوة تشرف على البساتين الدائرة بالبلد (٢) ، ولها من الحسن واتساع مسرح الأبصار ما ليس لسواها ، وتلك الأنهار السبعة تذهب فى طرق شتى فتحار الأعين فى حسن اجتماعها واختراقها واندفاعها وانصبابها . وجمال الربوة وحسنها التام أعظم من ان يحيط به الوصف (٣) .

وبأسفل الربوة قرية النيرب (٤) ، وقد تكاثرت بساتينها وتكاثفت ظلالها وتدانت اشجارها فلا يظهر من بنائها الا ما سما ارتفاعه (٥) . وفى القبلى من هذه القرية (٦) (النيرب) قرية المزة (٧) ، وتعرف بمزة كلب نسبة الى قبيلة كلب بن وبره بن ثعلب

---

(١) (فى رحلة ابن بطوطة : (بتوره) انظر ص ١٠٣) وثورا كما ذكرها ياقوت (انظر معجم البلدان : ج١ / ٣٧٨) وقد فتحه ملك من ملوك الروم اسمه ثوره نسمى باسمه (شيخ الربوه : نخبة الدهر ص ١٩٤) . وهو نيل دمشق ، عليه جل مبانيها وبه أكثر تنزهات اهلها (القلقشندى : صبح الأعشى ج٤ / ٩٦) .

(٢) ويشرف من هذه الربوة على جميع البساتين الغربية من البلد ، (رحلة ابن جبير ص ٢٦٥) .

(٣) نقل ابن بطوطة جزءا كبيرا من وصف ربوة دمشق عن رحلة ابن جبير ويكاد أن يكون المعنى واحد (انظر رحلة ابن جبير ص ٢٦٤ — ٢٦٥) .

(٤) النيرب : قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ فى وسط البساتين . (ياقوت : معجم البلدان : ج٥ / ٣٣٠) .

(٥) فلا يظهر منها الا ما سما بناؤه (ابن جبير فى رحلته ص ٢٦٥) .

(٦) وفوقها بجهة القبلة قرية كبيرة هى من أحسن القرى تعرف بالمزه (رحلة ابن جبير ص ٢٦٥) .

(٧) المزه : قرية كبيرة غناء فى اعلى الغوطة ، فى سفح الجبل من أعلى دمشق . (ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ج٣ / ١٢٦٦) ويقال لها مزة كلب (ياقوت : معجم البلدان : ج٥ / ١٢٢) .

بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعه (١) ، وكانت إقطاعا لهم ، واليها ينسب الإمام حافظ الدنيا جمال الدين بن يوسف بن الزكى الكلبى المزى (٢) ، وكثير سواه من العلماء وهى من أعظم قرى دمشق .

---

(١) هو جد جاهلى ، وكان بنو كلب فى الجاهلية ينزلون دومة الجندل وتبوك ، كما كان لهم أمارة فى صقلية فى عهد الفاطميين . وفى أوائل القرن الثامن الهجرى ، كان منهم كثيرون على خليج القسطنطينية ، كما استقر منهم فى شيرز وحلب وتدمر ، كما يوجد منهم فى بعض نواحى اللاذقية وهم نصيريون (راجع القلقشندى : صبح الاعشى جـ١/٣١٦ ، ياقوت : معجم البلدان جـ٥/١٢٢ ، الزركلى : الاعلام جـ٦/٨٨) .

(٢) هو جمال الدين أبو الحجاج بن يوسف بن الزكى بن يوسف المزى ، ولد بظاهر حلب سنة ٦٥٤هـ ، ونشأته بالمزه . طلب الحديث سنة ٦٧٥هـ ، كما حفظ القرآن الكريم فى صباه وعنى باللغة العربية وبرع فيها ، وأتقن النحو والصرف ولى دار الحديث الأشرفية وتمذهب للشافعى . وقال ابن تيمية لما باشرها : " لم يليها من حين بنيت إلى الآن أحق بشرط الواقف " . ويقول عنه الكتبى : " وأما معرفة الرجال فإليه تشد الرحال فانه كان الغاية وحامل الراية " . له كتاب تهذيب الكمال . بدأ الدكتور بشار عواد معروف بتحقيقه ، وطبع أربع اجزاء منه وما زال تحت الطبع . وله كتاب تحفة الاشراف . طبعة عبد الصمد شرف الدين بالهند . توفى سنة ٧٤٢هـ ودفن بمقابر الصوفية بدمشق . (راجع ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٤/٤٥٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤/١٩١ ، ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات جـ٤/ ٣٥٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦ / ١٣٦ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافعى : جـ٢/٨٠٣) .

ب — الصنـــــاعة :—

ذكر ابن بطوطة العديد من الصناعات المختلفة التى كانت تتميز بها بلاد الشام ، وهى تختلف من مدينة الى أخرى حسب حاصلاتها الزراعية ، لأن أغلب صناعاتها قائم على الزراعة . فزراعة الزيتون مثلا قامت عليها صناعة الزيـــت، وزراعة الفواكه المختلفة قامت عليها صناعة أنواع مختلفة من المربى والحلوى .

ومن أشهر المدن التى ذكرها ابن بطوطة فى صناعة الزيت نابلس وصيـدا وسرمين (١) ، كما تخصصت سرمين بصناعة أنواع مختلفة من الصابون ، منها الصـابون الآجرى ، والصابون المطيب لغسل الأيدى ، ويصبغونه بالحمرة والصفرة ، كمـا يصنع بها ثياب قطن حسان تنسب اليها (٢) . أما نابلس فيصنع بها حلواء الخروب ، ويقول ابن بطوطة فى كيفية عملها : " أن يطبخ الخروب ثم يعصر ويؤخذ ما يخرج منه من الرب فتصنع منه الحلواء (٣) .

أما بغراس ففيها تصنع الثياب الدبيزية (٤) . أما بعلبك فتشتهر بصناعـات متعددة أكثر من غيرها ، منها صناعة الدبس (٥) المنسوب اليها ، وهو نوع من الـرب يصنعونه من العنب ، ولهم تربة يضعونها فيه ، فيجمد وتكسر القلة التى يكـون

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٧ .

(٢) ويعرف بالخرنوب وهو شجر ينبت فى جبال الشام وهو يابس أسود والنـوع الشامى حلو يؤكل وله رب وسويق ، الزبيدى : معجم اسماء النباتات الواردة فى تاج العروس (تحقيق محمد مصطفى الدمياطى ص ٥١) .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٦١ .

(٤) فى رحلة ابن بطوطة : " الثياب الدابلية " انظر الرحلة ص ٧٤ — طبعة مؤسسة الرسالة — انظر جـ١/ ٩٢ .

(٥) الدبس . ما عقد بالنار من عصير العنب والخرنوب ونحوهما ، المنجد فـى اللغة والأعلام : ٢٠٦ .

بها فيبقى قطعة واحدة ، وتصنع منه الحلواء ، وتجعل فيها الفستق واللوز ويسمونها حلواء بالملبن ، ويسمونها أيضا بجلد الفرس ، وهى كثيرة الألبان . كما تصنع بعلبك الثياب المنسوبة اليها من الاحرام وغيره (١) ، كما يصنع بها أوانى الخشب وملاعقة التى لا نظيرلها فى البلاد ، وهم يسمونها الصحاف بالدسوت ، وربما صنعوا الصحفة ، وصنعوا صحفة أخرى توضع فى جوفها وأخرى فى جوفها الى أن يبلغوا العشر (٢) ، يخيل لرائيها أنها صحفة واحدة — وكذلك الملاعق يصنعون منها عشرا ، واحدة فى جوف واحدة ، ويصنعون لها غشاء من جلد ويسكها الرجل فى حزامه ، واذا حضر طعاما مع أصحابه أخرج ذلك ، فيظن رائيه أنها ملعقة واحدة ، ثم يخرج من جوفها تسعا (٣) .

ج — التجـــارة :—

امتازت بلاد الشام بوجود الأسواق العامرة بمختلف أنواع المنتجـــات المحلية ، سواء الزراعية منها او الصناعية ، والتى زادت عن استهلاكها المحلى ، فعمد الى تصدير الفائض منها الى الخارج مما أدى الى زيادة الدخل المحلى لبلاد الشام ، فذكر ابن بطوطة أن مدينة نابلس تصدر الزيت (٤) وحلواء الخروب الى

(١) هى الثياب البعلبكية والتى كانت تصدر إلى مصر من تجار الشام ، وذكر المقريزى انه فى سنة ٧٣٨هـ قدمت عدة تجار من الشام بثياب بعلبكى كثيرة فختم عليها ، وأخذ عنها ما جرت به العادة للديوان من المكس (المقريزى: المصدر السابق جـ٢ق٢/٤٣٤) .

(٢) فى اصل الرحلة تَسعُ انظر ص ٨٣ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٨٣ — ٨٤ .

(٤) يقول شيخ الربوه عن زيت نابلس : ويحمل زيتها إلى الديار المصرية والشامية وإلى الحجاز والبرارى مع العربان ويحمل إلى جامع بنى امية فى كل سنة الف قنطار — بالدمشقى ويعمل منه الصابون الرقى ، ويحمل إلى سائر البـــلاد وإلى جزائر البحر الرومى . نخبة الدهر ص ٢٠٠ .

مصر ودمشق وسائر مدن الشام (١) ، ومدينة صيدا يحمل منها التين والزبيب ، والزيت الى بلاد مصر ، وبيروت يجلب منها الى ديار مصر الفواكه والحديد (٢) ، ومدينة المعرة (٣) يحمل منها التين والفستق الى مصر والشام ، كما يجلب الى مصر والشام الصابون الآجرى المصنوع فى سرمين (٤) ، وأخيرا بعلبك التى تصدر حلواء الملبن والألبان الى دمشق (٥) .

كما وصف ابن بطوطة الاسواق قائلا : " ان غزه وبيروت والرملة وتيزين تمتاز بأنها حسنة الأسواق " (٦) وطرابلس أسواقها عجيبة (٧) ، وعجلون لها أسواق كثيرة (٨) ، وحمص أسواقها فسيحة الشوارع (٩) وحماه فيها ربض يسمى بالمنصورية (١٠) ، أعظم من المدينة وفيه الأسواق الحافلة (١١) ، ثم حلب التى هى من أعز البلاد لا نظير لها فى حسن الوضع ، واتقان الترتيب ، واتساع الأسواق ، وانتظام بعضها ببعض ، وأسواقها مسقفة بالخشب ، فأهلها دائما فى ظل ممدود ، وقيساريتها (١٢) لاتماثل حسنا وكبرا ، وهى تحيط

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٠ ، ٦١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٦٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٦٢ وكلمة الحديد زيادة عن الطبعة المصرية ، وطبعة مؤسسة الرسالة (انظر جـ١ / ٨٢) وذكر القلقشندى أن بيروت بها جبل فيه معدن حديد (صبح الأعشى جـ٤ / ١١١) .

(٤) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٧ .

(٥) المصدر السابق : ص ٨٣ .

(٦) المصدر السابق : ص ٥٤ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٧٤ .

(٧) المصدر السابق : ص ٦٤ .

(٨) المصدر السابق : ص ٦١ .

(٩) المصدر السابق : ص ٦٥ .

(١٠) بالرجوع إلى معجم البلدان لم اجد ربضا يحمل هذا الاسم (ياقوت : معجم البلدان جـ٣ / ٢٥ وما بعدها) وقد ذكر ابن جبير ربض حماه ولكنه لم يسميه (انظر الرحلة ص ٢٤٤) .

(١١) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٦ .

(١٢) راجع ما كتبه ابن جبير عن قيساريتها انظر (الرحلة : ٢٤٠) والقيساريه كلمة غير عربية وربما اشتقت من كلمة Ceasaria وجمعها قياسر وهى الاسواق المقفلة ، فريد شافعى : العمارة فى مصر الاسلامية المجلد الأول ص ٣٤٨ .

بمسجدها[2] ، وكل سماط منها محاذ لباب من أبواب المسجد[1] . أما مدينة دمشق فذكر ابن بطوطة أن أسواقها تتركز حول الجامع الاموى ، فكل باب من أبوابه يدال علــى مرفق هام من مرافق هذه المدينة قائلا : " فالباب القبلى ويعرف بباب الزيادة ، لــه دهليز كبير متسع فيه حوانيت السقاطين[3] وغيرهم ، وعن يسار الخارج منه سماط الصفارين[4] ، وهى سوق عظيمة ممتدة مع جدار المسجد القبلى ، من أحسن أسواق دمشق ،وبموضع هذا السوق كانت دار معاوية بن ابى سفيان[5] رضى الله عنه ، ودور قومه ، وكانت تسمى الخضراء[6] فهدمها بنو العباس رضى الله عنهم ، وصار مكانها سوقا .

---

(١) السماط : الصف . ياقوت : معجم البلدان ج٣/٢٤٥ .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٧٠ .

(٣) السقاطين : ومفردها سقاط وهو الذى يبيع سقط المتاع ، وهو ردئية وحقــيرة (ابن منظور : لسان العرب المحيط المجلد الثانى /١٦٤) .

(٤) الصفارين : ومفردها صفّار . وهو صانع الصفر والادوات النحاسية وقد جــرت العادة أن يجتمع الصفارون فى منطقة واحدة فــى المدن الاسلامية وكان يطــلق على هذه المنطقة الصفارين . (حسن الباشا : الفنون الاسلامية : ج٢/٧٠٥)

(٥) هو معاوية بن ابى سفيان . صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبــد مناف القرشى الأموى ولد قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر ، أسلم بعــد الحديبية ،وكتم اسلامه حتى أظهره عام الفتح . تسمى بالخلافة بعد الحكمين ثم استقل لما صالح الحسن ، وبقى خليفة حتى توفى سنة ٦٠هـ فى رجب علــى الصحيح راجع ابن سعد : الطبقات ج٢ ق٢/١٢٨ ، ابن عبد البر :الاستيعاب ج٣/١٤١٦ ، ابن الأثير : أسد الغابة ج٤/٣٨٥ ، ابن حجر : الاصــابة ج٦/١٥١ .

(٦) الخضراء :قصر معاوية بن ابى سفيان ،وهو أول قصر عربى يشاد فى بلاد الشام فى المكان المحاذى لجدار الجامع الأموى من الجهة الجنوبية ، ثم اصابه الخراب بعد زوال الأمويين ،ثم التهمته النار فى أواخر عهد الفاطميين ،وبقيت المنطقة التى كان فيها القصر تحمل اسم الخضراء حتى اقيم على جزء منها سنة ١١٦٣هـ قصر العظم ، الذى ما زال حتى الآن مستعملا كمتحف للتقاليد الشعبيــة . انظر عفيفى بهنسى : لمحات آثارية وفنية ص ١٤٦ — ١٤٧ ، وراجع ابن كثير =

أما الباب الشرقي وهو باب جيرون(١) ، له دهليز عظيم ، وبجانبي هذا الدهليز ، أعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها دكاكين البزازين(٢) وغيرهم ، وعليها شوارع مستطيلة فيها حوانيت الجوهريين والكتبيين وصناع أواني الزجاج(٣) العجيبة . وهناك أيضا سوق الوراقين الذين يبيعون الكاغد(٤) والاقلام والمداد . أما الباب الغربي ويعرف بباب البريد ، له دهليز فيه حوانيت للشماعين وسماط لبيع الفواكه . كما ذكر ابن بطوطة(٥)

= البداية ج ج١٢/٩٣ ، ٩٧ ، وعن قصر العظم انظر عبد القادر الريحاوي : مدينة دمشق ص ١٩٥ .

(١) عرف باب جيرون بعد القرن الخامس بباب الساعات (راجع علي الطنطاوي : الجامع الأموي ص ٢٩) كما ذكره ابن فضل الله العمري ، بباب الساعات (انظر مسالك الأبصار ج١/١٩٤) .

(٢) البزازين : ومفردها بزّار وهو بائع الثياب أو تاجرها ، وقد جرت العادة أن ينفرد البزازون في المدن الاسلامية الكبيرة بخانات وأسواق خاصة بهم . حسن الباشا : الفنون الاسلامية ج١/٣٠١ .

(٣) كانت دمشق منذ عهد الظاهر بيبرس من أهم مراكز انتاج الاواني الزجاجية المملوكية في سوريا ، بالاضافة إلى مدينة حلب التي ذاعت شهرتها في انتاج فاخر المصنوعات الزجاجية التي كانت تصدر إلى الأقطار المختلفة ، نعمت اسماعيل علام : فنون الشرق الأوسط في العصور الاسلامية : ١٩٧ .

(٤) الكاغد : القرطاس . جبران مسعود : الرائد ص ١٢١٩ ، والكاغد معروف وهو فارسي معرب . ابن منظور المصري : لسان العرب المجلد الثالث ٣٨٠ .

(٥) (رحلة ابن بطوطة ص ٩١ — ٩٢) وعن باب البريد يقول ابن فضل الله العمري : " وهو حضره فسيحة في جانبيها حوانيت للفوكه والشمع والعطر والشراب ، وأطايب المأكول (مسالك الابصار : ج١ / ١٩٤) .

الأسواق بالقرى المحيطة بدمشق كقرية الصالحية التى كان لها سوق لا نظير لحسنه[١] .

د- الأحوال الاقتصادية سنة ٧٤٨هـ — ٧٤٩ هـ :—

عندما عاد ابن بطوطة الى بلاد الشام عام ٧٤٨هـ ، تطرق لذكر الأحوال الاقتصادية بها ولكن بصورة موجزة ومختصرة لمدينة دمشق فقط . وكان الأولى به أن يعطينا صورة مفصلة عن الأحوال الاقتصادية فى هذه الفترة ، والتى تعتبر أطول فترة اقام بها فى بلاد الشام . فقد وصل الى مدينة دمشق فى نهاية عام ٧٤٨هـ وأقام بها الى نهاية السنة ، وفى سنة ٧٤٩هـ تجول بالمدن الرئيسية مثل حلب وحماة وغيرها من المدن . وفى ذلك يقول[٢] : " وأقمت بدمشق الشام بقية السنة ، (يقصد سنة ٧٤٨هـ)والغلاء شديد[٣] ، والخبز قد انتهى الى قيمه سبع أواق بدرهم نقرة ، واوقيهم أربع أواق مغربية " .

وذكر ابن بطوطة قصة قتل خاطفى الخبز فى مدينة دمشق وما حصل لهم على يد نائبها فى تلك الفترة أرغون شاه بقوله[٤] : " ومات فى تلك الأيام بعض كبراء دمشق ، وأوصى بمال للمساكين ، فكان المتولى لانفاذ الوصية يشترى الخبز ويفرقه

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ١٠١ .
(٢) المصدر السابق : ص ٦٥١ .
(٣) يعود سبب هذا الغلاء لتأخر نزول المطر فى هذا العام كما أشار إلى ذلك ابن كثير الذى يقول : " وسائر الأشياء غالية ، والزيت كل رطل بأربعة دراهم ومثله الارز والصابون كل رطل بثلاثة دراهم ، وسائر الاطعمات على هذا النحو ... الخ(راجع البداية : جـ١٤/٢٢٤)، كما ذكر ذلك المقريزى "فيها كان الغلاء بأرض مصر والشام حتى بيعت غرارة القمح فى دمشق بثلاثمائة درهم ، ثم انحط السعر"(السلوك جـ٢ق٢/٧٥٣) أما ابن الوردى فيقول : "وفيها كان الغلاء بمصر ودمشق وحلب وبلاد هن ، والأمر بدمشق أشد حتى انكشفت فيه أحوال الخلق ، وجلا كثيرون منها الى حلب وغيرها . وأخبرنى بعض بنى تيمية أن الغراره وصلت بدمشق إلى ثلاثمائة ، وبيع البيض كل خمس بيضات بدرهم واللحم رطل بخمسة واكثر والزيت رطل بستة أو سبعة (تتمة المختصر : ٤٩٥ — ٤٩٦) .
(٤) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٥١ .

عليهم كل يوم بعد العصر ، فاجتمعوا فى بعض الليالى وتزاحموا واختطفوا الخبز الذى يفرق عليهم ، ومدوا أيديهم الى خبز الخبازين وبلغ ذلك الأمير أرغون شاه ، فأخرج زبانيته فكانوا حيث ما لقوا أحدا من المساكين قالوا له : تعال تأخذ الخبز ، فاجتمع منهم عدد كثير فحبسهم فى تلك الليلة ، وركب من الغد وأحضرهم تحت القلعة وأمر بقطع أيديهم وأرجلهم ، وكان أكثرهم براء عن ذلك ، وأخرج طائفة الحرافيش (١) عن دمشق فانتقلوا الى حمص وحماه وحلب ، وذكر لى أنه لم يعش بعد ذلك الا قليلا وقتل (٢) .

---

(١) ذكر ابن بطوطة طائفة الحرافيش فى حديثه عن مصر : (هم طائفة كبيرة أهل صلابة ودعاره) نفس المصدر ص : ٤٤ والحرافيش جمع حرنفش وهو الجافى الغليظ المتهيئ للشر السافل من الناس . ومن معانيها الفقراء الذين يقعون فريسة فى غادر الأحيان للطواعين واحداث الغلاء (احمد رمضان : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ص ١١٧ حاشية ٢٠٥) .

(٢) ذكر هذه القصة أو الحادثة ابن الوردى فى كتابه تتمة المختصر فى احداث سنة ٧٤٨هـ دون أن يحدد الشهر الذى وقعت فيه . ويتضح من كلام ابن بطوطة أنها حدثت فى زمن اقامته بدمشق فى نهاية سنة ٧٤٨هـ . بقوله :"ومات فى تلك الايام " علما أن ابن بطوطة لم يشر إلى ان زمن حدوثها سنة ٧٤٨هـ . كما أن هناك اختلاف فى القصة بين ما ذكره ابن بطوطة ، وما ذكره ابن الوردى "وفيها توفى بدمشق بن علوى وأوصى بثلاثين الف درهم تفرق صدقة وبمائتى الف وخمسين ألفا تشترى بها أملاك ، وتوقف على البر فاجتمع خلق من الحرافيش والضعفاء لتفريق الثلاثين ألفا . ونهبوا خبزا من قدام الخبازين ، فقطع أرغون شاه نائب دمشق منهم أيدى خلق وسمّر خلقا بسبب ذلك ، فخرج منهم خلق من دمشق وتفرقوا ببلاد الشمال " ، (تتمة المختصر ج٢/٢٩٦) . وعن نيابة أرغون شاه لدمشق سنة ٧٤٨هـ يقول ابن صصرى " ودخل إلى دمشق فى جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وكان فى أيامه الغلاء ، وخطفوا فى دمشق الخبز وقطع أيديهم وكانوا ثمانية عشر رجلا . وسمّر منهم سبعة "الدرة المضيئة ص ١٨٦ .

ثالثا - الحياة الاجتماعية والفكرية لبلاد الشام في القرن الثامن الهجري من رحلة ابن بطوطة :-

كان المسلمون في بلاد الشام يشكلون الأغلبية الكبرى من السكان . فهم أصحاب السيادة والكلمة في البلاد ، وكانوا من أجناس مختلفة ، منهم الشاميون سكان البلاد الأصليين ، والمصريين ، والمغاربة ، والأتراك وغيرهم ، وهذا أمر طبيعي ، لأن بلاد الشام في ذلك الوقت ، وبالذات في نظر رحالة كابن بطوطة ، كانت تشكل وطنا واحدا لا يشعر فيه بالغربة أو الوحدة . اذ لم يكن يوجد ما نسميه اليوم بالتقسيمات السياسية ، التي فصلت بين أجزاء بلاد الشام وعزلتها بعضها عن بعض، وأصبحت فيه دولاً مستقلة بذاتها ، لها عاداتها وتقاليدها الخاصة بها ، كما كان المسلمون يعيشون في أمن ورخاء ، تربطهم رابطة العقيدة السمحة المتمثلة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما معناه " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر". وهذا بالطبع كان مثار اعجاب الرحالة ابن بطوطة . الذى أهتم بالناحية الاجتماعية في سائر بلاد الشام وخاصة مدينة دمشق ، التي عمها بوصف شامل لعاداتهم وتقاليدهم من كرم الضيافة عندهم ، وعاداتهم الحسنة في شهر رمضان المبارك ، وطريقة دفن موتاهم ، وتضامنهم عند الشدائد التي كانت تعصف بهم ، كما ربط ابن بطوطة بين الناحية الاجتماعية والناحية الفكرية ،والناحية الدينية المتمثلة في ذكر علمائها والأولياء والصالحين ، وما كانوا يتحلون به من الصفات والاخلاق الحميدة ، ووقوفهم الى جانب الفقراء والمساكين . كذلك اهتم بزيارة المشاهد والأضرحة لمعرفة من دفن فيها من الأنبياء ، والصحابة رضوان الله عليهم ، والصالحين في سائر بلاد الشام . فكان لا يمر على مدينة من مدن الشام أو قرية من قراها الا ويتطرق لمن كان بها من الصالحين والتابعين ، وذكر القصص عنهم ، وكان ابن بطوطة يجد متعة كبيرة في ذكر هذه القصص له .

وعلى الرغم من تركيز ابن بطوطة على الناحية الاجتماعية والفكرية في مدينة دمشق ، الا أنها تعكس لنا بحق اهم مظاهر الحياة في المجتمع الشامي ، فهي صورة متكررة لأغلب مدن الشام وقراها • ويدل على ذلك ما ذكره ابن بطوطة عن قرى دمشق بقوله : " وأكثر قرى دمشق فيها الحمامات والمساجد الجامعة والأسواق ، وسكانها كأهل الحاضرة في مناحيهم " (١) •

١ — الحياة الاجتماعية :—

تركز وصف ابن بطوطة للحياة الاجتماعية في بلاد الشام على مدينة دمشق ، عند رحلته الأولى لها سنة ٧٢٦هـ والثانية سنة ٧٤٨هـ — ٧٤٩هـ ، فجاء وصفه شاملا لعادات أهلها ، وفضائلهم ، ونظام الأوقاف عندهم ، وتضامنهم الاجتماعي عند نزول المصائب والشدائد بهم ، وسوف نتناول ذلك حسب الترتيب التالي :—

أ : فضائل أهل دمشق :—

يقول ابن بطوطة : " وأهل دمشق (٢) يتنافسون في عمارة المساجد والزوايا (٣)

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ١٠٣

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ١٠٤ — ١٠٥ •

(٣) كان لكثرة الزوايا بمصر أن لفت انتباه ابن بطوطة اليها حيث قال : " وأما الزوايا فكثيرة وهم يسمونها الخوانق ، واحدتها خانقة • والأمراء بمصر يتنافسون في بناء الزوايا وكل زاوية معينة لطائفة من الفقراء ، واكثرهم الاعاجم ، وهم اهل أدب ومعرفة بطريقة التصوف• ولكل زاوية شيخ وحارس (رحلة ابن بطوطة ص ٣٨ — ٣٩) وكان يغلب وجود هذه الزوايا في البراري والجهات المهجورة ، بعيدا عن العمارة ، وكان من حق شيوخها تهيئة الطعام للواردين والمجتازين ، ومؤانستهم اذا قدموا ، وقد ظهرت الخوانق والزوايا في العالم الاسلامي في ايران عام ٤٠٠هـ ، ودخلت مصر في عهد صلاح الدين الأيوبي ، ثم ازدهرت في عصر المماليك (حسن الباشا : الفنون الاسلامية جـ٢/ ٦٣٦ ، ٦٣٧) •

والمدارس والمشاهد ، وهم يحسنون الظن بالمغاربة ويطمئنون اليهم بالأموال والأهلين والأولاد وكل من انقطع بجهة من جهات دمشق ، لابد أن يتأتى له وجه من المعاش من أمامة مسجد أو قراءة بمدرسة ، أو ملازمة مسجد يجيء إليه فيه رزقه ، أو قراءة القرآن ، أو خدمة مشهد من المشاهد المباركة ، أو يكون كجملة الصوفية بالخوانق تجرى له النفقة والكسوة ، فمن كان بها غريبا على خير لم يزل مصونا عن بذل وجهه محفوظا عما يزرى بالمرؤة ، ومن كان من اهل المهنة والخدمة ، فله أسباب أخرى فى حراسة بستان ، أو أمانة طاحونة أو كفالصبيان يغدو معهم الى التعليم ويروح ، ومن أراد طلب العلم أو التفرغ للعبادة ، وجد الاعانة التامة على ذلك " .

كما تحدث ابن بطوطة ايضا عن فضائل اهل دمشق وعاداتهم فى شهر رمضان المبارك ، أثناء اقامته بها عام ٧٢٦هـ وما حصل بينه وبين نور الدين السخاوى (١) مدرس المالكية ، فقال : " ومن فضائل أهل دمشق أنه لا يفطر أحد منهم فى ليالى رمضان (٢) وحده البتة ، فمن كان من الأمراء والقضاه والكبراء ، فانه يدعو أصحابه والفقراء يفطرون عنده ، ومن كان من التجار وكبار السوقه صنع مثل ذلك ومن كان من الضعفاء والبادية ، فانهم يجتمعون كل ليلة فى دار أحدهم ، أو فى مسجد ، ويأتي كل واحد بما عنده فيفطرون جميعا " .

وعن ضيافة نور الدين السخاوى له (٣) قال ابن بطوطة : " ولما وردت دمشق (سنة ٧٢٦هـ) وقعت بينى وبين نور الدين السخاوى مدرس المالكية صحبة ، فرغب منى أن أفطر عنده فى ليالى رمضان فحضرت عنده أربع ليال ثم أصابتنى الحمى ، فغبت عنه ، فبعث فى طلبى ، فاعتذرت بالمرض ، فلم يسعنى عذرا ، فرجعت اليه وبت عنده ، فلما اردت الانصراف بالغد منعنى من ذلك ، وقال لى : أحسب دارى كأنها دارك أو دار أبيك أو دار أخيك ، وأمر بإحضار طبيب ، وأن يصنع لى بداره كل ما يشتهيه الطبيب

---

(١) سبقت ترجمته انظر الباب الاول ص ٣٦ حاشية ٧ .
(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ١٠٥ .
(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ١٠٥ .

من دواء أو غذاء ، وأقمت كذلك عنده الى يوم العيد ، وحضرت المصلى وشفانى الله تعالى مما اصابنى . وقد كان ما عندى من النفقة نفد ، فعلم بذلك فاكترى لى جمالا وأعطانى الزاد وسواه وزادنى دراهم ، وقال لى : تكون لما عسى أن يعتريك من أمر مهم ، جزاه الله خيرا " .

ومن فضائل أهل دمشق ايضا ما ذكره ابن بطوطة فى حديثه عن الجامع الأموى بقوله : "(١) ومن فضائل هذا المسجد أنه لا يخلو من قراءة القرآن والصلاة إلا قليلا من الزمان . والناس يجتمعون به كل يوم إثر صلاة الصبح فيقرؤون سبعا من القرآن ويجتمعون بعد صلاة العصر لقراءة تسمى الكوثرية ، يقرأون فيها من سورة الكوثر الى آخر القرآن ، وللمجتمعين على هذه القراءة مرتبات تجرى لهم ، وهم نحو ستمائة إنسان . ويدور عليهم كاتب الغيبة فمن غاب منهم قطع له عند دفع المرتب بقدر غيبته ، وفى هذا المسجد جماعة كبيرة من المجاورين ، لا يخرجون منه ، مقبلون على الصلاة والقراءة والذكر لا يفترون عند ذلك ، وأهل البلد يعينونهم بالمطاعم والملابس من غير أن يسألوهم شيئا من ذلك " .

ويواصل ابن بطوطة حديثه عن فضائل أهل دمشق ، بذكر عدد من الرجال الذين اشتهروا بعمل الخير بدمشق ، قائلا : "(٢) وكان بدمشق فاضل من كتاب الملك الناصر يسمى عماد الدين القيسرانى(٣) من عادته أنه متى سمع أن مغربيا وصل

---

(١) المصدر نفسه : ص ٩٠ — ٩١

(٢) المصدر نفسه : ص ١٠٥ — ١٠٦ .

(٣) (فى رحلة ابن بطوطة القيصرانى انظر ص ١٠٥) هو اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن خالد القيسرانى عماد الدين يقول عنه ابن حجر : " ولد عام ٦٧١ هـ وكان موقع الدست بمصر ثم ولى كتابة السر بحلب فى عام ٧١٤ هـ ، ثم صرف الى توقيع الدست بدمشق ، وكان تنكز يعظمه ويقول له : ما فى دمشق مصرى الا أنا وأنت " (الدرر الكامنة ج١ / ٣٧٨) . أما ابن كثير =

الى دمشق بحث عنه ، وأضافه وأحسن اليه . فان عرف منه الدين الفضل أمر بملازمته وكان يلازمه منهم جماعة ، وعلى هذه الطريقة أيضا كاتب السر (١) الفاضل علاء الدين بن غانم (٢) وجماعة" غيره ، وكان بها فاضل من كبرائها وهو الصاحب عز الدين القلانسي (٣) ، له مآثر ومكارم . وفضائل وايثار ، وهو ذو مال عريض.

وذكروا أن الملك الناصر لم قدم دمشق أضافه وجميع أهل دولته ومماليكه وخواصه ثلاثة أيام (٤) ، فسماه إذ ذاك بالصاحب " .

= فيقول عنه : " كان من خيار الناس محببا الى الفقراء والصالحين وفيه مروءة كثيرة " (البداية والنهاية ج١٤ / ١٧٦) توفى فى دمشق فى ذى القعدة عام ٧٣٦هـ وله ترجمة فى ابن العماد : شذرات الذهب ج٦ / ١١٣ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ج٩ / ٢١٧ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ج١ / ١٢٩ . وكتاب الدست هم الذين يجلسون مع السلطان فى دار العدل ويقرؤون القصص عليه ، ويوقعون عليها بأمر السلطان (القلقشندى صبح الاعشى ج٤ / ٣٠) .

(١) كاتب السر : ويعبر عن متوليها فى ديوان الانشاء بالأبواب السلطانية ، بصاحب ديوان الانشاء بالشام المحروس وهى تضاهى كتابه السر بالديار المصرية فى الرياسة والرفعة ، وتوليتها من الابواب السلطانية ، وكان كاتب السر بدمشق من خاصة السلطان الموثوق بهم ، القلقشندى : المصدر السابق ج٤ / ١٨٩ .

(٢) على بن محمد بن سلمان بن حمائل علاء الدين بن غانم ، كتب فى ديوان الانشاء ، وعرض عليه كتابه السر بحلب فامتنع وله نظم ونثر وأعمال جيدة فى الآداب والمكاتبات (ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣ / ١٠٣) وقصده الناس فى الامور المهمات وكان كثير الاحسان الى الخاص والعام (ابن كثير : البداية ج١٤ / ١٧٨) توفى بتبوك وهو عائد من الحج فى محرم عام ٧٣٧هـ ، راجع ابن شاكر: فوات الوفيات ج٣ / ٧٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٦ / ١١٤ .

(٣) هو الصاحب عز الدين أبو يعلى القلانسى ، حمزه بن أسعد بن مظفر التميمى الدمشقى ابن القلانسى ولد عام ٦٤٩هـ . يقول عنه ابن كثير : " له أملاك هائلة كافية لما يحتاج اليه من أمور الدنيا ، ولم يزل معه صناعة للوظائف ، الى أن ألزم بوكالة بيت السلطان ثم الوزارة بالشام سنة ٧١٠هـ وكانت له مكارم على الخواص الكبار وله احسان الى الفقراء والمحتاجين له فى الصالحية رباط وفيه دار حديث (البداية ج١٤ / ٥٩ ، ١٤٧) توفى فى ذى الحجة سنة ٧٢٩هـ راجع ابن الوردى : تتمة المختصر ج٢ / ٤١٦ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج٢ / ٧٥ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ج١ / ٢٧٩ وفيه توفى عام ٧٣٩هـ .

(٤) لم يشر أحد من المؤرخين عن صحة هذا الكلام .

ومما يؤثر من فضائلهم أن أحد ملوكهم السابقين لما نزل به الموت أوصى أن يدفن بقبلة الجامع المكرم ، ويخفى قبره ، وعين أوقافا عظيمة لقراء يقرأون القرآن الكريم فى كل يوم اثرصلاة الصبح بالجهة الشرقية من مقصورة الصحابة رضى الله عنهم ، حيث قبره ، فصارت قراءة القرآن على قبره لا تنقطع أبدا ، وبقى ذلك الرسم الجميل بعده مخلدا (١) .

ب — عادات أهل دمشق وتقاليدهم :—

اقتبس ابن بطوطة جزءا كبيرا عن عادات وتقاليد أهل دمشق عن الرحالة السابق له ابن جبير ، مع تغير طفيف لبعض الألفاظ ، وكانت عملية الاقتباس أو النقل واضحة . مثل عاداتهم يوم عرفه (٢) ، وعاداتهم فى اتباع الجنائز (٣) ، كما أن ابن جبير ذكر العديد من عادات أهل دمشق ، كعاداتهم فى السلام ، والمشى ، والمصافحة (٤) . وبتوسع أكثر من ابن بطوطة ، أما عن العادات التى ذكرها ابن بطوطة فهى كما يلى :—

أولا : عاداتهم يوم وقوف الناس بعرفه :—

وعنها يقول : " ومن عادة أهل دمشق وسائر البلاد (٥) أنهم يخرجون بعد صلاة العصر من يوم عرفة ، فيقفون بصحون المساجد كبيت المقدس ، وجامع بنى أمية وسواهما ، ويقف بهم أئمتهم كاشفى رؤوسهم داعين خاضعين خاشعين ملتمسين

---

(١) ذكر ذلك ابن جبير دون أن يذكر اسم الملك . ويكاد يكون كلامهما واحدا (انظر رحلة ابن جبير ص ٢٨٠).

(٢) رحلة ابن جبير : ص ٢٨٠ — ٢٨١ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٢٨٤ .

(٤) المصدر نفسه : ص ٢٨٥ — ٢٨٦ .

(٥) رحلة ابن بطوطه: ص ١٠٦ .

البركة ، ويتوخون الساعة التى يقف فيها وفد الله تعالى وحجاج بيته بعرفات ، ولا يزالون فى خضوع ودعاء وابتهال وتوسل الى الله تعالى بحجاج بيته الى أن تغيب الشمس ، فينفرون كما ينفر الحاج باكين على ما حرموه من ذلك الموقف الشريف بعرفات ، داعين الى الله تعالى أن يوصلهم اليها ، ولا يخيبهم من بركة القبول فيما فعلوه " .

ثانيا : عاداتهم فى اتباع الجنائز :

وعنها يقول : (١) " ولهم فى اتباع الجنائز رتبة عجيبة ، وذلك أنهم يمشون أمام الجنازة ، والقراء يقرأون القرآن ، بالاصوات الحسنة ، والتلاحين المبكية ، التى تكاد النفوس تطير لها رقة ، وهم يصلون على الجنائز بالمسجد الجامع قبالة المقصورة ، فان كان الميت من أئمة الجامع أو مؤذنيه أو خدامه ، أدخلوه بالقراءة الى موضع الصلاة عليه ، وان كان من سواهم قطعوا القراءة عند باب المسجد وأدخلوا الجنازة ، وبعضهم يجتمع له بالبلاط الغربى من الصحن بمقربة من باب البريد (٢) ، فيجلسون وأمامهم ربعات القرآن ، يقرأون فيها ، ويرفعون أصواتهم بالنداء لكل من يصل للعزاء من كبار البلدة وأعيانها (٣) ، ويقولون : بسم الله فلان الدين من كمال وجمال شمس وبدر وغير ذلك ، فاذا أتموا القراءة قام المؤذنون (٤) فيقولون : " فكروا واعتبروا . صلاتكم على فلان الرجل الصالح العالم ، ويصفونه بصفات من الخير ثم يصلون عليه ويذهبون الى مدفنه " .

---

(١) المصدر نفسه : ص ١٠٦ — ١٠٧ .

(٢) وربما اجتمعوا للعزاء بالبلاط الغربى من الصحن بازاء باب البريد . رحلة ابن جبير ص ٢٤٨ .

(٣) ونقباء الجنائز يرفعون أصواتهم بالنداء لكل واصل للعزاء . المصدر السابق ص ٢٨٤ .

(٤) قام وعاظهم واحدا واحد بحسب رتبهم فى المعرفة ، المصدر السابق ٢٨٤ .

ثالثا : عاداتهم عند حلول المصائب والشدائد :ـ

عند ما كان ابن بطوطة فى بلاد الشام عام ٧٤٩هـ (زيارته الثالثة سنة ٧٤٨هـ ـ ٧٤٩هـ) ذكر ما حصل بها من انتشار وباء الطاعون المخيف، والذى اجتاح معظم أرض الشام أثناء زيارته لمدينة حلب حيث قال :(١) " وفى أوائل شهر ربيع الأول عام تسعة وأربعين (٧٤٩هـ) بلغنى الخبر فى حلب (٢) أن الوباء وقع بغزه ، وأنه انتهى عدد الموتى فيها الى زائد عن الألف فى يوم واحد (٣) ، فسافرت الى حمص فوجدت الوباء قد وقع بها ومات يوم دخولى اليها نحو ثلاثمائة انسان ، ثم سافرت الى دمشق ووصلتها يوم الخميس (٤) ، وكان أهلها قد صاموا ثلاثة أيام ، وخرجوا يوم الجمعة الى مسجد الاقدام (٥) ، فخفف الله الوباء عنهم ، فانتهى عدد الموتى عندهم الى الفين وأربعمائة فى اليوم " .

وعن اجتماع أهل دمشق بمسجد الاقدام وتضرعهم الى الله عز وجل فى رفع وباء الطاعون عنهم يقول :(٦) " شاهدت أيام الطاعون الأعظم بدمشق فى أواخر شهر

---

(١) رحلة ابن بطوطة ص ٦٥٢ .

(٢) كان أول ظهور وباء الطاعون فى حلب فى جمادى الأولى عام ٧٤٩هـ، ثم عم جميع بلاد الشام ، انظر المقريزى : السلوك ج٢ق٣/٧٧٤، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج١٠/١٩٧ .

(٣) بلغ عدد الموتى بغزه من ثانى محرم الى رابع صفر عام ٧٤٩هـ ، على ما ورد فى كتاب نائبها على اثنين وعشرين ألف انسان . راجع المقريزى : السلوك ج٢ق٣/٧٧٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج١٠/١٩٨ .

(٤) كان وصول ابن بطوطة الى مدينة دمشق يوم الخميس ٢٦ من ربيع الآخر عام ٧٤٩هـ ونستدل على ذلك فيما ذكره ابن كثير عن أحداث عام ٧٤٩هـ" وفى الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر ، نودى فى البلدان بصوم الناس ثلاثة أيام وأن يخرجوا فى اليوم الرابع ، وهو يوم الجمعة الى عند مسجد القدم" البداية ج١٤/٢٢٦ .

(٥) مسجد القدم (انظر ابن كثير :البداية ج ١٤/٢٢٦)

(٦) رحلة ابن بطوطة : ص ١٠٠

ربيع الثانى سنة ٧٤٩هـ من تعظيم أهل دمشق لهذا المسجد ما يعجب منه (١) ، وهو أن ملك الأمراء نائب السلطان أرغون شاه (٢) أمر مناديا ينادى بدمشق أن يصوم الناس ثلاثة أيام ، ولا يطبخون بالسوق ، فصام الناس ثلاثة أيام متوالية ، كان آخرها يوم الخميس ، ثم اجتمع الأمراء والشرفاء والقضاه والفقهاء وسائر الطبقات على اختلافها فى الجامع حتى غص بهم ، وباتوا ليلة الجمعة ما بين مصل وذاكر وداع ، ثم صلوا الصبح وخرجوا جميعا على أقدامهم وبأيديهم المصاحف والأمراء حفاه ، وخرج جميع أهل البلد ذكورا واناثا ، صغارا وكبارا ، وخرج اليهود بتوراتهم و النصارى بانجيلهم ، ومعهم النساء والولدان ، وجميعهم باكون متضرعون الى الله بكتبه وانبيائه ، وقصدوا مسجد الأقدام ، وأقاموا به فى تضرعهم ودعائهم الى قرب الزوال ، وعادوا الى البلد ، فصلوا الجمعة ، وخفف الله عنهم ، فانتهى عدد الموتى الى ألفين فى اليوم الواحد " .

ويواصل ابن بطوطة حديثه عن هذا الوباء قائلا (٣) : " ثم سافرت الى عجلون ثم الى بيت المقدس ، ووجدت الوباء قد ارتفع عنه ، ولقيت خطيبه عز الدين بن جماعة ابن عم عز الدين قاضى القضاه بمصر (٤) وهو من الفضلاء الكرماء ومرتبه على الخطابة

---

(١) يعتبر ابن بطوطة شاهد عيان فيما ذكره عن هذه العادة أو الظاهرة الاجتماعية ، الموجودة بمدينة دمشق يوم الجمعة ٢٧ ربيع الثانى عام ٧٤٩هـ ، لذلك جاء وصفه شاملا ودقيقا ومتوسعا . وقد كان ذلك أكثر توسعا مما ذكره ابن كثير عنها (راجع : البداية ج١٤/٢٢٦) وهذه العادة نجدها تتكرر أيضا عند اصابتهم بالقحط والجفاف (انظر ، ابن صصرى : الدره المضيئة : ٢٠٦).

(٢) سبقت ترجمته انظر ص١٠٧ حاشية ١ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٥٢ ـ ٦٥٣ .

(٤) عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن سعد الله عز الدين بن جماعة الشافعى ، قاضى القضاه بالديار المصرية ولد عام ٦٩٤هـ ، وولى قضاء مصر عام ٧٣٨هـ بعد عزل جلال الدين القزوينى . وفى عام ٧٥٤هـ عزل نفسه عن القضاء وجاور مكة ومات فيها سنة ٧٦٧هـ ، راجع ابن حجر : الدرر الكامنة ج٢/٣٧٩ ، الذهبى : ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٦٣ ، الفاسى : العقد الثمين ج٥/ =

ألف درهم فى الشهر .

وصنع الخطيب عز الدين يوما دعوة ودعانى فيمن دعاه اليها ، فسألته عن سببها فأخبرنى أنه نذر أيام الوباء أنه ان ارتفع ذلك ومر عليه يوم لا يصلى فيه على ميت صنع دعوة . ثم قال لى : ولما كان بالأمس لم أصل على ميت فصنعت الدعوة التى نذرت " .

جـ ــ نظام الأوقاف بدمشق :ــ

عرف نظام الأوقاف منذ العصر الاسلامى الأول ، ونظمه الفقهاء فى العصر العباسى والفاطمى وبولغ فيى استعماله فى عصر المماليك ، وهو نقل ملكية الأشياء من عقار ونحوه ، من المالك الأصلى وهو الواقف ، الى من يعينه الواقف ليستفيد من ايراده وما يغله دون بيعه ، وكان الغرض هو الاسهام من أعمال الخير والبر، مثل المساجد والمدارس والبيمارستانات والخانقاوات (١) وكان من المقرر أن يعين لكل وقف ناظر يشرف عليه ، ويرعى مصالحه ويقوم بتعميره وتنميته ويدير أموره ويراقب موظفيه ، ويحصّل ايراده ، ويصرفه حسب شروط الوقف (٢) .

وقد أعجب ابن بطوطة بنظام الاوقاف بمدينة دمشق حيث قال (٣) : " والأوقاف بدمشق لا تحصر أنواعها ومصارفها لكثرتها ، فمنها أوقاف على العاجزين عن الحج ، يعطى لمن يحج عن الرجل منهم كفايته . ومنها أوقاف على تجهيز البنات إلى أزواجهن ، وهن اللواتى لا قدرة لأهلهن على تجهيزهن ومنها أوقاف لفكاك الأسارى ، ومنها أوقاف لأبناء السبيل يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ويتزودون

= / ٤٥٧ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافى : جـ١ /٤١٨ .

(١) حسن الباشا : الفنون الاسلامية جـ ٣ / ١٣٠٤ ــ ١٣٠٥ .

(٢) حسن الباشا : المرجع السابق جـ٣ / ١٢١٥ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ١٠٤ .

لبلادهم • ومنها أوقاف على تعديل الطريق ورصفها ، لأن أزقة دمشق لكل واحد منها رصيفان فى جنبيه يمر عليها المترجلون ويمر الركبان بين ذلك • ومنها أوقاف لسوى ذلك من أفعال الخير •

وعن الاوقاف بدمشق حكى لنا ابن بطوطة حكاية طريفة فقال (١) : " مررت يوما ببعض أزقة دمشق فرأيت به مملوكا صغيرا قد سقطت من يده صحفه من الفخار الصينى ، وهم يسمونها الصحن ، فتكسرت واجتمع عليه الناس ، فقال له بعضهم : اجمع شقفها واحملها معك لصاحب أوقاف الأوانى ، فجمعها وذهب الرجل معه اليه ، فأراه اياها ، فدفع له ما أشترى به مثل ذلك الصحن ، وهذا من أحسن الأعمال ، فان سيد الغلام لابد له أن يضربه على كسر الصحن أو ينهره ،وهو أيضا ينكسر قلبه ويتغير لأجل ذلك ، فكان هذا الوقف جبرا للقلوب ، جزى الله خيرا من تسامت همته فى الخير الى مثل هذا " •

كما ذكر ابن بطوطة الأوقاف بجبلى قاسيون والربوه بقوله (٢) : " ولكل مسجد من هذه المساجد (يقصد مساجد جبل قاسيون) أوقاف كثيرة معينة " أما ربوة دمشق فلها الأوقاف الكثيرة من المزارع والبساتين والرباع ، تقام منها وظائفها للامام والمؤذن والصادر والوارد •

د — زيارة ابن بطوطة للقبور والمشاهد :—

زارها اثناء تنقلاته المختلفة فى سائر بلاد الشام • فكان لا يمر على مدينة او قرية الا ويسعى لزيارة من دفن بها ، وجاء فى مقدمة هذه المدن مدينة دمشق ، والخليل والقدس ، ثم اللاذقية ، وحمص ، وانطاكية وجبله وغيرها • وعن القبور والمشاهد بمدينة

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ١٠٤ •

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ١٠٢ — ١٠٣ •

دمشق قال ابن بطوطة : " ولمدينة دمشق[1] ثمانية ابواب[2] ، منها باب الفراديس، ومنها باب الجابيه ، ومنها الباب الصغير وفيما بين هذين البابين مقبرة فيها العدد الجم من الصحابة والشهداء فمن بعدهم . فمنها بالمقبرة التى بين باب الجابيه والباب الصغير قبر أم حبيبة بنت ابى سفيان أم المؤمنين[3] ، وقبر أخيها أمير المؤمنين معاوية[4] ، وقبر بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم[5] ، ورضى الله عنهم

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٩٧ — ٩٩ .

(٢) عن هذه الابواب راجع، رحلة ابن جبير ص ٢٧١ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ٤ / ٩٢ .

(٣) هى رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموية ، زوج النبى ، تكنى أم حبيبه وهى بها أشهر من اسمها ، ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عاما ، تزوجها عبيد الله بن جحش ، فاسلما ثم هاجرا الى الحبشة (الهجرة الثانية) فولدت له حبيبه (فيها كانت تكنى) ولما تنصر زوجها وارتد عن الاسلام فى الحبشة فارقها ، ثم عقد عليها النبى وهى فى الحبشة توفيت بالمدينة سنة ٤٤ هـ جزم بذلك ابن سعد وأبو عبيد وقيل سنة ٤٢ هـ (راجع ابن حجر : الاصابة جـ ٧ / ٦٥١ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٨ / ٦٨) ويقول الذهبى : ويقال قبرها فى دمشق وهذا لا شئ بل قبرها بالمدينة ، وانما التى بمقبرة باب الصغير أم سلمه أسماء بنت يزيد الانصارية (الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ٢ / ٢٢)

(٤) سبقت ترجمته انظر ص ١٣٧ حاشية ٥ .

(٥) هو بلال بن رباح ، أحد المولدين فى قريش وأمه حمامه ، يكنى أبا عبد الله ويقال أبا عبد الرحمن ، أحد السابقين الأولين للاسلام . ومن الذين عذبوا على التوحيد حتى اشتراه أبو بكر الصديق وأعتقه ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله . وكان يخدمه ويؤذن له ، ثم انتقل الى الشام بعد وفاة أبى بكر ، وبقى فيها الى أن توفى بها ، واختلف فى سنة وفاته فقيل مات فى طاعون عمواس سنة ١٧ أو سنة ١٨ هـ وقيل عام ٢٠ هـ . راجع ابن سعد : الطبقات جـ٣ ق١ / ١٦٥ ، ابن حجر : الاصابة جـ١ / ٣٢٦ ، ابن عبد البر : الاستيعاب جـ١ / ١٧٨ ، ابن الأثير : أسد الغابة جـ١ / ٢٠٦ ، ابو نعيم : حلية الاولياء جـ١ / ١٤٧ .

أجمعين ،وقبر أويس القرنى (١) ، وقبر كعب الأحبار (٢) رضى الله عنه .

ووجدت فى كتاب المعلم فى شرح صحيح مسلم للقرطبى : أن جماعة من الصحابة صحبهم أويس القرنى من المدينة الى الشام ، فتوفى فى اثناء الطريق ، فى برية لا عمارة فيها ولا ماء ، فتحيروا فى أمره ، فنزلوا فوجدوا حنوطا وكفنا وماء ، فعجبوا من ذلك وغسلوه وكفنوه ، وصلوا عليه ودفنوه ثم ركبوا فقال لبعضهم : كيف نترك قبره بغير علامة ؟ فعادوا للموضع فلم يجدوا للقبر من أثر (٣) .

---

(١) هو أويس بن عامر بن مالك القرنى اليمانى ، أسلم على عهد رسول الله ومنعه من القدوم عليه بره بامه . وعن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله يقول : ان خير التابعين رجل يقال له أويس وله والده ، به بياض ، فمروه فليستغفر لكم . (صحيح مسلم ج٤ / ١٩٦٨) وقد استوطن أويس الكوفة ، وقد اختلف فى وفاته فمنهم من يقول أنه توفى بدمشق ،ومنهم من يقول انه استشهد فى موقعة صفين بين يدى على بن ابى طالب. وهذا القول الأخير هو الأقرب للصواب، لأن أغلب كتب التراجم القديمة التى ترجمت له تشير الى ذلك (راجع:ابن سعد : الطبقات ج٦ / ١١١ ، ابو نعيم : حلية الأولياء ج٢ / ٧٩ ، ابن حجر:الاصابة ج١ / ٢١٩ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ج٤ / ١٩ ، ابن حجر: لسان الميزان ج١ / ٤٧١ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ج٩ / ٤٥٦ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٢ / ٤٦٨ — ٤٦٩ .

(٢) هو كعب بن ماتع ابو اسحاق المعروف بكعب الاحبار ، وكان على دين يهود وأسلم فى خلافة عمر رضى الله عنه ، ثم خرج الى الشام فسكن حمص حتى توفى بها سنة ٣٢ هـ فى خلافة عثمان ، وقيل سنة ٣٤ هـ ،(راجع ابن سعد : الطبقات ج٧ق٢ / ٢٥٦) ، ابن حجر:الاصابة ج٥ / ٦٤٧ ،(الذهبى : سير اعلام النبلاء ج٣ / ٤٨٩) ، البخارى : التاريخ الكبير : ج٤ ق ١ / ٢٢٣

(٣) علق ابن جزى الكلبى كاتب الرحلة على ذلك فقال : " ويقال أن أويسا قتل بصفين مع على رضى الله عنه وهو الأصح ان شاء الله . رحلة ابن بطوطة : ص ٩٨ .

ويلى باب الجابية باب شرقى عنده جبانة(١) فيها قبر أبى بن كعب(٢) صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها قبر العابد الصالح أرسلان المعروف بالباز الأشهب .

يحكى أن الشيخ الولى احمد الرفاعى(٣) رضى الله عنه ، كان مسكنه بأم عبيده(٤) بمقربة من مدينة واسط(٥) ، وكانت بين ولى الله تعالى ابى مدين شعيب ابن الحسين وبينه مؤاخاة ومراسله ، ويقال : ان كل واحد منهما كان يسلم على صاحبه صباحا ومساءا فيرد عليه الآخر . وكان للشيخ احمد نخيلات عند زاويته . فلما كان فى احد السنين جذها على عادته ، وترك عذقا منها ، وقال هذا برسم أخى شعيب ، فحج الشيخ أبو مدين تلك السنة ، واجتمعا بالموقف الكريم بعرفه ، ومع الشيخ احمد خديمه ارسلان ، فتفاوضا

---

(١) الجبانه : المقبرة كما يسميها أهل البصرة ، ياقوت : معجم البلدان ج٢/٩٩ .

(٢) هو ابى بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك النجار شهد العقبة الثانية وبدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان أحد فقهاء الصحابة وأقرأهم لكتاب الله تعالى ، وقد ذكر ابن سعد أنه توفى بالمدينة المنورة فى خلافة عثمان رضى الله عنه (انظر ابن سعد : الطبقات ج٣ق٢/٦١) وهذا يثبت ان ما ذكره ابن بطوطة عن قبره فى دمشق لا أساس له من الصحة فكيف يموت فى المدينة وقبره فى دمشق ، وعن ترجمته راجع ابن عبد البر : الاستيعاب ج١/٦٥ ، ابن الاثير : اسد الغابة ج١/٤٩ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ج١/٢٥٠ .

(٣) احمد بن الحسن على بن أبى العباس احمد المعروف بابن الرفاعى شيخ الطائفة الرفاعية البطائحية ، لسكناه أم عبيده من قرى البطائح وهى ما بين البصرة وواسط توفى فى جمادى الأولى سنة ٥٧٨ ، ابن كثير : البداية ج١٢/٣١٢ .

(٤) أم عبيدة : قرية على مسيرة يوم من مدينة واسط . رحلة ابن بطوطة : ص ١٨٣ .

(٥) واسط : مدينة بالعراق متوسط بين البصرة والكوفة ، ياقوت : معجم البلدان : ج٥/ ٣٤٧ .

الكلام ، وحكى الشيخ حكاية العذق ، فقال له أرسلان : عن أمرك ياسيدى آتية به ، فأذن له فذهب من حينه وأتاه به ووضعه بين أيديهما ، فأخبره أهل الزاوية أنهم رأوا عشية يوم عرفه بازا أشهب قد انقض على النخلة فقطع ذلك العذق وذهب به فى الهواء .

وبغربى دمشق جبانه تعرف بقبور الشهداء (١) ، فيها قبر أبى الدرداء وزوجته أم الدرداء (٢) ، وقبر فضالة بن عبيد (٣) ، وقبر واثلة بن الاسقع (٤) ، وقبر سهل ابن الحنظلية (٥)

---

(١) سبقت ترجمته فى التمهيد ص ٦ حاشية ٦ .

(٢) خيرية بنت أبى حَدْرَد . أم الدرداء الكبرى . من مفضلى النساء وعقلائهن ، وذات الرأى فيهن مع العبادة والتمسك ، توفيت قبل أبى الدرداء بالشام فى فى خلافة عثمان وكانت قد حفظت عن النبى وعن زوجها ابن حجر : الاصابة ج٧ / ٦٢٩ .

(٣) هو فضاله بن عبيد بن نافذ بن قيس الانصارى ، أسلم قديما وشهد بدر وأحدا فما بعدها مع رسول الله ، كما شهد فتح مصر والشام . سكن الشام وبنى دارا فى دمشق . وولاه معاوية بن أبى سفيان قضاء دمشق بعد ابى الدرداء . مات فى خلافة معاوية سنة ٥٣هـ راجع ابن سعد : الطبقات ج ٧ ق٢ / ١٢٤ ، ابن حجر : الاصابة ج٥ / ٣٧١ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ج٧ / ١١٣ .

(٤) هو واثله بن الاسقع بن كعب بن عامر ، ويقال أن الاسقع لقب ، واسمه عبد الله أسلم قبل تبوك سنة ٩هـ وشهدها ، وروى عن النبى وأبى هريره وكان من أهل الصفة ، ثم نزل الشام بعد وفاة النبى وشهد فتح دمشق وحمص توفى سنة ٨٣ هـ وقيل سنة ٨٥هـ وهو آخر من مات من الصحابة بدمشق حسب قول ابن حجر : الاصابة ج٦ / ٥٩١ . أما ابن سعد فذكر أنه كان ينزل بيت المقدس ومات بها (الطبقات ج٧ق٢ / ١٢٩) وذكر الذهبى أن له مسجد مشهور بدمشق وسكن قرية البلاط مدة وله دار (سير أعلام النبلاء ج٣ / ٣٨٤) .

(٥) (فى ابن بطوطة "ابن حنظلة" انظر الرحلة ص ٩٩) هو سهل بن الحنظلية الانصارى رضى الله عنه قال البخارى : "وكان عظيما وقد بايع النبى تحت الشجرة (التاريخ الكبير ج٢ق٢ / ٩٨) شهد المشاهد كلها مع رسول الله =

من الذين بايعوا تحت الشجرة ، رضى الله عنهم أجمعين .

وبقرية وتعرف بالمنيحة (١) شرقى دمشق ، وعلى أربعة أميال منها قبر سعد ابن عباده (٢) رضى الله عنه ، وعليه مسجد صغير حسن البناء ، وعلى رأسه حجر مكتوب : هذا قبر سعد بن عباده رأس الخزرج صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما . وبقرية (٣) قبلى البلد وعلى فرسخ منها مشهد أم كلثوم بنت على بن أبى طالب من فاطمة (٤) ، عليهم السلام ، ويقال اسمها زينب وكناها النبى صلى الله

= ونزل الشام وتوفى فى خلافة معاوية فى دمشق راجع ابن سعد : الطبقات ج٧ق٢/١٢٤ ، ابن حجر : الاصابة ج٣/١٩٦ .

(١) المنيحه من قرى دمشق بالغوطة . ياقوت : معجم البلدان ج٥/٢١٧ .

(٢) هو سعد بن عباده بن دليم بن حارثه بن كعب بن الخزرج الانصارى سيد الخزرج ، يكنى أبا ثابت وأبا قيس ، قال ابن سعد كان يكتب العربية ويحسن العوم والرمى فكان يقال له الكامل ، كان مشهورا بالجود (الطبقات ج٧ق٢/١١٥ ، ١١٦) خرج الى الشام مهاجرا من أول خلافة عمر رضى الله عنه ، فمات بحوران سنة ١٥هـ وقيل سنة ١٦هـ . وقيل أن قبره بالمنيحه (ابن حجر : الاصابة ج٣/٦٥ ــ ٦٧) وقال ياقوت وابن شداد أن بالمنيحة مشهد يقال أنه قبر سعد بن عباده الانصارى ، والصحيح أن سعد مات بالمدينة (ياقوت : معجم البلدان ج٥/٢١٧ ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ج٢/١٨٢) .

(٣) (اسم هذه القرية (راويه) انظر رحلة ابن جبير ص ٢٦٨ ، ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ج٢/١٣٤) وهى من قرى غوطة دمشق بها قبر أم كلثوم (ياقوت : معجم البلدان ج٣/٢٠) .

(٤) هى أم كلثوم بنت على بن أبى طالب الهاشمية ، أمها فاطمة بنت رسول الله ولدت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وتزوجها عمر بن الخطاب رضى عنه وهى صغيرة ، ثم توفى عنها فتزوجها عوف بن جعفر بن أبى طالب ثم مات عنها فتزوجها أخوه محمد ثم مات عنها ، فتزوجها أخوه عبد الله بن جعفر فماتت عنده . وفى ظاهر كلام الذهبى أنها ماتت فى المدينة وأن سعيد بن =

عليه وسلم ، بأم كلثوم لشبهها بخالتها أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه مسجد كبير ، وحوله مساكن ، وله أوقاف ويسميه أهل دمشق قبر الست أم كلثوم ، وقبر آخر يقال أنه قبر سكينه بنت الحسين بن على عليه السلام[1].

ويواصل ابن بطوطة[2] حديثه عن القبور والمشاهد بدمشق فيقول : " وبجامع النيرب[3] من قرى دمشق فى بيت بشرقيه قبر يقال انه قبر أم مريم عليها السلام[4] وبقرية تعرف بداريا[5] غرب البلد وعلى أربع أميال منها قبر أبى

= العاص أمير المدينة صلى عليها ، راجع سير أعلام النبلاء ج٢/٥٠٢ ، ابن حجر : الاصابة ج٨/٢٩٣ أما ابن شداد فيقول : أنما هى امرأة من أهل البيت سميت بهذا الاسم ولم يحفظ نسبها ومسجدها بناء رجل قرقوبى من أهل حلب (الاعلاق الخطيرة ج٢/١٣٤) .

(١) هى سكينة بنت الحسين بن على بن أبى طالب ، أمها الرباب بنت امرئ القيس ابن عدى ويقول ابن سعد عن موتها : " وماتت سكينة بنت الحسين بن على بن أبى طالب وعلى المدينة خالد بن عبدالله بن الحارث بن الحكم ، فقال : انتظرونى حتى أصلى عليها وخرج الى البقيع فلم يدخل حتى الظهر ، وخشوا أن تتغير فاشتروا لها كافورا بثلاثين دينارا ، فلما دخل أمر شيبه بن نصاح فصلى عليها " (الطبقات : ج٨/٣٤٩) راجع (الذهبى : سير أعلام النبلاء ج٥/٢٦٢ — ٢٦٣) .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٩٤ — ١٠٠ .

(٣) النيرب : قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ فى وسط البساتين ياقوت : معجم البلدان ج٥/٣٣٠ .

(٤) ذكر ابو اليمن الحنبلى ، أن أم مريم عليها السلام دفنت بالكنيسة المعروفة بالجسمانية خارج باب الاسباط فى ذيل جبل طورزيتا : وهو مكان مشهور يقصده الناس للزيارة من المسلمين والنصارى ، (الانس الجليل ج١/١٦٨) وطورزيتا جبل عظيم مشرف على المسجد الأقصى (الانس الجليل ج٢/٦٠) .

(٥) داريًا : قرية مشهورة من قرى دمشق بالغوطة ، (ياقوت : معجم البلدان ج٢/٤٣١) .

مسلم الخولانى (١) وقبر أبى سليمان الدارانى (٢) رضى الله عنهما .

ومن مشاهد دمشق الشهير البركة ، مسجد الأقدام (٣) ، وهو فى قبلى دمشق على على ميلين منها ، على قارعة الطريق الاعظم ، الآخذ الى الحجاز الشريف — البيت المقدس وديار مصر . وهو مسجد عظيم كثير البركة ، وله أوقاف كثيرة ، ويعظمه أهل دمشق تعظيما شديدا . والاقدام التى ينسب اليها هى أقدام مصورة فى حجر هناك يقال أنها أثر قدم موسى عليه السلام ، وفى هذا المسجد بيت صغير فيه حجر مكتوب عليه : كان بعض الصالحين يرى المصطفى صلى الله عليه وسلم فى النوم فيقول له : هاهنا قبر اخى موسى عليه السلام ، وبمقربة من هذا المسجد على الطريق موضع يعرف بالكثيب الأخضر ، وبمقربة من بيت المقدس وأريحا (٤) موضع يعرف بالكثيب الأحمر (٥)

---

(١) هو عبد الله بن ثوب ، وكان ثقه ، وهو من التابعين ، قارئ أهل الشام ، قدم من اليمن ، وقد أسلم فى ايام النبى صلى الله عليه وسلم ، ودخل المدينة فى خلافة عثمان ، توفى فى خلافة يزيد بن معاوية وقال الذهبى : " وبداريا قبر يزار يقال انه قبر ابى مسلم الخولانى وذلك محتمل " (سير اعلام النبلاء ج ٤/ ١٤) راجع ابن سعد : الطبقات ج٧ق٢/١٥٧ ، البخارى : التاريخ الكبير ج٣ق١/٥٨ ، ابو نعيم : حلية الأولياء ج٢/٢٢ ، عبد الجبار الخولانى : تاريخ داريا بعناية سعيد الافغانى ص ١٠٣ .

(٢) هو عبد الرحمن بن احمد ابو سليمان الدارانى العنسى أصله من واسط (ابن شاكر : فوات الوفيات ج٢/٢٦٥) توفى بداريا سنة ٢٣٥هـ وقبره بها معروف يزار (ياقوت : معجم البلدان ج٢/٤٣١) .

(٣) ذكر ابن شداد مشهد الاقدام قبلى دمشق به آثار أقدام فى الصخر ، يقال أنها آثار أقدام أنبياء ، ويقال ان القبر الذى به قبر موسى عليه السلام وليس ذلك بصحيح . (الاعلاق الخطيرة ج٢/١٨٣ — ١٨٤) .

(٤) أريحا : من أرض الأردن بينها وبين بيت المقدس مسافة يوم للفارس . ياقوت : معجم البلدان : ج١/١٦٥ .

(٥) عند الكثيب الأحمر قبر موسى عليه السلام (راجع عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء : ٣٥٦) ، (الصابونى : النبوة والأنبياء : ١٨٥) وكان الملك الظاهر قد بنى على قبره قبة ومسجدا عند الكثيب الأحمر قبلى اريحا ، ووقف عليه وقفا =

تعظمه اليهود •

هـ ـ مشاهد جبل قاسيون والربوه فى دمشق :

(١)
وأما عن جبل قاسيون ومشاهده ، وعن الربوه فى مدينة دمشق فان ما ذكره ابن بطوطة كان معظمه مقتبسا عن رحلة ابن جبير •

فلو نظر القارئ الى الرحلتين لوجدهما شبه متشابهة ، على الرغم من أن ابن بطوطة حاول أن يخفى هذا النقل عن طريق التقديم والتأخير مع التعديل البسيط فى بعض المعانى • (٢)

فمن جبل قاسيون يقول ابن بطوطه : " وقاسيون (٣) جبل فى شمال دمشق • والصالحية (٤) فى سفحه وهو شهير البركة لأنه مصعد الأنبياء عليهم السلام• ومن مشاهده الكريمة الغار الذى ولد فيه ابراهيم عليه السلام (٥) ، وهو غار مستطيل ضيق عليه مسجد كبير ، وله صومعة عالية • ومن ذلك الغار رأى الكوكب والقمر والشمس حسبما ورد فى

= ابن شاكر : فوات الوفيات جـ١/ ٢٤٣ ، الصفدى : الوافى بالوفيات جـ ١٠ / ٣٤١ راجع بتوسع ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل جـ١/ ١٠٢ •

(١) الربـوه : ما ارتفع من الأرض وجمعها ربى ياقوت : معجم البلدان جـ٣/ ٢٦•

(٢) انظر رحلة ابن جبير : ص ٢٦٢ ـ ٢٦٥ •

(٣) رحلة ابن بطوطـة : ص ١٠١ ـ ١٠٢ •

(٤) سبق تعريفها : انظر ص ١٣١ حاشية ٣•

(٥) المشهور عند أهل السير والتاريخ أن مولد ابراهيم عليه السلام فى بابل وهى أرض الكلدانيين فى العراق• راجع ابن كثير : قصص الأنبياء : ١٥٢ ، ياقوت : معجم البلدان جـ١/ ٣٨٢ و ٣٨٣ ، الصابونى : النبوة والانبياء : ١٤٨ ، عفيف طيار : مع الانبياء / ١٠٧ •

الكتاب العزيز (١) ، وفى ظهر الغار مقامه الذى كان يخرج اليه ·

وقد رأيت ببلاد العراق قرية تعرف ببرص (٢) ، ما بين الحله وبغداد ، يقال أن مولد ابراهيم عليه السلام كان بها (٣) ، وهى بمقربة من بلدة ذى الكفل عليه السلام وبها قبره (٤) ·

ومن مشاهده بالقرب منه مغارة الدم ، وفوقها بالجبل دم هابيل بن أدم عليه السلام ، وقد أبقى الله منه فى الحجارة أثرا محمرا (٥) ، وهو الموضع الذى قتله أخوه به ، وأجتره الى المغاره ، ويذكر أن تلك المغارة صلى فيها ابراهيم وموسى

---

(١) يعنى بذلك قوله تعالى : " فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال : هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الافلين " ، الآية سورة الانعام الآيات ٧٦ — ٧٨ ·

(٢) برس بالسين وهو موضع بارض بابل (ياقوت : معجم البلدان جـ١/٣٨٤) ·

(٣) اختلف فى مولده ، فقيل كان مولده (بالسوس) وقيل (بابل) وقيل (بالسواد) من ناحية كوثى موضع بالعراق ، والمشهور انه ولد ببابل ، راجع ابن كثير : قصص الأنبياء : ١٥٢ و ٢٢٠ ·

(٤) ذى الكفل : ورد ذكره فى القرآن الكريم انظر سورة الانبياء الآيات ٨٥ — ٨٦ ويقول الصابونى : " وكان مقامه فى الشام ، وأهل دمشق يتناقلون أن له قبرا فى جبل هناك يشرف على دمشق يسمى جبل قاسيون " (النبوة والأنبياء : ٢٦٨) والله أعلم ·

(٥) هذا مجرد نقل ولا دليل على يثبت ذلك ، فعن مغارة الدم قال ابن كثير : " بجبل قاسيون شمالى دمشق مغارة يقال لها مغارة الدم ، مشهور بأنها المكان الذى قتل قابيل اخاه هابيل عندها وذلك مما تلقوه عن أهل الكتاب ، فالله أعلم بصحة هذا " (قصص الانبياء ص ٦٠)(راجع : ياقوت : معجم البلدان جـ٢/٤٦٤) ·

وعيسى وأيوب ولوط صلى الله عليهم أجمعين (١) ، وعليها مسجد متقن البناء يصعد اليه على درج وفيه بيوت ومرافق للسكنى ويفتح فى كل يوم اثنين وخميس ، والشمع والسّرج (٢) توقد فى المغارة .

ومنها كهف بأعلى الجبل ينسب لآدم عليه السلام ، وعليه بناء ، وأسفل منه مغارة تعرف بمغارة الجوع (٣) يذكر أنه أوى اليها سبعون من الأنبياء عليهم السلام، وكان عندهم رغيف ، فلم يزل يدور عليهم وكل منهم يؤثر صاحبه به حتى ماتوا جميعا صلى الله عليهم أجمعين ، وعلى هذه المغارة مسجد مبنى والسرج توقد به ليلا ونهارا ، ويذكر أن فيما بين باب الفراديس وجامع قاسيون مدفن سبعمائة نبى . وبعضهم يقول سبعين ألفا ،وخارج المدينة المقبرة العتيقة ، وهى مدفن الانبياء والصالحين ،وفى طرفها مما يلى البساتين أرض منخفضة غلب عليها الماء يقال انها مدفن سبعين نبيا ، وقد عادت قرارا للماء ونزهت من أن يدفن فيها أحد . (٤)

(١) ذكر ابن جبير ذلك فى رحلته حيث قال : " وقرانا فى تاريخ ابن المعلى الاسدى ان تلك المغارة صلى فيها ابراهيم وموسى وعيسى ولوط وأيوب عليهم السلام وعلى نبينا الكريم افضل الصلاة والسلام " رحلة ابن جبير ص ٢٦٣ .

(٢) السّرج : مفردها سرُج وهو المصباح الذى يسرج بالليل والجمع سرج . ابن منظور : لسان العرب المحيط المجلد الثانى : ١٢٧ .

(٣) وفيه مغارة الجوع يزعمون انه مات بها اربعون نبيا (ياقوت : معجم البلدان : ج٤ / ٢٩٦) وجبل قاسيون وبه مغارة الجوع - قيل مات فيها أربعون نبيا ولها حكاية (ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ج٢ / ١٨١) .

(٤) ذكر ابن جبير ذلك فى رحلته وقال : " هذا كله ذكره الحافظ محدث الشام أبو القاسم بن هبه بن عساكر الدمشقى فى تاريخه اخبار دمشق " (رحلة ابن جبير ص ٢٦٢) كما ذكر ابن فضل الله العمرى بعضا من الأقوال فى مقام ابراهيم عليه السلام ببرزه بجبل قاسيون و مغاره الدم ومقام عيسى عليه السلام بالربوه ، ولكنه انتقد هذه الاقوال بقوله : " وهذه الاقوال واهيه وانما ذكرناها للتعجب ، اقتداء بالحافظ أبى القاسم بن عساكر رحمه الله " (مسالك الابصار ج١ / ٢٠٣-٢٠٨) .

وأما الربوه فيقول عنها : " وفى آخر جبل قاسيون الربوه المباركة المذكورة فى كتاب (١) الله ذات القرار والمعين ومأوى المسيح عيسى وأمه عليهما السلام . والمأوى المبارك (٢) مغارة صغيرة فى وسطها كالبيت الصغير ، وازاءها بيت يقال أنه مصلى الخضر عليه السلام ، يبادر الناس الى الصلاة فيه وللمأوى باب حديد صغير ، والمسجد يدور به ، (٣) وله شوارع دائرة وسقاية حسنة ينزل لها الماء من علو ، وينصب فى شاذروان (٤) فى الجدار يتصل بحوض من رخام ، ويقع فيه الماء ولا نظير له فى الحسن وغرابة الشكل .

كما زار ابن بطوطة بيت لهيا وعنه يقول : " وفى شرقى البلد (٥) قرية تعرف ببيت لاهية (٦) وكانت فيها كنيسة يقال أن آزر كان يجلب فيها الأصنام فيكسرها الخليل عليه السلام (٧)،

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ١٠٢ .

(٢) يعنى بذلك ما ورد فى قوله تعالى : " وجعلنا ابن مريم وأمه آية وأويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين " الآية ، سورة المؤمنون آية ٥٠ . وقد اختلف المفسرون فى مكان الربوه والمرجح أنها الرملة من فلسطين (راجع الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن ج١٨/ ٢٠)، ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ج٢ / ١٨١ .

(٣) الخضر عليه السلام هو العبد الصالح المقصود فى قوله تعالى : " فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما " سورة الكهف آية ٦٥ . وقد اختلف العلماء فى اسمه وهل هو نبى أم رسول أم ولى واختلفوا فى زمنه (عبد الوهاب نجار : قصص الأنبياء : ٣٥٣) وذكر ياقوت أنه رأى موضع فى قرية النيرب بدمشق يقال فيه مصلى الخضر ، ولا دليل علمى يثبت ذلك (معجم البلدان : ج٥/ ٣٣٠) .

(٤) الشاذروان : حائط صغير بجوار الجدار الاصلى لتقويته .

(٥) رحلة ابن بطوطة : ص ١٠٣ — ١٠٤ .

(٦) بيت لِهْيا : بكسر اللام وسكون الهاء قرية مشهورة بغوطة دمشق (ياقوت: معجم البلدان ج١/ ٥٢٢) .

(٧) المشهور أن الخليل عليه السلام ولد ر بأرض بابل وبها كان آزر يصنع الأصنام وفى التوراه أن آزر مات بحران ولم يرد خبر صحيح أنه دخل الشام راجع : ياقوت : معجم البلدان ج١/ ٥٢٢، ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ج ٢ / ١٨٢، عبد الوهاب نجار : قصص الأنبياء / ١٠٨ .

وهى الآن مسجد جامع بديع مزين بفصوص الرخام الملونة المنظمة بأعجب نظام وأزين التئـــام .

وذكر ابن بطوطة أنه زار تربه يونس عليه السلام وهو فى طريقه من الخليل الى القدس قائلا : " ثم سافرت من هذه المدينة ـ يقصد الخليل ـ الى القدس فزرت (١) فى طريقى اليه تربة يونس عليه السلام (٢) ، وعليها بنية كبيرة ومسجد (٣) ، وزرت أيضا / بيت لحم (٤) موضع ميلاد عيسى عليه السلام ، وبه اثر جزع النخلة ، وعليه عمارة كثيرة والنصارى يعظمونه اشد التعظيم ويضيفون من نزل به " .

أما عن مشاهد القدس فيقول : " فمنها بعدوة الوادى المعروف بـــوادى (٥)

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٥٧ .

(٢) ورد ذكر يونس عليه السلام فى القرآن الكريم . سورة الانعام آية ٨٦ ، سورة يونس آية ٩٨ ، سورة الصافات آية ١٣٩ ، وقبره فى قرية حلحول بين القدس والخليل ، ياقوت : معجم البلدان جـ٢/ ٢٩٠ ، ابو اليمن الحنبلـــى : الأنس الجليل جـ١/ ١٥٨ .

(٣) صار على قبره مسجد ومناره ، والذى بنى المناره الملك المعظم عيسى بولايـــة الأمير رشيد فرج بن عبد الله المعظم فى شهر رجب سنة ٦٢٣هـ ، وقد اشتهر امره ، والناس يقصدونه للزيارة (ابو اليمن الحنبلى : الأنس الجليـــل جـ ١ / ١٥٨) كما زار ابن فضل الله العمرى قبر يونس عليه السلام عدة مـــرات آخرها عام ٧٤٥هـ . وقال : ويعرج الزائر اليه ، وعليه بناء وقبه وله خـــادم (مسالك الابصار جـ١/ ١٧٦) .

(٤) عن بيت لحم يقول ابو اليمن الحنبلى : وهى قرية غالب سكانها فى عصرنا نصارى ، وبها كنيسة محكمة البناء ، بها ثلاثة محاريب ، من بناء هيلانه ام قسطنطين وفيها مكان مولد عيسى عليه السلام ، وهو فى مغارة بين المحاريب الثلاثـــة وللنصارى فيها اعتقاد ، ويرد اليها من بلاد الفرنج وغيرها الاموال لها وللرهبان المقيمين بالدير المجاور للكنيسة ، (الانس الجليل جـ٢/ ٦٥ ـ ٦٦) .

(٥) رحلة ابن بطوطة : ص ٥٩ .

جهنم فى شرقى البلد على تل مرتفع هناك بنيه يقال انها مصعد عيسى عليه السلام (١) الى السماء ، ومنها أيضا قبر رابعة البدوية منسوبة الى البادية ، وهى خلاف (٢) رابعة العدوية الشهيرة . وفى بطن الوادى المذكور (وادى جهنم) كنيسة يعظمها النصارى ويقولون : ان قبر مريم عليها السلام بها ، وهنالك ايضا كنيسة اخرى معظمة (٣) يحجها النصارى ، وهى التى يكذبون عليها ويعتقدون ان قبر عيسى عليه السلام بها . (٤)

---

(١) وادى جهنم : بين جبل طورزيتا والمسجد الاقصى (ياقوت : معجم البلدان : ج٤ / ٤٨) وطورزيتا جبل عظيم مشرف على المسجد الاقصى (ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل ج٢ / ٦٠) .

(٢) زار كل من الرحالة العبدرى سنة ٦٩٠هـ والرحالة البلوى سنة ٧٣٧هـ فلسطين ، وكل منهما ذكر هذا القبر ، فالعبدرى قال : قبر رابعة البدوية بالباء منسوبة الى البادية (رحلة العبدرى ص ٢٢٨) أما الرحالة البلوى قال : انها تربة الصالحة الولية رابعة العدوية (تاج المفرق ج١ / ٢٥٤) وهذا يؤكد صحة ما ذكره ابو اليمن الحنبلى بأنه قبر رابعة العدوية أم الخير بنت اسماعيل العدوية البصرية ، وقبرها على رأس جبل طورزيتا شرقى بيت المقدس بجوار مصعد عيسى عليه السلام من جهة القبلة وهو زاوية ينزل اليها من درج وهو مكان مأنوس يقصد للزيارة (الانس الجليل ج١ / ٢٩١ — ٢٩٢) ويبدو أن الصحيح قبر رابعة العدوية وليست البدوية كما ذكر ابن بطوطة والعبدرى انظر ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار ج١ / ١٥٥ .

(٣) قبر مريم عليها السلام فى كنيسة داخل جبل طورزيتا تسمى (الجسيمانية) خارج باب الأسباط وهذه الكنيسة من بناء هيلانه ام قسطنطين ، ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل ج٢ / ٦١ — ٦٢ .

(٤) هى كنيسة القيامة (القمامة) وعنها يقول ابو اليمن الحنبلى : " كنيسة قمامة ، وهى عندهم مكان عظيم وبناؤها فى غاية الاحكام والاتقان ، ويقصدونها فى كل سنة فى عدة أوقات من بلاد الروم والافرنج ومن بلاد الارن ومن الديار المصرية والمملكة الشامية ، وسائر الاقطار ويسمونها القيامة ويزعمون أن حجهم اليها (الانس الجليل ج٢ / ٥١) وبتوسع (راجع رشاد الامام : القدس فى العصر الوسيط ص ١٧٧ وما بعدها) .

وعلى كل من يحجها ضريبة معلومة للمسلمين (١) ، وضروب من الاهانة يتحملها على الرغم من أنفه ، وهنالك موضع مهد عيسى عليه السلام يتبرك به (٢) .

أما عسقلان وبها المشهد الشهير حيث كان رأس الحسين بن على عليه السلام (٣) عنه قبل أن ينقل الى القاهرة وهو مسجد عظيم سامى العلو (٤) فيه جب للماء أمر ببنائه بعض العبيد وكتب ذلك على بابه . وفى قبله هذا المزار مسجد كبير يعرف بمسجد عمر لم يبق منه الا حيطانه ، وفيه أساطين رخام لامثل لها فى الحسن ، وهى مابين قائم وحصيد ، ومن جملتها أسطوانه حمراء عجيبة يزعم الناس أن النصارى احتملوها الى بلادهم ثم فقدوها ، فوجدت بموضعها بعسقلان . وفى القبلة من هذا المسجد بئر تعرف ببئر ابراهيم عليه السلام ، ينزل اليها فى درج متسعة ويدخل منها الى بيوت ، وفى كل ناحية من جهاتها الأربع عين تخرج من أسراب مطوية بالحجارة وماؤها عذب ، وليس بالغزير ، ويذكر الناس من فضائلها كثيرا (٥) .

---

(١) كانت أغلب هذه الضرائب تفرض على الحجاج الاوربيين من قبل موظفى الدولة المملوكية فى كل من يافا والقدس وغزه (انظر ، رشاد الامام : المرجع السابق ص ١٣٠ وما بعدها) .

(٢) هو مسجد تحت الأرض يعرف بمهد عيسى بسوق المعرفة بآخر المسجد الأقصى من جهة الشرق ويقال أنه محراب مريم عليها السلام وهو موضع متعبد هما (ابواليمن الحنبلى : الانس الجليل ج٢/١٥) .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٠ .

(٤) عند زيارة ابن بطوطة للمزارات بمصر عام ٧٢٦هـ ذكر مشهد الرأس الحسينى هناك (انظر رحلة ابن بطوطة ص ٣٩) كما ذكر له مشهدا فى مدينة دمشق (انظر الرحلة ص ٩١) وذكر ابو اليمن الحنبلى : " أن الذى بنى هذا المشهد بعسقلان بعض خلفاء الفاطميين بمصر ، على مكان زعموا أن رأس الحسين ابن على رضى الله عنهما به " (الانس الجليل ج٢/٧٤) أما ابن فضل الله العمرى فيقول : "والاغلب أنه لم يتجاوز دمشق ، ولهذا بدمشق مشهد معروف داخل باب الفراديس ، وفى خارجه مكان الرأس على ماذكروا . وقد جاء فى أخبار الدولة العباسية أنهم حملوا أعظم الحسين ورأسه الى المدينة ، والمدى بعيد بين مقتل الحسين ومبنى مشهد عسقلان (مسالك الابصار ج ١/٢٢٠) راجع ابن كثير : البداية والنهاية ج٨/٢٠٢ وما بعدها .

(٥) زار العبدرى عسقلان عند زيارته لارض فلسطين عام ٦٩٠هـ وأنكر ما قيل عن فضائل =

وبظاهر عسقلان وادي النمل (١)، ويقال انه المذكور في الكتاب العزيز (٢)، وبجبانة عسقلان من قبور الشهداء والاولياء ما لا يحصر لكثرته ، أوقفنا عليهم قيم المزار المذكور، وله جراية يجريها له ملك مصر مع ما يصل اليه من صدقات الزوار . كما زار ابن بطوطة عددا من القبور في طريقه الى اللاذقية فقال : " ومررت بالغور (٣) وهو واد (٤) بين تلال به قبر أبي عبيدة بن الجراح (٥) أمين هذه الارض رضي الله عنه، زرناه وعليه زاوية (٦) فيها الطعام لابناء السبيل ، وبتنا هنالك ليلة . ثم وصلنا القصير (٧) وبه قبر معاذ بن جبل (٨) رضي الله

= بئر ابراهيم بأنها أشياء لا تقع الثقة بصحتها والله أعلم راجع رحلة العبدري/ ٢٣٢

(١) وادي بين جبرين وعسقلان (ياقوت : معجم البلدان ج٥/ ٣٤٦) وجبرين بليد بين المقدس وغزه (ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ج١/ ٣٣٧) .

(٢) سورة النمل آية ١٨ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٦١ .

(٤) الغور سبق تعريفه انظر الباب الأول ص ٤٥ حاشية ١٠.

(٥) هو ابو عبيدة عامر بن الجراح بن هلال القرشي الفهري . هو أحد العشرة السابقين الى الاسلام . هاجر الهجرتين وشهد بدرا وما بعدها ، قال فيه صلى الله عليه وسلم : " لكل امة أمين وأمين هذه الأمة ابو عبيدة بن الجراح " مخرج من الصحيحين وغيرها . توفي في طاعون عمواس بالشام سنة ١٩هـ في خلافة عثمان ، وعمواس قرية بين الرملة والمقدس وقبره بقرية عمتا من الغور راجع : ابن سعد :الطبقات ج٣ق١/ ٢٩٧، ابن عبد البر: الاستيعاب ج٢/ ٧٩٢ ، ابن الاثير : أسد الغابة ج٣/ ٨٤، ابن حجر :الاصابة ج٦/ ٥٨٦ ، ابن فضل الله العمري : مسالك الابصار ج١/ ٢١٧ .

(٦) كان الملك الظاهر قد بني على قبره مشهدا بعمتا من الغور ووقف عليه وقفا (ابن شاكر : فوات الوفيات ج١/ ٢٤٣، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٠/ ٣٤١) كما كان لخادمه مرتب جار ، أجرى له في عهد الامير تنكز نائب دمشق. (ابن فضل الله العمري : مسالك الابصار ج١/ ٢١٧) .

(٧) القصير : سبق تعريفه انظر الباب الأول ص ٤٦ حاشية ١ .

(٨) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ الخزرجي الانصاري ،يكنى أبا عبد الرحمن واحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار ، شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله وبعثه قاضيا الى الجند في اليمن يعلم الناس القرآن وشرائع الاسلام =

عنه ، تبركت أيضا بزيارته • ومدينة عكا بشرقيها عين ماء تعرف بعين البقر يقال أن الله تعالى أخرج منها البقر لآدم عليه السلام (١) ، وينزل اليها في درج ، وكان عليها مسجد بقي محرابه • وبهذه المدينة قبر صالح عليه السلام (٢) •

وبطبرية مسجد يعرف بمسجد الأنبياء (٣) ، فيه قبر شعيب عليه السلام وبنته زوج موسى الكليم عليه السلام (٤) ، وقبر سليمان عليه السلام (٥) ، وقبر يهوذا (٦) ، وقبر روبيل (٧) ، صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم •

= ويقضي بينهم ، كما استعمله عمر على الشام حين مات أبو عبيده بن الجراح فمات من عامه في طاعون عمواس سنة ١٨هـ• راجع : ابن حجر : الاصابة جـ ٦ /١٣٦ ، ابن سعد : الطبقات جـ٣ق٢/١٢٠ ، ابن عبد البر : الاستيعاب جـ٣/١٤٠٢ •

(١) هذه مجرد أقوال واهية ولا دليل على يثبتها •

(٢) توفي صالح عليه السلام في نواحي الرملة من أرض فلسطين على اشهر الأقوال (الصابوني : النبوة والانبياء : ٢٣٤) ويذكر ابو اليمن الحنبلي : " يقال أنه مدفون في مغارة تحت الارض في صحن الجامع الابيض بالرملة• الأنس الجليل جـ٢/٦٩ •

(٣) قبر شعيب عليه السلام بقرية حطين بين أرسوف وقيساريه ، ياقوت : معجم البلدان جـ٢/٢٧٣ ، ابن فضل الله العمري : مسالك الابصار جـ١/٢١٩ •

(٤) هي صفوراء بنت شعيب زوج موسى وقبرها بقرية كفر منده بين عكا وطبرية ، ابن فضل الله : المصدر السابق جـ١/١٠٩ •

(٥) قبر سليمان عليه السلام في بيت لحم في المغارة التي بها مولد عيسى عليه السلام (ابن فضل الله : المصدر السابق جـ١/٢١٨) ، ياقوت : معجم البلدان جـ٤ /١٩ اما الصابوني فيقول انه دفن في بيت المقدس (قصص الانبياء/٢٩٦)

(٦) هو يهوذا بن يعقوب وقبره بقرية رومه من اعمال طبرية (ابن فضل الله : المصدر السابق جـ١/٢١٩) •

(٧) يقول عنه ابو اليمن الحنبلي : " وبظاهر الرملة من جهة الغرب بالقرب من البحر المالح مشهد يقال ان به ضريح سيدنا روبيل بن يعقوب عليهما السلام وهو مكان مانوس يقصد للزيارة • وفي كل سنة له موسم يجتمع فيه الناس من الرملة =

ومن طبرية قصد ابن بطوطة زيارة الجب الذى القى فيه يوسف عليه السلام وهو (١) فى صحن مسجد صغير ، وعليه زاوية ، والجب كبير عميق شربنا من مائه المجتمع من ماء المطر ، وأخبرنا قيمه أن الماء ينبع منه " (٢) . كما زار ابن بطوطة قبر أبى يعقوب بن يوسف ، وروى عنه قصة تكاد تكون أشبه بالحكايات الخرافية والتى يعجز العقل عن تصديقها حيث قال : " وقصدنا منها (يقصد بيروت) زيارة " قبر " (٣) أبى يعقوب يوسف الذى يزعمون أنه من ملوك المغرب (٤) وهو بموضع يعرف بكرك نوح (٥) من بقاع العزيز ، وعليه

= وغزه وغيرهما ، ويقيمون أياما ، وينفقون أموالا كثيرة ، ويقرأ هناك القرآن العظيم والمولد الشريف ، والذى عمر المشهد سيدنا ومولانا ولى الله تعالى الشيخ شهاب الدين بن رسلان تغمده الله برحمته " الانس الجليل ج٢/ ٧٢

(١) الجب : هى البئر التى لم تطو ، (ياقوت : معجم البلدان ج٢/ ١٠٠) . وذكر ياقوت وابن فضل الله العمرى : " ان هذا الجب يقع فى طريق القدس عند بلد يقال له سنجل من نواحى فلسطين " والله أعلم راجع (معجم البلدان ج١/ ١٠١ ، مسالك الابصار ج١/ ٢١٨) .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٢ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٣ — ٦٤ .

(٤) هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن على الكومى الموحدى ، ولقب بالمنصور بالله ، وكنيته أبو يوسف ، ولد بمراكش عام ٥٥٥هـ ، تولى الملك يوم الاحد ١٩ ربيع الثانى عام ٥٨٠هـ (ابن القاضى : جذوة الاقتباس القسم الثانى / ٥٥٥) وهو من اعظم ملوك الموحدين ، بلغت الدولة الموحدة فى عصره الى قمة مجدها ، وكان عصره أزهر عصور التاريخ المغربى . توفى بقصبة مراكش فى ٢٢ ربيع الأول عام ٥٩٥هـ (محمد بن عبود : تاريخ المغرب ج١/ ١٣٦ وما بعدها) يقول عنه ابن كثير : " وهو الذى كتب اليه صلاح الدين يستنجده على الفرنج فلما لم يخاطبه بأمير المؤمنين غضب من ذلك ولم يجبه الى ما طلب منه (البداية ج١٣/ ١٩ وفيه توفى عام ٥٩٤هـ) وله ترجمة موجزة فى المختصر انظر ج٣/ ٩٦ ، وهذا يؤكد أنه لا صحة لقبره فى بلاد الشام عموما .

(٥) لم أعثر على تعريف له فى كتب المعاجم .

زاوية يطعم بها الوارد والصادر (١) ويقال أن السلطان صلاح الدين وقف عليها الأوقاف وقيل السلطان نور الدين ، وكانوا من الصالحين ، ويذكر أنه كان ينسج الحصر ويقتات بثمنها .

و ـ حكاية أبو يعقوب بن يوسف التى رواها ابن بطوطة :ـ

يحكى أنه دخل مدينة دمشق فمرض بها مرضا شديدا وأقام مطروحا بالاسواق ، فلما برئ من مرضه خرج الى ظاهر دمشق ليلتمس بستانا يكون حارسا له ، فاستؤجر لحراسة بستان للملك نور الدين ، وأقام فى حراسته ستة أشهر ، فلما كان فى أوان الفاكهة ، أتى السلطان الى ذلك البستان ، وأمر وكيل البستان أبا يعقوب أن ياتى برمان يأكل منه السلطان ، فأتاه برمان فوجده حامضا فأمره أن يأتى بغيره ، ففعل ذلك ، فوجده أيضا حامضا ، فقال له الوكيل : أتكون فى حراسة هذا البستان منذ ستة أشهر ، ولا تعرف الحلو من الحامض ؟ فقال : إنما استأجرتنى على الحراسة لا على الأكل (٢) . فأتى الوكيل الى الملك فأعلمه بذلك ، فبعث اليه الملك ، وكان قد رأى فى المنام أنه يجتمع مع أبى يعقوب وتحصل له منه فائدة ، فتفرس أنه هو ، فقال له : أنت أبو يعقوب ؟ قال : نعم ، فقام اليه وعانقه وأجلسه الى جانبه ثم احتمله الى مجلسه ، فأضافه بضيافه من الحلال المكتسب بكد يمينه وأقام عنده أياما .

ثم خرج من دمشق فارا بنفسه فى أوان البرد الشديد فأتى قرية من قراها ، وكان

---

(١) الصادر : زيادة عن الطبعة المصرية (انظر ص ٣٦) وطبعة مؤسسة الرسالة (انظر ص : ٨٢) .

(٢) هناك حكاية مشابهة لها رواها الحافظ أبو نعيم عن أبراهيم بن ادهم عن حراسته لأحد البساتين فى بلاد الشام (راجع حلية الاولياء جـ ٧ /٣٧١ وما بعدها) .

بها رجل من الضعفاء ، فعرض عليه النزول عنده ، ففعل ، وصنع له مرقه وذبح دجاجة ، فأتاه بها وبخبز شعير ، فأكل من ذلك ودعا للرجل ، وكان عنده جملة أولاد منهم بنت قد آن بناء زوجها عليها ، ومن عوائدهم في تلك البلاد أن البنت يجهزها أبوها ، ويكون معظم الجهاز أواني النحاس ، وبه يتفاخرون وبه يتبايعون ، فقال أبو يعقوب للرجل : هل عندك شيء من النحاس ؟ قال نعم قد اشتريت منه لتجهيز هذه البنت ، فقال : ائتني به فأتاه به ، فقال له : استعر من جيرانك ما أمكنك منه ، ففعل ،وأحضر ذلك بين يديه ، فأوقد عليه النيران ، وأخرج جرة كانت عنده فيها الاكسير (١) ، فطرح منه على النحاس فصار كله ذهبا ، وتركه في بيت مقفل ، وكتب كتابا الى نور الدين ملك دمشق (٢) يعلمه بذلك ، وينبهه على بناء مارستان للمرضى (٣) للغرباء ، ويوقف عليه الاوقاف ، ويبني الزوايا

---

(١) الإكسير : هو ما كانوا يسمونه بالحجر الفلسفي الذي يحول المعادن الى ذهب (رحلة ابن بطوطة دار صادر ص ٦٤٥ حاشية ١) ولم يثبت ذلك علميا بخصوص تحويل المعادن الأخرى الى ذهب ، فالذهب معدن خاص بذاته كبقية المعادن .

(٢) علق عبد الهادي التازي على ذلك بقوله : ويتأكد لدينا أن الاتصالات بين الشام والمغرب ظلت منتظمة سواء على الصعيد الشعبي أو الرسمي ، وبهذا نفسر حديث ابن بطوطة عن الرسالة التي بعث بها سلطان المغرب ، أو يعقوب ابن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي الى السلطان نور الدين الشهيد ، يقترح عليه فيها القيام ببناء المزيد من المستشفيات والملاجئ لأيواء المهاجرين والمضرورين ، بل تفسر كذلك معنى وجود قبر يحمل اسم يعقوب المنصور هناك مع أنه توفى في المغرب كما هو الواقع ولكن ترديد اسمه باستمرار في ساحة المعركة حدا به الى الاعتراف بقدره ، عن طريق تشييد هذا المشهد له على نحو ما يعرف اليوم من أقامه النصب التذكارية للابدال وكبار القوم (المؤتمر الدولي لبلاد الشام المنعقد في الجامعة الاردنية سنة ١٣٩٤هـ : مقال بعنوان بلاد الشام في الوثائق الدبلوماسية المغربية ص ٤٣٥) .

(٣) ويعرف بالبيمارستان ، وهو مستشفى لمعالجة المرضى واقامتهم ، وهو لفظ فارسي =

بالطرق ويرضى أصحاب النحاس ويعطى صاحب البيت كفايته ٠

وقال فى آخر الكتاب : وان كان ابراهيم بن أدهم (١) قد خرج عن ملك خراسان فأنا قد خرجت عن ملك المغرب وعن هذه الصنعة والسلام ٠ وفر من حينه وذهب صاحب البيت بالكتاب الى الملك نور الدين ، فوصل الملك الى تلك القرية ، واحتمل الذهب بعد أن أرضى أصحاب النحاس ، وصاحب البيت وطلب أبا يعقوب فلم يجد له أثرا ،ولا وقع له على خبر ، فعاد الى دمشق وبنى المارستان المعروف باسمه الذى ليس فى المعمور مثله ٠ كما زار أيضا قبر خالد بن الوليد (٢) خارج

= مركب من بيمار أى مريض ، وستان أى دار ، أى دار المرضى ، ويقال أحيانا البيمرستان ٠ وهو مستشفى عام لمعالجة كافة الأمراض ولكن بمرور الزمن اقتصر الاسم على المكان المعد لاقامة المجانين (محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ص ١٥٥ حاشية ١) انظر (المقريزى : السلوك جـ ١ ق٣ ص ٧١٦ حاشية ٦ ، احمد الحمصى : روائع العمارة العربية الاسلامية فى سوريا ص ٨٣) ٠

(١) هو ابراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر التميمى ويقال له العجلى ، أصله من بلخ ، ثم سكن الشام ودخل دمشق ، وهو أحد مشاهير العباد وأكابر الزهاد ، توفى عام ١٦١هـ ٠ (راجع أبى نعيم :حلية الاولياء جـ ٧ : ٣٦٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ /٣١ ، ابن شاكر: فوات الوفيات جـ١ /١٣ ، ابن كثير : البداية جـ١٠ /١٣٥ ٠

(٢) هو المارستان النورى فى مدينة دمشق ، أنشأه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى فى حوالى عام ٥٤٣هـ ، وقد وصفه الرحالة ابن جبير فى زيارته لدمشق عام ٥٨٠هـ ٠ (راجع رحلة ابن جبير /٢٧٣ ، احمد الحمصى : روائع العمارة الاسلامية العربية فى سورية ص ٨٥) وظل هذا المارستان عامرا الى عام ١٣١٧هـ (محمد كرد على : خطط الشام جـ٦ / ١٥٩) ٠

مدينة حمص (١) ، وعليه زاوية ومسجد وعلى القبر كسوة سوداء (٢) . وكذلك قبر عمر بن عبد العزيز (٣) خارج المعره ، على فرسخ منها ولا زاوية عليه ، ولا خديم له (٤) . وسبب ذلك أنه وقع في بلاد صنف من الرافضة أرجاس يبغضون العشرة من الصحابة ، وخصوصا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، لما كان من فعله في تعظيم على رضى الله عنه (٥) .

وأنطاكية بها قبر حبيب النجار رضي الله عنه (٦) ، وعليه زاوية فيها الطعام للوارد والصادر (٧) . صهيون بخارجها زاوية في وسط بستان فيها الطعام للوارد والصادر ، وهي على قبر الصالح العابد عيسى البدوى رحمه الله ، وقد زرت قبره (٨) .

---

(١) هو خالد بن الوليد بن المغيرة القرشى المخزومى ، سيف الله ، أبو سليمان ، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية ، شهد مع كفار قريش الحروب الى عمرة الحديبية ثم أسلم وشهد فتح مكة وحنينا والطائف توفي بمدينة حمص عام ٢١ هـ ، وهذا أقرب الى الصحيح ، راجع ابن سعد / الطبقات ج٤ ق٢ / ١ ابن حجر : الاصابة ج٢ / ٢٥١ ، ابن الاثير : أسد الغابة / ٩٣ ، ابن عبد البر : الاستيعاب ج٢ / ٤٢٧ .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ٦٦ .

(٣) راجع ترجمته في الصفدى : فوات الوفيات ج٣ / ١٣٣ ، الحافظ أبا نعيم : حلية الأولياء ج٥ / ٢٥٣ ، الفاسى : العقد الثمين ج٦ / ٣٣١ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج١ / ١١٩ .

(٤) يقول ابن شداد : " ودير سمعان من قرى معره النعمان ويعرف أيضا بدير النقيره لأنه الى جانبه قرية تسمى النقيرة . وقبر عمر بن عبد العزيز في حائر صغير انظر (الاعلاق الخطيرة ج١ / ٥٨ ، ياقوت : معجم البلدان ج٢ / ٥٣٩) كما ذكر ابن فضل الله العمري أن قبر عمر بن عبد العزيز بدير سمعان في قرية تعرف بالبقرة من قبلي معره النعمان ، وهذا ما يؤكد صحة ما ذكره ابن بطوطة (مسالك الابصار : ص ٣٥٢) .

(٥) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٧ .

(٦) هو المقصود في قوله تعالى (سورة يس آية ٢٠) راجع (الصابونى : مختصر تفسير ابن كثير ج٣ / ١٥٩) وقبره بأنطاكية مشهور يزار (ياقوت : معجم البلدان : ج١ / ٢٦٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج٤ / ١٢٩) . انظر ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ج١ / ٥٨ .

(٧) رحلة ابن بطوطة : ص ٧٤ .

(٨) المصدر السابق : ص ٧٥ — ٧٦ .

كما زار قبر ابراهيم بن أدهم (١) فى مدينة جبله (٢) حيث قال : " وبها قبر الولـــى الصالح الشهير ابراهيم بن أدهم ، رضى الله عنه ، وهو الذى نبذ الملك وانقطـع الى الله تعالى حسبما شهر ذلـك ، ولم يكن ابراهيم فى بيت مملكة كما يظنه الناس، انما ورث الملك عن جده أبى أمه ، وأما أبوه أدهم فكان من الفقراء الصالحيـــين السائحين المتعبدين الورعين المنقطعين (٣) .

وعلى قبر ابراهيم بن أدهم زاوية حسنة فيها بركة ماء ، وبها الطعام للصـادر والوارد وخادمها ابراهيم الجمحي من كبار الصالحين ، والناس يقصدون هذه الزاوية ليلة النصف من شعبان من سائر أقطار الشام ، ويقيمون بها ثلاثا . ويقوم بها خـــارج المدينة سوق عظيم فيه من كل شئ ويقدم الفقراء المتجردون من الافاق لحضور هــذا الموسم ، وكل من يأتى من الزوار لهذه التربة يعطى لخادمها شمعة فيجتمع من ذلك قناطير كثيرة . " " ومدينة اللاذقية ، بخارجها الدير (٤) المعروف بدير القاروص (٥) وهـــو أعظم دير بالشام ومصر ، يسكنه الرهبان ، ويقصده النصارى من الافاق . وكل من نزل

---

(١) (سبقت ترجمته أنظر ص١٧ حاشية ١) وبجبلة مزار قد اشتهر أنه قبر ابراهيم بن أدهم (أبو الفداء : تقويم البلدان ص/٢٥٥) أما ابو اليمن الحنبلى فيقول : " ابراهيم بن أدهم توفى فى مدينة جبله من أعمال طرابلس وقبره مشهـــور يزار (الانس الجليل جـ١/٢٩٣) ومنهم من ذكر أنه دفن فى الساحل قريبـا من طرابلس (راجع ابن شاكر : فوات الوفيات جـ١/١٣ حاشية ٥).

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٧٨ — ٧٩ .

(٣) حكى ابن بطوطة حكاية عن أدهم الزاهد والد ابراهيم رأيت عدم نقلها لأنها لا تمت الى موضوع البحث بصلة ، انظر رحلة ابن بطوطة : ص ٧٨ — ٧٩ .

(٤) الدير : بيت يتعبد فيه الرهبان ويكون فى الصحارى ورؤوس الجبال ، ياقوت: معجم البلدان جـ٢/٤٩٥ .

(٥) فى الرحلة : "الفاروص" وهو تصحيف (انظر البلاذرى : فتوح البلدان/٣٥٧) ودير القاروص يقع على جانب اللاذقية من شمالها (ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار جـ١/٣٣٦) ولهذا الدير يوم فى السنة تجتمع اليه النصارى (شيخ الربوه : نخبة الدهر ص ٢٠٩) .

به من المسلمين فالنصارى يضيفونه ،وطعامهم الخبز والجبن والزيتون والخل البكر " .(١)

وجبل لبنان لا يخلو من المنقطعين الى الله تعالى والزهاد والصالحين وهو شهير بذلك ، ورأيت جماعة من الصالحين قد انقطعوا الى الله تعالى ممن لم يشتهر اسمه وأخبرني بعض الصالحين الذين لقيتهم به قال: "كنا بهذا الجبل مع جماعة من الفقراء أيام البرد الشديد ، فأوقدنا نارا عظيمة ،وأحدقنا بها . فقال بعض الحاضرين : يصلح لهذه النار ما يشوى فيها ، فقال أحد الفقراء ممن تزدريه الأعين ولا يعبأ به : انى كنت عند صلاة العصر . بمتعبد ابراهيم بن أدهم ،فرأيت بمقربة منه حمار وحشي قد أحدق الثلج به من كل جانب ، وأظنه لا يقدر على الحراك ، فلو ذهبتم اليه لقدرتم عليه ، وشويتم لحمه في هذه النار ، قال : " فقمنا اليه في خمسة رجال فلقيناه كما وصف لنا فقبضناه وأتينا به أصحابنا وذبحناه وشوينا لحمه في تلك النار ، وطلبنا الفقير الذى نبه عليه . فلم نجده ولا وقعنا له على أثر ، فطال عجبنا منه.(٢)

ز — الحمـــامات :—

كان لكثرة الحمامات في بلاد الشام أن استرعت انتباه ابن بطوطة ، فذكر بعضا من هذه الحمامات في كل من طبرية ، وطرابلس ،وحماه ، وقرى دمشق ، ولكنه لم يشر الى أسماء هذه الحمامات أو أسماء مشيديها ، سوى ما ذكره عن حمامات مدينة طرابلس فقال : " وبهذه المدينة حمامات حسان منهـا(٣) حمام القاضي القرمـى(٤) ،

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٨٢ . (٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٨٢ — ٨٣ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٥ .

(٤) هو الحسن بن رمضان بن الحسن ، القاضي حسام الدين ، ابو محمد بن معين الدين أبي البركات القرمي ، اليافعي القزويني ولد عام ٦٨٠هـ. وتفقه على المذهب الشافعي . ولي قضاء صفد مرة ، ثم نقل لقضاء طرابلس ،وله بها حمام مليح عجيب البناء مشهور ، ثم عزل في عام ٧٢٣هـ،وأقام بدمشق ثم توجه في آخر عمره الى طرابلس فتوفى بها في ربيع الأول سنة ٧٤٦هـ (ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٢/ ١٥، =

وحمام أسندمر (١) • وطبرية بها الحمامات العجيبة (٢) ، ولها بيتان أحدهما للرجال والثاني للنساء وماؤها شديد الحرارة ، ولها البحيرة الشهيرة طولها نحو ستة فراسخ وعرضها أزيد من ثلاثة فراسخ • ومدينة حماه لها ربض سمي بالمنصورية ، أعظم من المدينة فيه الحمامات الحسان (٣) • وأكثر قرى دمشق بها الحمامات والمساجد الجامعة ، والأسواق ، وسكانها كأهل الحاضرة في مناحيهم • كما ذكر قرية النيرب بأسفل الربوه بأن لها حمام مليح (٤) •

٢ — الحيـــاة الفكريـــة :—

تركز وصف ابن بطوطة للحياة الفكرية في بلاد الشام ، فيما ذكره عن علمائها ،

= (راجع ابن كثير : البداية ج١٤ / ١١٨ و ١١٩) وعن بناء حمامه قال عمر عبد السلام تدمري : " بناه القاضي حسام الدين القرمي ما بين عام ٧١٦ — ٧٢٣هـ وهي الفترة التي تولى فيها قضاء الشافعية بطرابلس والذي يجعلنا نؤكد أن الحمام بني في تلك الفترة هو أن الرحالة ابن بطوطة زار طرابلس عام ٧٢٦هـ وأتى على ذكر الحمام • وقد أزيل هذا الحمام من حوالي ٣٠ عاما • (تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس في عصر المماليك ص ٣٣٦) •

(١) هو سيف الدين أسندمر الكرجي • سبق ترجمته عن الأحوال السياسية انظر ص ١١٢ حاشية ٢ • وعن حمامه يقول ابن حجر : وهو صاحب الحمام بطرابلس التي مدحها شمس الدين احمد بن يوسف الطيبي (الدرر الكامنة ج١ / ٣٨٧) واحمد بن يوسف الطيبي هو كاتب ديوان الانشاء بطرابلس • المتوفى في رمضان سنة ٧١٧ هـ (راجع ترجمته في الدرر الكامنة ج١ / ٣٤١ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٩ / ٢٤٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٦ / ٤٣) ويجعل الدكتور السيد عبد العزيز سالم بناء هذا الحمام في عام ٧٠١هـ ، ولازال هذا الحمام يؤدي وظيفته حتى اليوم منذ أكثر من ٦٥٠ عاما مضت (طرابلس الشام : ٤٥٢) •

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٢ •

(٣) المصدر السابق : ص ٦٦ •

(٤) المصدر السابق : ص ١٠٣ •

من القضاه والمدرسين ،من خلال زياراته فى الفترة من عام ٧٢٦هـ ـ ٧٤٩هـ ويأتى فى مقدمة هذه المدن مدينة دمشق وحلب وغزه والخليل والقدس ، بالاضافة الى بعض علماء صيدا وحمص ، وبعض الحصون . وذكر بعضا من المدارس فى دمشق وحلب .

أ ـ القضاه فى مدينة دمشق من عام ٧٢٦هـ ـ ٧٤٨هـ :ـ

عندما زار ابن بطوطة مدينة دمشق عام ٧٢٦هـ ذكر القضاه الأربعة (١) بها فقال (٢) : " وبها قاضى القضاه الشافعى جلال الدين بن عبد الرحمن القزوينى (٣) وأما عن قاضى المالكية فهو شرف الدين (٤)

(١) كان يوجد فى دمشق أربعة قضاه من المذاهب الأربعة على الترتيب كما فى مصر ، فأعلاهم الشافعى ويليه فى الرتبة الحنفى ، ثم المالكى ، ثم الحنبلى . وولاية الأربعة من الأبواب الشريفة فى مصر . القلقشندى : صبح الأعشى ج٤ / ١٩٢ .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٩٤ ـ ٩٥ .

(٣) ولد بالموصل سنة ٦٦٦هـ ، ولى القضاء ببعض نواحى الروم وهو دون العشرين ثم قدم دمشق وناب فى قضاء دمشق لأخيه أمام الدين سنة ٦٩٦هـ ثم ولى خطابة الجامع الأموى بدمشق ،وفى سنة ٧٢٤هـ ولى القضاء بدمشق مع خطابة الجامع الأموى . ثم انتقل الى القضاء بالديار المصرية سنة ٧٢٧هـ، وفى سنة ٧٣٨ هـ نقل الى قضاء الشام. ثم توفى بدمشق سنة ٧٣٩هـ ودفن بمقابر الصوفية .(راجع : ابن كثير : البداية والنهاية ج١٤ / ١٨٥ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ج ٣ / ٢٤٢ ، ابن طولون : الثغر البسام ص ٨٧ وما بعدها ، السبكى : طبقات الشافعية ج٩ / ١٥٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٦ / ١٢٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٩ / ٣١٨).

(٤) هو شرف الدين ، أبو عبد الله محمد ابن قاضى القضاه معين الدين أبى بكر النويرى المالكى ، ولى قضاء المالكية بالشام فى جمادى الثانية سنة ٧١٩ هـ ، عوضا عن ابن سلامه ، توفى بدمشق فى محرم سنة ٧٤٨هـ عن ثلاث وسبعين عاما ، راجع . ابن كثير : البداية والنهاية ج١٤ / ١٩٣ و ٢٢١ ، ابن طولون : الثغر البسام ص ٢٤٧ ، الصفدى :الوافى بالوفيات ج ٢ ص ٢٧٠ ،ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٨٢ ، المقريزى السلوك ج ٢ ق ٣ ص ٧٥٤ .

خطيب الفيوم (١) حسن الصورة والهيئة من كبار الرؤساء وهو شيخ شيوخ الصوفية (٢) ،
والنائب عنه في القضاء شمس الدين بن القفصي (٣) ، ومجلس حكمه بالمدرسة الصمصامية.
وأما قاضي قضاة الحنفيه فهو عماد الدين الحوراني (٤) ، وكان شديد السطوه واليه
يتحاكم النساء وأزواجهن ، وكان الرجل اذا سمع اسم القاضي الحنفي أنصف من
نفسه قبل الوصول اليه . وأما قاضي الحنابله فهو الامام الصالح عز الدين بن مسلم (٥) ،

---

(١) الفيوم : ولاية غربية بمصر ، بينها وبين الفسطاط مسيرة أربعة ايام . ياقوت: معجم البلدان : ج٤/٢٨٦ .

(٢) تعني رئاسة الصوفية ، وشيوخ الخوانق بالشام ، وجرت العادة ان يكون متوليها هو شيخ الخانقاه السميساطيه بدمشق ، وكانت من الوظائف الدينية بها ، وتمثل المرتبة الأولى من وظائف المتصوفة ومشايخ الخوانق ، كانت ولايتها عن النائب بتوقيع كريم ، القلقشندي : صبح الاعشى ج٤/١٩٣ ، حسن الباشا : الفنون الاسلامية ج٢/٦٤٣ .

(٣) ونائبه شمس الدين القفصي . ابن طولون : الثغر البسام ص/٢٤٧ .

(٤) هو عماد الدين ابو الحسن علي بن احمد بن عبد الواحد الطرسوسي الحنفي ، ولد بمصر عام ٦٦٩هـ ، درس بجامع قلعة دمشق سنة ٧٢٠هـ ، وفي صفر سنة ٧٢٢هـ باشر نيابة الحكم عن القاضي صدر الدين علي البصروي . وبعد وفاته ولي قضاء دمشق سنة ٧٢٧هـ ، درس بالنوريه والمقدمية والريحانيه . وفي سنة ٧٤٦هـ تنازل عن القضاء لابنه نجم الدين ابراهيم . توفي في ذي القعدة سنة ٧٤٨هـ ودفن بالمزه بدمشق . راجع ابن طولون : الثغر البسام /١٩٦ وما بعدها ، ابن كثير : البداية ج١٤/١٢٩ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٣ /١٨ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١٠/١٨١ ، ابن تغري بردي : الدليل الشافي ج١/٤٤٨ .

(٥) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مسلم بن مالك الصالحي الحنبلي ، ولد سنة ٦٦٠هـ ، ولي قضاء الحنابلة بدمشق سنة ٧١٥هـ ، توفي في ذي القعدة سنة ٧٢٦هـ بالمدينة المنورة ، وهو في بداية طريقه الى الحج فدفن بالبقيع ، ومدة ولايته احد عشرة سنة ، راجع . ابن كثير: البداية ج١٤/١٢٦ ، ابن =

من خيار القضاه ، ينصرف على حمار له ومات بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لما توجه الى الحجاز الشريف .

ومن القضاه الذين ذكرهم ، قاضى قضاه الشافعية بدمشق ، جمال الدين ابن جمله (١) وقصة عزله عن القضاء قائلا (٢) : " كان بدمشق الشيخ الصالح ظهير الدين العجمى ، وكان سيف الدين تنكز ملك الأمراء يتتلمذ له ويعظمه فحضر يوما بدار العدل (٣) عند ملك الأمراء ، وحضر القضاه الأربعة فحكى قاضى القضاه جمال الدين ابن جمله حكاية فقال له ظهير الدين : كذبت ، فأنف القاضى من ذلك وامتعض له ، فقال للأمير : كيف يكذبنى بحضرتك ؟ فقال له الأمير : أحكم عليه وسلمه اليه ، وظنه أنه يرضى بذلك ، فلا يناله بسوء ، فأحضره القاضى بالمدرسة العادلية وضربه مائتى سوط ، وطيف به على حمار فى مدينة دمشق ، ومناد ينادى عليه ، فمتى

= العماد : شذرات الذهب ج٦/٧٣ ، اليافعى : مرآة الجنان ج٤/٢٧٦ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ج٢/٤٠٠ ، ابن طولون : الثغر البسام ص ٢٧٨ .

(١) هو جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن جمله الدمشقى الشافعى ولد سنة ٦٨٢هـ تولى قضاء الشافعية بدمشق فى ربيع الاول سنة ٧٣٣هـ ، بعد علم الدين الاخنائى ثم عزل وسجن فى رمضان سنة ٧٣٤هـ . بسبب تعزيره للشيخ ظهير الدين . وكان له فى القضاء سنة ونصفا الا اياما ، ثم اعطى تدريس الشامية البرانية ، توفى سنة ٧٣٨هـ . راجع : ابن كثير : البداية ج١٤/١٨٢ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج٤/٤٤٣ ، ابن طولون : الثغر البسام ص ٩٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٦/١١٩ ، اليافعى : مرآة الجنان ج٤/٢٩٨ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ج٢/٤٥٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٩/٣١٧ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ج١/٤٥١ .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٩٦ — ٩٧ .

(٣) دار العدل : تقع فى مكان جامع سوق الحميدية اليوم انشأها نور الدين الشهيد وسماها دار العدل . وفى العصر المملوكى صارت تسمى دار السعادة ، وكان يجلس فيها نائب السلطنة . النعيمى : دور القرآن فى دمشق : تحقيق صلاح الدين المنجد ص ٤٣ ، أكرم العلبى : دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين ص ٥٥ .

فرغ من ندائه ضرب على ظهره ضربة ، وهكذا العادة عندهم ، فبلغ ذلك ملك الأمراء فأنكره أشد الإنكار ، وأحضر القضاه والفقهاء ، فأجمعوا على خطأ القاضي وحكمه بغير مذهبه ، فإن التعزير عند الشافعي لا يبلغ به الحد وقال قاضي القضاه المالكية شرف الدين ، قد حكمت بتفسيقه فكتب الى الملك الناصر بذلك فعزله [١].

وحينما عاد ابن بطوطة الى مدينة دمشق سنة ٧٤٨هـ ، اكتفى بذكر قاضي القضاه المالكي ، وقاضي القضاه الشافعي ، فقال [٢] : " وكان قاضي قضاه المالكية إذ ذاك جمال الدين المسلاتي [٣] ، وكان من اصحاب الشيخ علاء الدين

---

(١) هذه القضية وقعت في رمضان سنة ٧٣٤هـ ، اى أن ابن بطوطة لم يكن وقتها موجودا في بلاد الشام ، ويبدو أنه سمع عنها عند رجوعه الى مدينة دمشق سنة ٧٤٨هـ . وقد ذكر هذه القضية بالتفصيل ابن كثير في احداث سنة ٧٣٤هـ ، كما ورد بعضا منها في الدرر الكامنة في ترجمة ابن جمله . وبالرجوع الى ما ذكره ابن كثير عن هذه القضية نجد ان هناك اختلاف في مضمون هذه القضية (راجع: ابن كثير : البداية ج١٤/١٦٥) ، ابن طولون : الثغر البسام ص ٩٦ — ٩٧ ، ويعتبر ابن كثير مصدرا اساسيا في احداث هذه القضية لمعاصرته لها .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٥١ .

(٣) هو جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن على السلمي المسلاتي ، ولى قضاء المالكية بدمشق في ذى القعدة سنة ٧٤٨هـ ، بعد وفاة شرف الدين المالكي ثم عزل عن القضاء سنة ٧٥٩ هـ بشرف الدين احمد بن الحسين العراقي . ثم اعيد الى القضاء سنة ٧٦٠هـ . توفى بمصر في ذى القعدة سنة ٧٧١هـ بالقاهرة ، راجع : ابن حجر : الدرر الكامنة ج٤/١١ ، ابن طولون : الثغر البسام ص ٢٤٨ ، ابن كثير : البداية ج١٤/٢٢٥ ، ٢٦٤ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج١١/١٠٩ ، المقريزى : السلوك ج٢ق٣/٧٥٣ .

القونوي (١) ، وقدم معه دمشق ، فعرف بها ، ثم ولي القضاء . وقاضي قضاة الشافعية تقي الدين ابن السبكي (٢) .

ب — حلقات العلم والعلماء في الجامع الأموي عام ٧٢٦هـ :—

يقول ابن بطوطة (٣) : " ولهذا المسجد حلقات التدريس في فنون العلم ، والمحدثون يقرأون كتب الحديث على كراسي مرتفعة ، وقراء القرآن يقرأوون بالأصوات الحسنة صباحا ومساء ، وبه جماعة من المعلمين لكتاب الله يستند كل واحد منهم الى ساريه من سواري المسجد يلقن الصبيان ويقرئهم ، وهم لا يكتبون القرآن في الألواح

(١) هو علاء الدين علي بن اسماعيل بن يوسف القونوي التبريزي الشافعي ، ولد بمدينة قونيه من بلاد الروم سنة ٦٦٨هـ . قدم الى دمشق سنة ٦٩٣هـ . ودرس بالاقبالية ، ثم سافر الى مصر ، وولي مشيخة الشيوخ بها وبدمشق ، قدم الى دمشق قاضيا بها سنة ٧٢٧هـ . توفي بدمشق في ذي القعدة سنة ٧٢٩هـ . ودفن بسفح جبل قاسيون راجع ، ابن كثير : البداية ج١٤/١٤٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣/٢٤ ، ابن طولون : الثغر البسام : ٩١ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٦/٩١ ، ابن تغري بردي : الدليل الشافي ج١/٤٥١ ، اليافعي : مرآة الجنان ج٤/٢٨٠ ، وقد ذكره ابن بطوطة في رحلته الأولى سنة ٧٢٦هـ (انظر الرحلة ص ٩٤) .

(٢) ابو الحسن علي بن عبد الكافي الخزرجي الانصاري السبكي الشافعي ، ولد بمصر في صفر عام ٦٨٣هـ ، ولي قضاء الشافعية بدمشق سنة ٧٣٩هـ بعد وفاة جلال الدين القزويني ، وباشر الخطابة بالجامع الأموي عام ٧٤٢هـ ، ثم اعيدت لابن جلال الدين وولي التدريس بدار الحديث الاشرفية ، وتدريس الشامية البرانية بعد موت ابن النقيب في أوائل سنة ٧٤٦هـ ، وفي آخر عمره تنازل عن القضاء لولده تاج الدين ورحل الى القاهرة وبها توفي عام ٧٥٦هـ . راجع ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣/٦٣ ، ابن كثير : البداية ج١٤/٢٥٢ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٦/١٨٠ ، الذهبي : ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٩ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١٠/٣١٨ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٩٣ — ٩٤ .

تنزيها لكتاب الله تعالى ، وانما يقرأون القرآن تلقينا . ومعلم الخط غير معلم القرآن ، يعلمهم بكتب الأشعار وسواها ، فينصرف الصبي من التعليم الى التكتيب ، وبذلك جاد خطه لأن المعلم للخط لا يعلم غيره .

ومن المدرسين بالمسجد المذكور العالم الصالح برهان الدين بن الفركاح الشافعي (١) . ومنهم العالم الصالح نور الدين أبو اليسر بن الصائغ (٢) ، من المشتهرين بالفضل والصلاح ، ولما ولي القضاء بمصر جلال الدين القزويني وجه الى ابي اليسر

---

(١) هو ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري ، الصعيدي الأصل الدمشقي الشافعي المذهب برهان الدين ابن الفركاح . ولد سنة ٦٦٠هـ درس بالبادرائية بعد وفاة أبيه . وكانت له حلقة بالجامع الأموي . عرض عليه القضاء بعد وفاة محمد ابن صصرى سنة ٧٢٣هـ فامتنع . توفي في جمادى الأولى سنة ٧٢٩هـ بالمدرسة البادرائية بدمشق . راجع ، ابن كثير : البداية جـ١٤ / ١٤٦ ، الصفدي : الوافي بالوفيات جـ٦ / ٤٣ ، ابن شاكر : فوات الوفيات جـ١ / ٣٢ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ٩ / ٣١٢ ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ١ / ٣٤ ، ابن تغرى بردى : المنهل الصافي جـ١ / ٨٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦ / ٨٨ ، اليافعي : مرآة الجنان جـ٤ / ٢٧٩ .

(٢) بدر الدين أبو اليسر بن الصائغ (ابن شاكر : فوات الوفيات جـ٣ / ٢٩٣) وهو محمد ابن محمد بن عبد القادر بدر الدين ابو اليسر بن الصائغ الشافعي ، ولد سنة ٦٧٦هـ عرض عليه القضاء بدمشق سنة ٧٢٧هـ عند نقل جلال الدين القزويني الى القضاء بمصر ، فامتنع اشد الامتناع وصمم ، فأحترمه الناس ، وكان تنكز يعظمه تولى خطابة القدس مدة ثم تركها . توفي بدمشق في جمادى الأولى سنة ٧٣٩هـ ودفن بفسح جبل قاسيون راجع : الصفدي : الوافي بالوفيات جـ١ / ٢٣٢ ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٤ / ٢٢٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ / ١٢٩ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦ / ١٢٣ ، ابن طولون : الثغر البسام ص ٨٨ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافي جـ٢ / ٦٩٤ ، اليافعي : مرآة الجنان جـ٤ / ٣٠١ .

الخلعة والأمر بقضاء دمشق ، فأمتنع من ذلك ، ومنهم الإمام العالم شهاب الدين ابن جهبل (١) من كبار العلماء ، هرب من دمشق لما امتنع ابو اليسر من قضائها خوفا من أن يقلد القضاء فاتصل ذلك بالملك الناصر فولى قضاء دمشق (٢) شيخ الشيوخ بالديار المصرية (٣) قطب العارفين ، لسان المتكلمين ، علاء الدين القونوى (٤) وهو من كبار الفقهاء ومنهم الامام الفاضل بدر الدين بن على السخاوى المالكى رحمة الله عليهم أجمعين .

جـ — ذكر من سمع عنهم ابن بطوطة وأجازوا له بمدينة دمشق سنة ٧٢٦هـ :—

قال ابن بطوطة : " سمعت بجامع بنى أمية عمرة الله بذكره (٥) ، جميع صحيح

---

(١) هو شهاب الدين أبو العباس احمد بن يحيى بن اسماعيل بن جهبل الحلبى الأصل الدمشقى الشافعى ، ولد سنة ٦٧٠هـ . اشتغل بالعلم ، ولزم المشايخ . درس بالصلاحية بالقدس ، ثم تركها الى دمشق فباشر مشيخة دار الحديث الظاهرية مدة ، ثم ولى مشيخة البادرائية ، فترك الظاهرية وأقام بتدريس البادرائية الى أن توفى فى جمادى الثانية سنة ٧٣٣هـ . راجع : ابن كثير : البداية جـ١٤/١٦٣ ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ١/٣٢٩ ، السبكى : طبقات الشافعية جـ٩/٣٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦/١٠٤ ، اليافعى : مرآة الجنان جـ٤/٢٨٨ .

(٢) لم يشر الى ذلك كل من ترجم عن شهاب الدين بن جهبل ، ففى سنة ٧٢٦هـ باشر مشيخة دار الحديث الظاهرية بدمشق بعد تركه الصلاحية بالقدس ، وظل بدمشق الى أن توفى سنة ٧٣٣هـ ابن كثير : البداية جـ١٤/١٢٢ .

(٣) كان لشيخ الشيوخ فى عصر المماليك الرئاسة على جميع الخوانق فى مصر والشام ، والمقصود بها مشيخة خانقاه سرياقوس من ضواحى القاهرة والتى أنشأها الملك الناصر محمد سنة ٧٢٥هـ القلقشندى : صبح الأعشى جـ٤/٣٨ ، حسن الباشا : الفنون الاسلامية جـ٢/٦٢٠ ، وعن خانقاة سرياقوس راجع ص ٩٠ حاشية ١ .

(٤) هو علاء الدين على بن اسماعيل بن يوسف القونوى . سبقت ترجمته انظر ص ١٨٠ حاشية ١ .

(٥) رحلة ابن بطوطة : ص ١٠٨ — ١١٠ .

الإمام أبى عبد الله محمد ابن أسماعيل الجعفى البخارى رضى الله عنه (١) ، على الشيخ المعمر رحلة الافاق ، ملحق الاصاغر بالاكابر شهاب الدين احمد بن أبى طالب بن أبى النعم ابن (٢) حسن بن على بن بيان الدين مقرئ الصالحى المعروف بابن الشحنه الحجار (٣) فى أربعة عشر مجلسا ، أولها يوم الثلاثاء منتصف شهر رمضان المعظم سنة ست وعشرين وسبعمائة (٤) ، وآخرها يوم الاثنين الثامن والعشرين منه بقراءة الامام الحافظ مؤرخ الشام علم الدين أبى محمد (٥) القاسم بن محمد بن يوسف البرزالى الأشبيلى الأصل ،

---

(١) سبقت ترجمته انظر المقدمة ص ٥ حاشية رقم ٧ .

(٢) مقرئ فى ابن كثير انظر البداية ج١٤/١٨٥ .

(٣) الحجازى كما فى رحلة ابن بطوطه (الرحلة ص١٠٩) وفى الدرر الحجار وهو الأصح ، ولد سنة ٦٢٤هـ تقريبا ، سمع صحيح البخارى عن الزبيدى ، وظهر بسماعه سنة ٧٠٦هـ وحدث به فى دمشق والصالحية والقاهرة وحماه وبعلبك وحمص وغيرها . يقول عنه ابن كثير : " سمعت عليه بدار الحديث الأشرفية فى أيام الشتويات نحوا من خمسمائة جزء بالاجازة والسماع " (البداية ج١٤/١٨٥) توفى بالصالحية بدمشق سنة ٧٣٠هـ . راجع . ابن حجر: الدرر الكامنة ج١/١٤٢ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٦/٩٣ ، اليافعى : مرآة الجنان ج٤/٢٨١ .

(٤) هذا مبالغ فيه ، فكيف يمكن لابن بطوطة أن يسمع جميع صحيح البخارى بجامع بنى أمية فى مدة أربعة عشر يوما ، علما أنه مرض فى شهر رمضان وظل مريضا فى ضيافة نور الدين السخاوى مدرس المالكية بدمشق ، الى نهاية شهر رمضان ، كما أشار هو الى ذلك (انظر رحلة ابن بطوطة ص ١٠٥) .

(٥) ولد سنة ٦٦٥هـ ، وهو صاحب التاريخ والمعجم الكبير ، توفى فى ذى الحجة وهو محرم بخليص سنة ٧٣٩هـ راجع الذهبى : ذيل تذكرة الحفاظ : ١٨ ، ابن كثير : البداية ج١٤/١٨٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦/١٢٢ ، اليافعى : مرآة الجنان ج٤/٣٠٣ .

الدمشقي (١)، في جماعة كبيرة كتب أسماءهم محمد بن طغريل ابن عبد الله بن الغزال الصيرفي (٢) بسماع الشيخ أبي العباس الحجار . وممن أجازني من أهل دمشق اجازة عامة الشيخ أبو العباس الحجار (٣) المذكور سبق الى ذلك وتلفظ لي به .

ومنهم الشيخ الإمام شهاب الدين احمد بن عبد الله بن احمد بن محمد المقدسي (٤)، ومولده في ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وستمائة (٦٥٣هـ) . ومنهم الشيخ الامام الصالح عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن احمد بن عبد الرحمن النجدي (٥).

ومنهم امام الائمة جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي (٦) الكلبي حافظ الحفاظ. ومنهم الامام علاء الدين على بن يوسف بن محمد بن عبد الله

---

(١) ذكر ابن بطوطة هذه الاسماء ، وهو نوع من التواتر (انظر الرحلة ص ١٠٨-١٠٩)

(٢) هو محمد بن طغريل الدمشقي الخوارزمي ناصر الدين ابن الصيرفي ، ولد بعد السبعمائة ويقال سنة ٦٩٣هـ ، عنى بالحديث ورحل الى البلاد الشمالية وأفاد أهلها ثم سافر الى حماه فمات بها في ١٢ ربيع الأول سنة ٧٣٧هـ . ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣/٤٦٠ .

(٣) سبقت ترجمته انظر ص ١٨٣ حاشية ٣ .

(٤) هو ابو العباس احمد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن ابراهيم بن منصور المقدسي . ولد سنة ٦٥٢هـ أو سنة ٦٥٣هـ . اعتنى بطلب الحديث ، توفي في آخر سنة ٧٣٠هـ. راجع : الدرر الكامنة ج١/١٨٠ .

(٥) البجدّي : في الدرر الكامنة ، ولد سنة ٦٦٠ هـ تقريبا . توفي في بيت المقدس في ربيع الثاني سنة ٧٣٨هـ. راجع : الدرر الكامنة ج٢/٣٤٠ .

(٦) في رحلة ابن بطوطة المزني (انظر الرحلة ص ١١٠) وقد أشار اليه ابن بطوطة عند حديثه عن قرية المزه بدمشق (انظر ص ١٠٣) وقد سبقت ترجمته انظر ص ١٣٣ حاشية ٢ .

الشافعى ، والشيخ الإمام الشريف محى الدين بن يحيى بن على العلوي[١] ومنهم الشيخ الإمام المحدث مجد الدين القاسم بن عبد الله بن ابى عبد الله ابن المعلى الدمشقى ، ومولده سنة ٦٥٤هـ. ومنهم الشيخ الاما م العالم شهاب الدين احمد ابن ابراهيم بن فلاح بن محمد الاسكندرى[٢] . ومنهم الشيخ الإمام ولى الله تعالى شمس الدين بن عبد الله بن تمام ، والشيخان الاخوان شمس الدين محمد وكمال الدين عبد الله ابنا ابراهيم بن عبد الله بن أبى عمر المقدسي ، والشيخ العابد شمس الدين محمد بن أبى الزهراء بن سالم الهكارى . والشيخه الصالحة أم محمد عائشة بنت محمد بن مسلم بن سلامه الحرانى[٣] ، والشيخة الصالحة رحلة الدنيا زينب بنت كمال الدين أحمد بن عبدالرحيم بن عبد الواحد ابن أحمد المقدسى[٤] ، كل هؤلاء أجازنى اجازة عامة فى سنة ست وعشرين (٧٢٦هـ) بدمشق . "

---

(١) هو علاء الدين على بن يوسف بن محمد المصرى الأصل ابن المهتار الدمشقى ، ولد فى ربيع الأول سنة ٦٤٩هـ. كان اماما بمسجد الراس ويشهد تحت الساعات وله حلقة بالجامع ، توفى فى محرم سنة ٧٣٦هـ. راجع ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٣/١٤٣ ، ١٤٤ .

(٢) احمد بن ابراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم بن شداد ضياء الدين أبوالفضل الاسكندرى الدمشقى ، سمع صحيح مسلم من احمد بن عبد الدائم سنة ٦٦٦ هـ وحدث به ، وسمع من ابن أبى اليسر وغيره ، توفى فى شعبان سنة ٧٢٩هـ راجع : ابن حجر : الدرر الكامنة جـ١/٩٥ .

(٣) عائشة بنت محمد بن المسلم الحرانية ولدت سنة ٦٤٧هـ. روت عن اسماعيل العراقى ومحمد بن أبى بكر البلخى والبلدانى وابراهيم بن خليل . توفيت فى شوال سنة ٧٢٦هـ. ابن حجر: الدرر الكامنة جـ٢/٢٣٨ .

(٤) زينب بنت احمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسية ولدت سنة ٦٤٦هـ ، اجاز لها ابراهيم بن محمود بن العليق ، ويوسف بن خليل وغيرهم وكانت دينه خيره روت الكثير راجع ابن حجر: الدرر الكامنة جـ٢/١١٧ .

د — افتراء ابن بطوطة على شيخ الاسلام ابن تيمية سنة ٧٢٦هـ :—

عند ما زار ابن بطوطة مدينة دمشق فى رمضان سنة ٧٢٦هـ تعرض لذكر شيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية (١) بقضية كان الاجدر بابن بطوطة الا يوردها فى رحلته ، ولا نعلم ما هى الأسباب التى دعته لذكر مثل هذه القضية ، ونسبتها الى امام وعالم عظيم كإبن تيمية ، والتى قال عنها (٢) : " وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقى الدين بن تيمية كبير الشام يتكلم فى الفنون ، الا أن فى عقله شيئا ، وكان أهل دمشق يعظمونه أشد التعظيم ، ويعظمهم على المنبر وتكلم مرة بأمر أنكره الفقهاء ، ورفعوه إلى الملك الناصر ، فأمر باشخاصه الى القاهرة وجمع القضاة والفقهاء بمجلس الملك الناصر ، وتكلم شرف الدين الزواوى المالكى وقال

(١) هو احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم بن تيمية الحرانى الدمشقى ، تقى الدين ابو العباس ، ولد فى ربيع الأول سنة ٦٦١هـ بحران ، وفى سنة ٦٦٧هـ قدم به أبوه الى دمشق . يقول عنه ابن كثير : "كان ذكيا كثير المحفوظ فصار اماما فى التفسير عارفا بالفقه ، عالما فى الأصول والفروع والنحو واللغة وغيرها من العلوم النقلية والعقلية " (ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ (١٣٥/١) . وفى سنة ٧٠٥هـ طلب الى مصر من أجل فتوى أفتى بها ، فسجن ثم نقل إلى الاسكندرية سنة ٧٠٩هـ ، ولما عاد الملك الناصر من الكرك ، اطلق سراحه ، ووصل دمشق فى آخر سنة ٧١٢هـ . وفى رجب من سنة ٧٢٠هـ ، أعتقل بقلعة دمشق ثم أفرج عنه فى محرم سنة ٧٢١هـ ، ثم أعتقل مرة أخرى بقلعة دمشق فى شعبان سنة ٧٢٦هـ . ولم يزل بها الى أن توفى ليلة الاثنين ٢٠ من ذى القعدة سنة ٧٢٨هـ . راجع : ابن حجر : الدرر الكامنة جـ١ / ١٤٤ وما بعدها ، ابن شاكر : فوات الوفيات جـ١ / ٧٤ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ٢ / ٤٠٦ ، الصفدى : الوافى بالوفيات جـ٧ / ١٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٩ / ٢٧١ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ٤ / ١٦٦ .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٩٥ — ٩٦ .

: ان هذا الرجل قال كذا وكذا ، وعدد ما انكر على ابن تيمية ، وأحضر العقود بذلك ، ووضعها بين يدى قاضى القضاء ، وقال قاضى القضاء لابن تيمية : ما تقول ؟ قال : لا إله إلا الله ، فأعاد عليه ، فأجاب بمثل قوله ، فأمر الملك الناصر بسجنه فسجن أعواما ، وصنف فى السجن كتابا فى تفسير القرآن سماه بالبحر المحيط فى نحو أربعين مجلدا ، ثم أن أمه تعرضت للملك الناصر ، وشكت إليه ، فأمر باطلاقه ، الى أن وقع منه مثل ذلك ثانية ، وكنت إذ ذاك بدمشق ، فحضرته يوم الجمعة ، وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم ، فكان من جملة كلامه ان قال : ان الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا (١) ، ونزل درجة من درج المنبر ، فعارضه فقيه مالكى يعرف

---

(١) هذا محض افتراء وكذب على شيخ الاسلام ابن تيمية ، فابن تيمية اعتقل بقلعة دمشق يوم الاثنين السادس من شعبان سنة ٧٢٦هـ (المقريزى : السلوك ج ٢ ق ٢٧٣/١) وذكر ابن كثير نقلا عن البرزالى : وفى يوم الجمعة عاشر شعبان سنة ٧٢٦هـ قرئ بجامع دمشق الكتاب السلطانى الوارد باعتقاله ومنعه من الفتيا (البداية ج١٤ /١٢٣) كما أشار ابن الوردى ، وابن حجر الى اعتقاله بقلعة دمشق فى شعبان سنة ٧٢٦هـ (ابن الوردى : تتمة المختصر ج٢/ ٣٩٨) ابن حجر : الدرر الكامنة ج١/ ١٤٩) وظل ابن تيمية مسجونا بقلعة دمشق الى أن توفى فى ذى القعدة سنة ٧٢٨هـ ، علما أن بطوطة وصل الى مدينة دمشق فى رحلته الأولى لها فى رمضان سنة ٧٢٦هـ كما أشار هو الى ذلك (انظر رحلة ابن بطوطة : ص ٨٤) فكيف اذن رآه ابن بطوطة وسمعه يعظ الناس على منبر الجامع ، والصحيح أن ابن تيمية اعتقل بقلعة دمشق قبل وصول ابن بطوطة الى مدينة دمشق باثنين وثلاثين يوما ، وهذا يجعلنا بالطبع نشك فى كل ما ذكره ابن بطوطة عن شيخ الاسلام ابن تيمية ، وأن لا نأخذ به مطلقا .

وعن هذه الحادثة ذكر لنا صاحب الترجمانه الكبرى ، أبو القاسم الزيانى (توفى سنة ١٢٤٩هـ) فقال : " ولقد أخبرنى أحد طلبة السلطان – سيدى محمد رحمه الله – أنه كان يسرد عليه رحلة ابن بطوطة وساق كلام =

بابن الزهراء ، وأنكر ما تكلم به ، فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدى والنعال ضربا كثيرا حتى سقطت عمامته ، وظهر على رأسه شاشية حرير ، فأنكروا عليه لباسها واحتملوه الى دار عزالدين بن مسلم[١] قاضى الحنابلة فأمر بسجنه وعزره بعد ذلك ، فأنكر فقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعزيره ، ورفعوا الأمر إلى ملك الامراء سيف الدين تنكز ، وكان من خيار الامراء وصلحائهم ، وكتب إلى الملك الناصر بذلك ، وكتب عقدا شرعيا على ابن تيمية بأمور منكرة منها أن المطلق بالثلاث فى كلمة واحدة لا تلزمه إلا طلقة واحدة ، ومنها المسافر الذى ينوى بسفره زيارة القبر الشريف ، زاده الله طيبا ، لا يقصر الصلاة ، وسوى ذلك مما يشبهه ، وبعث العقد إلى الملك الناصر ، فأمر بسجن ابن تيمية بالقلعة فسجن بها حتى مات فى السجن .

هـ — القضاه والعلماء فى مدينة حلب من عام ٧٢٦هـ — ٧٤٩ هـ :—

فى زيارة ابن بطوطة الأولى لمدينة حلب سنة ٧٢٦هـ ذكر عددا من القضاء والفضلاء بها فقال : " والقضاه[٢] بحلب أربعة للمذاهب الأربعة[٣] فمنهم القاضى كمال الدين

= ابن تيمية فى الاستواء والنزول ، فنزل من محل جلوسه ، وقال كنزولى هذا ، فقال له ؟ السلطان سيدى محمد : اطو ذلك الكتاب وبعه فى السوق ، وكل ثمنه لحما ، هذا رجل من أهل التجسيم كمن نقل عنه ، فوالله لو حضر بين يدى لأضربن عنقه " (الترجمانه الكبرى ص ٥٨٢) والغريب فى الامر أن هذه الرواية صدقها كثير من العلماء والأدباء وجعلوها قضية مسلمة يرونها ويتوارثونها إلى عصرنا هذا . حتى أن دائرة المعارف الاسلامية ترجمت لابن تيمية بقلم الاستاذ محمد شنب ، نقلت رواية ابن بطوطة وزادت عليها . (انظر دائرة المعارف الاسلامية نقلها الى العربية محمد ثابت الفندى وآخرون جـ١ / ١١٢ — ١١٣ ، راجع : ابن تيمية : شرح حديث النزول المقدمة ص / ٢ — ٣) .

(١) سبقت ترجمته انظر ص ٧٧ احاشية ٥ .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٧٢ — ٧٤ .

(٣) عندما زار ابن بطوطة مدينة حلب سنة ٧٢٦هـ لم يكن بها إلا قاضيان فقط ، =

ابن الزملكانى (١) شافعى المذهب ، عالى الهمة ، كبير القدر ، كريم النفس حسن الاخلاق ، متفنن بالعلوم ، وكان الملك الناصر قد بعث اليه ليوليه قضاء القضاة بحضرة ملكه فلم يقض له ذلك ، وتوفى ببلبيس (٢) وهو متوجه اليها (٣) ، ولما ولى قضاء حلب قصدته الشعراء من دمشق وسواها ، وكان فيمن قصده شاعر الشام شهاب الدين ابو بكر محمد ابن الشيخ المحدث شمس الدين ابا عبد الله محمد بن نباته القرشى الأموى (٤) ، فامتدحه بقصيدة طويلة حافلة أولها :

= شافعى وحنفى ،وقد ادعى ابن بطوطة انه لا يتذكر اسم القاضى المالكى والقاضى الحنبلى (انظر رحلة ابن بطوطة ٧٣ — ٧٤) ولم يصبح لحلب أربعة قضاة الافى سنة ٧٤٨هـ حينما استجد بها قاضى مالكى وقاضى حنبلى (المقريزى : السلوك ج٢ق٣/٧٥٣ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج١٠/١٩٠ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ج٢/٤٩٠) .

(١) محمد بن على بن عبد الواحد كمال الدين بن الزملكانى الانصارى الدمشقى ،كبير الشافعية فى عصره ، ولد فى شوال سنة ٦٦٧هـ على الارجح ، درس بالشامية البرانية والرواحيه — المسروريه والظاهريه الجوانيه والعذاويه بدمشق. تولى قضاء حلب فى سنة ٧٢٤هـ . ثم طلبه الملك ليوليه قضاء دمشق ولكنه توفى ببلبيس فى رمضان سنة ٧٢٧هـ ، فحمل الى القاهرة ودفن بالقرب من الامام الشافعى رحمه الله . راجع ابن حجر : الدرر الكامنة ج٤/٧٤ ، ابن كثير : البداية ج١٤/١١٢ ، ١٣١ ، ابن شاكر : فوات الوفيات ج٤/٧ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ج٤/٢١٤ ، السبكى : طبقات الشافعية ج٩/١٩٠ ، ابن العماد : الشذرات ج٦/٧٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٩/٢٧٠ ، ابن اياس : بدائع الزهور ج١ق١/٤٥٨ — ٤٥٩ .

(٢) ليوليه القضاء بمدينة دمشق راجع ترجمته الحاشية السابقة .

(٣) بلبيس سبق تعريفها : انظر الباب الأول ص ٤٤ حاشية ٦ .

(٤) جمال الدين ابو بكر محمد بن محمد بن الحسن بن نباته الفارقى الاصل ، المصرى المولد ولد سنة ٦٨٦هـ . وهو من أشهر شعراء مصر والشام فى القرن الثامن الهجرى . توفى سنة ٧٦٨هـ فى المارستان المنصورى . راجع : ابن حجر : الدرر الكامنة ج٤/٢١٦ ، السبكى : طبقات الشافعية ج٩/٧٣ ، ابن العماد : الشذرات ج٦/٢١٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج١١/٩٥ ، =

أسفت لفقدك جلق الفيحاء وتباشرت لقدومك الشهباء

وعلا دمشق وقد رحلت كآبة وعلا ربى حلب سنا وسناء

قد أشرقت دار سكنت فناءها حتى غدت ولنورها الألاء ... الخ (١)

وهى أزيد من خمسين بيتا وأجازه عليها بكسوة ودراهم ، وانتقد عليه الشعراء ابتداءه بلفظ أسفت (٢) ومن قضاه حلب قاضى قضاة الحنفية الامام المدرس ناصر الدين بن العديم (٣)

= ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ج٢/٧٠٠ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ج١/٢١١ ، محمد زغلول: الادب فى العصر المملوكى ج٢/٢٢١ .

(١) انظر رحلة ابن بطوطة : ص ٧٢ — ٧٣ .

(٢) بالرجوع الى ديوان ابن نباته لم أعثر على هذه الابيات . وقائل هذه القصيدة الشاعر شمس الدين محمد بن يوسف الخياط ، فى القاضى كمال الدين بن الزملكانى . عندما نقل من مدينة دمشق الى قضاء حلب سنة ٧٢٤هـ ، وليس ابن نباته كما ذكر ابن بطوطة (انظر ابن كثير : البداية ج١٤/١١٢) ولما توفى سنة ٧٢٧هـ ، رثاه جمال الدين بن نباته بقصيد تمطلعها : بلغنا القاصدين أن الليالى قبضت جملة العلى بالكمال . (انظر ديوان ابن نباته ص ٤٠٥ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ج٤/٢١٩ ، ابن شاكر: فوات الوفيات ج٤/١١) راجع ترجمة شمس الدين الخياط ، (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج١٠/٣٢٠) ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج٤/٣٠٠ .

(٣) ناصر الدين محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن العديم . قاضى قضاه الحنفية بحلب ولد سنة ٦٨٩هـ . ولى قضاء حماه ثم قضاء حلب سنة ٧٢٠هـ بعد وفاة والده ، وقد طالت مدته فى قضاء حلب لاكثر من ثلاثين عاما . توفى فى حلب سنة ٧٥٢هـ واستقر فى القضاء مكانه ابنه جمال الدين ابراهيم . (راجع ابن حجر : الدرر الكامنة ج٤/١٠٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج١٠/٢٥١ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ج٢/٦٦٧ ، المقريزى : السلوك ج٢ق٣/٨٥٧ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ج٢/٣٨٧) . وعندما عاد ابن بطوطة لمدينة حلب للمرة الثانية سنة ٧٤٩هـ ذكره (انظر رحلة ابن بطوطة : ص ٦٥٢) .

حسن الصورة والسيرة أصيل مدينة حلب :ـ

(تراه اذا ماجئته متهللا ∴ كأنك تعطيه الذى أنت سائله) .[(١)]

ومنهم قاضى قضاة المالكية لا أذكره ، كان من الموثقين بمصر ، وأخذ الخطة عن غير استحقاق ، ومنهم قاضى قضاه الحنابلة لا أذكر اسمه ، وهو من أهل صالحية دمشق ، ونقيب الأشراف[(٢)] بحلب بدر الدين بن الزهراء[(٣)] . ومن فقهائها شرف الدين ابن العجمى[(٤)] وأقاربه هم كبراء مدينة حلب .

وعندما عاد ابن بطوطة الى مدينة حلب ، فى زيارته الثانية لها سنة ٧٤٩ هـ[(٥)] ذكر القضاه الأربعة بها وهم شهاب الدين المالكى[(٦)] وناصر الدين بن العديم الحنفى[(٧)]

---

(١) هذا البيت مأخوذ من قصيدة لزهير بن ابى سلمى يمدح فيها حصن بن حذيفة ابن بدر الدين بن عمرو الفزارى من بنى عطفان مطلعها :ـ

صحا القلب عن سلمى وأُقصر باطله وعري افراس الصبا ورواحله

(ديوان زهير بن ابى سلمى ص ٦٤) .

(٢) النقيب : تعنى رئيس الطائفة أو زعيمها ، وتعنى رئيس الاشراف من آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم حسن الباشا : الفنون الاسلامية جـ٣/١٢٩٦ .

(٣) محمد بن على بن حمزه بن على بن الحسن ، الشريف بدر الدين الحسينى نقيب الاشراف بحلب ، ولد بالقاهرة ، وقدم حلب بعد موت ابيه فباشر الوظيفة الى أن مات سنة ٧٦٢هـ . (ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٤/٦٤)

(٤) عبد المؤمن بن عبد الرحمن بن محمد بن العجمى عز الدين ، ولد بحلب سنة ٦٧٤هـ . وهو من بيت كبير بحلب توفى فى جمادى الثانية سنة ٧٤١هـ (راجع ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٣/٤١٩) .

(٥) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٥٢ .

(٦) هو شهاب الدين احمد بن ياسين بن محمد الرياحى المالكى ، هو أول من ولى القضاء فى المالكية بحلب سنة ٧٤٨هـ . ثم عزل سنة ٧٥٢هـ بزين الدين عمر بن سعيد التلمسانى . توفى بالقاهرة سنة ٧٦٤هـ ، راجع . ابن حجر : الدرر الكامنة جـ١/٣٢٧ ، المقريزى : السلوك جـ٢ق٣/٧٥٣ ، ٨٥٦ .

(٧) سبقت ترجمته انظر ص ١٩٠ حاشية ٣ .

وتقى الدين بن الصائغ الشافعى (١) ، وعز الدين الدمشقى الحنبلى (٢) .

و — العلماء والقضاه بغزه والخليل والقدس عام ٧٢٦ هـ — ٧٤٩هـ :—

عند زيارة ابن بطوطة لفلسطين ذكر عدداً من علمائها فى زيارته الأولى لهـا سنة ٧٢٦هـ . ففى غزه ذكر ابن بطوطة (٣) قاضى غزه بدر الدين السلختى الحورانـى (٤) . ومدرسها علم الدين بن سالم (٥) وبنو سالم كبراء هذه المدينة ، ومنهم شمس الدين قاضى القدس (٦) .

(١) نور الدين فى الدرر الكامنة ، وهو محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن خليل نور الدين بن الصائغ الشافعى/ولد سنة ٦٩٦هـ . ولى قضاء العسكر بدمشق وقضاء حلب سنة ٧٤٤هـ وظل به الى أن توفى بالطاعون بحلب فى شوال سنة ٧٤٩هـ راجع ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٤ / ٢٢٦ ، المقريزى : السلوك جـ٢ق٣ / ٦٥٧ ، ٧٧٢ .

(٢) أخطأ ابن بطوطة فى اسم قاضى الحنابلة بحلب ، ففى سنة ٧٤٨هـ استجد بمدينة حلب قاضى مالكى وقاضى حنبلى (انظر ص١٨٨ حاشية ٣) وأول من تولى قضـاء الحنابلة بدمشق سنة ٧٤٨هـ ابو البركات موسى بن فياض بن موسى بن شـرف الدين المقدسى الحنبلى وظل قاضيا بها لأكثر من عشرين عاما ، توفى سنة ٧٧٨هـ راجع : ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٤ / ٣٧٩ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافى جـ٢ / ٧٥٢ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٥٤ .

(٤) لم أعثر على ترجمته فى المصادر المتيسرة .

(٥) هو علم الدين سليمان بن سالم بن عبد الناصر بن محمد الغزى الشافعى ، ولد فى حدود سنة ٦٩٠هـ . افتى ودرس وولى قضاء غزه ثم الخليل ، توفى بالخليل فـى شوال سنة ٧٦٤هـ ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٢ / ١٥٢ ، ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل جـ٢ / ١٢٥ .

(٦) هو شمس الدين محمد بن سالم بن عبد الناصر بن سالم الكتانى الغزى ، فى سنة ٧٤٣هـ أفرد له قضاء القدس بعد أن كان يباشرها نيابة ، ويقول عنه ابن حجـر : " حدث وافتى ودرس وحكم بالقدس ومات سنة نيف وخمسين وسبعمائة " (راجع الدرر الكامنة جـ٣ / ٤٤٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ / ٢٠٧) .

اما مدينة الخليل فذكر بها (١) : الامام الخطيب برهان الدين الجعبرى (٢) احد الصلحاء المرضيين والأئمة المشهورين ٠

أما عن علماء مدينة القدس فيقول (٣) : " فمنهم قاضيه العالم شمس الدين بن سالم الغزى وهو من أهل غزه وكبرائها (٤) ، ومنهم خطيبه الصالح الفاضل عماد الدين النابلسى (٥)، ومنهم المحدث المفتى شهاب الدين الطبرى (٦) ٠ ومنهم مدرس المالكية وشيخ الخانقاه

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٥٥ ٠

(٢) برهان الدين ابو اسحاق ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن خليل المقرى الجعبرى الشافعى ، ولد بجعبر عام ٦٤٠هـ ٠ اشتغل ببغداد ثم قدم دمشق ثم رحل الى بلد الخليل وأقام به مدة طويلة نحو أربعين سنة ولى مشيخة مسجد الخليل عليه السلام الى أن توفى فى رمضان سنة ٧٣٢هـ ٠ (ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل جـ١/١٥٣) ٠ له تصانيف فى القرآن والحديث والأصول والعربية والتاريخ راجع :(ابن حجر : الدرر الكامنة جـ١/٥٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦/٩٨ ، ابن تغرى بردى : المنهل الصافى جـ١/١١٢ ، ابن كثير : البداية جـ١٤/١٦٠ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافى جـ١/٢٤) ٠

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٥٩ ٠

(٤) سبقت ترجمته انظر ص ١٩٢ حاشية ٦٠

(٥) عمر بن عبد الرحيم بن يحيى بن ابراهيم القرشى الزهرى عماد الدين النابلسى الشافعى ، خطيب القدس ، قاضى نابلس مدة طويلة ، جمع بين الخطابة فى القدس وقضائها ٠ توفى فى القدس فى محرم سنة ٧٣٤ ٠ راجع ، ابن كثير : البداية جـ١٤/١٦٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦/١٠٨ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ٢/٤٣١ ٠

(٦) لم أعثر على ترجمته فى المصادر الميسرة ٠

الكريمه أبو عبد الله محمد (١) بن مثبت الغرناطى نزيل القدس (٢) . ومنهم الشيخ الزاهد أبو على حسن المعروف بالمحجوب من كبار الصالحين ، ومنهم الشيخ الصالح العابد كمال الدين المراغى ، ومنهم الشيخ الصالح العابد أبو عبد الرحيم عبد الرحمن بن مصطفى من أهل أرز الروم ، وهو من تلامذة تاج الدين الرفاعى ، صحبته ولبست منه خرقة التصوف (٣) . أما مدينة الرملة ففيها من كبار الفقهاء مجد الدين النابلسى (٤) .

وفى عام ٧٤٩هـ مر ابن بطوطة بفلسطين (٥) فى طريقه الى مصر عائدا الى بلاده بعد أن حل بها وباء الطاعون وكان كثير من بها من العلماء قد توفوا إلى رحمة الله حيث يقول : " ووجدت من كنت أعهده من جميع الأشياخ بالقدس قد انتقلوا إلى (٦) جوار الله تعالى ، رحمهم الله ، فلم يبق منهم إلا القليل مثل المحدث العالم الإمام صلاح الدين خليل بن كيكلدى العلائى (٧) ، ومثل الصالح شرف الدين

---

(١) هى مشيخة الخانقاه الصلاحية بمدينة القدس ، أوقفها صلاح الدين الأيوبى على الصوفية سنة ٥٨٥هـ . وكان شيخ الخانقاه يعين بتوقيع من السلطان ، راجع (القلقشندى : صبح الاعشى ج١٢/ ١٠٥) وبناء تلك الخانقاه ، لا زال موجودا (محمد كرد على : خطط الشام ج٦/١٥٠) .

(٢) لم أعثر على ترجمته فى المصادر الميسرة .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٠ .

(٤) لم أعثر على ترجمته فى المصادر المتيسرة .

(٥) كان ابن بطوطة قد مر على فلسطين سنة ٧٣٣هـ ،وهى الزيارة الثانية . ولكنه لم يعطينا أى معلومات فهى كانت مرورا فقط (انظر الرحلة : ٢٨٢ ــ ٢٨٣)

(٦) رحلةابن بطوطة : ص ٦٥٣ .

(٧) صلاح الدين ابو سعيد خليل بن كيكلدى بن عبد الله العلائى الشافعى ،الامام المحقق بقية الحفاظ ، ولد بدمشق فى ربيع الأول سنة ٦٩٤هـ . درس بدمشق =

الخشى شيخ زاوية المسجد الأقصى (١) • ولقيت الشيخ سليمان الشيرازى فأضافنى ، ولم ألق بالشام ومصر من وصل الى قدم آدم عليه السلام ، سواه ، ثم سافرت عن القدس ورافقنى الواعظ المحتسب شرف الدين سليمان المليانى ، وشيخ المغاربة بالقدس (٢) الصوفى الفاضل طلحة العبد الوادى ، فوصلنا الى مدينة الخليل عليه السلام وزرناه ومن معه من الانبياء عليهم السلام • ثم سرنا إلى غزه فوجدنا معظمها خاليا من كثرة من مات بها من الوباء ، واخبرنا قاضيها أن العدول بها كانوا ثمانين فبقى منهم الربع ، وأن عدد الموتى بها انتهى الى ألف ومائة فى اليوم •

ز — بقية علماء الشام سنة ٧٢٦هـ :—

وهم العلماء الذين ذكرهم ابن بطوطة فى بعض مدن الشام كصيدا وطرابلس وحمص وانطاكية واللاذقية بالاضافة الى بعض الحصون فى رحلته الأولى لأرض الشام سنة ٧٢٦ هـ • فذكر قاضى صيدا (٣) ، كمال الدين الاشمونى المصرى وهو حسن

= سنة ٧٢٣هـ ، ثم انتقل الى القدس مدرسا بالصلاحية سنة ٧٣١هـ ، وأقام بالقدس مدة طويلة • توفى بالقدس فى محرم سنة ٧٦١هـ ، راجع : ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٢/٩٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦/١٩٠ •

(١) كان يوجد بمدينة القدس العديد من الزوايا فى العهد المملوكى ومعظمها كان مختصا بطلبة العلم والقاء الدروس ، وتعليم الأطفال (انظر، رشاد الامام : القدس فى العصر الوسيط ص ٢٠٢ — ٢١٠) •

(٢) يرجع استيطان العرب المغاربة فى مدينة القدس الى ما قبل العهد المملوكى ، فقد كانت لهم حارة تنسب اليهم (حارة المغاربة) وقفها عليهم الملك الأفضل نور الدين ابى الحسن على ابن السلطان صلاح الدين • كما كانت لهم زاوية تعرف باسمهم (زاوية المغاربة) أوقفها الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد النبى المغربى المصمودى عام ٧٠٣هـ على الفقراء والمساكين • وهم من اتباع المذهب المالكى ، ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل جـ٢/٤٥ — ٤٦ ، رشاد الامام : القدس فى العصر الوسيط ص ١١٣ و ٢٠٥ •

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٢ •

الأخلاق ، كريم النفس ، وقد نزل عنده ابن بطوطة (١) ، أما طرابلس فمن الاعلام بها ، كاتب السر بهاء الدين بن غانم (٢) أحد الفضلاء الحسبا معروف بالسخاء والكرم ، وأخوه حسام الدين هو شيخ القدس الشريف (٣) ، وأخوهما علاء الدين كاتب السر بدمشق (٤) ومنهم وكيل بيت المال (٥) قوام الدين بن مكين من أكابر الرجال ، ومنهم قاضي قضاتها شمس الدين بن النقيب (٦) من أعلام علماء الشام .

---

(١) المصدر السابق ص ٦٥ .

(٢) ابو بكر محمد بن سلمان بن حمائل الدمشقي بهاء الدين بن غانم كاتب السر بطرابلس ثم بدمشق . وبصفد ، وهو من الأعيان بطرابلس توفي بها في سنة ٧٣٥هـ ، راجع ابن حجر : الدرر الكامنة جـ١ / ٤٥٨ ، المقريزي : السلوك جـ٢ق٢ / ٣٨٧ .

(٣) له أخ اسمه شهاب الدين بن غانم احمد بن محمد بن سلمان بن حمائل (٦٥٠هـ — ٧٣٧هـ) باشر الانشاء بمصر وصفد وغزه . عمل كاتبا للانشاء في دمشق توفي بعد أخيه علاء الدين راجع : الصفدي : الوافي بالوفيات جـ ٨ / ١٩ ، ابن شاكر : فوات الوفيات جـ١ / ١٢٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ١ / ٢٦٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ١ / ٢٦٥ .

(٤) علي بن محمد بن سلمان بن حمائل علاء الدين بن غانم ، سبقت ترجمته انظر ص ٤٥ (حاشية ٢ وقد أشار اليه ابن بطوطة عند الرجال المشتهر بعمل الخير بدمشق (انظر الرحلة ص ١٠٦) .

(٥) الوكيل : هو الموظف الذي كان يوفده ولاة الاقاليم الى بلاط السلطان لينهي اليهم ، ما يعنيهم مما يجري فيه ، ويراقب مصالحهم عند السلطان . حسن الباشا : الفنون الاسلامية جـ٣ / ١٣٤٤ .

(٦) محمد بن أبي بكر بن ابراهيم بن عبد الرحمن الدمشقي القاضي شمس الدين بن النقيب ولد سنة ٦٦٢هـ ، ولي قضاء حمص في سنة ٧١٨هـ ثم نقل الى قضاء طرابلس عام ٧٢٧هـ ، ثم الى قضاء حلب سنة ٧٣٠هـ ثم عزل عن القضاء حلب سنة ٧٣٦ هـ وعاد الى دمشق وتولى تدريس الشامية البرانيه . توفي في ذي القعدة سنة ٧٤٥هـ ودفن بالصالحيه . راجع ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٣ / ٣٩٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦ / ١٤٤ ، ابن كثير : البداية =

ومدينة حمص قاضيها جمال الدين الشريشي (١) من أجمل الناس صورة وأحسنهم (٢) سيرة ، " وتيزين قاضيها بدر الدين العسقلاني . وانطاكية شيخها الصالح المعمر محمد بن علي سنّه ينيف على المائة . وهو متمتع بقوته ، دخلت عليه مرة في بستان له وقد جمع حطبا ورفعه على كاهله ليأتي به منزله بالمدينة ورأيت ابنه قد أناف على الثمانين إلا أنه محدودب الظهر لا يستطيع النهوض . ومن يراهما يظن الوالد منهما ولدا والولد والدا " (٣) .

وعن اللاذقية يقول : " وكنت إنما قصدتها لزيارة الولي الصالح عبد المحسن (٤) الاسكندري ، فلما وصلتها وجدته غائبا بالحجاز الشريف ، فلقيت من أصحابه الشيخين الصالحين سعيدا البجائي ويحيى السلاوي ، وهما بمسجد علاء الدين ابن البهاء ، أحد فضلاء الشام وكبرائها ، صاحب الصدقات والمكارم ، وكان قد عمّر لها زاوية بقرب المسجد وجعل بها الطعام للوارد والصادر ، وقاضيها الفقيه الفاضل جلال الدين عبد الحق المصري المالكي (٥) أما القضاة بالحصون التي كان

= والنهاية ج١٤/١٢٧ ، ١٤٨ ، ١٧٤ ، ٢١٥ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢/٤١٧ ، ٤٨٤ ، اليافعي : مرآة الجنان ج٤/٢٨١ ، ٣٠٧ .

(١) رحلة ابن بطوطة ص ٦٦ .

(٢) هو محمد بن احمد بن محمد جمال الدين ابو بكر الشريشي ولد سنة ٦٩٤هـ - ٦٩٥هـ . تولى قضاء حمص سنة ٧٢٨هـ ، ثم قدم دمشق وتولى تدريس البدرائيه وغيرها ، الى أن ولى تدريس الشامية البرانيه ، توفى سنة ٧٦٩هـ . راجع . ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣/٣٥١ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافي ج ٢/٥٩٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٦/٢٦٣ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٧٤ .

(٤) المصدر نفسه : ص ٨٠ — ٨١ .

(٥) سبقت الاشارة اليه عن الاحوال السياسية ، وقصته مع ابن المؤيد نائب الوكالة باللاذقية انظر ص ١١٠ .

ابن بطوطة قد مر عليها فى رحلته لأرض الشام عام ٧٢٦ هـ فيقول (١) عن حصن الاكــراد : " ونزلت عند قاضيها ، ولا أحقق الآن اسمه " " وحصن القصير وقاضيه شــهاب الدين الأرمنتى من أهل الديار المصرية ، وحصن الشغر بكاس وقاضيه جمال الديــن ابن شجره من أصحاب ابن تيمية ، وصهيون وقاضيها محى الدين الحمصــــــى (٢) ، وحصن المرقب وكان قاضيه برهان الدين المصرى من أفاضل القضاه وكرمائهم (٣) .

رابعا : المدارس والمساجد فى بلاد الشام فى القرن الثامن الهجرى فى رحلة ابن بطوطة :

أ ـ المدارس فى بلاد الشام فى القرن الثامن الهجرى :ـ

اقتصر ذكر المدارس فى بلاد الشام عند ابن بطوطة على مدينة دمشق وضواحيها باستثناء مدينة حلب ، حيث أشار الى وجود المدارس بها دون أن يذكر أسماؤها حيث قال (٤) : " ويقرب جامعها مدرسة مناسبة له فى حسن الوضع واتقان الصنعة ينسب لأمــراء (٥)

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٥ .

(٢) المصدر نفســــه : ص ٧٥ .

(٣) المصدر نفســــه : ص ٨٢ .

(٤) المصدر نفســــه : ص ٧٠ .

(٥) يبدو أن هذه المدرسة هى التى تحدث عنها ابن جبير لما زار مدينة حلــــب سنة ٥٨٠ هـ ، لأن ابن بطوطة نقل معظم أوصاف مدينة حلب وقلعتها وجامعها ومدارسها عن الرحالة ابن جبير ، باستثناء من بها من العلماء والقضاه عنـــد زيارته لها سنة ٧٢٦ هـ . وهذا دليل على أن ابن بطوطة لا علم له بمـــدارس مدينة حلب ، فلو كان عارفا بها لأشار الى اسمائها كما حصل فى مدينة دمشق . ويتضح ذلك مفصلا مما ذكره ابن جبير عن مدارس مدينة حلب . أنه كان بها أربع مدارس أو خمس . منها مدرسة للحنفية كانت تتصل بالجامع من الجانب الغربى ، وتناسبه حسنا واتقان صنعة ، وهذه المدرسة من أحفل ما شاهدناه مــــــن المدارس ، بناء وغرابة صنعة (انظر رحلة ابن جبير ص ٢٤١) ويقول محمـــــد =

بنى حمدان ، وبالبلد سواها ثلاث مدارس ، وبها مارستان (١) . أما عن المدارس فى مدينة دمشق فقد أشار ابن بطوطة الى أسمائها ، قائلا : " اعلم أن للشافعية بدمشق جملة من المدارس ، أعظمها العادلية (٢)، وبها يحكم قاضى القضاة وتقابلها المدرسة الظاهرية (٣)، وبها قبر الملك الظاهر (٤) وبها جلوس نواب القاضى ، ومن نوابه (٥)

= كرد على : ولعله (ابن جبير) يقصد بكلامه المدرسة الحلاويه العامرة الى اليوم (خطط الشام ج٦/ ١١٦) وعن المدرسة الحلاويه راجع . (احمد بدوى : الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية ص ٧١ ، خطط الشام ج٦/ ١٠٧) .

(١) سبق تعريفه انظر ص ١٧ حاشية ٣.

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٩٦ ـ ٩٧ .

(٣) هى المدرسة العادلية الكبرى وتقع الى الشمال الغربى من الجامع الأموى . أول من بدأ فى انشائها نور الدين محمود زنكى سنة ٥٦٨هـ . ولكنه مات قبل اكمالها . ثم عمل فيها الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب لكنه توفى قبل اتمامها . ثم اتمها ابنه الملك المعظم عيسى . فجاءت المدرسة ضخمة فخمة . ووقف عليها الأوقاف ودفن فيها والده الملك العادل سنة ٦١٩هـ ونسبها اليه (انظر : ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ج٢/ ٢٤٠) (النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ج١/ ٣٥٩ ومابعدها ، احمد بدوى : الحياة العقلية ٦٤)، وفى هذا العصر اصبحت مقر المجمع العلمى العربى بدمشق قبل ان ينتقل الى مقره الجديد (محمد كرد على : خطط الشام ج٦/ ٨٣ ، احمد الحمصى : روائع العمارة العربية الاسلامية فى سوريه ص ٦٤) .

(٤) هى للحنفية والشافعية داخل بابى الفرج والفراديس جوار الجامع شمال باب البريد ، وقبلى الاقبالتين والجاروفيه وشرقى العادلية الكبرى . وكان الملك الظاهر قد اوصى ان يدفن على السابله قريبا من داريا . وان يبنى عليه هناك . فرأى ابنه الملك السعيد أن يدفن داخل السور . فابتاع دار العقيقى وأمر أن تبنى مدرسة للشافعية والحنفية ودار حديث وقبه للدفن ، وفى جمادى الاولى سنة ٦٧٦هـ شرع فى بناء دار العقيقى تجاه العادلية لتجعل مدرسة وتربة للملك الظاهر وهى اليوم بيد المجمع العلمى العربى . راجع النعيمى : الدارس ج ١ / ٣٤٨ ـ ٣٤٩ ، ابن كثير : البداية ج١٣/ ٢٧٧ ، ابن شاكر : فوات الوفيات ج١/ ٢٤١ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ج١/ ٢٢٧ ، كرد على : خطط الشام ج٦/ ٨١ .

(٥) هو الملك الظاهر ركن الدين ابو الفتح بيبرس البندقدارى سبق ترجمته انظر ص١١٣ حاشية ٤ .

فخر الدين القبطى ، وكان والده من كتاب القبط ، وأسلم ، ومنهم جمال الدين ابن جمله وقد تولى قضاء قضاة الشافعية بعد ذلك ، وعزل لأمر أوجب عزله (١) . وللحنفية مدارس كثيرة ، وأكبرها مدرسة السلطان نور الدين (٢) وبها يحكم قاضى القضاء الحنفية . وللمالكية بدمشق ثلاث مدارس احدها الصصامية (٣) وبها سكن قاضى القضاء فى المالكية وقعوده للأحكام ، والمدرسة النورية (٤) عمرها السلطان نور الدين محمود بن زنكى ،

---

(١) هو جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن جمله (سبق ترجمته وقصة عزله ص ١٧٨ حاشية ١)

(٢) هى المدرسة النورية الكبرى ، قال ابن شداد أن الذى انشأها الملك العادل نور الدين محمود زنكى عام ٥٦٣هـ وقال النعيمى : وفيه نظر انما أنشأه ولده الملك الصالح اسماعيل ، ثم نقله من القلعة بعد فراغها ودفن بها ، وهى بعض دار هشام بن عبد الملك بن مروان ، وكانت قديما دار معاوية بن ابى سفيان (انظر الاعلاق الخطيرة ج٢/٢٠٣ ، النعيمى : الدارس ج١/٦٠٦ـ٦٠٧) وقد وصف ابن جبير هذه المدرسة عند زيارته لدمشق عام ٥٨٠هـ قال : " ومن أحسن مدارس الدنيا منظر مدرسة نور الدين رحمه الله ، وبها قبره نوره الله ، وهى قصر من القصور الأنيقة (انظر رحلة ابن جبير ص ٢٧٢ و ٢٧٣) ويستعمل البناء حاليا كمسجد يعرف بمسجد النوريه . (أحمد الحمصي: روائع العمارة العربية الاسلامية ص ٦١) .

(٣) المدرسة الصصامية : شرقى دار القرآن الوجيهة وقرب المدرسة المسرورية الشافعية . قال ابن كثير : " وفى ذى القعدة سنة ٧١٧هـ . درس بالصصامية التى جددت للمالكية وقد وقف عليها الصاحب شمس الدين غبريال درسا ، ودرس بها فقهاء . وعين تدريسها لنائب الحكم الفقيه نور الدين على بن عبد البصير المالكى ، وحضر عنده الفقهاء والاعيان " (ابن كثير : البداية ج١٤/٨٣ ، النعيمى : الدارس ج٢/٨) أما فى وقتنا الحاضر فلا يعرف عنها شيئا لأن مكان هذه المدرسة مجهول . (النعيمى : دور القرآن فى دمشق ص /٥٢ ، كرد على : خطط الشام ج٦/٩٦) .

(٤) هذه المدرسة خاصة بالحنفية ، وكان ابن بطوطة قد ذكرها ضمن مدارس الحنفية (انظر الرحلة ص ٩٧) ويبدو أنه قصد بها المدرسة الصلاحية . التى أنشأها الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب بالقرب من البيمارستان النورى ، وغير =

والمدرسة الشرابيشية عمرها شهاب الدين الشرابيشى التاجر (١) .

وللحنابلة مدارس كثيرة أعظمها النجمية (٢) . أما عن المدارس التى بضواحى دمشق ، فان ابن بطوطة لم يذكرها الا مدرسة واحدة فقط بقرية الصالحية حيث (٣) قال : " وبها مدرسة تعرف بمدرسة ابن عمر (٤) موقوفة على من أراد أن يتعلم القرآن الكريم من الشيوخ والكهول ، وتجرى لهم ولمن يعلمهم كفايتهم من المأكل والملبس . وبداخل البلد أيضا مدرسة مثل هذه تعرف بمدرسة ابن منجا (٥) ، وأهل الصالحية

= معروفة الآن ، راجع (ابن شداد : الاعلاق الخطيرة جـ٢/٢٥٣ ، كرد على : خطط الشام جـ٦/٩٦ ، احمد البدرى : الحياة العقلية ص ٦٧) .

(١) الشرابيشية فى الدارس . بدرب الشعارين لضيق حمام صالح ، شمالى الطيور يمين داخل باب الجابية ، وهى من انشاء شهاب الدين أحمد بن نور الدولة بن محاسن الشرابيشى التاجر السفار انظر (النعيمى : الدارس جـ٢/٨٧ ، ابن شداد : الاعلاق الخطيرة جـ٢/٢٥٤ ، محمد كرد على : خطط الشام جـ٦/٩٦) وكان ابن بطوطة قد نزل على هذه المدرسة حين قدومه على مدينة دمشق سنة ٧٢٦هـ (انظر رحلة ابن بطوطة ص ٨٤) .

(٢) لا توجد مدرسة تحمل هذا الاسم خاصة بالحنابلة . انظر النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس جـ٢/٢٩ وما بعدها . محمد كرد على : خطط الشام جـ ٦ / ٩٦ وما بعدها ، وذكر النعيمى الخانقاة النجمية بنواحى باب البريد أنشأها نجم الدين أيوب والد صلاح الدين . الدارس فى تاريخ المدارس جـ ٢ ص ١٧٤ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ١٠١ .

(٤) المدرسة العمرية الشيخية بنى هذه المدرسة بجبل قاسيون للقرآن وفقه الحنابلة ، الشيخ أبو قدامه : محمد بن احمد ، سنة ٥٥٠هـ . أما الآن فهى خراب ، راجع احمد بدوى : الحياة العقلية ص ٦٦ ، محمد كرد على : خطط الشام جـ٦/٩٧ ، انظر (ابن شداد : الاعلاق الخطيرة جـ٢/٢٥٩) .

(٥) المدرسة المنجائيه من مدارس الحنابلة بدمشق . وهى زاوية بالجامع الأموى =

كلهم على مذهب الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه[1] .

ب — المساجد فى بلاد الشام فى القرن الثامن الهجرى من رحلة ابن بطوطة :—

وصف ابن بطوطة العديد من المساجد فى بلاد الشام ، وفى مقدمتها الجامع الأموى بدمشق ، والمسجد الاقصى بالقدس ، ومسجد الخليل ، بالاضافة بعض المساجد فى غزه وحلب وضواحى مدينة دمشق . كما اكتفى بذكر بعض المساجد فى عسقلان وبيروت وغيرها ، دون أن يقدم أى وصف لها أو أسماء بُناتها .

أما بالنسبة للجامع الأموى فإن ابن بطوطة اقتبس جزءا كبيرا من وصفه له من الرحالة ابن جبير الذى سبقه فى هذا المضمار ، كما اقتبس منه ايضا وصف الجوامع بضواحى دمشق بالاضافة إلى جامع مدينة حلب . وقد اهتم ابن بطوطة بوصف هذه المساجد والحديث عنها منذ بداية رحلته إلى أرض الشام سنة ٧٢٦هـ . فعن غزه قال : " وهى أول بلاد الشام مما يلى مصر ، بها المساجد العديدة ، وكان بها[2] مسجد جامع حسن ، والمسجد الذى تقام الآن به الجمعة فيها بناه الأمير المعظم الجاولى[3] ، وهو أنيق البناء ، محكم الصنعة ، ومنبره من الرخام الأبيض " وعن مسجد

= تعرف بابن منجا ، العلامه زين الدين أبو البركات المنجا ابن عثمان بن أسعد ابن المنجا التنوخى الدمشقى الحنبلى (٦٣١ — ٦٩٥) راجع (النعيمى : الدارس ج٢/١٢٠ ، محمد كرد على : خطط الشام ج٦/٩٨) .

(١) أكثر اهل الصالحية ناقلة من نواحى بيت المقدس ، على مذهب الامام احمد بن حنبل (ياقوت : معجم البلدان ج٣/٣٨٩ ، ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ج٢/٦٠١) ويعود سبب انتقالهم عندما قام الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل صاحب دمشق الى هدم أسوار مدينة القدس سنة ٦١٦هـ (ابوالفداء : المختصر ج٣/١٢٢ ، ابو اليمن الحنبلى : الأنس الجليل ج١/٤٠٢) .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٥٤ .

(٣) هو الأمير سنجر بن عبد الله الجاولى ، أحد أعيان الامراء بالديار المصرية . =

الخليل قال ابن بطوطة (١) : " ومسجدها أنيق الصنعة محكم العمل ، بديع الحسن سامي الارتفاع ، مبنى من الصخر المنحوت ، فى أحد أركانه صخرة ، أحد أقطارها سبعة وثلاثون شبرا ، ويقال أن سليمان عليه السلام أمر الجن ببنائه ، وفى داخل المسجد الغار المكرم المقدس (٢) ، فيه قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب صلوات الله على نبينا وعليهم ، ويقابلها قبور ثلاثة هى قبور أزواجهم ، عن يمين المنبر بلصق جدار

= وأصله من مماليك جاول أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس، ثم انتقل بعد موته الى بيت المنصور قلاوون، وتنقلت به الأحوال الى أن صار مقدما بالشام . ثم ولى نيابة غزه ، ثم قبض عليه فى شعبان سنة ٧٢٠هـ ، ثم أفرج عنه سنة ٧٢٨هـ ،واستقر اميرا مقدما بمصر ،حتى اصبح من أمراء المشورة ، ثم ولى نيابة حماه سنة ٧٤٣هـ بعد وفاة الملك الناصر، ثم ولى نيابة غزه ، ثم عاد الى مصر ، وتوفى بالقاهرة فى رمضان سنة ٧٤٥هـ .راجع (ابن حجر : الدرر الكامنة ج٢/ ٢٢٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج١٠/ ١٠٩ ، ابن كثير : البداية ج١٤/ ٢١٥، ٢٠٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٦/ ١٤٢) . أما عن اصلاحاته فيقول ابن تغرى بردى عنه : " وهو صاحب الجامع بغزه والخليل (النجوم الزاهرة ج١٠/ ١١١) . وابن العماد الحنبلى يقول : " وبنى جامعا بالخليل فى غاية الحسن ، وجامعا بغزه ومدرسة بها وخانقاه بظاهر القاهرة "(شذرات الذهب ج٦/ ١٤٣) . وابن حجر يقول : " وعمر ببلد الخليل جامعا سقفه منه " (الدرر الكامنة ج٢/ ٢٦٧) . كما يتضح من قول ابن كثير أن الجامع الذى بناه الجاولى بغزه بنى قبل سنة ٧٢٠هـ أى فى نيابته الأولى لها حيث يقول : " وفى آخر شعبان سنة ٧٢٠هـ مسك الامير علاء الدين الجاولى نائب غزه ، وكان له بر واحسان وأوقاف . وقد بنى بغزه جامعا حسنا مليحا "(البداية ج١٤/ ٩٧) ولا يزال هذا الجامع قائما بغزه الى اليوم باسم الجاولى (حسين الرومى : المختصر فى جغرافية فلسطين ص/ ١٠٥)

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٥٥ — ٥٦ .

(٢) وهى مغارة المكفيله فى حقل عفرون بن صرصر الحثى ، وهو الموضع الذى عليه مقام الخليل فى حبرون وتسمى مدينة الخليل . وفيها دفنت سارة ثم ابراهيم ثم اسحاق ثم يعقوب عليهم السلام (عبد الوهاب النجار : قصص الانبياء/ ١٤٤) =

القبله موضع يهبط منه على درج رخام محكمة العمل إلى مسلك ضيق يفضي إلى ساحة مفروشة بالرخام ، فيها صور القبور الثلاثة ، ويقال أنها محاذية لها وكان هنالك مسلك إلى الغار المبارك ، وهو الآن مسدود (١) ، وقد نزلت بهذا الموضع مرات (٢) . ومما ذكره أهل العلم دليلا على صحة كون القبور الثلاثة الشريفة هنالك ما نقلته من كتاب على ابن جعفر الرازي الذى سماه " المسفر للقلوب عن صحة قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب " (٣)

أسند فيه إلى أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لما أسرى بى إلى بيت المقدس مر بى جبريل على قبر ابراهيم فقال : انزل فصل ركعتين ، فان هنا قبر أبيك ابراهيم ، ثم مر بى على بيت لحم فقال لى : انزل فصل ركعتين فان هنا ولد أخوك عيسى عليه السلام ثم أتى بى إلى الصخرة ،.... وذكر بقية الحديث (٤) ولما لقيت بهذه المدينة المدرس الصالح المعمر الامام الخطيب برهان الدين

= ، ١٤٥ ، ١٨٦ ، ، راجع : ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل جـ١ / ٤٢ ، ٤٣ ، ٧٦ .

(١) راجع ما نقله ياقوت ، وابن فضل الله العمرى عن على بن ابى بكر الهروى ، عن اكتشاف مسلك هذا الغار فى ايام احتلال الصليبيين للخليل ، وسده على يد الملك بردويل سنة ٥١٣هـ راجع (معجم البلدان جـ٢/٣٨٧ ، مسالك الابصار جـ١/١٧٠) .

(٢) لقد زار ابن فضل الله العمرى مدينة الخليل فى شهر ذى الحجة سنة ٧٤٥ ، ونزل بالسرداب الذى فيه قبور الانبياء ، وقدم وصفا مفصلا عنه حيث قال : " ولقد اتيت الى هذا السرداب ومشيت به زحفا لضيقه ولتطأطؤ سقفه ، لا يقدر أحد على المشى به منتصبا ، وهو خطوات يسيرة تنتهى الى الفجوة المذكورة ، وهى على نحو اربعة أذرع فى مثلها .... الخ انظر (مسالك الابصار جـ١/١٦٩)

(٣) لم أعثر على هذا الكتاب .

(٤) هذا الحديث ذكره ابن الجوزى كما فى رحلة ابن بطوطة انظر فضائل القدس ص ١١٩ — ١٢٠ .

الجعبري (١) ، أحد العلماء المرضيين والائمة المشهورين ، سألته عن صحة كون قبر الخليل عليه السلام هنالك ، فقال لي : كل من لقيته من أهل العلم يصححون أن هذه القبور قبور ابراهيم واسحاق ويعقوب على نبينا وعليهم السلام . وقبور زوجاتهم ، ولا يطعن في ذلك إلا أهل البدع ، وهو نقل الخلف عن السلف لا يشك فيه .

ويذكر أن بعض الائمة دخل إلى هذا الغار ووقف عند قبر سارة فدخل شيخ فقال له : أي هذه القبور قبر ابراهيم فأشار له إلى قبره المعروف ، ثم دخل شاب فسأله كذلك ، فأشار له إليه ، ثم دخل صبي فسأله أيضا ، فأشار له إليه . فقال الفقيه : أشهد أن هذا قبر ابراهيم عليه السلام لاشك ، ثم دخل المسجد فصلى به ، وارتحل من الغد .

وبداخل هذا المسجد أيضا قبر يوسف عليه السلام (٢) ، وبشرقي حرم الخليل تربة لوط عليه السلام وهي على تل مرتفع يشرف منه على غور الشام (٣) ، وعلى قبره أبنيه حسنة ، وهو في بيت منها حسن البناء مبيض لا ستور عليه .

---

(١) هو ابو أسحاق ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن خليل الجعبري برهان الدين ، وقد سبقت ترجمته عند علماء الخليل انظر ص١٩٣ حاشية ٢ .

(٢) وعن قبر يوسف عليه السلام يقول عبد الوهاب النجار : " وقد رأيت في الحرم الخليلي بحبرون أحد التوابيت الموضوعة قريبا من مغارة المكفيلة ، وأهل البلاد يقولون انه تابوت يوسف وأنه دفن بالمغارة ، وأحسب ذلك وهما لأن يوسف دفن في أرض أفرايم كما تقول التوراه وحبرون من أرض يهوذا .

وقد أخبرني حضرة الفاضل محمد نمر حسن نابلسي بأن يوسف عليه السلام مدفون بنابلس وله ضريح هناك وهذا هو المعقول لأن نابلس من أرض افرايم ، (انظر قصص الانبياء ص : ١٨٦ ، ١٨٧) راجع . (ابو اليمن الحنبلي : الأنس الجليل جـ١/ ٦٨ ، جـ٢/ ٧٥) .

(٣) قبر لوط عليه السلام في قرية تسمى كفر بريك تبعد عن مسجد الخليل نحوا من فرسخ (ابو اليمن الحنبلي : الأنس الجليل جـ١/ ٧٢) .

وهنالك بحيرة لوط وهى أجاج (١) ، يقال انها موضع ديار قوم لوط ، وبمقربة من تربة لوط مسجد اليقين (٢) وهو على تل مرتفع له نور واشراق ليس لسواه ، ولا يجاوره إلا دار واحدة يسكنها قيّمه ، وفى المسجد بمقربة من بابه موضع منخفض فى حجر صلد ، قد هيئ فيه صورة محراب لا يسع إلا مصليا واحدا ، ويقال أن ابراهيم سجد فى ذلك الموضع شكرا لله تعالى عند هلاك قوم لوط ، فتحرك موضع سجوده ، وساخ فى الأرض قليلا .

بالقرب من هذا المسجد (مسجد اليقين) مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين بن على عليهما السلام (٣) ، وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام فى أحدهما مكتوب منقوش بخط بديع ، بسم الله الرحمن الرحيم لله العزة والبقاء ، وله ما ذرأ وبرأ وعلى خلقه كتب الفناء ، وفى رسول الله أسوة ، هذا قبر أم سلمه فاطمة بنت الحسين رضى الله عنه ، وفى اللوح الآخر منقوش : صنعه محمد بن أبى سهل

---

(١) هى بحيرة زغر ويقال لها المقلوبة (ياقوت : معجم البلدان جـ١ / ٣٥٢) وتعرف الآن بالبحر الميت وقد اثبتت الاكتشافات القريبة آثار مدن قوم لوط على حافة البحر الميت . الصابونى : النبوة والانبياء ص ٢٤٠ .

(٢) ذكر ابو اليمن الحنبلى أن الذى بناه ابو بكر محمد بن اسماعيل الصيامى فى شعبان سنة ٣٥٢هـ ، فيه مرقد ابراهيم عليه السلام ، قد غاص فى الصخر نحوا من ذراع ، يقال أن ابراهيم عليه السلام لما رأى قرى لوط طائرة فى الهواء وقف ، وقيل رقد ثم قال : اشهد أن لا اله الا الله وأن هذا هو الحق **اليقين** ، ولذلك سمى ذلك المسجد باليقين (الأنس الجليل جـ١ / ٧٢) .

(٣) فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب ولدت سنة ٤٠هـ ، تابعية من راويات الحديث ، روت عن جدتها فاطمة وعن أبيها وغيرهما ، ولما قتل أبوها حملت مع أختها سكينه وعمتها أم كلثوم الى الشام ، ثم عادت الى المدينة فتزوجها ابن عمها الحسن بن الحسن بن على ومات عنها فتزوجها عبدالله بن عمر بن عثمان ، ومات فأبت الزواج من بعده ، وتوفيت بالمدينة سنة ١١٠هـ راجع عمر رضا كحاله : أعلام النساء جـ٤ / ٤٤ ، الزركلى : الاعلام جـ٥ / ٢٢٦ . وذكر ابو اليمن الحنبلى *

النقاش في مصر ، وتحت ذلك هذه الآبيات :—

أسكنت من كان بالاحشاء مسكنه ... بالرغم مني بين الترب والحجر

ياقبر فاطمة بنت ابن فاطمة ... بنت الأئمة بنت الأنجم الزهر

ياقبر ما فيك من دين ومن ورع ... ومن عفاف ومن صون ومن خفر

أما عن المسجد الأقصى يقول : "وهو من المساجد العجيبة الرائعة ـ الفائقة (١) الحسن ، يقال : أنه ليس على وجه الأرض مسجدا أكبر منه ، وان طوله من شرق إلى غرب سبعمائة وثنتان وخمسون ذراعا بالذراع المالكية ، وعرضه من القبلة إلى الجوف أربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعا (٢) ، وله أبواب كثيرة (٣) ، في جهاته الثلاثة ، وأما الجهة القبلية منه فلا أعلم بها إلا بابا واحدا وهو الذى يدخل منه الامام .

والمسجد كله فضاء وغير مسقف إلا المسجد الأقصى ، فهو مسقف في النهاية من أحكام العمل ، واتقان الصنعة ، مموه بالذهب والاصبغة الرائقة ، وفي المسجد مواضع سواه مسقفة .

وعن قبه الصخرة يقول : "وهى من أعجب المبانى وأتقنها وأغربها شكلا (٤) ، قد توفر حظها من المحاسن ، وأخذت من كل بديعه بطرف ، وهى قائمة على نشز في وسط المسجد ، يصعد اليها في درج رخام ، ولها أربعة أبواب (٥) ،

= أن بظاهر مسجد اليقين مغارة بها قبر فاطمة بنت الحسن بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم راجع الأنس الجليل (جـ١ / ٧٢) .

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٥٧ ـ ٥٨ .

(٢) لقد حدد مجير الدين الحنبلى طوله وعرضه ، فطوله مائة ذراع محررا بذراع العمل ، وعرضه ستة وسبعون ذراع بذراع العمل . الانس الجليل جـ٢ / ١٢١ .

(٣) له عشرة أبواب راجع ابو اليمن الحنبلى : الأنس الجليل جـ٢ / ١٣ ، ٢٧ ، ٣١ .

(٤) راجع ما ذكره ابو اليمن الحنبلى عن الصخرة حيث قدم وصفا جميلا يفوق بكثير ما ذكره ابن بطوطة . : الأنس الجليل جـ٢ / ١٦ .

(٥) لقبة الصخر أربعة أبواب من الجهات الأربع : الباب القبلى المقابل للجامع الذى في صدر المسجد المتعارف ـ بين الناس أنه الاقصى ، والباب الشرقى ويسمى =

والدائر بها مفروش بالرخام أيضا ،محكم الصنعة بما يعجز الوصف ، وأكثر ذلك مغشى بالذهب ، فهى تتلألأ نورا وتلمع لمعان البرق ، يحار بصر متأملها فى محاسنها ، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها . وفى وسط القبة ، الصخرة الكريمة التى جاء ذكرها فى الآثار ، فان النبى صلى الله عليه وسلم عرج منها إلى السماء ، وهى صخرة صماء، ارتفاعها نحو قامه ،وتحتها مغارة فى مقدار بيت صغير ارتفاعها نحو قامه أيضا ، ينزل إليها على درج (٢) ، وهنالك شكل محراب ، وعلى الصخرة شباكان اثنان محكما العمل يغلقان عليها ، أحدهما ، وهو الذى يلى الصخرة من حديد بديع الصنعة ، والثانى من خشب ، وفى القبة درقة كبيرة من حديد معلقة هنالك والناس يزعمون أنها درقة حمزه بن عبد المطلب رضى الله عنه (٣) . " والمسجد الجامع بنابلس فى نهاية من

= باب اسرافيل ، الباب الشمالى المعروف بباب الجنة ، والباب الغربى . ابو اليمن الحنبلى : الأنس الجليل ج٢/١٨ ، راجع . ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار ج١/١٤٢ وما بعدها .

(١) هى قبة المعراج وعنها يقول ابو اليمن : وهى مشهورة مقصودة للزيارة وهذا البناء عمره الأمير الاسفهلار عز الدين سعيد السعداء ابو عمر وعثمان بن على ابن عبد الله الزنجيلى متولى القدس سنة ٥٩٧هـ . الأنس الجليل ج٢/١٩ — ٢٠

(٢) وبباطن المغارة محرابان على اليمين واليسار . كل محراب على عمودى رخام لطاف (العمرى : مسالك الابصار ج١/١٤٣) .

(٣) زار ابن فضل الله العمرى القدس سنة ٧٤١هـ وقال عن هذه الدرقه : " هى مرآة من سبعة معادن يسمونها درقة حمزه محمولة على ثلاثة أعمدة ،منهن اثنان روحان فى جسد (مسالك الابصار : ج١/١٤٢) . كما انتقد العبدرى عامة الناس فى أقوالهم عن الدرقه بقوله : واشتهر عندهم هذا الزور حتى صار فى حد المقطوع به (رحلة العبدرى ص ٢٣٠) .

الاتقان والحسن وفى وسطه بركة ماء عذب (١) " . " أما الرملة وبها الجامع الأبيض (٢) ، ويقال أن فى قبلته ثلاثمائة من الأنبياء مدفونين عليهم السلام (٣) " .

وبيروت جامعها بديع الحسن (٤) ، وحمص جامعها متميز بالحسن الجامع وفى وسطه بركة ماء (٥) . وحلب مسجد ها/ من أجمل المساجد الجامع (٦) وفى صحنه بركة ماء ، ويطيف

---

(١) (رحلة ابن بطوطة ص ٦١) وعن جامع نابلس يقول شيخ الربوه : " هو جامع حسن تقام فيه الصلوات وكثير قراءة القرآن به ليلا ونهارا والاشتغال فيه كثير (نخبة الدهر ص ٢٠٠) .

(٢) الجامع الأبيض بناه الخليفة الاموى سليمان بن عبد الملك فى الرملة سنة ٩٦ هـ ، ثم أتمه عمر بن عبد العزيز (البلاذرى : فتوح البلدان : ١٤٩) . ويقول عنه ابو اليمن : " هو جامع متسع مانوس عليه الأبهة والوقار والنورانيه . ويعرف فى عصرنا وقبله بالجامع الأبيض. ثم جددت عمارته فى زمن الملك الناصر صلاح الدين سنة ٥٨٦هـ ، ولما فتح الملك الظاهر بيبرس يافا سنة ٦٦٦هـ عمر القبة التى على المحراب والباب المقابل للمحراب . وعمر المنارة القديمة ، وقد زالت وبنى عوضها المنارة الموجودة الآن وهى من بناء الملك الناصر محمد ابن قلاوون وهى من عجائب الدنيا فى الهيئة والعلوء وكان الفراغ من بنائها فى نصف شعبان سنة ٧١٨هـ (الأنس الجليل جـ٢/ ٦٨ — ٦٩) وما زالت هذه المنارة قائمة حتى الآن (عفيف بهنيسى : الشام لمحات آثارية وفنية ص ١٣٤) .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٠ .

(٤) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٢ .

(٥) المصدر السابق: ص ٦٥ .

(٦) هو الجامع الكبير فى حلب ويقع فى منطقة الاسواق غربى قلعةحلب ، بناه الأمويون سنة ٩٧هـ ، وتمت اشادته وفق مخطط الجامع الأموى بدمشق احمد الحصي : روائع العمارة العربية والاسلامية فى سوريا ص : ٢٥ . وكان محله =

به بلاط عظيم الاتساع ومنبرها بديع العمل مرصع بالعاج والابنوس ، وتيزين مساجدها (١) في نهاية الاتقان . (٢)

وعن الجامع الاموى بدمشق : " وهو من أعظم مساجد الدنيا احتفالا وأتقنها (٣) صناعة ، وأبدعها حسنا وبهجة وكمالا ، ولا يعلم له نظير ولا يوجد له شبيه ، وكان الذى تولى بناءه واتقانه امير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، ووجه الى ملك الروم بقسطنطينيه يأمره أن يبعث إليه الصناع ، فبعث إليه اثنى عشر ألف صانع ، وكان موضع (٤) المسجد كنيسة ، فلما افتتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليد رضى الله عنه من احدى جهاتها بالسيف ، فانتهى إلى نصف الكنيسة ، ودخل ابو عبيده بن الجراح رضى الله عنه من الجهة الغربية صلحا فانتهى الى نصف الكنيسة فصنع المسلمون فى نصف الكنيسة الذى دخلوه عنوة مسجدا ، وبقى النصف الذى صالحوا عليه كنيسة فلما عزم الوليد على زيادة الكنيسة فى المسجد طلب من الروم أن يبيعوا منه كنيستهم تلك بما شاؤوا من عوض ، فأبوا عليه ، فانتزعها من أيديهم ، وكانوا يزعمون أن الذى يهدمها يجن ، فذكروا ذلك للوليد فقال : أنا أول من يجن فى سبيل الله ، وأخذ الفأس وجعل يهدم بنفسه ، فلما رأى المسلمون ذلك ، تتابعوا على الهدم ، واكذب الله زعم الروم .

= حديقة كنيسة الروم القديمة التى بنتها هيلانه ام قسطنطين ، والذى بنى المسجد سليمان بن عبد الملك وتأنق فى بنائه ليضاهى به ، عمله أخوه الوليد فى جامع دمشق . وقيل أن بانيه الوليد ، وقد كان جامع حلب يضاهى جامع دمشق فى الزخرفة والرخام والفسيفساء . وعن هذا الجامع راجع . (ابن شداد : الاعلاق الخطيرة جـ١ / ٣٠ وما بعدها ، محمد كرد على : خطط الشام جـ٦ / ٤٨) .وقد وصف هذا الجامع ابن جبير وصفا يفوق كثيرا وصف أن ابن بطوطة له . (رحلة ابن جبير ص ٢٤٠ ـ ٢٤١) .

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٧٠ .

(٢) المصدر السابق: ص ٧٤ (٣) المصدر السابق : ص ٨٨ ـ ٩٢ .

(٤) القسطنطينية سبق تعريفها انظر الباب الأول ص ٥٦ حاشية ٢ .

وصف الجامع الأموي بدمشق :—

زين هذا الجامع بفصوص من الذهب المعروفة بالفسيفساء[1] وتخالطها أنواع الأصبغة الغريبة الحسن ، وذرع المسجد في الطول من الشرق الى الغرب مائتا خطوه[2] ، وهي ثلاثمائة ذراع ، وعرضه من القبلة إلى الجوف مائة وخمس وثلاثون خطوه ، وهي مائتـــا ذراع ، وعدد شمسيات الزجاج الملونة التي فيه أربع وسبعون . وبلاطاته ثلاثة مستطيلة من شرق إلى غرب ، سعة كل بلاط منها ثماني عشرة خطوه ، وقد قامت على أربع وخمسين سارية وثماني أرجل حصية تتخللها ، وست أرجل مرخمة ، مرصعة بالرخام الملون ، وقـد صور فيها اشكال محاريب وسواها وهي تقل قبة الرصاص التي امام المحراب المسماه بقبـة النسر كأنهم شبهوا المسجد نسرا طائرا ، والقبة رأسه[3] . وهي من أعجب مباني الدنيـا ، وفي أي جهة استقبلت المدينة بدت لك قبة النسر ذاهبة في الهواء ، منيفة على جميـــع مباني البلد ، وتستدير بالصحن ثلاثة من جهاته الشرقية والغربية والجوفية ، سـعة كـل بلاط منها عشر خطى ، وبها السواري ثلاث وثلاثون ، ومن الأرجل أربع عشرة ، وســعة الصحن مائة ذراع ، وهو من أجمل المناظر وأتمها حسنا ، وبها يجتمع أهل المدينـــة

---

(١) يقول ابن فضل الله العمري : " وهذه الفسيفساء مصنوع من زجاج يذهب ، ثـــم يطبق عليه زجاج رقيق . ومن هذا النوع المسحور ، وأما الملون فمعجون ، وقد عمل منه في هذا الزمان شيء كثير برسم الجامع الأموي وحصل منه عدة صناديق ونفدت في الحريق الواقع سنة ٧٤٠هـ ، غير أنه لا يجيء تماما مثل المعمول القديم فـــي صفاء اللون وبهجة المنظر ، والفرق بينهما ان القديم قطعة متناسقة على مقـــدار واحد ، والجديد قطعة مختلفة ، بهذا يعرف الجديد والقديم" (مســـالـــك الابصار جـ١/١٩٣) .

(٢) الخطوة ذراع ونصف . رحلة ابن جبير ص ٢٥١ .

(٣) عن وصف قبة النسر راجع ما كتبه ابن فضل الله العمري : مسالك الابصار جـ١/١٩٧ — ١٩٨ .

بالعشايا فمن قارئ ، ومحدث وذاهب . ويكون انصرافهم بعد العشاء الأخيرة ، وإذا لقى أحد كبرائهم من الفقهاء وسواهم صاحبا له أسرع كل منهما نحو صاحبه وحط رأسه .(١)

وفى هذا الصحن ثلاث من القباب احداها فى غربية ، وهى أكبرها وتسمى قبة عائشة أم المؤمنين(٢) وهى قائمة على ثمانى سوار من الرخام مزخرفة بالفصوص والأصبغة الملونة ، مسقفة بالرصاص ، يقال أن مال الجامع كان يختزن بها .(٣)

وذكر لى أن فوائد مستغلات الجامع وجبايته نحو خمسة وعشرين ألف دينار ذهبا فى كل سنة .(٤) والقبة الثانية من شرقى الصحن على هيئة الأخرى إلا أنها أصغر منها ، قائمة على ثمانى سوارى من الرخام ، وتسمى قبة زين العابدين . والقبة

---

(١) راجع ما كتبه ابن جبير عن هذه العادة ، رحلة ابن جبير ص ٢٨٥ .

(٢) ابن كثير : البداية ج٩/١٥٩ . يقال لها قبة عائشة . وفى الاعلاق الخطيرة لابن شداد ج٢/١٨٧ يقول : " القبة التى هى بيت المال هى القبة الغربية ، ذكروا أن تحتها قبر عائشة — رضى الله عنها — والصحيح أن قبرها بالبقيع .

(٣) عن هذه القبة يقول الاستاذ على الطنطاوى : أن الذى أنشأها الفضل بن صالح ابن على العباس ابن عم المنصور لما كان أمير دمشق سنة ١٧١ هـ أيام المهدى . ويظهر أنها كانت مغلقة والناس يتوهمون أن فيها مالا . ولم أقف على خبر فتحها الا ما كان عام ٩٢٢ هـ اذ فتحها سيباى فلم يجد فيها الا أوراقا ومصاحف بالخط الكوفى وقد فتحت سنة ١٣٠٦ هـ فوجدت فيها مصاحف ومخطوطات نقلت الى اسطنبول (الجامع الأموى فى دمشق ص ٣٣، ٣٤) . أما ابن كثير فيقول : " أنها انما بنيت فى حدود سنة ١٦٠ هـ فى أيام المهدى بن منصور العباسى ، وجعلوها لحواصل الجامع وكتب أوقافه . (البداية ج٩/١٥٩) .

(٤) هى القبة الشرقية بنيت أيام المهدى سنة ١٦٠ هـ وتعرف بقبة زين العابدين ، وكانت تسمى قبة زيد وتسمى الآن قبة الساعات اذ كانت فيها ساعات المسجد ، على الطنطاوى : الجامع الأموى بدمشق ص ٣٤ .

(١)
الثالثة فى وسط الصحن ، وهى صغيرة مثمنة من رخام عجيب محكم الألصاق ، قائمة على أربع سوار من الرخام الناصع ، وتحتها شباك حديد فى وسطه أنبوب نحاس يمج الماء إلى علو فيرتفع ثم ينثنى كأنه قضيب لجين . وهم يسمونه قفص الماء ، ويستحسن الناس وضع أفواههم فيه للشرب ، وفى الجانب الشرقى من الصحن باب يفضى إلى مسجد بديع الوضع يسمى مشهد على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ويقابله من الجهة الغربية حيث يلتقى البلاطان الغربى والجوفى موضع يقال أن عائشة رضى الله عنها ، سمعت الحديث هنالك (٢) . وفى قبله المسجد المقصورة العظمى (٣) التى يؤم فيها امام الشافعية ، وفى الركن الشرقى منها ازاء المحراب خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذى وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه الى الشام ، وتفتح تلك الخزانة كل يوم جمعه بعد الصلاة (٤) ، فيزدحم الناس على لثم ذلك المصحف الكريم ، وهنالك يحلّف الناس غرماءهم ، ومن ادعوا عليه شيئا ، وعن يسار المقصورة محراب الصحابة . ويذكر أهل التاريخ أنه أول محراب وضع فى الاسلام ، وفيه يؤم امام المالكية ، وعن يمين المقصورة محراب الحنفية ، وفيه يؤم

---

(١) ويقول العامة لها قبة أبى نواس وأقيمت سنة ٣٦٩هـ ، ابن كثير : البداية جـ٩ / ١٥٩ .

(٢) علق ابن جبير على ذلك حيث قال : وعائشة فى دخول دمشق كعلى ، لكن لهم فى على (يقصد الشيعة) مندوحة من القول ، وذلك أنهم يزعمون أنه رؤى فى المنام مصليا فى ذلك الموضع ، فبنت الشيعة فيه مسجدا ، أما الموضع المنسوب لعائشة فلا مندوحة فيه انما ذكرناه لشهرته فى الجامع " رحلة ابن جبير ص : ٢٥٦ .

(٣) هى مقصورة الخطابة ، العمرى : مسالك الابصار جـ١ / ١٩٥ .

(٤) (وتفتح الخزانة كل يوم اثر الصلاة) رحلة ابن جبير ص : ٢٥٧ .

امامهم ، ويليه محراب الحنابلة وفيه يؤم امامهم[1] .

ولهذا المسجد ثلاث صوامع : احداها بشرقية ، وهى من بناء الروم ،

ويقول ابن بطوطة أيضا : وبالباب الشرقى من دمشق منارة بيضاء يقال أنها التى ينزل عليها عيسى عليه السلام عندها . حسبما ورد فى صحيح مسلم[2] . وعدد المؤذنين به سبعون مؤذنا وفى شرقى المسجد مقصورة كبيرة فيها صهاريج ماء ، وهى لطائفة الزيالعه السودان ، وفى وسط المسجد قبر[3] زكريا عليه السلام وعليه

---

(١) يقول ابن فضل الله العمرى : ولكل من هذه المحاريب الثلاثة امام ومؤذن ، وقد وقف فى كل محراب منها وقف على مدرس وجماعة من الفقهاء . ومن المذاهب الثلاثة كل طائفة فى محرابها . (مسالك الابصار جـ١ / ١٩٥) كما كان تعيين هذه المحاريب الثلاثة فى رجب سنة ٧٢٨هـ (ابن كثير : البداية جـ١٤ / ١٣٤ ، ١٣٥) .

(٢) يقول ابن كثير : " بنى الوليد المنارة الشمالية التى يقال لها مأذنة العروس فأما الشرقية والغربية فكانتا فيه قبل ذلك بدهور متطاولة ، وقد كان فى كل زاوية فى هذا المعبد صومعة شاهقة جدا ، بنتها اليونان للرصد ، ثم بعد ذلك سقطت الشماليتان وبقيت القبلتان الى الآن . وقد أحرق بعض الشرقية بعد الأربعين وسبعمائة ، فنقضت وجدد بناؤها من أموال النصارى ، حيث اتهموا بحريقها ، فقامت على أحسن الاشكال بيضاء بذاتها ، وهى والله أعلم الشرقة التى ينزل عليها عيسى بن مريم فى آخر الزمان بعد خروج الدجال ، كما ثبت فى صحيح مسلم عن النواس بن سمعان ، ثم علق على ذلك بقوله : كأنه والله أعلم مروى بالمعنى بحسب ما فهمه الراوى ، انما ينزل على المنارة الشرقية بدمشق وقد أخبرت ولم أقف عليه الى الآن أنه كذلك فى بعض ألفاظ هذا الحديث وفى بعض المصنفات . البداية جـ٩ / ١٥٠ ، ١٥٦ .

(٣) المشهور قبر يحيى بن زكريا عليهما السلام ، راجع ما رواه ابن كثير عن ابن =

تابوت معترض بين اسطوانتين مكسو بثوب حرير أسود معلم ، فيه مكتوب بالأبيض " يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى " (١) . وهذا المسجد شهير الفضل وقرأت فى فضائل دمشق عن سفيان الثورى أن الصلاة فى مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة (٢) . وفى الأثر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يعبد الله فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة (٣) . ويقال ان الجدار القبلى منه وضعه نبى الله هود عليه السلام ، وأن قبره به (٤) . وقد رأيت على مقربة من مدينة ظفار اليمن (٥) بموضع يقال له الأحقاف (٦) بنيه فيها قبر مكتوب (٧)

= عساكر عن زيد بن واقد عن اكتشاف رأس يحيى عليه السلام عند بناء الجامع الأموى بدمشق . (البداية ج٩/١٥٦ و قصص الأنبياء ص ٦٥٢) . أما الأستاذ على على الطنطاوى فيقول : وليس لدينا أى دليل على أن هذا القبر هو ليحيى ، وليس لدينا دليل كذلك على نفى أن فيه رأس يحيى عليه السلام ، فالله أعلم بحقيقة الحال (الجامع الأموى بدمشق ص ٣٨) . اما الصابونى فيقول : " هذا ليس بغريب فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء " النبوة والأنبياء ص ٣١٦ .

(١) أقيمت عليه قبة التابوت ولا تزال موجودة الى الآن ولا يعرف بالتحديد تاريخ بنائها (الطنطاوى : الجامع الأموى بدمشق ص ٣٧) .

(٢) سورة مريم آية ٧ .

(٣) راجع الربعى : فضائل الشام ودمشق ص ٣٦ — ٣٧ .

(٤) هذا غير صحيح فى نسبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم راجع ابن كثير :البداية ج٩/١٥٤ .

(٥) هذا مجرد نقل من كتاب الربعى : فضائل الشام ودمشق (راجع ص ٣٤) فهود عليه السلام دفن فى شرق حضرموت على نحو مرحلتين من مدينة تريم قرب وادى برهوت (عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٧٤)(راجع ابن شداد :الاعلاق الخطيرة ج٢/١٨٧) .

(٦) ظفار : بفتح أوله والبناء على الكسر ، مدينة على ساحل المحيط الهندى (راجع ياقوت : معجم البلدان ج٤/٦٠) .

(٧) الأحقاف : رمال بين عمان وحضرموت (راجع معجم البلدان ج١/١١٥) .

عليه : هذا قبر هود بن عابر صلى الله عليه وسلم .[(١)]

أبواب الجامع :—[(٢)]

وفى هذا المسجد أربعة أبواب[(٣)] : باب قبلى يعرف بباب الزيادة ، وبأعلاه قطعة من الرمح الذى كانت فيه راية خالد بن الوليد ، رضى الله عنه ، وباب شرقى ، وهو أعظم أبواب المسجد ، ويسمى بباب جيرون " باب الساعات "[(٤)] وله دهليز عظيم يخرج منه إلى بلاط عظيم طويل امامه خمسة أبواب لها ستة أعمدة طوال ، وفى جهة اليسار منه مشهد عظيم كان فيه رأس الحسين رضى الله عنه[(٥)] ، وبازائه مسجد صغير ينسب إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه . وبه ماء جار . وقد انتظمت امام البلاط درج ينحدر فيها الى الدهليز ، وهو كالخندق العظيم يتصل بباب عظيم الارتفاع تحته أعمدة كالجذوع طوال .

وفى الرحبة المتصلة بالباب الأول دكاكين لكبار الشهود منها دكانان للشافعية ، وسائرها لأصحاب المذاهب يكون فى الدكان منها الخمسة والستة من العدول ، والعاقد للأنكحة من قبل القاضى ، وسائر الشهود مفترقون فى المدينة . وفى وسط الدهليز

---

(١) اشار ابن بطوطة الى ذلك انظر الرحلة ص ٢٦٢

(٢) سبقت الاشارة الى أبواب الجامع الاموى عند الأحوال الاقتصادية انظر ص ١٣٧ .

(٣) استجد بالجامع الاموى بابين عدا الأبواب الأربعة الرئيسية وهما الباب النافذ الى الكلاسه ، والباب النافذ الى الكاملية ، وهما جناحان باب النطافين (العمرى : مسالك الأبصار جـ١/١٩٥) .

(٤) راجع : ص١٣٨ حاشية ١ .

(٥) سبقت الاشارة الى ذلك راجع ص ١٦٥ حاشية ٤ .

المذكور حوض من الرخام كبير مستدير عليه قبة لا سقف لها تقلّها أعمدة رخام ، وفى وسط الحوض أنبوب نحاس يزعج الماء بقوة فيرتفع فى الهواء أزيد من قامة الانسان يسمونه الفوارة ، منظره عجيب .

وعن يمين الخارج من باب جيرون ، وهو باب الساعات ، غرفة لها هيئة طاق كبير فيه طيقان صغار مفتحة لها أبواب على عدد ساعات النهار ، والأبواب مصبوغ داخلها بالخضرة ، وظاهرها بالصفرة فاذا ذهبت ساعة من النهار ه انقلب الباطن الأخضر ظاهرا ، والظاهر الأصفر باطنا ، ويقال : أن بداخل الغرفة من يتولى قلبها بيده عند مضى الساعات.

والباب الغربى يعرف بباب البريد ، وعن يمين الخارج منه مدرسة الشافعية (١) وبأعلاه باب يصعد إليه فى درج له أعمدة سامية فى الهواء ، وتحت الدرج سقايتان عن يمين وشمال مستديرتان . والباب الجوفى يعرف بباب النطفانيين (٢) . وعن يمين الخارج منه خانقاه تعرف بالشميعانيه (٣) وفى وسطها صهريج ماء ، ولها مطاهر يجرى

---

(١) لم يشر ابن بطوطة الى اسمها . وربما يكون المقصود بها المدرسة العادلية الكبرى .

(٢) النطافين (العمرى : مسالك الابصار جـ١/١٩٤) ويعرف الآن بباب العمارة (كرد على : خطط الشام جـ١/١٣٢) .

(٣) هى الخانقاه السميساطية (راجع ص ١٧٧ حاشية ٢) ، اسسها ابو القاسم على بن محمد السلمى المعروف بالحجيش السمسياطى نسبة الى سمسياط مدينة كانت غرب الفرات . توفى عام ٤٥٣هـ . تقع فى الشمال الشرقى من الجامع الأموى ووقفها على الفقراء والصوفية . وكانت دار عبد العزيز بن الوليد ابن أخت عمر بن عبد العزيز وقد سكنها عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة . وجددها تنكز نائب الشام عام ٧٢٨هـ ، وفى هذا العصر جدد بناؤها على أن تجعل مدرسة =

فيها الماء ، ويقال : أنها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وعلى كل باب من أبواب المسجد الأربعة داروضوء يكون فيها نحو مائة بيت تجرى فيها المياه الكثيرة .

أئمة الجامع :—

وائمته ثلاثة عشر اماما ، أولهم امام الشافعية ، وكان فى عهد دخولى إليها امامهم قاضى القضاه جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى (١) من كبار الفقهاء وهو الخطيب بالمسجد وسكناه بدار الخطابة ، ويخرج من باب الحديد ازاء المقصورة ، وهو الباب الذى كان يخرج منه معاوية ، رضى الله عنه وقد تولى جلال الدين بعد ذلك قضاء القضاه بالديار المصرية بعد أن أدى عنه الملك الناصر نحو مائة ألف درهم كانت دينا عليه بدمشق ، واذا سلم امام الشافعية من صلاته قام للصلاة امام مشهد على ، ثم امام مشهد الحسين ، ثم امام مشهد الكلاسه ، ثم امام مشهد أبى بكر ، ثم امام مشهد عمر ، ثم امام مشهد عثمان رضى الله عنهم أجمعين (٢) " .

= للعلوم الدينية فلم يتم لها هذا . (ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ج٢/ ١١٩ ، النعيمى : دور القرآن فى دمشق ص ٥٠ ، الذهبى : دول الاسلام ج٢ / ٢٤٣ حاشية ١ ، محمد كرد على : خطط الشام ج٦/ ١٣١ — ١٣٢) راجع ما ذكره ابن جبير عن هذه الخانقاه (رحلة ابن جبير ص ٢٧٨ — ٢٧٩)

(١) سبقت ترجمته انظر ص ١٧٦ حاشية ٣ .

(٢) هى مشاهد اتخذت على أسماء الصحابة الأربعة ، فمشهد عمر يعرف الآن بمشهد عروه ، ومشهد عثمان . تعقد مجالس الحكام الأربعة والعلماء لفصل القضايا المعضلة (العمرى : مسالك الابصار ج١/ ١٩٦) .

ثم امام المالكية وكان امامهم فى عهد دخولى اليها الفقيه ، أبو عمر بن الوليد ابن الحاج التجيبى القرطبى الأصل الغرناطى المولد نزيل دمشق ، وهو يتناوب الامامة مع أخيه . رحمهما الله . ثم امام الحنفية ، وكان امامهم فى عهد دخولى اليها الفقيه عماد الدين الحنفى المعروف بابن الرومى ، وهو من كبار الصوفية ، وله شياخة الخانقاه الخاتونيه ، وله أيضا خانقاه بالشرف الأعلى .

ثم امام الحنابلة ، وكان فى ذلك العهد الشيخ عبد الله الكفيف أحد شيوخ القراء بدمشق . ثم بعد هؤلاء خمسة ائمة لقضاء الفوائت ، فلا تزال الصلاة فى هذا المسجد من أول النهار إلى ثلث الليل ، وكذلك قراءة القرآن ، وهذا من مفاخر هذا الجامع المبارك .

---

(١) هو ابو عمر بن أبو الوليد المالكى امام محراب الصحابة الذى بالمالكية ، توفى فى شهر رمضان سنة ٧٤٥هـ فى دمشق ، ودفن الى جانب قبر ابيه وأخيه . وتأسف الناس على موته . (ابن كثير : البداية ج١٤/٢١٥) .

(٢) لم اعثر على ترجمته فى المصادر المتيسرة .

(٣) الخانقاه الخاتونيه ظاهر باب النصر المعروفة بباب دار السعادة منسوبة الى خاتون بنت معين الدين زوجة نور الدين وهى عامرة الآن وبناياتها (محمد كرد على خطط الشام ج٦/١٣١) .

(٤) هو العابد الناسك الشيخ عبد الله الضرير الزرعى . توفى فى رمضان سنة ٧٤٥هـ . كثير التلاوة والعبادة . يقرىء الناس من دهر طويل . ويقوم بهم العشر الأخير من رمضان فى محراب الحنابلة بالجامع الاموى (ابن كثير : البداية ج١٤/٢١٤) .

خامسا : تعليقات ابن جزى الكلبى على رحلة ابن بطوطة لبلاد الشام :—

كان لابن جزى الكلبى العديد من الاضافات أو التعليقات على ما ذكره ابن بطوطة عن بلاد الشام ، وقد سبق أن أشرنا الى دوره فى تدوين الرحلة [(١)] ، وهذه التعليقات لا تعد من أقوال ابن بطوطة ، لأن ابن جزى أوضح هذه التعليقات فى الرحلة بقوله : قال ابن جزى . وقد شملت تعليقاته على بلاد الشام كل من مدينة حماه — والمعره — ومدينة حلب ، ومدينة دمشق ومعظم هذه التعليقات هى من بعض الأبيات الشعرية ، نقلها عن شعراء آخرين تتعلق بوصف هذه المدن ومحاسنها وجمالها .

وسوف نذكر هذه التعليقات حسب خط سير رحالتنا ابن بطوطة ، لأنها كانت فقط أثناء رحلته الأولى لأرض الشام سنة ٧٢٦هـ .

أ — عن مدينة حماه :— [(٢)]

قال ابن جزى: " وفى هذه المدينة ونهرها ونواعيرها وبساتينها يقول الأديب الرحال نور الدين ابو الحسن على بن موسى بن سعيد العنسي العمارى الغرناطى نسبة لعمار بن ياسر رضى الله عنه [(٣)] .

---

(١) انظر الباب الأول ص ٦٠ وما بعدها .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٦ — ٦٧ .

(٣) ولد بقلعة يحصب من أعمال غرناطة سنة ٦١٠ هـ. وهى قلعة تعرف بقلعة بنى سعيد من أعظم بيوتات الأندلس وأشرفها اذ يرتقون فى نسبهم الى عمار بن ياسر الصحابى . زار مصر سنة ٦٣٩هـ وحلب سنة ٦٤٤هـ ، ودمشق سنة ٦٤٧هـ ، ثم رحل الى تونس سنة ٦٥٢هـ ، كما رحل ثانية الى المشرق فى سنة ٦٥٦هـ. ثم =

حمى الله من شطى حماه مناظـرا	وقفت عليها السمع والفكر والطّرفا
تغنى حمـــام أو تميــل خمائـل	وتزهى مبانى تمنع الواصف الوصفا
يلوموننى أن أعصى الصون والنهى	بها وأطيع الكاس واللهو والقصفـا
اذا كان فيها النهر عاص فكيف لا	أحاكيه عصيانا وأشربهـا صـرفـا
واشدو لدى تلك النواعير شدوهـا	وأغليها رقصا وأشبهها غرفـــا
تئن وتذرى دمعها فكأنهـــــا	تهيم بمرآها وتسألها العطفا

ولبعضهم فى نواعيرها ذاهبا مذهب التوريه :ـ

وناعوره رقت لعظم خطيئـــــتى	وقد عاينت قصدى من المنزل القاصى
بكت رحمة لى ثم باحت بشجوهـــا	وحسبك أن الخشب تبكى على العاصى

ولبعض المتاخرين فيها أيضا من التوريه :ـ

يـا سادة سكنوا حمـاه وحقكـــم	ما حلت عن تقوى وعن اخـــــلاص
والطرف بعدكم اذا ذكر اللّـــقا	يجرى المدامع طائعا كالعـــــاص

ب ـ عن مدينة المعـرة :ـ (١)

قال ابن جزى : " وانما سميت بمعره النعمان لأن النعمان بن بشير الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفى له ولد أيام امارته على حمص فدفنه بالمعره

= عاد الى تونس وبقى بها الى أن توفى سنة ٦٨٥هـ . ومن مؤلفاته " المغرب " نشر الدكتور شوقى ضيف ما يخص الأندلس ، ونشر الدكتور زكى محمد حسن ما يخص مصر ، ونشر " الغصون اليانعة " الأستاذ ابراهيم الابيارى . راجع : المقــــرى التلمسانى : نفح الطيب ج٣/٣٨ ، ابن شاكر : فوات الوفيات ج٣/١٠٣ ، عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ص ٢٢٢ وما بعدها ، ابن شـــداد : الاعلاق الخطيرة ج٢/٣٦٤ حاشية ١

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٧ .

فعرفت به ، وكانت قبل ذلك تسمى ذات القصور (١) وقيل أن النعمان جبل مطل عليها سميت به .

جـ — عن قلعة حلب (٢) :—

قال ابن جزى : وفى هذه القلعة يقول الخالدى شاعر سيف الدولة (٣) :

وخرقاء قد قامت على من يروحها	بمرقبها العالى وجانبها الصعب
يجر عليها الجو جيب غمامة (٤)	ويلبسها عقدا بأنجمه الشهب
اذا ماسرى برق بدت من خلاله	كما لاحت العذراء من خلل السحب (٥)
فكم من جنود قد أماتت بغصة (٦)	وذى سطوات قد أبانت على عقب

وفيها يقول أيضا وهو من بديع النظم :—

وقلعة عانق العنقاء سافلها (٧)	وجاز منطقه الجوزاء عاليها
لا تعرف القطر اذا كان الغمام لها	أرضا توطا قطريه مواشيها (٨)

(١) كما فى ياقوت انظر معجم البلدان جـ٥/١٥٦ .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٩ .

(٣) فى ابن شداد : للخالدى من قصيدتين مدحا بها سيف الدولة ويهنيانه فيهما بفتح حلب جاء فى احداهما فى صفة القلعة الاعلاق الخطيرة جـ١/١٦٩—١٧٠

(٤) يزرّ عليها الجو جيب غمامة ابن شداد : المصدر السابق جـ١/ ١٦٩ .

(٥) كما لاحت العذراء من خلل الحجب . ابن شداد : الاعلاق الخطيرة جـ١/١٦

(٦) فكم ذى جنود قد أحانت بغصه . المصدر السابق : جـ١/١٦٩ .

(٧) وقلعة عانق العيوق سافلها . المصدر السابق جـ١/١٧٠ . وهو الأصوب ويوافق ما ذكره بعد ذلك (الجوزاء) .

(٨) أرضا توطأ قطريه مواشيها . المصدر السابق : جـ١/١٧٠ .

اذا الغمامة راحت غاض ساكنها حيا فيها قبل أن تهمى عواليها (١)

ردت مكايد أقوام مكايدها ونصبت لد واهيهم د واهيها (٢)

وفيها يقول جمال الدين على بن أبى منصور (٣) :—

كادت لبون سموها وعلوها (٤) تستوقف الفلك المحيط الدائرا

وردت قواطنها المجره منهلا ورعت سوابقها النجوم زواهرا (٥)

ويظل صرف الدهر منها خائفا (٦) وجلا فما يمسى لديها حاضرا

---

(١) حيافيها قبل أن تهمى عزاليها . المصدر السابق : جـ١/١٧٠

(٢) هنا بيتان ناقصان قبل هذا البيت هما :—

على ذرى شامخ وعر وقد امتلأت كبرا به وهومملوء بها تيها

له عقاب عقاب الجو حائمة من دونها فهى تخفى فى خوافيها

ردت مكائد املاك مكائدها وقصرت بدواهيهم دواهيها

المصدر السابق جـ١/١٧٠

(٣) هو الفقيه الوزير جمال الدين على بن ظافر بن حسين الازدى المصرى المعروف بابن ابى منصور . ولد عام ٥٦٧هـ توفى سنة ٦١٣هـ على الارجح . من مؤلفاته " الدولة المنقطعة " و " بدائع البداءة " والذيل عليها و " أخبار الملوك السلجوقية " راجع ابن شاكر : فوات الوفيات جـ٢/٢٦ وهذه الابيات من قصيدة مدح بها الملك الظاهر بن يوسف بن ايوب . انظر بن شداد : المصدر السابق جـ١/١٧٠ .

(٤) كادت لفرط سموها وعلوها . المصدر السابق جـ١/١٧٠ . وهو الصواب .

(٥) ورعت سوابقها النجوم أزاهرا . ابن شداد : الاعلاق الخطيرة جـ١/١٧٠ .

(٦) هنا بيت ناقص قبل هذا البيت هو :—

شماء تسخر بالزمان وطالما بشواهق البنيان كان الساقرا . المصدر السابق جـ١/١٧٠ .

د _ عن مدينة حلب[1] :

قال ابن جزى : أطنبت الشعراء فى وصف محاسن حلب • وذكر داخلها وخارجها وفيها يقول ابو عبادة البحترى :_

يا برق اسفر عن قويق فطرتى[2] حلب فاعلى القصر من بطياس

عن منبت الورد المعصفر صبغة فى كل ضاحية ومجنى الآس

أرض اذا استوحشتكم بتذكر[3] حشدت على فأكثرت ايناس

وقال فيها الشاعر المجيد ابو بكر الصنوبرى[4] :_

سقى حلب المزن مغنى حلب فكم وصلت طربا بالطرب

وكم مستطاب من العيش لذ بها اذ بها العيش لم يستطب[5]

اذا نشر الزهر اعلامه بها ومطارفة والعذب

غدا وحواشيه من فضة تروق ،وأوساطه من ذهب

(١) رحلة ابن بطوطة ص ٧٠ _ ٧٢ •

(٢) مطالبى : رحلة ابن بطوطة جـ١ مؤسسة الرسالة انظر ص ٨٠٨، والطبعة المصرية ص ٤١ •

(٣) فى الديوان : اذا استوحشت ثم أتيتها ، وهذه الأبيات من قصيد مطلعها

ناهيك من حرق ابيت اقاسى وجروح حبٍّ ما لهن أواس ديوان البحترى جـ٢/١١٣٤ •

(٤) هو ابو بكر احمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبى الحلبى المعروف بالصنوبرى ، لا يعرف زمن ولادته توفى سنة ٣٣٤هـ• راجع ترجمته • ابن شاكر فوات الوفيات جـ١/ ١٢٢ ، عبد الرحمن عطية الصنوبرى شاعر الطبيعة ص ٥٧ وما بعدها ، صالح التويجرى : الصنوبرى شاعر الطبيعة ص ٦٩ •

(٥) وفى غيرها لم يطب عبد الرحمن عطية : الصنوبرى شاعر الطبيعة ص ١٤٩

وقال فيها ابو العلاء المعرى :ـ

(١)
حلب للوارد جنـــة عـــدن ــ وهى للغادرين نار ســـعير

والعظيم العظيم يكبر فى عينــ ــيه منها قدر الصغير الصغير
(٢)
فقويق فى انفس القوم بحـــر ــ وحصاة منه مكان ثبـــير
(٣)
وقال فيها ابو الفتيان بن حيوس :ـ

يا صاحبى اذا أعياكما سقمى ــ فلقيانى نسيم الريح من حلب

من البلاد التى كان الصبا سكنا ــ فيها وكان الهوى العذرى من أربى ٠
(٤)
وقال فيها ابو الفتح كشاجم :ـ

---

(١) فى الديوان (حلب للولى) والابيات من قصيدة مطلعها :ـ
ابق فى نعمة بقاء الدهور ــ نافذ الامر فى جميع الامور ــ سقط الزند ص ٢٨ ٠

(٢) فى سقط الزند (منها نظير ثبير) وأيضا فى ابن شداد : الاعلاق الخطيرة جـ ١ / ١٦١ ٠

(٣) فى الأصل : " جبّوس " وهو تصحيف وهو الأمير مصطفى الدولة ، أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس بن عثمان القنوى الدمشقى ، ولد بدمشق فى صفر سنة ٣٩٤هـ ٠ وتوفى سنة ٤٧٣هـ راجع (ديوان ابن حيّوس جـ١ / ٥ وما بعدها) وقد أخطأ ابن جزى الكلبى فى نسبة الأبيات الى ابى الفتيان ، لأن الابيات للوزير ابى القاسم الحسين بن على بن الحسين المغربى ٠
(انظر ابن شداد : الاعلاق الخطيرة جـ١ / ١٦٣) ٠

(٤) هو ابو الفتح محمود بن الحسين ابن السندى بن شاهك الرملى المعـــروف بكشاجم ، شاعر متقن اديب من كتاب الانشاء من اهل الرملة بفلسطين ، فارسى الأصل ، تنقل بين القدس ودمشق وحلب وبغداد ، وزار مصر أكثر من مـــرة ، واستقر بحلب ، توفى سنة ٣٦٠هـ له (ديوان شعر جـ١) و(أدب النديـم جـ١) =

وما أمتعت جارهـا بلـده　　كما امتعت حلـب جـارها

بها قد تجمـع ماتشتهـى (١)　　فزرها فطـوبى لمـن زارهـا

وقال فيها ابو الحسن على بن موسى بن سعيد الغرناطى العنسى (٢) :ـ

حادى العيس كم تنيخ المطايا　　سق فروحى من بعدهم فى سياق

حلـب انها مقـر غرامـى　　ومرامى وقبله الاشـواق

لا خلا جوشن وبطياس والسعد (٣)　　من كـل وابـل غيـداق

كم بها مرتـع لطـرف وقلـب　　فيه سقى المنى بكأس دهـاق

وتغنى طيورها لارتيـاح　　وتنشى غصـونها للعنـاق

وعلو الشـهباء حيث استدارت (٤)　　انجم الافق حولها كالنطـاق

هـ ـ عن الشاعر محمد بن نباتـه (٥) :ـ

قال ابن جزى : " وليس كلامه فى هذه القصيدة بذاك ، وهو فى المقطعـات اجود منه فى القصائد ، واليه انتهت الرياسة فى الشعر على هذا العهد فى جميـع

= (و المصايد والمطارد جا) راجع ابن شاكر : فوات الوفيات ج٤/٩٩ ، ابـن العماد : الشذرات ج٣/٣٧ ، الزركلى : الاعلام ج٧/١٦٧ .

(١) الأبيات وردت فى (ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ج١/١٦٠)(وياقوت : معجم البلدان ج٢/٢٩٠) وفى الاعلاق الخطيرة (هى الخلد تجمع ما تشتهى)(وفى معجم البلدان (هى الخلد يجمع ما تشتهى) .

(٢) هذه الابيات وردت فى ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ج١/١٦٨ .

(٣) لا خلا جوشن وبطياس والسعدى : المصدر السابق ج١/١٦٨ .

(٤) وعلى الشهباء حيث استدارت : المصدر السـابق ج١/١٦٨ .

(٥) رحلة ابن بطوطة ص ٧٣ ، وعن الشاعر محمد بن نباته الفارقى ، سبقت ترجمته انظر ص ١٨٩ حاشية ٤ .

بلاد المشرق وهو من ذرية الخطيب أبى يحيى عبد الرحيم بن نباته منشئ الخطب الشهيرة ومن بديع مقطعاته فى التوريه قوله (١) :—

علقتها غيذاء حالية العلى (٢) — تجنى على عقل المحب وقلبه (٣)

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم — فغدت مطوقة بما بخلت به (٤)

و — عن أن دمشق جنة الله فى أرضه (٥) :—

قال ابن جزى : وقد نظم بعض شعرائها فى هذا المعنى :

إن تكن جنة الخلود بأرض — فدمشق ولا تكون سواها

او تكن فى السماء فهى عليها — قد أبدت هواءها وهواها

بلد طيب ورب غفور — فاغتنمها عشية وضحاها

ز — عن مدينة دمشق ومحاسنها (٦) :—

قال ابن جزى : والذى قالته الشعراء فى وصف محاسن دمشق لا يحصر كثره ، وكان والدى ، رحمه الله ، كثيرا ما ينشد فى وصفها هذه الأبيات وهى لشرف الدين بن محسن ، رحمه الله تعالى :—

---

(١) ديوان ابن نباته ص ٦٤ . وهذان البيتان وردا فى رحلة البلوى : تاج المفرق جـ١/ ٢٧٣ .

(٢) حاليه الطلا . ديوان ابن نباته ص ٦٤ ، تاج المفرق جـ١/٢٧٣ .

(٣) عقل المحب ولبه . الديوان ص ٦٤ .

(٤) فتطوقت بمثال ما بخلت به . الديوان ص ٦٤ .

(٥) رحلة ابن بطوطة : ص ٨٤ .

(٦) المصدر السابق : ص ٨٥ — ٨٧ .

دمشق بنا شوق اليها مبرح　　وان لج واش او الح عذول

بلاد بها الحصباء در وتربها　　عبير وانفاس الشمال شمول

تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق　　وصح نسيم الروض وهو عليل

وهذا من النمط العالي من الشعر .

وقال فيها عرقلة الدمشقي الكلبي (١) :ـ

الشام شامة وجنة الدنيا كما　　انسان مقلتها الغضيضة جلق

من آسها لك جبة لا تنقضي　　ومن الشقيق جهنم لا تحرق (٢)

وقال فيها ايضا (٣) :ـ

اما دمشق فجنات معجلة　　للطالبين ، بها الولدان والحور

ما صاح فيها على أوتاره قمر　　الا يغنيه قمري (٤) وشحرور

يا حبذا ودروع الماء تنسجها　　أنامل الريح الا أنها زور

وله فيها أشعار كثيرة سوى ذلك .

---

(١) هو حسان بن نمير ، ابو الندى الكلبي ، الدمشقي . المعروف بعرقله ، شاعر من شعراء صلاح الدين الايوبي توفي سنة ٥٦٧هـ . وقد قارب الثمانين . راجع ترجمته (ابن شاكر : فوات الوفيات ج١/٣١٢ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٤/٢٢٠ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٦/٦٤) .

(٢) هذان البيتان وردا في الاعلاق الخطيرة وتاج المفرق . وهي سبعة أبيات والبيتان من ضمنها انظر (ابن شداد ؛ الاعلاق الخطيرة ج٢/٣٤٩ ، البلوي تاج المفرق ج١/٢٣٩) .

(٣) هذه الابيات وردت في (ابن شاكر : فوات الوفيات ج١/٣١٣ ـ ٣١٤) .

(٤) الا وغناء (ابن شاكر : فوات الوفيات ج١/٣١٤ وهو الأصح .

وقال فيها ابو الوحش سبع بن خلف الأسدى :ـ

سقى دمشق الله غيثا محسنا ... من مستهل ديمه دهاقها
مدينة ليس يضاهى حسنها ... فى سائر الدنيا ولا أفاقها
تود زوراء العراق أنها ... منها ولا تغرى الى عراقها
فأرضها مثل السماء بهجة ... وزهرها كالزهر فى اشراقها
نسيم روضها متى ما قد سرى ... افتك اخا الهموم من وثاقها
قد رتع الربيع فى ربوعها ... وسيقت الدنيا الى أسواقها
لا تسأم العيون والأنوف ... من رؤيتها يوما ولا استنشاقها

ومما ينسب هذا للقاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى فيها من قصيدة ،وقد نسبت أيضا لابن المنير :ـ

يا برق هل لك فى احتمال تحية ... عذبت فصارت مثل مائك سلسلا
باكر دمشق بمشق الحيا (١) ... زهر الرياض مرصعا ومكللا
وأجرر بجيرون ذيولك واختصص ... مغنى تأزر بالعلا وتسربلا
حيث الحيا الربعى محلول الحيا ... والوابل الربعى مغرى الكلا

وقال فيها ابو الحسن على بن موسى بن سعيد العنسي الغرناطى المدعو نور الدين (٢) :ـ

دمشق منزلنا حيث النعيم بدا ... مكملا وهو فى الآفاق مختصر
القصب راقصه والطير صادحه ... والزهر مرتفع (٣) والماء منحدر

---

(١) اقلام الحيا : كما فى رحلة ابن بطوطة ط مؤسسة الرسالة انظر جـ١/ ٨١٢ .

(٢) سبقت ترجمته انظر ص ٢٢٠ حاشية ٣ .

(٣) والنسر مرتفع . ابن شداد : الاعلاق الخطيرة جـ٢/ ٣٦٤ .

وقد تجلت من اللذات أوجهها ... لكنها بظلال الدوح تستتر

وكل واد به موسى يفجره (١) ... وكل روض على حافاته الخضر

وقال ايضا فيها :—

خيّم بجلق بين الكأس والوتر ... فى جنة هى ملء السمع والبصر

ومتع الطرف فى مرأى محاسنها ... وروض الفكر بين الروض والنهر

وانظر الى ذهبيات الاصيل بها ... واسمع الى نغمات الطير فى الشجر

وقل لمن لام فى لذاته بشرا ... دعنى فانك عندى من سوقه البشر

وقال ايضا فيها :—

أما دمشق فجنة ... ينسى بها الوطن الغريب

لله أيام السبوت ... بها ومنظرها العجيب

انظر بعينك هل ترى ... الا محبا أو حبيب

فى موطن غنى الحمام ... به على رقص القضيب

وغدت أزاهر روضه ... تختال فى فرح وطيب

وأهل دمشق لا يعملون يوم السبت عملا انما يخرجون إلى المنتزهات وشطوط الأنهار ودوحات الأشجار بين البساتين النضرة والمياه الجارية ، فيكونون بها يومهم الى الليل .

وقد طال بنا الكلام فى محاسن دمشق فلنرجع إلى كلام الشيخ ابى عبد الله .

ح — عن أبواب دمشق :— (٢)

قال محمد بن جزى : لقد أحسن بعض المتأخرين من اهل دمشق فى قوله

(١) وكل دار به . ابن شداد : المصدر السابق : ج٢/٣٦٤ .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ص ٩٧ .

دمشق فى أوصافهـــا جنة خلـد راضـــية

أما تـــرى أبوابهـــا قد جعـلت ثمانيـــة

ط — عن قبر أويس القرنى (١) :—

قال ابن جزى ويقال أن أويسا قتل بصفين مع على عليه السلام وهو الأصح ان شاء الله ٠

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٩٨ ٠ وقد سبق ترجمة أويس بن عامر بن مالك القرنى اليمانى ٠ (انظر ص ١٥٣ حاشية ١)٠

الباب الثالث

دراسة نقدية مقارنة بين مشاهدات ابن بطوطة في بلاد الشام وما ذكرته عنه كتب الرحالة المسلمين في القرن الثامن الهجري

أولاً: ما كتبه العبدري عن بلاد الشام ومقارنته بكتابات ابن بطوطة

ثانياً: ما كتبه البلوي عن بلاد الشام ومقارنته بكتابات ابن بطوطة

الباب الثالث

" دراسة نقدية مقارنة بين مشاهدات ابن بطوطة فى بلاد الشام ، وما ذكرته عنه كتب الرحالة المسلمين فى القرن الثامن الهجرى "

هذا الباب يختص بدراسة نقد يمقارنة بين ما ذكره ابن بطوطة عن بلاد الشام ، خلال زياراته المتكررة أعوام ٧٢٦هـ ـ ٧٣٣هـ ـ ٧٤٨هـ ـ ٧٤٩هـ ، وبين ما ذكره كل من الرحالة العبدرى الذى زار بلاد الشام فى بداية عام ٦٩٠هـ نهاية القرن السابع الهجرى ، والرحالة البلوى المعاصر لابن بطوطة عام ٧٣٧ هـ ـ ٧٣٨هـ .

وقد كانت رحلة كل من العبدرى والبلوى فى زيارتهما لأرض الشام قاصرة على فلسطين فقط ، فكل منهما زار الخليل ، القدس ، وعسقلان ، وغزه . من هنا نرى أن المقارنة بين ما ذكره العبدرى والبلوى ، وبين ماذكره رحالتنا ابن بطوطة سوف تكون قاصرة على فلسطين فقط ، وليس من باب الانصاف والعدل ، أن نقارن بين ماذكره كل منهما وبين ما ذكره ابن بطوطة ، لأن زيارته شملت أغلب مدن الشام ، وبالذات مدينتى دمشق وحلب ، وهذا بالطبع لا يعد قصورا من قبل الرحالتين ، فالعبدرى كان يقصد من رحلته لبلاد الشام زيارة الأماكن المقدسة فى فلسطين ، والمكوث بها لفترة وجيزة حتى يتهيأ للسفر الى القاهرة ، أى أنه لم يكن يقصد الزيارة الشاملة والكاملة لأغلب أرض الشام ، ويدل على ذلك أن فترة اقامته فى فلسطين لم تتجاوز اثنى عشر يوما ، مكث خلالها فى كل من الخليل ، وبيت المقدس ، وعسقلان .

أما الرحالة البلوى ، فانه أقام فى زيارته الأولى لها عام ٧٣٧هـ ، أكثر من شهرين ، لم يحاول خلالها التوغل فى ارض الشام ، بل فضل البقاء فى مدينة القدس التى ظل

بها ما يقارب الشهرين ، ثم عاد ثانية فى بداية عام ٧٣٨هـ ، حيث أقام فى الخليل ومدينة القدس نحو تسعة أيام . وفى القدس توجه لزيارة الرملة ثم عسقلان ثم غزه ومنها الى مصر عائدا الى بلاده .

أولاً — "ما كتبه العبدرى عن بلاد الشام ، ومقارنته بكتابات ابن بطوطة :—

أ : ما كتبه العبدرى عن بلاد الشام :—

اهتم العبدرى اهتماما كبيرا ، بوصف المساجد التى مر عليها ، كمسجد الخليل والمسجد الأقصى بالقدس ، وهذا الوصف شمل الجزء الأكبر من حديثه لها ، مع وصف بسيط للمدن والمناطق الأخرى التى مر عليها ، كعسقلان ، وحديثه عن القبور التى زارها أو مر عليها ، ويمكن مقارنة ما كتبه العبدرى بما كتبه ابن بطوطة ، بالرجوع للحواشى حيث أوردت فيها هذا الاختلاف .

١ — المساجد :—

مسجد الخليل :—

وعنه يقول : " والمسجد بنيته أنيقة (١) ، من المبانى القديمة الوثيقة (٢) ، عالية البناء ، محكمة العمل ، من صخور منحوتة (٣) ، فى نهاية العظم ، منها صخرة فى (٤) الركن الذى على يسار القبلة ، وهى من الأرض على قدر القامة (٥) ، فيها سبعة وثلاثون شبرا ، يتعجب الناس منها ، ومن وضعها هنالك ، ويقال أن البنية كلها من صنعة (٦) الجن ، أمرهم سليمان عليه السلام بتجريدها على الغار ، لما دثر ما كان عليه

(١) رحلة العبدرى (تحقيق محمد الفاسى) ص ٢٢٢ .

(٢) فى رحلة ابن بطوطة " أنيق الصنعة " انظر الرحلة ص ٥٥ .

(٣) فى المصدر نفسه " سامى الارتفاع " " " " " .

(٤) فى المصدر نفسه "مبني بالصخر المنحوت " انظر الرحلة ص ٥٥ .

(٥) فى المصدر نفسه " فى احد أركانه " " " " " .

(٦) فى المصدر نفسه " احد أقطارها " " " " " .

بتقادم الاعصار ، وفيها تحريف عن الجنوب الى الشرق ، فلما ردت مسجدا جعل لها المحراب فى الوسط كسائر المساجد تحسينا لصورتها ، ثم رد الركن الأيمن محرابا آخر تنبيها على تشريفها .

وفى داخل المسجد ، قبر (١) الخليل واسحاق ويعقوب عليهم السلام ، وتقابلها من ناحية يسار القبلة ثلاثة أخرى ، هى قبور أزواجهم ، وكان فى غربى المسجد قبر يوسف عليه السلام ، دفن هنالك (٢) حين نقل من مصر بوصيته ، والآن تدريد فى المسجد حتى رجع قبره فى داخله ، وعلى يمين (٣) المنبر لاصقا بجدار القبلة نفق ، يهبط منه على درج من رخام متقنة (٤) ، العمل ، الى مسلك ضيق ، هو ممر انسان واحد ، ويفضى الى فسحة (٥) ليست بكبيرة ، مفروشة بالرخام ، وفيها صور ثلاثة قبور مقابلة للداخل فى طول الحائط ، مصطفة من الشرق الى الغرب ، ويقال هى علامات للقبور محاذية لها ، وكذلك التى فى المسجد ، وذلك انه كان هنالك غار كبير وفيه القبور ثم سد كله الا المدخل المذكور ، وجعل للقبور علامات محاذية لها (٦) فى بطن الغار ، وهى التى فى المدخل ، وفى ظاهره وهى التى فى المسجد ، وكان باب الغار فى مؤخر المسجد عند قبر يعقوب ، ثم رد عند المحراب ، وقد نزلت اليه وتأملته مرارا ، ودعوت الله فيه سرا وجهارا والحمد لله على حسن عونه .

---

(١) فى المصدر نفسه " الغار المكرم المقدس " انظر الرحلة ص ٥٥ .

(٢) يوسف عليه السلام مدفون بنابلس ، وقد سبقت الاشارة لذلك انظر الباب الثانى ص ٢٠٥ حاشية ٢ .

(٣) فى رحلة ابن بطوطة " موضع " انظر الرحلة ص ٥٥ .

(٤) فى المصدر نفسه " محكمة " " " " " .

(٥) فى المصدر نفسه " ساحة " " " " " .

(٦) عن سد هذه المغارة راجع ما سبق ذكره فى الباب الثانى ص ٢٠٤ حاشية ١ .

المسجد الأقصى :—

وعنه يقول : " وأما المسجد المقدس فهو من المساجد الرائقة العجيبة المنشرحة الفسيحة ، وهو متسع جدا طولا وعرضا ، وذكر ابو عبيد البكري ، أن طوله سبع مائة واثنان وخمسون ذراعا بالمالكي ، وهو ثلاثة أشبار ، وطوله من الجنوب الى الشمال ، وعرضه أربع مائة وخمس وثلاثون ، وهو من الشرق الى الغرب ، وله أبواب كثيرة من الشرق والغرب والشمال . ولا أعلم له بابا قبليا سوى الباب الذى يدخل منه الامام ، وذكر بعض الناس ان عددها خمسون بابا ، والمسجد كله فضاء غير مسقف ، الا الناحية الغربية ، فهنالك مسجد مسقف فى نهاية الاحكام ، واتقان العمل ، وفيه تزويق كثير وتذهيب رائع مليح ، وهذا المسقف فى الركن الغربى من ناحية الجنوب وفى ناحية الشرق مواضع مسقفة مع طول الحائط وعلى الأبواب ، وهنالك موضع مهد عيسى عليه السلام ، يقصد للركوع فيه والتبرك به وهو هزمة فى الأرض مبيضة ، وهذا الحائط الشرقى هو سور المدينة من ناحية الشرق ، وهو على طرف الوادى المذكور (وادى جهنم) أولا وعلى جهة منه منطقة بعيدة المهوى جدا ".[1][2][3][4][5][6][7]

وصفه لقبة الصخرة :— (٨)

" وفى وسط فناء المسجد قبة الصخرة ، وهى من أعجب المبانى الموضوعة فى الأرض وأتقنها واغربها ، قد نالت من كل حسن بديع أوفر حصة ، وتلت من الاتقان

---

(١) العبدرى : ص ٢٢٩

(٢) مطابق لما ذكره ابن بطوطة انظر الرحلة ص ٥٧ .

(٣) فى رحلة ابن بطوطة : " وله أبواب كثيرة من جهاته الثلاثة " أما الجهة القبليـة فلا أعلم بها الا بابا واحدا ، الرحلة ص ٥٧ .

(٤) فى رحلة ابن بطوطة " الا المسجد الاقصى " انظر الرحلة ص ٥٧ .

(٥) عن مهد عيسى عليه السلام راجع الباب الثانى ص ١٦٥ حاشية ٢ .

(٦) الهزمة : ما انخفض من الارض انظر ابن منظور / لسان العرب المحيط المجلد الثالث ص ٨٠٥

(٧) وادى جهنم : سبق تعريفه انظر الباب الثانى ص ١٦٤ حاشية ١ .

(٨) رحلة العبدرى : ص ٢٢٩ — ٢٣٠ .

ظاهره ونصه ، وتجلت فى جمالها الرائع كعروس حسنه جليت على منصة ، قامت مشرفة متبرجة على يفاع ، تصرح وتلوح بالاعراب والابداع ، وتفصح بما يشرح عن فضيلة الصناع ، حسنها الأول فاستحسنها الآخر ، وانعقد الاجماع ، تنازع الكمال منها الظاهر والباطن ، لما سلما معا من كل عائب وشائن ، وقد اجتمعت فى كليهما أشتات المحاسن ، فان أدلى الظاهر بحجته الى حكم الطرف حكم له ، وان أعرب الباطن عن فضائله قال له الطرف ما اكمله ، تناصف الحسن ، وتماثلت الأدلة ، فليس الا أن يقال فى جواب المسالة أيهما جاء أولا عمل عمله .

وصفتها أنها قبة مثمنة على نشز فى وسط المسجد ، ويطلع اليها فى درج من رخام ، وقد أحاط بها ، ولها أربعة أبواب ، (١) والدائر مفروش بالرخام المحكم الصنعة ، وداخلها كذلك ، وفى ظاهرها وباطنها من أنواع التزويق (٢) ما يقصر عنه الوصف ، وأما الذهب فما رأيته مبتذلا فى شىء كابتذاله فى هذه القبة ، حتى لقد غشى به أكثرها ظاهرا وباطنا فهى تتلألأ (٣) ساطعة الأنوار ، كلمعان برق ، أو اشتعال نار ، وقد ذهب الأعلى من ظاهرها الى حد التسقيف ، وألبس سقفها لين الرصاص ، المحكم الالصاق حتى صار جسدا واحدا ، وأما باطنها فيكل عن وصفها اللسان ، ويحار فى حسنه انسان الانسان تبهر الناظر أشعته الباهرة ، وتستوقف الخاطر محاسنه الظاهرة ، أسكرت العقول فصارت لها عقالا وكلت الالسن فما وجدت مقالا . فاقت حسنا وكمالا ، فقطعت لسان من يغمز ، وراقت حلى واوصافا فأسرت فؤاد المتحرز ، ان وعدت الاعجاب خيرا فهى مشاهدة تنجز . او أفتخر مكان لتحدث من حسنها

---

(١) سبقت الاشارة الى هذه الابواب انظر الباب الثانى ص ٢٠٧ حاشية ٥ .

(٢) فى رحلة ابن بطوطة " الزواقه " انظر الرحلة ص ٥٨ .

(٣) فى رحلة ابن بطوطة " تتلألأ نورا " انظر الرحلة ص ٥٨ .

بالمعجز .

شرك العقول ونزهت ما مثلها   للناظرين وعقلة المستوفز

وفى وسط القبة الصخرة التى جاء ذكرها فى الآثار وأنه عليه السلام عرج عنها الى السماء (١) ، وهى صخرة صماء علوها أقل من القامة ، وتحتها شبه مغارة على مقدار بيت صغير يعلو قدر القامة وينزل اليه فى درج (٢) ، وقد هىء له محراب ، وسوى وأتقن ، وعلى الصخرة شباكان محكمان يغلقان عليها ، أحدهما وهو الخارج من الخشب ، والآخر من حديد أصفر محكم العمل ، بديع الصنعة ، وفى القبة صورة درقة كبيرة من حديد معلقة هنالك ، وأظنها كانت مرآة ولكنها قد صدئت وزال صقالها ، والعوام تقول انها درقة حمزه (٣) واشتهر عندهم هذا الزور حتى صار فى حد المقطوع به (٤) .

مسجد اليقين بالخليل :—

وعنه يقول : " وبمقربة من هذه التربة (تربة لوط) مسجد اليقين (٥) ، وهو على تل

(١) فى المصدر نفسه " ارتفاعها نحو قامة " انظر الرحلة ص ٥٨ .

(٢) فى المصدر نفسه " وهنالك شكل محراب " " " " " .

(٣) فى المصدر نفسه " درقة حمزه بن عبد المطلب رضى الله عنه " انظر الرحلة ص ٥٨ وعن هذه الدرقة انظر الباب الثانى ص ٢٠٨ حاشية ٣ .

(٤) كان العبدرى يحارب الخرافات ويندد بمن يعتقدها ، ولا يؤمن الا بما يطابق تعاليم القرآن الكريم . فنراه هنا لم ينقل ما قاله العوام عن هذه الدرقة بأمر مسلّم دون تدقيق أو تمحيص كما فعل ابن بطوطة الذى أضاف أنها درقة حمزة بن عبد المطلب . ومن هنا نلاحظ أن العبدرى لم يكن ينقل كل ما يتحدث به الناس دون تمحيص فمثلا ، نقده للبدع عن جبل ثور ومسح مقام ابراهيم عليه السلام بمكة ، ورواية وهب بن منبه حول ياقوتة حمراء وضعت لآدم فى موضع الكعبة ولما توفى رفعت . انظر رحلة العبدرى ص ١٦٤ ، ١٧٥ ، ١٩٩ + المقدمة ص هـ — و .

(٥) رحلة العبدرى ص ٢٢٧ . وقد سبقت الاشارة الى مسجد اليقين انظر الباب الثانى ص ٢٠٦ حاشية ٢ .

مرتفع نزه له زيادة رونق، وفرط اشراق (١)، ليس هنالك الا دار واحدة لاصقة بالمسجد من ناحية الشرق ويسكنها القيم، وفى المسجد قريبا من الباب موضع منخفض فى حجر صلد قد هيئ له صورة محراب ليعلم أنه مركع ولا يسع الا مصليا واحدا، ويقال أنه لما أيقن عليه السلام بهلاك قوم لوط خر لله تعالى ساجدا، فتحرك موضع سجوده حتى ساخ فى الارض قليلا، وهو حجر صلد فجعل مركعا تبركا به .

٢ — وصفه للمدن :—

مدينة الخليل :—

يقول العبدرى فى وصفها (٢) : " وهى قرية مليحة المنظر (٣) والمخبر، أنيقة المسموع والمبصر، مشرقة كالصبح اذا أسفر، موضوعة ببطن واد قليل الماء والشجر، والمحيط بها حرار وعرة " .

مدينة القدس :—

يقول عنها (٤) : " والبلد مدينة كبيرة منيعة محكمة، كلها من صخر منحوت على نشز غليظ مقطوع بجهات الأودية . وسورها مهدوم هدمه الملك الظاهر (٥) خوفا من استيلاء

---

(١) فى رحلة ابن بطوطة " له نور واشراق ليس لسواه " انظر الرحلة ص ٥٦ .

(٢) رحلة العبدرى ص : ٢٢٢

(٣) فى رحلة ابن بطوطة " وهى مدينة صغيرة الساحة، كبيرة المقدار " انظر الرحلة ص ٥٥

(٤) رحلة العبدرى ص ٢٢٨ .

(٥) هو الملك الظاهر ركن الدين ابو الفتح بيبرس البندقدارى، سبق ترجمته انظر الباب الثانى ص ١١٣ حاشية ٤ .

لقد وقع العبدرى فى نفس الخطأ الذى وقع فيه ابن بطوطة الذى قال : وكان الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن أيوب، جزاه الله عن الاسلام خيرا . لما فتح هذه =

الروم عليها وامتناعهم بها (١) ، والخراب فيها فاش وليس لها نهر ولا بستان ، وحواليها تلال مشرفة عليها ، وبها كنيسة معظمة عند النصارى يحجونها في كل عام (٢) . وهي التي يزعمون أن فيها قبر عيسى عليه السلام ، وعلى كل من يحجها منهم ضريبة معلومة للمسلمين ، وضروب من الاهانة يتحملها راغما (٣) . وبها رباطان (٤) متقاربان فى غاية الاتقان ، بنى أحدهما الملك المنصور (٥) وبنى الآخر الأمير علاء الدين الأعمى (٦) وفى كليهما رزق جار للمنقطعين وأبناء السبيل . وفى شرقى البلد واد يعرف بواد جهنم ، فى

= المدينة هدم بعض سورها . ثم استنقض الملك الظاهر هدمه خوفا من أن يقصدها الروم فيتمنعوا بها . رحلة ابن بطوطة ص ٥٧ . والصحيح أن هدم أسوار مدينة القدس تم على يد الملك المعظم " عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق " انظر الباب الثانى ص ١١٣ حاشية ٥ .

(١) أشار ابن بطوطة الى جلب الماء لها فى عهد الأمير سيف الدين تنكز نائب دمشق فى رحلته الأولى سنة ٧٢٦ هـ الرحلة ص ٥٧ .

(٢) هى كنيسة القيامة (القمامة) . وقد سبق الاشارة اليها انظر الباب الثانى ص ١٦٤ حاشية ٤ .

(٣) كلام العبدرى هنا يطابق ما ذكره ابن بطوطة انظر رحلة ابن بطوطة ص ٥٩ .

(٤) الرباط : يقال له التكية بالتركية ، وهو المكان المسبل للافعال الصالحة والعبادة محمد كرد على : خطط الشام ج٦/١٣٤ .

(٥) هو الملك المنصور سيف الدين قلاوون وقد سبق ترجمته انظر الباب الثانى ص ٨٨ حاشية ٥ . وهو الرباط المنصورى المعروف بباب الناظر ، وقف السلطان قلاوون سنة ٦٨١ هـ . وبدأ فى تعميره سنة ٦٧٩ هـ . وهو رباط فى غاية الحسن والبناء المحكم . راجع ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل ج٢/٤٣ ، ٧٩ . انظر محمد كرد على : خطط الشام ج٦/١٤٩ .

(٦) عندما قدم العبدرى الى فلسطين كان فى صحبة الأمير علاء الدين الأعمى ، حيث مدحه وأثنى عليه . (انظر رحلة العبدرى ص ٢٢٠) . وعنه يقول ابو اليمن الحنبلى : الأمير الكبير علاء الدين الأعمى هو أيدغدى بن عبد الله الصالحى النجمى . كان من أكابر الأمراء فلما أُضر أقام بالقدس الشريف وولى نظرة معمره وثمره . وكان ناظر =

بطنه كنيسة يعظمها النصارى ويقال أن بها قبر مريم عليها السلام[١] وفى عدوته على تل مرتفع منارات منها قبر رابعة البدوية بالباء[٢] ، منسوبة الى البادية ، ومنها بنية اخرى يقال انها مصعد عيسى عليه السلام .

ثغر عسقلان :—

وعنه يقول[٣] : " وكانت اقامتنا بالمقدس خمسة أيام ثم زرنا ثغر عسقلان جبره الله وهو خراب يباب[٤] . لا أنيس به الا أطلالا ماثلة ، وآثارا طامسة ، تؤثر فى القلب تباريح

= الحرمين فى أيام الظاهر بيبرس الى أيام المنصور قلاوون . وكان مهيبا لاتخالف مراسيمه ، وهو الذى بنى المطهرة قريبا فى المسجد النبوى . وانشأ بالقدس الشريف رباطا بباب الناظر ، وبلط صحن الصخرة الشريفة ، وعمر المغلق ببلد الخليل ، وكان يباشر الأمور بنفسه . توفى فى شهر شوال سنة ٦٩٣هـ ودفن برباطه بباب الناظر بالقدس . ويعرف رباطه برباط علاء الدين البصير . انظر : أبو اليمن الحنبلى : الأنس الجليل ج٢/٤٣ ، ٢٧٠ . انظر ترجمته ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ج١/١٦٦ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ج ٩ / ٤٨٥ ، محمد كرد على : خطط الشام ج٦/١٤٩ ، رشاد الامام : مدينة القدس فى العصر الوسيط ص ٦٤ — ٦٥ .

(١) قبر مريم عليها السلام داخل جبل طورزيتا تسمى الجيسمانيه .(انظر الباب الثانى ص ١٦٩ حاشية ٣).

(٢) فى رحلة ابن بطوطة: " قبر رابعة البدوية منسوبة الى البادية وهى خلاف رابعة العدوية البصرية (انظر الباب الثانى ص١٦٩ حاشية ٢)

(٣) رحلة العبدرى : ص ٢٣١ — ٢٣٢ .

(٤) خربت عسقلان على يد صلاح الدين الأيوبى فى شعبان سنة ٥٨٧هـ (انظر الباب الثانى ص ١٢٦ حاشية ٣)

الأسى ، وتعيد المشرق من أنسه حندسا تحث المبصر على أعمال العبرة وأسبال الجفون بوابل العبرة ، وتذكر بمن مضى وانقضى ، وتضرم فى الجوانح جمر الغضاء وتهون على العاقل شأن هذه الدار ، وتنادى الحذر الحذر والبدار . لما دلت عليه من ضخامة الراحلين عنها ، وفخامة الظاعنين المنزعجين عنها ، لم تحمهم تلك القصور العالية ، ولا وقتهم تلك المبانى السامية بل صاروا ترابا وهى خرابا ،وعادوا أمواتا تندبهم تلك الطلول الدارسة ، وتنذر ما حل بهم تلك الرسوم الطامسة فتلك الآثار أسطار فى ديوان البلى مقروة ، وتلك الصورسور فى ذوايب الدنا متلوة ، عجبا لها لما استعجمت ابانت ، ولما اشكلت بانت ، وعظت وما لفظت ، ونصحت وما أفصحت حركت الساكن بسكونها ، وأظهرت الكا من بكمونها ، ان أثر الزمان المحو فى مرسومها فالمحو أوضح كل المعنى من مفهومه .

تأمل كتاب الكائنات تأملا	به أبدا تلهى عن اللهو واللغو
وزد كل ممحو السطور تدبرا	فقانون علم النحو فى ذلك المحو

وقل ما رايت من البلدان أنجمع من المحاسن ما جمعت عسقلان ، جبرها الله صنعا واتقانا ، ووضعا ومكانا . وبرا وبحرا ، عامرا أو قفرا . لها على البر والبحر طرف ممتد ، وحكم ماض لا يرتد ، ترنو اليها من طرف . وتتلو عليهما سور الشرف ، وتزهو بتقليبها فى الترف ، فى روضة جمة الأزهار والطرف ، اما مبانيها فلو فاخرتها ارم ، لقيل لها نفخت فى غير ضرم . او حاسنتها بابل ، لصاب عليها فى مطر التعنيف وابل ، واسرع اليها ملام كالمعابل ، لفتك لامين على نابل .

مدينة غــزة :ـــ

وعنها يقول : (١) " وهى آخر بلاد الشام مما يلى مصر وبينها وبين

---

(١) رحلة العبدرى : ص ٢٣٣ .

الصالحية أول بلاد مصر ستة ايام ، وغزه مدينة متسعة عامرة لا سور لها[1] وبينها[2] وبين البحر مسافة أميال وهي أكثر عمارة من كل ما تقدم ذكره من بلاد الشام (يقصد الخليل والقدس) وهي جسر لمصر والى الشام ، وبها أسواق قائمة وساجد معمورة ، ولها جامع مليح حسن .

٣ — زيارته للقبور وحديثه عنها :—

زار العبدري العديد من القبور والأضرحة خلال زيارته لفلسطين ففي الخليل زار مقابر الأنبياء بها وأفرد لها حديثا مطولا ، وفي طريقه الى القدس زار قبر يونس عليه السلام ، كما زار رأس الحسين وجبانة عسقلان .

ذكره لمقابر الأنبياء بمدينة الخليل وما قيل عنها :—

وعنها يقول العبدري : " وقد رأيت أن اقيد هنا شيئا مما ذكر في هذه القبور[3] وفي الغار ومايتصل بذلك بحول الله وقوته وما التوفيق الا به . وجدت بخط الفقيه القاضي المحدث الامام ابي عبد الله محمد بن احمد بن مفرج الأندلسي[4] رحمه الله في تاليف علي بن جعفر الرازي سماه " المسفر للقلوب عن صحة قبر ابراهيم الخليل واسحاق

---

(١) في رحلة ابن بطوطة : " متسعة الاقطار " انظر الرحلة ص ٥٤ .

(٢) في رحلة ابن بطوطة : " والأسوار عليها " انظر الرحلة ص ٥٤ ، أما ابو الفداء فأنه لم يشر الى وجود سور بها ، انظر تقويم البلدان ص ٢٣٩ .

(٣) رحلة العبدري ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .

(٤) محمد بن احمد بن محمد بن يحيى بن مفرج الاندلسي ، ابو عبد الله ، قاضي ومحدث من أهل قرطبة ولد سنة ٣١٥هـ . رحل الى المشرق رحلة واسعة من سنة ٣٣٧هـ — ٣٤٥هـ وكان من أوثق المحدثين بالاندلس وأصحهم كتبا ، الزركلي : الاعلام جـ١/٢٠٢ .

ويعقوب " (١) ، وهو جزء لطيف نقلته من خط ابن مفرج رحمه الله وهو روى فيه عن مؤلفه المذكور حديثا صدر به التأليف مسندا الى أبى هريره رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى بى الى بيت المقدس مر بى جبريل الى قبر ابراهيم فقال : انزل صل ها هنا ركعتين فان ها هنا قبر أبيك ابراهيم (٢) ، صلى الله عليه وسلم ، ثم مر بى ببيت لحم فقال انزل صل ها هنا ركعتين فان ها هنا ولد أخوك عيسى ، ثم أتى بى الصخرة وذكر الحديث فى الاسراء وفى الجزء المذكور ، وبخطه سمعت أبا بكر محمد بن احمد بن عمر بن جابر يقول وقد سئل عن قبر ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وعن صحته فقال ما رأيت أحدا من الشيوخ الذين لحقتهم من أهل العلم الا وهم يصححون أن هذه قبور ابراهيم واسحاق ويعقوب وأزواجهم صلوات الله عليهم ويقولون ما يطعن فى ذلك الا رجل من أهل البدع ، وقال ابو بكر هكذا نقل الخلف عن السلف ليس عندى فيه شك . وذكر ابو بكر أن مالك بن أنس قال ان النقل أصح من الحديث ، لأن الحديث ربما وقع فيه الخطأ ، والنقل لا يقع فيه الخطأ ، وفيه بخطه سمعت عبد الواحد بن رزق يقول قدم أبو زرعه القاضى الدمشقى مسجد ابراهيم فجئنا ننظر اليه فرأيته قد (٣) وقف عند قبر ساره فى وقت الصلاة فدخل شيخ فدعاه فقال : يا شيخ أيا هو قبر ابراهيم من هؤلاء ، فأومأ الى قبر ابراهيم فجاءه شاب فدعاه يا شاب أيا هو قبر ابراهيم من هؤلاء فأومأ الى قبر ابراهيم ، ثم جاءه صبى فدعاه فقال يا صبى أيما قبر ابراهيم من هؤلاء فأومأ الصبى الى قبر ابراهيم ومضى ، فقال أبو زرعه : أشهد أن هذا قبر ابراهيم الخليل لا شك فيه .

---

(١) فى رحلة ابن بطوطة : " ما نقلته من كتاب على بن جعفر الرازى " الرحلة ص ٥٥

(٢) فى رحلة ابن بطوطة : " انزل فصل ركعتين فان هنا قبر أبيك ابراهيم " الرحلة ص ٥٥ .

(٣) فى رحلة ابن بطوطة : " ويذكر ان بعض الائمة دخل الى هذا الغار ووقف عند قبر ساره " الرحلة ص ٥٦ .

هذا هو الصحيح نقل الخلف عن السلف ....الخ "(١)

زيارة تربة لوط ، وقبر فاطمة بنت الحسين :—

وعنها يقول العبدري : "ثم زرنا تربة لوط وهي شرقي حرم الخليل عليهما(٢) السلام على تل مرتفع ، يشرف منه على غور الشام(٣) ، وهو شرقيها وهنالك بحيرة لوط(٤)، وهو ماء مستبحر اجاج كماء البحر ، وهي منقطعة لا تتصل بالبحر ولا هي منه قريبة . ويقال أنها موضع ديار قوم لوط والله اعلم . وعلى قبر لوط عليه السلام بنية وهو في بيت منها مبيض مليح والقبر أيضا مبيض ظاهر ، لا ستور عليه ، وبمقربة من هذه التربة مسجد اليقين وبالقرب منه مغارة فيها قبر "يزار ويتبرك به" وهو قبر فاطمة بنت الحسين بن على ، رضى الله عنهم . وقد وجدت عند القبر لوحين من رخام موضوعين وأُظنهما كانا مثبتين عند رأس القبر ورجليه(٥) . وفي أحد اللوحين منقوشا بخط مشرقي مليح(٦) "بسم الله الرحمن الرحيم" لله العزة والبقاء ، وله ما ذرأ وبرأ وعلى خلقه كتب الفناء وفي رسول الله أسوة وعزاء . هذا قبر أم سلمة فاطمة ابنة الحسن(٧) ، وفي اللوح الآخر

---

(١) أورد العبدري كلاما مطولا عن مقابر الانبياء بالخليل رأيت عدم نقله لقلة أهميته لموضوع البحث انظر رحلة العبدري ص ٢٢٤ — ٢٢٦ .

(٢) رحلة العبدري : ص ٢٢٦ — ٢٢٧ .

(٣) الغور : المنخفض من الأرض وقد سبق تعريفه انظر الباب الأول . ص٤٥ حاشية ١٠.

(٤) بحيرة لوط سبق تعريفها انظر الباب الثاني ص ٢٠٦ حاشية ١.

(٥) في رحلة ابن بطوطة : "وبأعلى القبر وأسفله لوحان من رخام" الرحلة ص ٥٦ .

(٦) في المصدر السابق : "منقوش بخط بديع" الرحلة ص ٥٦ .

(٧) في ابن بطوطة هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين رضى الله عنه (الرحلة ص ٥٦) ونلاحظ هنا أن العبدري ذكرها مرة باسم فاطمة بنت الحسين ، وذكرها عند قراءة اللوح المكتوب قراءة أم سلمة فاطمة بنت الحسن . أما ابن بطوطة فقد ذكرها في المرتين باسم فاطمة بنت الحسين والمشهور ان فاطمة بنت الحسين =

صنعة محمد بن أبى سهل النقاش بمصر ، وتحته هذه الآبيات :—

اسكنت من كان فى الاحشاء مسكنه	بالرغم منى بين التراب والحجـــر
يا قبر فاطمة بنت ابن فاطمـــــة	بنت الأئمة بنت الأنجـم الزهـــر
يا قبر بنت الزكى الطاهر الحسـن	الندب الهمام حسين أظهر البشـر (١)
يا قبر ما فيك من دين ومـــن ورع	ومن عفاف ومن صدق ومن خفـــر

وكان موضع البيت الثالث من اللوح مثلوما فذهب عجز البيت ولم يبق الا الألف والـلام والنون ، فكملت عليه بقية البيت والحمد لله .

ما زاره العبدرى فى طريقه بين الخليل وبيت المقدس (٢) :—

ثم سافرنا من حرم الخليل عليه السلام ، بعد ما أقمنا عليه خمسة أيام وصلينا فيه الجمعة الى بيت المقدس . وبينهما مسيرة يوم ، وزرنا فى طريقنا قبر يونس عليـــه السلام (٣) ، وهو على نحو ثلاثة أميال من بلد الخليل عليه السلام . وعليه بنية كبيرة (٤) ، ومسجد ، ومررنا فى طريقنا ببيت لحم (٥) فلم يقض لنا دخوله وهو قريب من بيت المقدس ، وقد تقدم أنه مولد عيسى عليه السلام (٦) والنصارى يعظمونه ويقومون به غاية القيام ويضيفون

= توفيت بالمدينة المنورة سنة ١١٠ هـ وهذا يؤكد خطأ كل من العبدرى وابـــن بطوطة اذ كيف تموت بالمدينة وقبرها بالخليل . أما ابو اليمن الحنبلى : فيذكـر أنه قبر فاطمة بنت الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه انظر الباب الثانى ص٢٠٦ حاشية ٣ .

(١) هذا البيت زيادة عن ما ذكره ابن بطوطة . انظر الرحلة ص ٥٦ .

(٢) رحلة العبدرى : ص ٢٢٧ — ٢٢٨ .

(٣) قبر يونس عليه السلام بقرية حلحول انظر الباب الثانى ص ١٦٣ حاشـية ٢ .

(٤) انظر الباب الثانى ص ١٦٣ حاشية ٣ .

(٥) بيت لحم : سبق تعريفه انظر الباب الأول ص ٤٥ حاشية ٤ .

(٦) أشار العبدرى الى ذلك أثناء حديثه عن مقابر الانبياء بمسجد الخليل (الرحلة ص ٢٢٣) .

من نزل به •

زيارة مزارات عسقلان (١) :

وبها مزارة رأس الحسين رضى الله عنه ، وهو مسجد كبير مليح مرتفع والمسقف منه ناحية القبلة ، وفيه جب كبير لماء المطر ، وأمر ببنائه بعض بنى عبيد (٢) • وكتب ذلك على الباب وقد تقدم ذكره فى رسم مصر (٣) والحمد لله •

وفى قبلة هذه المزارة مسجد كبير مليح يعرف بمسجد عمر ، وقد تهدم ولم يبق الا حيطانه وفيه من أساطين الرخام قائمة وموضوعة ، ما هو النهاية فى الحسن ، وبه اسطوانة حمراء مليحة جدا ، ويحكى أن النصارى حملتها الى بلادهم فاصبحت بموضعها

(١) رحلة العبدرى ص : ٢٣٢ •

(٢) فى رحلة ابن بطوطة : " بعض العبيد " الرحلة ص ٦٠ •

(٣) أشار العبدرى الى ذلك أثناء حديثه عن المزارات بمصر قائلا : " وفى مصر من المزارات الشريفة عدة وافرة • ومن أعظمها تربة رأس الحسين رضى الله عنه عليها رباط فى غاية الابداع والتنويه والابواب عليها حلق الفضة ••• الخ ثم يقول ولم يتحقق الآن عندى كيف نقل لمصر ، وكان الدعى عبد الله بن زياد بعث به إلى معدن العناد والالحاد طاغيته يزيد بن معاوية لا أخلى الله منه الهاوية ، وهو حينئذ بدمشق ، وأظن بعض العبيد لعنه الله ، أمر بنقله الى عسقلان ، فانى رأيت بها رباطا ليس بعسقلان عمارة سواه ، وفوق الباب منقوشا فى حجر أن فلانا لشخص من العبيدين ولقبه أمير المؤمنين (نسيت اسمه) أمر ببناء هذه التربة على رأس الحسين بن على رضى الله عنه ، وفرغ من بنائها فى تاريخ كذا وكذا وكان [حدود الستين وثلاثمائة] ثم أمر بنقله أيضا الى مدينتهم بمصره فهو الآن بها (رحلة العبدرى ص : ١٤٩) وعن مزار الحسين بعسقلان انظر الباب الثانى ص ١٦٥ حاشية ٤ •

في المسجد وفي قبلة المسجد بئر عظيمة متقنة العمل ، عجيبة الصفة ، تعرف ببئر ابراهيم ، ينزل اليها في درج متسع ، ويدخل منه في بيوت شارعة فيه . وفي البئر أربعة عيون ، واحدة من كل جهة وتخرج أسراب مطوية بالحجرة يقابل بعضها بعضا ، وماؤها طيب عذب ولكنها ليست بغزيرة ، ويحكى في فضائلها أشياء لا تقع الثقة بصحتها والله أعلم .[1] [2]

وبظاهر عسقلان واد يعرف بوادي النمل[3] ، ويقال أنه المذكور في الكتاب العزيز[4] ، وقد ذكر المفسرون أنه وادي الشام ، وفيه جبانة عسقلان[5] ، وبها قبور الأولياء والشهداء مالا يحصره عد ، وأكثرها مسمى معروف وقد وقفنا عليها وأرانا اياها شخص مقيم بعسقلان وهو قيم التربة المذكورة ، وله شيء من جراية أجراها له ملك مصر ، قيدته هنالك مع ما يرضخ له به من يسمح من الزوار .

٤ — لقاء العبدري للعلماء :—

لم يتعرض العبدري لذكر أحد من العلماء في فلسطين ، سوى ما ذكره عن قاضي مدينة بيت المقدس " بدر الدين " محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة " قائلا " ولم أر في هذا البلد مع شرفه واشتهاره من هو أهل لأخذ العلم عنه ، ولا معينا به الا شيخا هو قاضي البلد ويلقب " بدر الدين وهو محمد بن ابراهيم بن سعد بن جماعه " له مجلس علم يدرس فيه أول النهار في المسجد عند المحراب ،[6] [7]

(١) في ابن بطوطة : " ثم فقدوها فوجدت في موضعها بعسقلان " الرحلة ص ٦٠ .

(٢) المصدر السابق : " ويذكر الناس من فضائلها كثيرا " الرحلة ص ٦٠ .

(٣) وادي النمل سبق تعريفه انظر الباب الثاني ص ١٦٦ حاشية ١ .

(٤) سورة النمل آية ١٨ .

(٥) الجبانة سبق تعريفها انظر الباب الثاني ص ١٥٤ حاشية ١ .

(٦) رحلة العبدري : ص ٢٣٠ — ٢٣١ .

(٧) هو محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعه . حازم بن صخر الكناني الحموي الشافعي =

ومجلس سماع يروى فيه بعد صلاة العصر يوم الجمعة فى قبة الصخرة ، وقد حضرت كلا المجلسين فلم أخرج منهما بطائل ، وكلمته فى أشياء تخبط فيها وتعسف فلم أجد فى نفسى اذعانا للأخذ عنه على قلة همته فى الرواية إذ وجدته يروى عن نظائره من أهل مصر ومن لا يزيد عليه فى السن الا يسيرا الى أخلاق وصف لى بها تريب الأريب، وتنفر النسيب والغريب . فله تواليف منها اختصار كتاب " أبى عمرو بن صلاح فى علوم الحديث" ومنها كتاب حذا فيه حذو " السهيلى فى كتاب الاعلام بما أبهم فى القرآن من الأسماء الأعلام " أغار فيه على الكتاب المذكور اغارة وسماه " غرر البيان فى مبهمات القرآن " ومنها كتاب " المسالك فى علم المناسك " لم يأت فيه ببديع . ولا شق الظلماء من بيانه صنيع .

اما عن مدينة غزه فيقول (١) : " عريت عن عالم أو متعلم ، وأقفرت من فقيه ومتكلم فهى عامرة ، وقائمة دائرة ، وهذا أمر شمل فى هذا الأوان المدن والقرى ، وعمّ بحكم القدر أصناف الورى " .

= قاضى القضاه بدر الدين ابو عبد الله الكنانى الحموى الشافعى ، ولد بحماه فى شهر ربيع الآخر سنة ٦٣٩هـ ، تولى قضاء القدس والخطابة سنة ٦٨٧هـ ثم نقل الى قضاء الديار المصرية فى رمضان سنة ٦٩٠هـ جامعا بين القضاء والخطابة ومشيخة الشيوخ ، ثم نقل الى قضاء دمشق ، ثم أعيد الى قضاء الديار المصرية ثانية ، ولما شاخ وضر ، عزل بقاضى القضاة جلال الدين القزوينى سنة ٧٢٧هـ. وتوفى بمصر فى جمادى الأولى سنة ٧٣٣هـ. راجع السبكى : طبقات الشافعية ج٩/ ١٣٩ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ج٢/ ١٨ ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج٦/ ١٠٥ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣/ ٢٨٠ ، ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات ج٣/ ٢٩٧ ، ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل ج٢/ ١٣٦ .

(١) رحلة العبدرى : ص ٢٣٣ .

ب ـ دراسة نقدية مقارنة بين ماكتبه العبدرى وماكتبه ابن بطوطه عن بلاد الشام:

تشتمل هذه الدراسة النقدية المقارنة على النقاط التالية:

١) استفادة ابن بطوطه بجزء كبير من رحلة العبدرى فيما يتعلق بدولة فلسطين (مسجد الخليل ـ المسجد الأقصى ـ مدينة القدس ـ عسقلان) وتتضح تلك الاستفادة من خلال عرض ماكتبه كل منهما حسب الجدول المبين بذلك:

ماذكره العبدرى	ماذكره ابن بطوطه
أ ـ عن مقابر الأنبياء بمدينة الخليل: وجدت بخط الفقيه ... الامام ابى عبد الله محمد بن احمد بن مفرج الأندلسي في تأليف على بن الرازى سماه (السفر للقلوب ...). وفيه بخطه سمعت عبد الواحد... قدم أبو زرعه القاضي الدمشقي مسجد ابراهيم فجئنا ننظر اليه فرأيته قد وقف عند بئر ساره.(١)	مانقلته من كتاب على بن جعفر الرازى سماه السفر للقلوب....) يذكر أن بعض الأئمة دخل فى هذا الغار ووقف عند قبر ساره.(٢)
ب ـ عن تربة لوط (مسجد اليقين) وبالقرب من المسجد مغارة فيها قبر يزار...وهو قبر فاطمة بنت الحسين بن على ...(٣)	وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين بن على ....(٤)
جـ ـ عن مدينة القدس: وبها كنيسة معظمة عند النصارى يحجونها فى كل عام..(٥)	كنيسة أخرى معظمة يحجها النصارى .....(٦)

---

(١) رحلة العبدرى ـ ص ٢٢٣.
(٢) رحلة ابن بطوطه ـ ص ٥٥ ـ ٥٦.
(٣) رحلة العبدرى ـ ص ٢٢٧.
(٤) رحلة ابن بطوطه ـ ص ٥٦ ـ ٥٧.
(٥) رحلة العبدرى ـ ص ٢٢٨.
(٦) رحلة ابن بطوطه ـ ص ٥٩.

ماذكره العبدرى	ماذكره ابن بطوطه
د ـ عن المسجد الأقصى وقبة الصخرة: فهو من المساجد الرائعة العجيبة[1] وفي القبة صورة د رقه كبيرة من حديد معلقة هنالك ....[3]	وهو من المساجد العجيبة الرائعة[2] وفي القبة د رقة كبيرة من حديد معلقه هنالك ...[4]
هـ ـ عن مدينة عسقلان : وقل مارأيت من البلدان أن جمع من المحاسن ماجمعت عسقلان[5]	قل بلد جمع من المحاسن ماجمعته عسقلان .....[6]

٢) كان خط سير رحلة العبدرى أكثر وضوحا من خط سير رحلة ابن بطوطة وذلك بفضل التواريخ الدقيقة التي كان يوردها العبدرى عند وصوله الى كل مدينة كان يزورها فى فلسطين لأن زيارته ـ لبلاد الشام اقتصرت على كل من الخليل والقدس وعسقلان وغزه ـ محددا فترة اقامته بها التى لم تتجاوز الاثنى عشر يوما ، أقام فى الخليل خمسة أيام وكذلك مدينة القدس.[7] كما أنه حدد المسافات بين كل مدينة وأخرى ، فالمسافة بين الخليل وبيت المقدس مسيرة يوم ، وبين غزة والصالحية مسيرة ستة أيام.[8]

أما بالنسبة لابن بطوطه ، فعلى الرغم من زياراته المتكررة لبلاد الشام فهو لم يحدد لنا زمن وصوله الى غزة أثناء رحلته الأولى لبلاد الشام سنة ٧٢٦هـ ،بل ذكر أن الفكرة واتته ، لزيارة بلاد الشام فى القاهرة فى منتصف شعبان بعدما تعذر له السفر عن طريق ميناء عيذاب.[9] وقد كانت المرة الوحيدة التى ذكر فيها ابن بطوطة زمن وصوله بالتحديد الى مدينة من مدن الشام عند دخوله الى مدينة دمشق حيث قال : (ووصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم سنة ٧٢٦هـ الى مدينة دمشق الشام).[10] كما

---

(١) رحلة العبدرى ص ٢٢٩ .
(٢) رحلة ابن بطوطة ـ ص ٥٧ .
(٣) رحلة العبدرى ـ ص ٢٣٠ .
(٤) رحلة ابن بطوطة ـ ص ٥٨ .
(٥) رحلة العبدرى ـ ص ٢٣٢
(٦) رحلة ابن بطوطة ـ ص ٥٩ـ٦٠ .
(٧) رحلة العبدرى ـ ص ٢٢٧ ، ٢٣١ .
(٨) رحلة العبدرى ـ ص ٢٢٧ ، ٢٣٣ .
(٩) رحلة ابن بطوطة ـ ص ٥٣ .
(١٠) رحلة ابن بطوطة ـ ص ٨٤ .

ابن بطوطة أنه أقام في دمشق أثناء زيارته الأخيرة سنة ٧٤٨ هـ الى نهاية ذلك العام. وفي أوائل ربيع الأول سنة ٧٤٩ هـ أثناء اقامته في مدينة حلب ، ذكر أنه سمع عن وقوع وباء الطاعون في مدينة غزه.(١)

ويرجع سبب اغفال ابن بطوطة ذكر التواريخ والأزمنة بالتحديد الى أنه لم يدون رحلته كما فعل العبدري.

٣) تحقق العبدري من صحة المعلومات التي كان يوردها. فقد كان يحارب الخرافات التي سمعها، ويندد بمن يعتقدها ، ولا يؤمن الا بما يطابق تعاليم القرآن الكريم.(٢) فضلا عند رؤيته لدرقة بقبة الصخرة قال عنها الناس أنها درقة سيدنا حمزه ، لم يأخذ ماقاله الناس كأمر مسلم به ، بل أشار معتقدا أنها في الأصل مرآة صدأت وزال صقالها.(٣) بعكس ابن بطوطة حيث لم يبد رأيه بشأن الدرقة بل أخذ الأمر كما سمعه حيث قال: " وبالقبة درقة كبيرة من حديد معلقة هنالك ، والناس يزعمون أنها درقة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ".(٤)

كما أنكر العبدري ماقيل عن فضائل بئر ابراهيم بعسقلان لأنها أشياء لا تقع الثقة بصحتها.(٥) وعلى الرغم من تحقق العبدري من صحة المعلومات التي أوردها الا أنه لم ينج من الوقوع في خطأ تاريخي ،عندما ذكر أن الذى هدم سور بيت المقدس هو الملك الظاهر ، في حين أن الذى هدمه هو الملك عيسى بن الملك العادل وذلك في سنة ٦١٦هـ. وهذا هو نفس الخطأ الذى وقع فيه ابن بطوطة.(٦)

وعلى كل حال ، على الرغم من قصر الفترة التي قضاها العبدري في زيارته لمدن فلسطين ، فقد أعطى وصفا شاملا ، خاصة فيما يتعلق بوصف المساجد والأربطة ، ولو أنها قيست بما كتبه ابن بطوطة عن تلك المدن لكان وصف العبدري أعم وأبلغ بالرغم من أن زيارات ابن بطوطة استغرقت فترة أطول ، وتكررت عدة مرات.

---

(١) المصدر السابق ـ ص ٦٥١ـ ٦٥٢.
(٢) رحلة العبدري ـ ص ١٦٤ ، ١٧٥ ، ١٩٩.
(٣) رحلة العبدري ـ ٢٣٠.
(٤) رحلة ابن بطوطة ـ ٥٨.
(٥) رحلة العبدري ـ ص ٢٣٢.
(٦) رحلة ابن بطوطة ـ ٥٧.

ثانيا : ما كتبه البلوى عن بلاد الشام ، ومقارنته بكتابات ابن بطوطة :ـ

أ ـ ما كتبه البلوى عن بلاد الشام :ـ

اهتم البلوى فى زيارته الأولى الى بلاد الشام ـ فلسطين ـ فى الفترة من السابع من شهر شعبان سنة ٧٣٧هـ الى الثانى عشر من شهر شوال بذكر حلقات العلماء والحديث عنهم ، فى كل من الخليل والقدس ، وخاصة مدينة القدس ، والتى شملها بحديث وافر وغنى بذكر علمائها ومشايخها . ويعود سبب ذلك الى مكوث البلوى فى مدينة القدس ومجاورته لها ما يقارب الشهرين . وهو ما عبر عنه بقوله : " وشاهدت أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الا اليها الرحال ، وعاينت الحرم الشريف حقيقة قد أحلنى لديه الترحال ، اخترت مجاورته ، وآثرت ملازمته وقلت اين أذهب عن موطن مهبط الرحمة ، وموضع محشر الأمة ، ومحل تفرج الكربة والغمة " .(١)

كما اهتم البلوى ، بوصف مسجد الخليل ، والمسجد الأقصى ، وكان وصفه للمسجد الأقصى وصفا جميلا وشاملا ودقيقا ، يفوق بكثير ما وصفه به ابن بطوطة .

أما فى زيارته الثانية لفلسطين فكانت فى بداية سنة ٧٣٨هـ فى الفترة من الثالث والعشرين من شهر محرم الى الخامس من شهر صفر (بعد أن أدى فريضة الحج) . فقد اكتفى البلوى بالمرور بالخليل والقدس ، وزيارة الرملة ، وعسقلان ، وغزه ، مع تقديم وصف بسيط عنها . ومن غزه اتجه الى قاطيه(٢) قاصدا الاراضى المصرية .

(١) البلوى : تاج المفرق جـ١/٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

(٢) قاطيـة : سبق تعريفها انظر الباب الأول ص ٧٢ حاشيـة ٥ .

وعلى الرغم من اقتصار البلوى فى رحلته لبلاد الشام على فلسطين ، الا أنها تعتبر المحك الأساسى لرحلة ابن بطوطة ، لمعاصرة كل منهما الآخر • فابن بطوطة كان قد سبق الرحالة البلوى لزيارته أرض الشام فى سنة ٧٢٦هـ و ٧٣٣ هـ ، كما زارها مرة ثالثة فى سنة ٧٤٨هـ ـ ٧٤٩هـ ، أى بعد زيارة البلوى لها بحوالى عشر سنوات وثمانية شهور ، وفى الوقت الذى قام فيه البلوى بزيارة بلاد الشام كان ابن بطوطة لا يزال يتجول فى بلاد الهند •

ويمكن مقارنة ما كتبه البلوى عن بلاد الشام وما كتبه ابن بطوطة ، بالرجوع الى الحواشى حيث اوردت فيها هذا الاختلاف •

١ ـ المساجد :

مسجد الخليل :ـ

وعن وصفه يقول البلوى (١) : " ثم دخلت المسجد الأعظم فرأيت من حسنه عجبا ، ومن بنيانه ما شئت فضة وذهبا ، لا تدرك مبانيه السامية ، ولا تلحق آثاره العالية ، له أبواب حافلة من الحديد وشباك منه بديع ، وبنيان بالرخام والأحجار العظام الهائلة المنحوتة (٢) الضخام ، عددت فى طول الحجر الواحد منها أربعة وثلاثين شبرا (٣) ، وفيها اكبر من ذلك وأصغر ، قد أسس ذلك المسجد العظيم عليها ، وبنى ظاهره وباطنه منها فجاء جامعا عجيبا واسع الساحة ، بديع

(١) البلوى : تاج المفرق جـ١/٢٤١ •

(٢) فى رحلة ابن بطوطة : " مبنى بالصخر المنحوت " الرحلة ص ٥٥ •

(٣) فى ابن بطوطة : " وفى احد أركانه صخرة ، احد أقطارها سبعة وثلاثون شبرا " الرحلة ص ٥٥ •

الصنعه(١) احدق بجميعه سور جليل ، بناؤه من الصخر الجسيم ، قد جمع الحسن والحصانة والعلو والمتانة ، يشرق بياضه على بعد المتامل ،وكذلك حال المدينة منازلها وقصورها من الاشراق والبهجة التى تهويها خضرة الحدائق الملتفة بها المكتنفة بساحتها(٢) ، وداخل المسجد الأعظم موجة القبلة بالرخام المجزع المختلف الألوان ، الغريب الترصيع ، الفائق الحسن ،قد أفرغ فيه الذهب المضروب والتبر الخالص افراغا(٣) ، وفى وسط المسجد الكريم ، التربة المقدسة ، تربة الخليل أبينا ابراهيم عليه السلام ، قد جن بها من الشماعات العظام المذهبة والأستار المكللة المطرزة ، والمصابيح البديعة المموهة ، كل حسن رائق رائع ، وأمامه ضريح زوجه رضوان الله عليها وتجاه ذلك من الجانب الجوفى قبة أخرى عظيمة القدر متناهية الاتقان وتحتها طبقة وقبة فيها ضريح النبى يوسف الصديق عليه السلام ، والأستار المذبجة والرسوم المذهبة بأسمائها المباركة على جميعها ، والله سبحانه وتعالى أعلم بصحة ذلك كله . وما بين المسجد الكريم والقبة الجوفية صحن عظيم كبير جدا فيه فى المسجد أيضا ، هو مجتمع الواردين والمقيمين ، من الأغنياء والفقراء ، والأمراء والكبراء ، للضيافة المباركة ، ضيافة الخليل عليه السلام فى كل يوم بعد صلاة العصر على توالى أحقاب الدهر ، وفيه حضرتها مع جملتهم متبركا بذلك(٤) " .

---

(١) فى ابن بطوطة : " انيق الصنعة " الرحلة ص ٥٥ .

(٢) فى ابن بطوطة : " مدينة صغيرة الساحة ، كبيرة المقدار ، مشرقة الأنوار ، حسنة المنظر عجيبة المخبر ، فى بطن واد " الرحلة ص ٥٥ .

(٣) فى ابن بطوطة : " فى داخل المسجد الغار المكرم المقدس " الرحلة ص ٥٥ .

(٤) لم يذكر ابن بطوطة ذلك . انظر الرحلة ص ٥٥ . ومما يؤكد صحة ما ذكره البلوى عن كرم الضيافة فى مسجد الخليل وما ذكره ابن فضل الله العمرى الذى زار الخليل سنة ٧٤٥هـ حيث يقول : " ويمد فيه كل يوم بعد العصر سماط ويفرق فيه الخبز على الواردين بحسبهم على قدر كفايتهم " . مسالك الابصار جـ١/١٧٠ ، =

المسجد الأقصى :—

وعنه يقول : " ثم قصدت الحرم الشريف ، والمسجد العظيم المنيف ، الذى بارك الله حوله ، وعرفت كل أمة فضله ، المسجد الاقصى[1] موضع المعراج والاسراء[2] ، وكفى بهذا شرفا وفخرا ، فرأيت بقعة لها نور ، وفضل مأثور ، وشرف معلوم مذكور ، ومسجد له حرمات ، ومقام تخطر فيه خطرات ، وتعرض مقامات ، ومحل تنبسط عليه بركات ، وتستجاب فيه دعوات ، ومكان يمكن فيه الالتفات ، وتقصر عنه الصفات ، وشكل فى تصنيف ما حسنه الياءات والألفات ، قد جمع شرف المقدار الى طيب التربة وفضيلة الدار ، وشهرت مفاخره فاية البقاع تفاخره ؟ ولاقت محاسنه فلا منظر يحاسنه ! وفاقت مآثره جميع من يكاثره ، وامتع بكل سليم الود سلم وحيا ، واطلع نور البشر فى أفق المحيا :—

كأنه من حسنه لم يزل	يستخدم التوفيق والاسعدا
رست بشاه وعلا سمكه	نطاول الجوزاء والفرقدا

وهذا المسجد الشريف هو أعظم مساجد الدنيا ، طوله سبعمائة وثمانون ذراعا وعرضه اربعمائة وخمسون ذراعا[3] ، فيكون تكسيره فى المراجع المغربية مائة مرجع ، وسواريه أربعمائة وأربع عشره ساريه ، وأبوابه خمسون بابا[4] ، يطيف به سور سعته ثلاث خطوات .

= وبتوسع راجع ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل جـ١/٦٢ — ٦٣ .

(١) البلوى : تاج المفرق جـ١/٢٤٦ — ٢٤٩ .

(٢) سورة الاسراء آية ١ .

(٣) فى ابن بطوطة : " وطوله من شرق الى غرب سبعمائة وثنتان وخمسون ذراعا بالذراع المالكية وعرضه من القبلة الى الجوف أربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعا " فى الرحلة ص ٥٧ .

(٤) فى ابن بطوطة : " وله أبواب كثيرة فى جهاته الثلاث ، وأما الجهة القبلية فلا أعلم بها الا بابا واحدا " انظر الرحلة ص ٥٧ .

قد أسس بالحجارة العظيمة وألواحه الكبار المنحوته الهائلة ، بنته الجن لسليمان عليه السلام (١) . والمفتوحة الآن من أبوابه اثنا عشر بابا (٢) ، كل باب منها له الوجه المنقش المحسن المرقش فيها باب صفح بالعقيان والبجين مغمد بهما ، قد قام على مارق الأبصار وأعجب النظار . ومنها باب الرحمة وباب التوبة بابان من الجهة الشرقية وروى المفسرون عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعن ابن عباس ايضا فى قوله تعالى : " فضرب بينهم بسور (٣) " ، أنه سور بيت المقدس الشرقى له باب يسمى باب الرحمة من بيت المقدس ، قال كعب (٤) باطنه المسجد ، وظاهره وادى جهنم ، وفى الجهة القبلية المسجد الأعظم الحافل الذى عليه اليوم اسم المسجد الأقصى ، فيه الخطبة والجمعة والمنبر الذى جمع الله فيه من كل ابداع عجيب واختراع غريب ، والمقاصر التى لا نظير لها غرابة صنعة وجود انشاء ، والسوارى المفضضة الملونة من ألوان شتى من حمرة قانية ، وصفرة فاقعة ، وبياض ناصع ، ومن الجبرية الحالكة الصافية ، ومن الخبرية المجزعة العجيبة البديعة كلها مطلية الرؤوس بالذهب الذائب والتبر الخالص ، وقد قامت بين يد المحراب منتظمة

---

(١) ذكر ابن بطوطة ذلك عن بناء مسجد الخليل انظر الرحلة ص ٥٥ .

(٢) لقد سمى ابو اليمن الحنبلى هذه الابواب وما كانت عليه فى زمنه . وهى باب التوبة والرحمة وهما مغلقان ، وباب الاسباط نسبة لاسباط بنى اسرائيل ، وباب حطه من جهة الشمال من المسجد ، وباب الدويداريه نسبة الى المدرسة الدويداريه ، وباب العتم لأنه ينتهى الى حارة بنى غانم ويعرف قديما بباب الخليل وباب الناظر وباب الحديد وباب القطانين سمى بذلك لأنه ينتهى الى سوق القطانين مكتوب عليه أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون جدد عمارته فى سنة ٧٣٧هـ . وباب السلسلة ويعرف قديما بباب داوود عليه السلام . وباب المغاربة وسمى بذلك لمجاورته لباب جامع المغاربة . وباب الجنائز بالسور الشرقى وهو مسدود . (الانس الجليل : ج٢/ ٢٧ ـ ٣١) .

(٣) يعنى بذلك فى قوله تعالى : " فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره منه قبله العذاب " سورة الحديد الآية ١٣ . والمراد سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين ، راجع ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٤ / ٣٠٩ .

(٤) انظر ابو اليمن الحنبلى : الأنس الجليل ج٢/ ٢٧ .

به عظيمة جليلة ، منقسمة على افنان معقودة بأقواس محنية متراكبة مدخلة على ألوان شتى ، وتصنيف غريب ، مذهبة ما داخلها فى التثمين والتسديد والتربيع بتذهيب مشجر مورق بالذهب مصنف محكم ، قد رونق الحسن استتمامها ، واستوفت من حظوظ البراعة أقسامها ، لها منظر رائع ، ورواء لامع ، فتراها تشتعل ذهبا وتستقبل عجبا ، فيها تواريخ مكتوبة بالذهب فى أرض فيروزية ، وفى أرض حمراء زنجفورية . (وبأعلى المحراب) مكتوب بالذهب فى أربعة اسطار ما نصه : " أمر بتجديد هذا المحراب المقدس ، وعمارة المسجد الأقصى الذى هو على التقوى مؤسس ، عبد الله ووليه يوسف بن أيوب المظفر الملك الناصر صلاح الدين والدنيا عند ما فتحه الله على يديه فى شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وهو يسئل الله ايزاعه شكر هذه النعمة ، واجزال حظه من المغفرة والرحمة " .(١)

وشرقى هذا المسجد متصلا به وداخلا فيه المسجد المبارك الذى بناه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه(٢) . وبجوفه تربيعة خلفها محراب زكريا عليه السلام ، ومكتوب عليه بالذهب "يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى"(٣) ، وخارج المسجد الاعظم من ناحية المشرق مسجد بقبتين ، يعرف بمسجد عيسى(٤) ، وفى شرقيه

---

(١) انظر ، ما ذكره ابن الأثير عن اصلاحات صلاح الدين الأيوبى بعد فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ (الكامل فى التاريخ ج٩/١٨٤ ـ ١٨٥) أما عن المنبر الموضوع بصدر الجامع فالذى عمله السلطان الملك العادل نور الدين بحلب سنة ٥٦٤هـ فلما فتح صلاح الدين مدينة القدس سنة ٥٨٣هـ احضر من حلب وهو موجود الى عصرنا وعليه مكتوب تاريخ عمله . ابو اليمن الحنبلى : الأنس الجليل ج٢/١٢ ، راجع سيد عبد المجيد بكر : أشهر المساجد فى الاسلام ج١/٣٠٩ .

(٢) تسميته بمسجد عمر لأن هذا البناء من بقية بناء عمر الذى كان جمله عند الفتح ابو اليمن الحنبلى / المصدر السابق ج٢/١٢ .

(٣) سورة مريم آية ٧ .

(٤) يعرف بمهد عيسى . ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل ج٢/١٣ ، ١٥ .

باب له مدارج كثيرة تفضى تحت الأرض الى موضع كبير حسن كمسجد فيه مهد مصور من الحجر الصلد يذكر أنه مهد عيسى عليه السلام ، وبغربية مسجد حسن للمالكية يعرف بمسجد المغاربة (١) ، تلاصقه من ناحية الغرب مدرسة حافلة تسمى الفخرية (٢) ، وبخارج المسجد الاعظم صحن عظيم كبير مشمر بأنواع الثمار والاشجار الكبار المختلفة الأنواع ومن أكثرها الزيتون ، وفيه أجباب (٣) كثيرة ، ذكر عبد الملك بن حبيب بسنده ، أن عمر بن الخطاب لما قدم بيت المقدس ، خرج رجل (٤) من أصحابه يستسقى فى جب سليمان ، وهو جب فى داخل المسجد فخرت دلوه فى الجب فنزل بها يستخرجها فبينما هو يطوف فى الجب اذا أتاه ملكان فأخذا بعاتقه فذهبا به حتى أدخلاه الجنة فجعل يسريان بهفيها فكان كلما مرا به على شجرة لها ثمر يمد يده الى ثمرها فيؤخره الملكان حتى مرا به على شجرة ذات افنان فمد يده فأخذ ورقة واحدة ، فقال له الملكان لو ملكت يدك لسرنا بك الى يوم القيامة ، ثم انصرفا به الى الجب فخرج عند صلاة الظهر ، فاتى عمر فاخبره بالذى كان وضبط يده على الورقة . فقال عمر : أضمم يدك عليها ثم بعث الى

(١) أطلق عليه جامع المغاربة لغلبة هذا الاسم على السنة الجمهور ، ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار جـ١/١٥٣ . وهو جامع مأنوس مهيب وفيه صلاة المالكية والذى يظهر أنه من بناء عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل جـ٢/١٥ .

(٢) الخانقاه الفخرية : وهى مجاورة لجامع المغاربة الذى تقام فيه صلاة المالكية من جهة الغرب وهى بداخل سور الحرم ، واقفها المقر العالى القاضى فخر الدين ابو عبد الله محمد بن فضل ناظر الجيوش الاسلامية وكانت له أوقاف كثيرة وبر واحسان لأهل العلم توفى فى رجب سنة ٧٣٢هـ . ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل جـ٢/٣٤ ، ولا تزال عامرة الى يومنا هذا وهى زاوية ودار سكن . محمد كرد على : خطط الشام جـ٦/١٤٨ .

(٣) الجب : واحد الجباب ، وهى البئر التى لم تطو ، ياقوت : معجم البلدان جـ٢/١٠٠ .

(٤) هو رجل من بنى تميم يقال له شريك بن حيان ، ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل جـ٢/١٤ .

كعب الأحبار (١) ، فأتاه فقال يا أبا اسحاق! هل تجد فى علمك أن رجلا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة ثم يخرج منها . قال نعم يا أمير المؤمنين قال فهل تسميه قال نعم فهو " شريك بن حُباشة النميرى " قال فانظر هل تراه ، فنظر كعبا مليا ، ثم قال : هو ذا فقيل لكعب صف الورقة ، قال نعم . كانت مثل الكف العظيمة ، أشبه شىء بورق الزراقين يعنى الخوخ ففى بيت المقدس أثنا عشر جبا ، ليس فيها جب أطيب ولا أعذب ولا أبرد من هذا الجب ، وهو يسمى " ببير الورقة " (٢) انتهى .

وفى هذا الصحن ساقية ماء تأتى من مسافة شاقة ومهوى بعيدا من الأرض قطعت لها الجبال وصدعت لها الصخور الجليلة صدعا بالمال الجسيم والأيدى الشديدة حتى انصبت منها المياه على المسجد الاقصى فأروت وأغدت وفاضت وأفضت الى (خسة) (٣) من رخام كبيرة أمام المسجد الأعظم ، فى وسطها فوارة يجرى فيها الماء وفى وسط

---

(١) سبقت ترجمته انظر الباب الثانى ص ١٥٣ حاشية ٢ .

(٢) انظر ما ذكره ابو اليمن الحنبلى عن بئر الورقة : الانس الجليل جـ٢ / ١٣ ـ ١٤ .

(٣) المقصود بالخسه هنا هى بركة الماء العظيمة التى أنشأها الامير سيف الدين تنكز نائب الشام داخل الحرم ما بين الصخرة والمسجد الاقصى . وهى كبيرة وملبسة بالرخام . سنة ٧٢٨هـ . بعد أن ساق الماء الى مدينة القدس : فى نفس العام . ويقول ابن كثير فى ذلك : " وفى آخر ربيع الأول سنة ٧٢٨هـ وصلت القناه الى القدس التى امر بعمارتها وتجديدها سيف الدين تنكز . فقام بعمارتها وعمل به بركة هائلة ، وهى مرخمة ما بين الصخرة والأقصى . وكان ابتداء عملها من شوال فى السنة الماضية " البداية والنهاية جـ١٤ / ١٣٣ .
وعند زيارة ابن بطوطة للقدس قال : " ولم يكن بهذه المدينة نهر فيما تقدم ، وجلب لها الماء فى هذا العهد الامير سيف الدين تنكز امير مدينة دمشق " ، الرحلة ص ٥٧ . انظر المقريزى : السلوك جـ٢ ق١ / ٣٠٢ ، ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات جـ١ / ٢٥٢ ، رشاد الامام : القدس فى العصر الوسيط ص ١٨٣ ـ ١٨٤ .

هذا الصحن) صحن آخر عال مرتفع يصعد اليه بأدراج عالية كثيرة من جهات ثمانية ، وهو مفروش بالرخام الابيض وفى وسط هذا الصحن الأخير المرتفع القبة العظيمة القدر الكبيرة الخطر التى كان محاسن الدنيا مجموعة فيها ، ومحصورة فى نواحيها فهى من أعاجيب الدهر وأحسن ما يرى بالبصر ويتخيل فى الفكر .

قبة الصخرة :ـ

وعن وصفها يقول البلوى (١) : " وهى مصنوعة من قبة مثمنة الحائط والأركان . من داخلها وخارجها مستوية السقف ، أعلاها ذهب مضروب فى صنائع عجيبة (٢) ، وجوانبها كلها من داخلها مليسة بأنواع الرخام المنثور الملصق الصاقا محكما مخططا بالخطوط الكحل تخطيط القدرة الربانية ، فجاء منها خواتم عجيبة وطوالع مختلفة الصناعة غريبة . وفى وسط هذه القبة المثمنة المستوية السقف قبة آخرى قد بعد فى السماء مرتقاهـا حتى تساوى ثراها مع ثرياها وجازت الجوزاء سمتا ، وعزلت السماك الأعزل سـمكا ، وأرتقت فى الهوى وأسرت الى السماء النجوى ، وانتهت فى الحسن الغاية القصوى ، فكأنما صورت جنة الخلد ، وأشربت حبة القلب ، وأوسعت قرة العين ، ونقشت فى عرض الأرض وابرزت فى الابريز الخالص المحض قد اتفق الذكر فيها ، وضرب المثل بتناهيهـا وبلغ الخاصة والعامة خبرها وبعد فيهم ، صيتها وارتفع ذكرها وعظم خطرها وتوافـى الناس اليها من البعد والقرب ، والشرق والغرب ، متأملين لها متعجبين من مونـق مرعاها وورنق سناها . والتقى رجال برجال قد دخلوا البلدان واستبدلوا الأوطـان وجالوا فى الأمصار وجابوا فى الاقطار ، فأقسم كل واحد منهم بجهد قسمه انه مـا رأى

(١) البلوى : تاج المفرق جـ١ / ٢٤٩ـ ٢٥٤ .

(٢) فى ابن بطوطة : " وفى ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقه ورائق الصنعة ما يعجز الوصف " . انظر الرحلة ص ٥٨ .

لتمام محاسنها تماما ولا بنأنق ما انتظمته مطالعها انتظاما ، ولا بعجيب ما تضمنته ايواؤها ، ومنحته أفناؤها فى النقوش السرية ، والصنائع السنية التى لا يبلغها نقوش أهل الهند ولا تنتهيها غنة أهل الصين ، تدركها رقوم أهل رها ، ولا تساميها دباسج تستر ولا يقارن بها وشى صنعاء ولم يكن فيها الا السطح الممدد المشرف على الصحن الكبير والقبة وعجائب ما تضمنته من اتقان الصنعة ، وفخامة الهمة وحسن المستشرق وبراعة الملبس والحلة ما بين مرمر مسنون وذهب مصون ، وعمد كأنها أفرغت فى القوالب أو أعيرت ملمس النضار الدلامس ، ونقوش كقطع الحياض ، وتشجير كالفات الرياض ، يتنسم بين ذلك كله أنه سنام الدنيا ، سلسل برود يفرغ أمامه من تماثيل عجيبة الاشخاص فى خوابى رخام تهدم الجبال ضخما ، ولا تهتدى الأوهام الى سبيل الالفاء بها ، ولقد أخبرنى الشيخ العالم القدوة (شمس الدين الكركى) قال زنة الرصاص الذى على سقف قبة الصخرة هذه ، ثلاثين ألف قنطار بالدمشقى ، وهو بالموفى مائة ألف وعشرون ألف قنطار كاملة ، وذكر عبد الملك بن حبيب ، رحمه الله أن عبد الملك بن مروان بنى القبة على الصخرة وجعل على الجانبة التى أعلا القبة ثمانية آلاف صفيحة من نحاس مطلية بالذهب ، فى كل صفيحة سبعة مثقال وأفرغ على رأس الأعمدة مائة ألف مثقال ذهبا وفى وسطها مكتوب بالذهب فى أرض سماوية لا زورد يسه على الدائرة ما نصه : " بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد تذهيب هذه القبة الشريفة مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد المؤيد من السماء ناصر الدنيا والدين محى العدل فى العالمين ، وظل الله فى أرضه القائم بسنته وفرضه محرر الدنيا ومظهر كلمة الله العليا مشيدا أركان الشريعة الشريفة ، سلطان الاسلام الشهيد الملك المنصور قلاوون (١) تغمده الله برحمته ، وذلك فى شهور سنة ثمان عشرة وسبعمائة " ، وتحت هذه القبة العجيبة الصخرة الشريفة التى هى كالجبل

---

(١) هو السلطان محمد بن الملك المنصور الشهيد قلاوون راجع ما ذكره رشاد الامام =

الراسى والطود العظيم معلقة وسط الفضاء بين الأرض والسماء لا صعودا ولا نـزولا ، انما يمسكها الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا[١] ، وقد انصنع بهذه الصحرة الشريفة والبنيان الدائر بها نوع مغارة كبيرة[٢] تفضى اليها أدراج جملتها خمسة عشر درجـــا ، وفيها سطح مفروش بالرخام المجزع ، المختلف الألوان البديع الصنعة وهو موضع مبـارك للصلاة · وفى الطرف القبلى من الصخرة الشريفة أثر قدم النبى صلى الله عليه وســلم[٣] ، يتبرك الناس به ويمرغون خدودهم فيه ، وقد طاف بالصخرة الشريفة شباك من العــود ، وبعده شباك آخر من الحديد ، ثلاثة أبواب ، وبين الشباكين فضاء واسع للصلاة ، وللقبة المثمنة اربعة أبواب[٤] ، فالباب الجوفى منها يسمى باب الجنة وبأعلاه مكتوب بالخــــط الحسن " هذا باب الجنة " ، وبأعلى الباب الثانى منه لوح نحاس كبير مكتوب فيـــــه بالنقش المحكم ما نصه : " بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى لا اله الا هو الحى

---

* = عن تذهيب قبة الصخرة وما كتب فى داخلها وكذلك قبة المسجد الاقصى فى زمـن الملك الناصر محمد بن قلاوون (مدينة القدس فى العصر الوسيط ص ٦٨ ـ ٦٩) وعن اصلاحات الملك الناصر فى المسجد الاقصى فى سلطنته الثالثة من ســـــنة ٧٠٩ ـ ٧٤١ هـ (انظر ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل جـ٢/ ٩٢ ، ابن كثير البداية والنهاية جـ١٤/ ١٣٣) ·

(١) المشهور عند الناس أن الصخرة معلقة بين السماء والأرض ، وحكى أنها استمرت على ذلك حتى دخلت تحتها امرأة حامل فلما توسطت تحتها خافت فأسقطت حملهـــا ، فبنـى حولها هذا البناء المستدير حتى استترامرها عن أعين الناس · ابـو اليمن الحنبلى : الانس الجليل جـ٢/ ١٨ ·

(٢) فى ابن بطوطة : " مغارة فى مقدار بيت صغير " الرحلة ص ٥٨ ·

(٣) هو حجر صغير محمول على ستة أعمدة صغار ـ قيل أنه أثر لقدم النبى ليلة المعراج · ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار ص ١٤٢

(٤) سبقت الاشارة الى ذلك · انظر ص ٢٠٧ حاشيه ٥ ·

القيوم لا شريك له الأحد الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، عبد الله ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، آمنا بالله وبما أنزل على محمد وبما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، صلى الله عليه وسلم ، على محمد عبده ونبيه والسلام عليه ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه ، مما أمر به الامام المأمون أمير المؤمنين ،أطال الله بقاءه فى ولاية أخيه أمير المؤمنين أبى اسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد ابقاه الله . وجرى على يد صالح بن يحيى مولى أمير المؤمنين فى شهر ربيع الأخير سنة ست عشرة ومائتين ، وأعلى الباب الثانى من الباب الشرقى لوح آخر من نحاس أيضا مكتوب هذا النص المذكور بجملته ، وأمام باب الجنة المذكور قبة تغشى النواظر بشعارها ، وتخطف الأبصار بالتماعها تسمى قبة السلسلة (١) ، التى كان يحكم بها داوود عليه السلام ، وهى قبة عجيبة قامت على أسوار مختلفة وصناعة على الحسن مشتملة،بوسطها تاريخان مكتوبان بالذهب أحدهما فى أرض خضراء زراعية ونصه : بسم الله الرحمن الرحيم وداوود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان ، وكلا أتينا حكما وعلما ، كمل تجديد بطن هذه القبة (السلسلة)المباركتونقش سقفها وتبليطها فى شهور سنة ست وتسعين وخمسمائة (٥٩٦هـ) (٢) ، وفى الركن الغربى من هذا الصحن المرتفع المذكور مسجد فيه قبتان منتظمتان عجيبتان فيهما رسوم مذهبة (٣) ، وتواريخ مختلفة أقربها

---

(١) قبة السلسلة هى قبة غاية الظرف على عمد من رخام من بناء عبد الملك بن مروان وهى على صفة قبة الصخرة . راجع ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل ج٢/ ١٨ و ج١/ ٢٧٣ .

(٢) فى سنة ٦٥٩هـ جدد الملك الظاهر بيبرس قبة السلسلة وزخرفها انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٧/ ١٩٤ ، ابو اليمن الحنبلى : المصدر السابق ج٢/ ٨٨ ، رشاد الامام : مدينة القدس فى العصر الوسيط ص ٦٢ .

(٣) هو جامع النساء انظر ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل ج٢/ ١٣ .

عهدا وهو ما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وصلواته على خير خلق الله محمد وآله وصحبه ، أما بعد فما زالت همم ملوك الاسلام تتناصر على اثبات مفاخر يبقى ذكرهم ببقائها ، وانشاء محاسن يباهون الامم ببهائها ، فيحيون رسوما طالما نسجت عليها العناكب ، ويرقمون على صفحات الايام من الخيرات رقما تشرف اليه الكواكب فتظل عيون الامانى بمآثرهم قريرة ، وأعواد أحبالهم بمفاخرهم مورقة نظيرة ، أعطاهم الله قدرة فعرفوها الى رفع أقدارهم ، وآتاهم الدنيا فلم يتركوها تخلا من محاسن آثارهم .

فتراهم دون الرجام وذكرهم ـ باق بها فكأنهم أحياء

فلله ذ رفتى تبقى مساعيه بعده مشكورة ، ومناقبه ما بقيت آثارهم مذكورة . ولما تشعث السقف الذى أنشأه الملك المعظم الواقف المذكور رحمه الله انتدب لاحيائه عبد الله الفقير اليه أسد الدين عبد القادر سبط الواقف بحكم ما اليه من النظر الشرعى فى أوقاف جده ، فجدده وبذل وسعه وطاقته فيه ابتغاء مرضاة الله تعالى ، وكان الفراغ منه فى ربيع الأخير سنة تسع عشرة وسبعمائة (٧١٩) من الهجرة النبوية وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم . وفى الجهة الغربية ثلاث صوامع ، واسم المأذنة أو المنار أحق من اسم الصومعة لأن الصومعة هى التى للراهب وهى بفتح الميم ، وفى الجهة الغربية والجوفية قباب مختلفة تركت وصفها اختصارا ، منها قبة الركن المشرقى الحافلة (١) ، وقبة المعراج (٢) ،

---

(١) هى قبة الطومار : وهى قبة على طرف صحن الصخرة من جهة القبلة مما يلى المشرق وسبب تسميتها بذلك يرجع الى أحد الملوك قديما ، ابو اليمن الحنبلى : الأنس الجليل جـ٢/٢٣ .

(٢) قبة المعراج : وهى عن يمين الصخرة والصحن من جهة الغرب . عمرها الأمير الاسفهسالار عز الدين سعيد السعداء ابو عمر وعثمان بن على الزنجيلى متولى القدس سنة ٥٩٧ هـ وكان فى موضعها قبة قديمة دثرت . ابو اليمن الحنبلى : المصدر السابق جـ٢/١٩ ـ ٢٠ .

وقبة الميزان الرخامية ، وقبة موسى البديعة (١) ، وقبة سليمان الرائقة ، وفى كل مسجد من تلك المساجد ومدرسة من تلك المدارس (٢) ، وقبة من تلك القباب امام عاكف به قائم عليه . ولقد عددت مواضع الاشفاع وصلاة التراويح بها فى شهر رمضان المعظم فالفيتها نحو الأربعين موضعا ، وفى الجهة الغربية من الصحن ، الصحن الكبير المثمن مدرسة عجيبة غريبة الشكل غزيرة المياه ، حافلة الصنعة بابها ملاصق لباب الحرم تسمى الذنقيديه (٣) ، ويسكنها الصوفية ، وقد حف بها من الرسوم المذهبة العجيبة والخطب الأدبية الغريبة والألفاظ البعيدة القريبة ، كل من اتى بالعجب ، وسفر عن الحسن المنتخب ووجب أن كتب هناك بذوب الذهب ، اخترت أخصرها ونقلت أيسرها ، فكان الذى ارتضاه الاختيار واقتضاه الاختصار ، ما قيدته من مباح الطبقة العليا ونصه : بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذى رفع البيت المقدس فى سائر الملل ذكرا أو فضله على أكثر البقاع شرفا وفخرا وجمع القلوب على محبته تعظيما لرتبته وقدرا ، وأسرى بخير خلقه اليه ثم أنزل عليه صلوات الله عليه ، سبحان الذى أسرى ، فيما بشرى لمن بنا لله فيه بيتا ولو كان شبرا ، ويا أسعد من أسدى للناس فيه ثوابا وبرا ، لقوله تعالى " وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا " فا ى

---

(١) ليس هو موسى النبى ولم يصح خبر فى نسبتها فى ذلك ، والذى امر بعمارتها هو الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل سنة ٦٤٩هـ . وكانت تعرف قديما بقبة الشجرة . ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل جـ٢/ ٢١ .

(٢) عن مدارس القدس انظر ابو اليمن الحنبلى : المصدر السابق جـ٢/ ٣٣ ومابعدها ، محمد كرد على خطط الشام جـ٦/ ١١٦ وما بعدها ، رشاد الامام : مدينة القدس فى العصر الوسيط ص ١٨٨ وما بعدها .

(٣) لا توجد بالقدس مدرسة تحمل هذا الاسم . وربما يقصد بها المدرسة التنكيزية ، وقفها الأمير تنكز نائب الشام وهى مدرسة عظيمة ليس فى المدارس أتقن من بنائها وهى بخط باب السلسلة وكان ابتداء عمارتها فى شوال سنة ٧٢٧هـ ، ووصلت الى القدس الشريف ، ودخلت الى وسط المسجد الاقصى فى اواخر ربيع الاول سنة ٧٢٨ هـ ولا تزال عامرة وهى مقر المحكمة الشرعية ، راجع الأنيس الجليل جـ ٢ ص ٣٥ ، محمد كرد على : خطط الشام جـ ٦ ص ١١٧ ، عبد الجليل المهدى . المدارس فى بيت المقدس فى العصر الأيوبى والمملوكى جـ ٢ ، ص ٣١ - ٣٤ و ٤٣ .

خير أعظم من انشاء هذا المكان وبناء هذا الايوان ، الذى باب الرحمة مفتوحا بين يديه ، والطور أمامه والشجر تحت قدميه ، والجامع الاقصى كالقمر ناظراليـــــه ، والصخرة الشريفة كالشمس مقبلة عليه ، وهو كالهلال قد ظهر بين الشمس والقمر .

ما الشمس ما البدر فى لالاء بهجته   فى كل ناحية من وجهه قمر .

أرجو لبانيه ، أن يعطى امانيه ، وأن يفوز من الملك الجليل بالعطاء الجزيـــل والثناء الجميل والظل والظليل وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وهذا الطور المذكـــور (١) جبل عظيم منه رفع عيسى عليه السلام الى السماء فيما يذكر ، وهو بشرقى هذا الحرم العظيم فيه قلعة مباركة فى أعلاها مسجد شريف حافل مؤسس بالسوارى الحسنـــة الضخمة والرخام الأبيض الصافى والحجر المنجور الجافى ، يقصده الناس تبركـــا ودونه بيسير قبة مباركة يفضى اليها ادراج تحتها تربة الصالحة الولية رابعة العدوية (٢) رحمها الله تعالى ودونها على بعد قبة كبيرة مختلفة فيها تربة مريم عليها الســـلام تفضى الى ادراج هابطة الى التربة الكريمة عددت فيها ثمانية وأربعين درجة ، وفى هذه المدينة الكريمة بقاع طاهرة عليها بركات ظاهرة وبها قبور الأنبياء صلوات اللــه عليهم وأثارهم نفع الله بالقصد والنية فى زيارتها برحمته وما هذا الذى ذكرت مـــن وصف تلك المشاهد الشريفة الذكر ، والمساجد العظيمة القدر ، والمعاهد الكريمـة الفخر الا كالنقطة الواقعة فى البحر ، والذرة الساقطة فى القفر ، والشرارة من الجمر ، ولما لاحت نيران هذه الانوار ، وفاحت نسيمات تلك الأشجار وشاهدت أحد المســاجد

---

(١) الطور : جبل عظيم مشرف على المسجد الاقصى . ابو اليمن الحنبلى : الانــس الجليل جـ٢/٦٠ .

(٢) فى ابن بطوطة : رابعة العدوية منسوبة الى البادية (انظر الرحلة ص ٥٦) والمشهور ما ذكره البلوى من انه قبر رابعة العدوية انظـــر الباب الثانـــى ص ١٦٤ حاشيــة ٢ .

الثلاثة التى لا تشد الا اليها الرحال ، وعاينت الحرم الشريف حقيقة قد أحلنى اليه الترحال ، اخترت مجاورته وآثرت ملازمته وقلت أين اذهب عن موطن مهبط الرحمة وموضع محشر الامة ، ومحل تفرج الكربة والغمة .

الجامع الأبيض بالرملة :ـ

زار البلوى الجامع الابيض بالرملة بعد عودته للمرة الثانية لفلسطين فى سنة ٧٣٨هـ[١] وعنه يقول : " المسجد الجامع الكبير حيث الخطبة الكبرى ، والجماعة العظمى وهو المشتهر بالجامع الأبيض[٢] ، له صحن كبير جدا فيه أشجار وأطيار وجب وآبار ، فيها ماء كثير عذب نمير ، وفى وسط الصحن مغارة عظيمة كبيرة تفضى اليها ادراج كثيرة ، قد قامت على أقواس محنية وأرجل مختلفة مبنية ، ذكر أن فيها جماعة عظيمة من الانبياء مدفونين[٣] بعدهم النساك بالمئين زرناها لما يؤثر عنها من البركات والاعمال بالنيات ، وعلى باب المسجد المذكور تاريخان منقوشان فى الرخام ، وقيدتهما وأخصرهما مانصه : " بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر بعمارة هذا المسجد الجامع المبارك اياس عبد الله بن جهة الامير علم الدين قيصر رحمه الله ورحم من ترحم عليه سنة ٥٨٦هـ[٤] " .

٢ ـ لقاء البلوى للعلماء :ـ

اهتم البلوى فى رحلته بذكر العلماء والرجال ، فذكرهم بأسمائهم والقابهم ونعوتهم ، وتاليفهم ، مع تاريخ ولادتهم ، ثم أخذ عنهم المسند وانتسخ من كتبهم[٥] وهذا الاهتمام بالعلماء نراه واضحا خلال زيارته لبلاد الشام (فلسطين) وخاصة مدينة القدس ، التى

---

(١) البلوى : تاج المفرق جـ٢/١٦ .
(٢) وسبقت الاشارة الى الجامع الابيض بالرملة ، انظر الباب الثانى ص ٩٠ حاشية ٢ .
(٣) فى ابن بطوطة : " ويقال أن فى قبلته ثلاثمائة من الانبياء " الرحلة ص ٦٠ .
(٤) هذا النص يؤكد صحة ما ذكره أبو اليمن الحنبلى على تجديد عمارة الجامع الابيض فى زمن الملك الناصر صلاح الدين سنة ٥٨٦هـ على يد رجل من دولته اسمه الياسرين عبد الله احد جماعة الامير علم الدين قيصر عين الامراء لدولة الصلاحية فى سنة ٥٨٦هـ . الانس الجليل جـ١/ ٦٩ .
(٥) البلوى : تاج المفرق المقدمة جـ٢/٥٨

أفرد لها جزءا كبيرا من حديثه عن لقائه للعلماء والاستفادة منهم ، بالاضافة الى مدينة الخليل ، ولو قورن ذلك بما ذكره ابن بطوطة عن العلماء فى القدس والخليل ، لوجدنا فرقا كبيرا فيما بينهما ، فابن بطوطة كان يكتفى فقط بذكر ألقابهم ، ونادرا ما يتعرض لذكر أسمائهم ، أو اعطاء نبذة بسيطة عن حياتهم أو الاشارة الى اللقاء بهم كما كان يفعل البلوى (١) .

علماء الخليل :—

وعن لقائه للعلماء بمدينة الخليل يقول البلوى (٢) : " ثم اختلفت الى لقاء الفضلاء واخذت عمن بذلك القطر المبارك (يقصد الخليل) من العلماء منهم شيخ الوقت سناء وسنا وعلما ودينا الشيخ العالم الصالح (شمس الدين ابو عبد الله محمد بن كافل الشافعى) (٣) رضى الله عنه شيخ العلم والوقار ومحل المناقب المغرسة فى أرفع البقاع وأمنع القرار وأهل المكارم السنية ، والانوار السنية الآثار نزيه الاحوال نبيه القدر ، .... ولى القضاء بعد ما أكره عليه وجذب راغم الانف اليه ، فلم يعلق به طابع ، ولازال من الزهد والورع بمرأى ومسمع .... تخلى هو لعبادة مولاه فهو الآن بذلك المسجد العظيم والمقام النير الكريم لا يفتر من العبادة ولا يدخل منزله الا للعادة ...... سمعت من لفظه هناك بين المنبر والمحراب اجزاء غير واحدة واستفدت فى مجلسه غير ما فائدة وسألته عن أشياخه فأخبرنى أنهم جماعة كبيرة منهم الشيخ الزاهد ابو اسحاق ابراهيم بن احمد

---

(١) وضع الحسن السائح مقارنة بين ابن بطوطة والبلوى انظر هذه المقارنة . المصدر السابق جـ١/٥٥ الى ٧٠ ، وهذه المقارنة تتركز على خط سير كل منهما وذكرهما للعلماء فى كل مدينة .

(٢) البلوى : (تاج المفرق) جـ١/٢٤٢ — ٢٤٣ .

(٣) لم اعثر على ترجمته من خلال المصادر المتيسرة .

الرقى الشافعى (١) ، نزيل دمشق رحمه الله تعالى سمع عليه كثيرا وانشدنى لنفسه .

وصل الحبيب لسم الهجر ترياق وقربه لأسير البين اطلاق

أما السلو فدين لا أدين بـه وكيف يسلو عن الاحباب عشاق

.... الخ (٢)

انشدنيها عن ناظمها المذكور ، وكتبتها من املائه ، وصححتها بعد قراءتى عليه .

ومن شيوخه ايضا الشيخ (ابو الحسن على الواسطى) (٣) ، قال لى : وكان رحمه الله ما انقطع عن الحج والزيارة مدة حياته فسأله أهله أن يقيم معهم ويدع الحج سنة واحدة ، فلما عزم على ذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال له : ياعلى عزمت على الاقامة عنا ، فقال سألنى الأهل فى ذلك فقال له : ان أقمت عنا أقمنا غيرك مقامك ، فلما استيقظ عزم على الحج والزيارة فى ساعته وسأل الله تعالى أن يجعل قبره ما بين الحرمين فتوفى ما بين بدر وحنين (٤) رحمه الله تعالى ، وقد سمعت عليه ابعاض كتب كثيرة وتناولتها من يده ، وأجازنى الاجازة التامة المطلقة العامة وكتب لى بخطه .

---

(١) هو ابراهيم بن احمد بن محمد بن معالى ، ابو اسحاق الرقى الحنبلى الزاهد نزيل دمشق ، ولد فى نيف واربعين وستمائة برع فى الفقه والتفسير والطب والتذكير وشارك فى فنونه ، وله نظم ونثر ومواعظ توفى فى محرم سنة ٧٠٣هـ ، راجع ابن حجر : الدرر الكامنة جـ١/ ١٤ ، ابن تغرى بردى :المنهل الصافى جـ١/ ١٩ ، الدليل الشافى جـ١/ ٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦/ ٧ .

(٢) باقى الابيات انظر البلوى : تاج المفرق جـ١/ ٢٤٢ .

(٣) على بن الحسن بن احمد الشافعى ابو الحسن الواسطى . يقول عنه ابن كثير : " كان مشهورا بالخير والصلاح ، وكثرة العبادة والتلاوة والحج ، يقال انه حج ازيد من اربعين حجة " ، توفى محرما ببدر فى ذى القعدة سنة ٧٣٣هـ ، راجع ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٤/ ١٦٤ ، ابن حجر: الدرر الكامنة جـ٣/ ٣٧ .

(٤) البلوى : تاج المفرق جـ١/ ٢٤٣ — ٢٤٥ .

ومنهم علم الاعلام وامام الاسلام الشيخ العالم الراوية (شمس الدين ابو عبد الله محمد بن على بن احمد بن ابراهيم الاموى القرشى) (١) ، هو الامام الذى رفعه العلم قبل شبابه ..... لقيته بالحرم الخليلى الشريف فسمعت عليه كثيرا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك من الاجزاء والكتب فى فنون شتى . واجازنى الاجازة التامة المطلقة العامة وكتب لى بخطه ، وأشياخه جماعة كثيرة جدا ، ومولده رضى الله عنه بحلب المحروسة فى سنة بضع وستين وستمائة .

علماء القدس :—

بعد أن ذكر البلوى وصفه للمسجد الاقصى وقبة الصخرة ، ذكر بعضا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن فضل بيت المقدس من بعض علماء القدس ، حيث يقول : " حدثنى الشيخ الفقيه القاضى (شمس الدين عبد الله محمد بن سالم (٢) بن عبد الناصر الكنانى الغزّى الشافعى) (٣) قاضى مدينة بيت المقدس حرسها الله تعالى سماعا منى عليه بحرم المسجد الاقصى الشريف بقراءة شقيقه الشيخ الامام الأوحد (علم الدين أبى الربيع سليمان) (٤) ، وبقصد الرواية عنهما ومن أصلها نقلت ، قالا حدثنا الشيخ الامام المحدث (علاء الدين ابو الحسن على بن ابراهيم بن داود العطار) (٥)

---

(١) لم أعثر على ترجمته فى المصادر المتيسرة .

(٢) البلوى : تاج المرفق جا / ٢٥٥ .

(٣) فى ابن بطوطة " شمس الدين محمد بن سالم الغزى " الرحلة ص ٥٩ وقد سبق ترجمته انظر الباب الثانى ص ١٩٢ حاشية ٦ .

(٤) فى ابن بطوطة " علم الدين بن سالم " وقد ذكره ضمن علماء غزه سنة ٧٢٦هـ الرحلة ص ٥٤ وقد سبق ترجمته انظر الباب الثانى ص ٩٢ حاشية ٥ .

(٥) ابن داود بن سليمان الدمشقى الشافعى الشهير بابن العطار ، كان فقيها محدثا ، توفى فى ذى الحجة بدمشق سنة ٧٢٤هـ . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٩ / ٢٦١ . انظر ترجمته ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣ / ٥ ، الدليل الشافى جا / ٤٤٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٦ / ٦٣ .

رحمه الله . قال الاول منهما سماعا عليه فى رجب سنة اربع وعشرين وسبعمائة ، وقال الثانى قراءة عليه فى يوم الجمعة ثانى صفر سبع عشر وسبعمائة سنة ٧١٧هـ بدمشق المحروسة يرفعه الى ابى هريره رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ، والمسجد الاقصى " رواه البخارى ومسلم ...... كان كعب يقول بيت المقدس أقرب الأرض الى السماء بثمانية عشر ميلا (١) .

العلماء الخمسة الذين التقى بهم البلوى فى بيت المقدس وأخذ عنهم :—

اطال البلوى فى حديثه عن العلماء الخمسة الذين التقى بهم فى بيت المقدس ، وقد اشتمل هذا الحديث على جزء كبير من رحلته لبلاد الشام (فلسطين) . وعنهم يقول البلوى : " انتقيت منهم ها هنا خمسة يتبرك بذكرهم وتعطر الأندية بشكرهم (٢) ((فأولهم)) فى الحلبة وأولاهم بالتقديم على هذه العصبة الشيخ الخطيب العالم ، زين الدين ابو البركات عبد الرحيم بن بدر الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ابى الفضل بن سعد الله بن جماعه بن على بن جماعة بن حازم بن صخر الكنانى الشافعى ، (٣)

---

(١) اورد البلوى العديد من الاحاديث النبوية عن فضل بيت المقدس والصلاة فيه ، وما رواه عن ابى زيد والامام ابو حامد الغزالى ، وكعب الأخبار ، وقد رأيت عدم نقل ذلك لعدم التأكد من صحته بالاضافة الى عدم أهميته فى موضوع البحث .
انظر البلوى : تاج المفرق ج١/ ٢٥٥ — ٢٥٦ .

(٢) البلوى : تاج المفرق ج١/ ٢٥٦ — ٢٥٨ .

(٣) زين الدين عبد الرحيم ابن قاضى القضاه بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعه الكنانى ، ولى خطابة المسجد الاقصى سنة ٧٢٤هـ واستمر الى أن توفى سنة ٧٣٩هـ . راجع ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٢/ ٣٦٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٩/ ٣١٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٦/ ١٢١ ، ابو اليمن الحنبلى : الانس الجليل ج٢/ ١٢٧ .

سليمان العلماء العالمين ، وقليل النظراء فى عباد الله الصالحين ، تجلى من مراقب الفضائل والمعارف ، وتحلى بالمجد التليد والطارف ، قصرت الاوهام عند كنه فضله ، ونقصت الاحلام عن رجاحة عقله ، وعجزت الاقلام عن وصف مثله ، كنز من كنوز الكرم ، لا ينفد على النفقة ، ولا يسئم من الصلة والصدقة من رجل ما زادته الرفعة الا تواضعا عجبا ، ولا ابقت له المعلومات فى العجب اربا برع باحسن صورة ، ورفع من المجد ارفع سورة . جمع جمال سمات وجمال سيرة زين به ذلك المسجد الشريف ومحرابه ، وعين للامامة والخطابة فيه ، وما بقل عذاره ولا كمل شبابه فجلس على الكرسى الاكبر ورقى ذروة المنبر .

فلو أن مشتاقا تكلف فوق ما فى وسعه لسعى اليه المنبر

خطة ورثها من الفاضل ابيه ورتبه ما برح يتوخى فيها السنن الرضى ويقتفيه ، ولو لم يكن لديه الا اقتفاء سير أسلافه الصالحين والرواية عنهم وعن والده قاضى القضاه (بدر الدين رضى)(1) الله عنهم أجمعين ، لقيته بالمسجد الاقصى عمره الله تعالى بالذكر ، وضاعف لمجاوره جزيل الاجر فأدخلنى منزله الكريم الذى التصق بابه بمحراب ذلك المسجد العظيم ، فرأيت منزلا جليل القدر ، سامى الخطر ، مكلل الجوانب ، مرصع الأرض ، فذهلت فى نقشه وخجلت فى وطئ فرشه .... ولم أزل أتردد اليه وأسمع منه ، وأقرأ عليه حتى تحصلت لى منه جمل مفيدة ، ومقيدات عديدة ، ومما قرأت عليه بمنزله المذكور جميع الجزء الذى ألفه وخرجه شيوخه فى أحاديث نبوية ، وفوائد جمة ، وجميع الجزء المسمى بتنقيح المناظره ، فى تصحيح المخابرة ، وجميع كتاب المنهل الروى فى علوم الحديث النبوى ، وهو اختصار كتاب ابن الصلاح رحمه الله

(١) هو محمد بن ابراهيم سعد الله بن جماعه قاضى القضاه بدر الدين وهو العالم الذى سبق أن التقى به الرحالة العبدرى فى بداية سنة ٦٩٠ وقد سبق ترجمته انظر ص ٤٩ حاشية ٧ .

تعالى ، وجميع الخطب المختصرة من خطب ابن نباته رحمه الله تعالى ، ومما سمعت بلفظة بعض كتاب غرر التبيان لمن لم يسم من القرآن ، وبعض كتاب تجنيد الأجناد في وجهات الجهاد ، وبعض كتاب مستند الاجناد في آلات الجهاد ، وكلها من تأليف والده سوى الجزء الأول ، وتناولت ما لم يكمل لي سماعه عن يده المباركة ، وأخبرني بذلك سماعا عن المؤلف والده المذكور ، وقرأت عليه وسمعت منه غيرها حسبما كتب لي ذلك وأجازني اجازة تامة .

((والثاني)) [1] أعوذه بالمعوذتين والسبع المثاني الشيخ العالم الامام الحافظ مفتي المسلمين (صلاح الدين خليل بن كيكلدي بن عبدالله العلائي الشافعي الدمشقي) [2] نزيل بيت المقدس ، نفع الله به رجل من أكبر كبار المشرق .... لقد حضرت مجالس تدريسه التي هي منتدى الاعلام ، ومنتهى جهد الاسماء الاعلام ... ولقد حل اول شهر رمضان معتكفا بالمسجد الأعظم ، لالتزام الأوراد والاذكار ، والتسبيح والاستغفار ، فما كان يبرز منه الا للا فطار ، وقضاء ما خف من الاوطار ، ولقد شاهدته بطول الشهر المذكور ، وقد اختص به ، واحتل بمنزله من طلبة العلم ومن غيرهم ما ينيف على الاربعين رجلا سوى عائلته ، والجميع من عنده يأكلون واليه ينضمون ويأوون ، فسألت ذلك فقيل لي ذلك دأبه وعادته في رمضان كل سنة على تعاقب الدهور والأزمنة .... سمعت من لفظة ونقلت من خطه أوحفظات فمن ذلك كتاب (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى عليه الصلاة والسلام) للقاضي ابي الفضل عياض ابن موسى بن عياض رحمه الله تعالى ، سمعته جميعه من لفظه بالمسجد الاقصى

---

(١) البلوى : تاج المفرق ج١/٢٥٨ ـ ٢٦١ .

(٢) كان ابن بطوطة قد ذكره عند زيارته لمدينة القدس سنة ٧٤٩هـ ، انظر الرحلة ص ٦٥٣ وقد سبقت ترجمته ، انظر الباب الثاني ص ١٩٤ حاشية ٧ .

الشريف ، وحدثني بسنده المكتتب بخطه في اجازته لي ، وقرأت بلفظه جميع كتاب الشفاء هذا ، وسمعته بلفظ غيري على جماعة كثيرة من أهل الاندلس غرب العدوة ، وأثبتت سند هم فيه في برنامج روايتي ، وسمعت عليه بعض كتاب مسلم بن الحجاج رضى الله عنه ، وجميع الجزء الذى صنفه في تقرير الوحدانية لله تعالى ، يشتمل على تفسير قوله تعالى : " يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق " (١) . وجميع بغية الملتمس في عوالي حديث مالك بن أنس من تخريجه أيضا وهو ستة أجزاء خرجها من كتاب الموطأ ، وسمعت عليه غير ذلك ما هو مثبت بخطه كذلك ، وله شعر رائق ونثر فائق ، أسمعني من ذلك جملة ، وانشدني . ومن خطه نقلت لشيخه الامام العلامة فريد دهره ، ووحيد عصره ، قس الفصاحة ، ملك البلاغة (شهاب الدين بن أبي الثناء محمود بن سلمان الحلبي) (٢) كاتب السلطان بدمشق ، كل فريدة غيداء ، وحديقة غناء ، رائقة النظم والرصف ، فائقة الوسم والوصف مالكه القلب والطرف .

يقود عنان السمع حسن نشيدها فتزرى بالحان الغريض ومعبد

وأنا أول من جلب شعر شهاب الدين هذا فأدخله بلاد المغرب ، وقصيدته اللامية الحافلة التى استوفت كثيرا من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وهى من القصائد العجيبة والقلائد الغريبة أولها :ـ

---

(١) الآية سورة النساء آية (١٧١) .

(٢) هو محمود بن سلمان بن فهد البارع المفتى الاديب البليغ شهاب الدين ابو الثناء محمود الحلبي الدمشقي الحنبلي صاحب ديوان الانشا بدمشق . المعروف بشهاب الدين ولد في شعبان سنة ٦٤٤ هـ . وتوفى بدمشق في شعبان سنة ٧٢٥ هـ راجع ابن العماد / شذرات الذهب ج٦ / ٦٩ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج٤ / ٣٢٤ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ج٢ / ٧٢٤ .

هذا اللقاء وما شفيت غليلا ... كيف احتيالي ان عزمت رحيلا

يا دار من اهوى وحقك لم أجب ... داعي التفرق لو وجدت سبيلا (١)

((والثالث))(٢) اكبرهم سنا ، وأكثرهم بالمعاني الادبية معنى الشيخ الفقيه المحدث الأديب (علاء الدين ابو الحسن علي بن ايوب بن منصور المقدسي الشافعي)(٣) أبقى الله بركته ، شيخ النظم والنثر وامام الحديث في ذلك القطر ..... سمعت عليه بمجلسه من المسجد الاقصى الشريف جميع صحيح الامام ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري رضي الله عنه بعد أن كنت سمعت عليه جميع الثلاثيات المخرجة منه وحدثني به عن الشيخ الامام (تاج الدين ابي محمد عبد الرحمن بن ابراهيم بن سباع الفزاري)(٤) وعن الشيخ الحافظ شرف الدين الحسين علي بن محمد بن احمد اليونيني قراءة منه على كل واحد منهما بجميعه بدمشق المحروسة .... وسمعت على شيخي هذا المسجد الاقصى

---

(١) أورد البلوي العديد من شعره عن شيخه صلاح الدين بن كيكلدي ، انظر تاج المفرق ج١/ ٢٦١ الى ٢٦٥ ، وقد أورد ابن شاكر شيئا من أشعار شهاب الدين أبو الثناء ، انظر فوات الوفيات ج٤ / من ص ٨٢ الى ٩٦ .

(٢) البلوي : تاج المفرق ج١/ ٢٦٥ — ٢٦٦ .

(٣) ولد سنة ٦٦٦هـ تقريبا . برع في الفقه واللغة . سمع الكثير من الحديث بدمشق ودرس بالاسدية وبحلقة صاحب حمص والبادرائية ، ثم ولي تدريس الصلاحية بالقدس ، أقام بها مدة الى أن مرض سنة ٧٤٢هـ . توفي فقيرا في رمضان سنة ٧٤٨هـ راجع ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣/ ٣٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٦/ ١٥٣ .

(٤) العلامة المفتي فقيه الشام ، تاج الدين الفزاري المصري الأصل ، الدمشقي الشافعي ، ولد في ربيع الأول سنة ٦٢٤هـ ، وتوفي سنة ٦٩٠هـ راجع : ابن شاكر : فوات الوفيات ج٢/ ٢٦٣ برقم (٢٤٧) ، ابن كثير: البداية ج ١٣ / ٣٢٥ ، الذهبي : دول الاسلام ج٢/ ١٩٢ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٨/ ٣١ + الدليل الشافي ج١/ ٣٩٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٥/ ٤١٣ .

الشريف جميع أحاديث الرباعيات المروية عن مسلم رضى الله عنه وجميع الجزء الذى فيه التساعيات من شيخه ابن البخارى ، وجميع الجزء الذى فيه ثمانية وثمانون حديثا من مشيخته ايضا وجميع جزء الانصارى وجميع الثمانية عشر حديثا وحديثين عن ثمانية عشر شيخا ، وشيختين لابن الطاهر ، وأسانيد هذه الأجزاء كلها مستوفاه فى برنامج روايتى ، وسمعت عليه بحيث ذكر جميع قصيدته الرائيتين اللتين نظمهما فى فضائل المسجد الاقصى الشريف شرفه الله تعالى ، وأجازنى بالاجازة التامة وكتب لى بخطه ومولده يؤخذ من قوله فيما كتب لى به فى استدعاء وانشدنيها رضى الله عنه :—

اجازهم المسئول فيه بشرطة   على بن ايوب بن منصور بالقدس

ومولدة ما بين ستين حجة   وسبعين بعد الستمائة بالحدس

((ورابعهم))[(١)] فى التعداد ، العديم الاقران والانداد ، الشيخ الفقيه المقرى الصالح (شمس الدين ابو عبد الله محمد بن على محمد بن مثبت الخولانى الأندلسى) أحد العباد الموفقين ، والعباد المتقين يذكرك سيره السلف الصالح ، بعمله الموهوب ، وعقله الراجح ، ما تراه أو تلقاه الا يروعك دينه وتقاه ، ولا تبصر مجلسه أو ممشاه الا وتهابه وتخشاه ، اشتغل بما يعنيه ، واشتمل دهره اما على علم ينجيه ، أو الى عمل يجنيه ، قد عزل عن الناس نفسه وجعل بالله وبكتابه أنسه ، فليس له هم الا فى اقراء القرآن ، وايراده عن اغفاء الاجفان .... رحل عن الأندلس فتى غرا فجرعه البين كأسه مرار .....ورزق المال والاولاد ، فهم الآن بذلك الحرم الشريف من خيار المدرسين ، وكبار الرؤساء لا المرؤوسين ، كثيرا ما كنت أحضر مجالسه العلية

---

(١) البلوى : تاج المفرق جا/٢٦٦ ـ ٢٦٨ .

(٢) فى ابن بطوطة : ابو عبد الله محمد بن مثبت الغرناطى نزيل القدس ، الرحلة ص ٥٩ .

وفوائده العلمية ودوله الفقهية والنحوية ، فأغبط من حضره والتقط الدرر .....
وسمعت من لفظه جميع الأحاديث التى أخرجها الشيخ الامام (فخر الدين ابو الحسن على السعدى المقدسى الحنبلى) وحدثنى بها عن الشيخ شهاب الدين ابن احمد بن جهبل (١) .... وأجازنى اجازة تامة وكتب لى بخطه .

((وخامس الاربعة الكرام)) (٢) ، وحامل لواء البيان بين صناديد مصر وفحول الشام ، الشيخ الفقيه الأديب الأبرع (جمال الدين ابو بكر محمد بن محمد بن الحسن بن ابى الحسين بن صالح بن على بن يحيى بن طاهر بن عبد الرحيم بن نباته) المصنف صاحب الخطبه الشهيرة أبرع خلق الله اذا نظم او كتب ومن جمع الله له الأدب والحسب ..... ورفعت له فى الشعر راية مشى تحتها كثير من الشعراء والكتاب ، تنافست ملوك الشام فى لقائه ، وتهافتت على اصطفائه وارتقائه فخولته مقاصد وقصورا ووهبته ولدانا وحورا ، وأنالته نعيما وملكا كبيرا ، فانضوى اليهم زمانا وتلقى منى أمانا فزهت فى يمينه الاقام ، ونهت وأمرت بين يديه الليالى والأيام.... لقيته بحرم القدس آتاه من دمشق زائرا ، وخرج من بيته مهاجرا ، وقد كان عرف انى فى الطريقة من أنسابه وعلى الحقيقة من المتعلقين بأهدابه ، فحين رآنى اسرع فى القيام ، وبادر الى اللقاء والى السلام ، وخجلت من فعله وعجبت من فضله ، واستنشدنى من شعرى ، فأنشدته لى ولغيرى ، وتحصل بينى وبينه ذمام أكيد ، وعهد بفضل الله حميد ، ثم سألته فى تقييد شئ من شعره فأخرج لى ما أرتضاه منه واختاره في نسخة تغار عليها حبات القلوب اذا تبديها ،.....فأستعرتها منه ، وكتبتها عنه

---

(١) فى ابن بطوطة : شهاب الدين بن جهبل ، وذكره عند حديثه عن علماء مدينة دمشق . سنة ٧٢٦هـ انظر الرحلة ص ٩٤ .
وقد سبقت ترجمته انظر الباب الثانى ص ١٨٢ حاشية ١ .

(٢) البلوى : تاج المفرق ج١/ ٢٦٨ — ٢٧٤ .
في ابن بطوطة : " شهاب الدين ابو بكر محمد بن الشيخ المحدث شمس الدين ابى عبد الرحمن محمد بن نباته القرشى الاموى الفارقى . الرحلة ص ٧٢ .
وقد سبقت ترجمته انظر الباب الثانى ص ١٨٩ حاشية ٤ .

فلما رمق ما كتبته أحب اقتناءه تجديدا للعهد وحفظا للود ، فاستوهبه منى محتشما ، واسعفته فيه فقبله وقبلت ، ضاحكا مبتسما ، ووهبنى اصله وأكمل لدى داوله وفضله ، فأنا أول من جلب ذلك الدر النفيس من بحره ، وتقلد فى جيده ونحره وفاز بشرفه وفخره ، ولما قرأت عليه أخذ القلم بمحضرى وكتب على ظهر الأصل ما نصه : الله الموفق قرأ على الشيخ الامام العالم الكامل الفريد أبو البقاء خالد البلوى الأندلسى ، شكر الله بره المغدق وأصله المعرق وحرس شخصه ..... قال ذلك وكتبه محمد بن الخطيب بن نباته العبشمى المصرى ثم الشافعى وذلك فى شوال سنة ٧٣٧هـ بحرمة القدس الشريف ، وهذا الذى أثبته من نثره يدلك على جلالة قدره وحفاوة بره ، وها أنا أثبت من نظمه ، يسمعك عجبا ويريك الفاظه يأقوتا ولجينا وذهبا :

من كل بيت لو تدفق طبعه ماء لغص به الفضاء مسيلا

وكل قصيدة للعقول مقصود ، ومقطوعه ، وعلى الحسن مطبوعة ، فمن ذلك قوله يمدح السلطان المؤيد صاحب حماه (١) رحمه الله تعالى من قصيدته العينية :—

سرى طيفها حيث العواذل هجع فنم علينا نشره المتضرع

وبات يعاطينى الاحاديث فى دجى كأن الثريا فيه كأس مرصع

---

(١) هو عماد الدين اسماعيل بن على بن الايوبى صاحب حماه . ولد سنة ٦٧٢هـ وقد أقدم على خدمة الملك الناصر محمد بن قلاوون عند ما كان بالكرك ، فأعطاه حماه وجعله سلطانا يفعل ما يشاء من اقطاع وغيره . كما حظى بمنزلة رفيعة لدى نائب الشام سيف الدين تنكز ، كان عارفا بالفقه والطب والفلسفة ، ويحب أهل العلم ويقربهم اليه ، من مؤلفاته كتاب تقويم البلدان ط ، المختصر ط ، توفى فى سن الكهوله بحماه سنة ٧٣٢هـ .

راجع : ابن شاكر : فوات الوفيات جـ١ / ١٨٣ ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ١ / ٣٧١ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦ / ٩٨ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ٢ / ٤٢٢ .

(١) أجيراننا حيا الربيع د ياركم	وان لم يكن فيها لطرفى مربع
شكوت الى سفح النقا طول نأيكم	(٢) وسفح النقا بالبين مثل مروع
ولابد من شكوى الى ذى مروءة	يواسيك أو يسليك أو يتوجع
فديت حبيبا قد خلا عنه ناظرى	ولم يخل منه فى فؤادى موضع
مقيم بأكناف الغضا ومى مهجه	(٣) والا بوادى المنحنا وهى أضلع
أطال حجاز الصد بينى وبينه	(٤) فمقلته حور ود معى ينبع
(٥) لئن عارضت من دون زورته الفلا	فيارب روض ضمنا فيه مجمع
(٦) محل ترى فيه جوامع نزهة	به تخطب الأطيار والقضب تركع
قرأنا به نحو الهنا فملابس	تجر وأيد بالمدامه ترفع
وقد امنتنا دولة شادويه	(٧) فما نختشى اللاوى ولا نتخشع

(٨)
وقال يمدح من قصيدة :ـ

(٩) ملى الحسن حالى المرشفين	متى يقضى وعود الوصل دينى
أبيك ان عادلى المعنى	رآك بعين حب مثل عينى

---

(١) أجيراننا حى الربيع ديارکم . ديوان ابن نباته ص : ٢٩٥

(٢) وسفح النقا بالنأى . الديوان ص : ٢٩٥

(٣) والا بوادى المنحنى . الديوان ص : ٢٩٥

(٤) فمقلته الحورا . الديوان ص : ٢٩٥

(٥) لئن عارضته من دون رؤيته . الديوان ص : ٢٩٥

(٦) محل ترى فيه جوامع لذه . الديوان ص : ٢٩٥

(٧) فما نختشى الـلأوا . الديوان ص : ٢٩٥

(٨) القصيدة فى مدح الملك الافضل بن المؤيد ، كان يلقب بالمنصور . ديوان ابن نباته ص ٤٨٩ وسوف تأتى ترجمته فى حينها .

(٩) ملى الحسن حالى الوجنتين . الديوان ص ٤٨٩ .

فحاكى قلبه قلبى خفوقـــا   وحكمك الهوى فى الخافقـــين

لمثل هواك تجنح كل نفـس   وتسفح كل ناظـرة بعـــين

صددت فما الأسى عندى بقـل   ولا دمعى بدون القلـــتين

بروحى عاطر الأنفس ألمـى   رشيق القد ساجـى المقلـتين (١)

يهز مثقفا مـــن معطفيـه   وفـى جفنيـه يجـذب مرهفين

له خـالان فى دينـار خـد   تبـاع لـه القلـوب بحبتـين

وحول نقـا سـوالفه عـذار   كما شعرت نقـوش فـى لجـين

أظـل ا ا نظـرت لوجنتيه   أنـزه فى النقـا والرقمـتين

فيا لله من غصـن فريـد   وفى خديـه كلتا الجنتـين

أما وحبـاب مبسمه المفدى   علـى معسـول كأس المرشفين

لقد عذبـت مـوارده ولكـن   ندى المنصور أحلـى الموردين

وقال أيضا (٢) :ـ

وأغيـد تعرف من جفـنه (٣)   علامـه التأنيـث بالكسـره (٤)

---

(١) هنا ثلاثة أبيات ناقصة قبل هذا البيت انظر الديوان ص ٤٨٩ :ـ

ولا جلد على انكار دهر   وفى قلبى الوحيد بفرقتين

مضى المحبوب ثم مضى شبابى   وأى العيش يصلح بعد ذين

هما هجرا على رغمى فـأرخ   حديث تلهفـى بالهجرتين

(٢) هذه الأبيات من قصيدة فى مدح الملك المؤيد اسماعيل من ضمن عدة قصائد فى مدحه . مطلعها :

مبلبل الاصداغ والطـره   ومرسل النحط على فـتره ــ انظـر الديوان ص ١٨٨ .

(٣) مهفهف تعرف من جفنه . الديوان ص ١٨٨ .

(٤) هذا البيت يكون فى الترتيب بعد البيتين السابقة لهما بالاضافة الى بيت ثالث والأبيات هنا غير مرتبة . انظر الديوان ص ١٨٨ .

أرخى على أعطافه شعره ... قد جذبتنى فيه للحسرة
(١)
فأعجب لمن جار عليه الضنى ... حتى غدت تجذبه شعره .

وقال يطلب الاذن :ـ

ما يقوم المقام أيده الله ... ولا زال للسعود يحوز
(٢)
فى ولى ببابه تركب الخلق ... ووافى يجوز أم لا يجوز

(٣)
وقال من مقطعاته :ـ

أهواه لدن القوام منعطفا ... يسل من مقلتيه سيفين

وهبت قلبى له فقل عسى ... نومك أيضا فقلت من عينى .

(٤)
وقال :ـ

لله خال على خد الحبيب له ... فى العاشقين كما شاء الهوى عبث

أورثته حبة القلب القتيل له ... وكان عهدى أن الخال لا يرث

(٥)
وقال أيضا :ـ

بقلت وجنة المليح وقد ولى ... زمان الصبا الذى كنت أملك

يا عذار المليح دعنى فانى ... لست فى ذا الزمان من خل بقلك

---

(١) حتى غدا تجذبه شعره . الديوان ص ١٨٨ .

(٢) فى ولى ببابه ترك الخلق . انظر ديوان ابن نباته ص ٢٦١ .

(٣) انظر ديوان ابن نباته ص ٥٣٣ .

(٤) انظر الديوان ص٨٥ .

(٥) لم أعثر على هذه الابيات فى الديوان .

وقال أيضا :—

رأيت فـــى جلـق غزالا ‌‌ تحار فى حسنه العيـــون

فقلت ما الاسم قال موسى ‌‌ قلت بذا تحلق الذقـــون (١)

وقال من مقطعاته (٢) :—

أهواه معســول الرضاب منعما ‌‌ ولكم يعذبنى الهوى بمنعـــــم

يا قلب هــذا شعره وجفــونه ‌‌ صبرا على هذا السواد الأعظـم

وقال :—

لا ينكر الكاسر اجفــــــانه (٣) ‌‌ د م الشهيد الصـابر المغـــرم

فالريح ، ريح المسك فى خده (٤) ‌‌ كما ترى ، واللونّ لــــون الدّم

وقال :—

علقتها غيداء حالية الطـــــلا ‌‌ تجنى على عقل المحب وقلبــــه (٥)

بخلت بلؤ لؤ ثغرها عن لاثم ‌‌ فغدت مطوقة بما بخلــت بــــه (٦)

وقال :—

بروحى معســول المراشف أغيد ‌‌ كثير التجنــى ما أغر وما أغــــرا (٧)

---

(١) قلت هنا تحلق الذقون . انظر الديوان ص ٥٣٣ .

(٢) انظر ديوان ابن نباته ص : ٤٧٩ .

(٣) لا تنكر المعشوق فى خده . انظر الديوان ص ٤٧٩ .

(٤) فالريح ريح المسك من خده . انظر الديوان ص ٤٧٩ .

(٥) تجنى على عقل المحب ولبه . انظر ديوان ابن نباته ص ٦٤ .

(٦) فتطوقت بمثال ما بخلت به . انظر الديوان ص ٦٤ .

(٧) بروحى فتان اللواحظ أغيد ‌‌ شديد التجنى ما أضر وما أضر . انظر ديوان ابن نباته ص ٢١٦ .

تثنى قضيبا فاح مسكا رنا طلا | سطا أسدا غنى حماما بدا بدرا (١)

وقال :ـ

وأغيد جارت فى القلوب لحاظه (٢) | وأسهرت الأجفان أجفانه الوسنى

أجل نظرا فى حاجبيه ولحظة | تر السحر منه قاب قوسين أو أدنى

وقال :ـ

وضعت سلاح الصبر عنه فمالة | يقابل بالالحاظ من لا يقابلـــــه (٣)

وسأل عذار فوق خديه جائـــر (٤) | على مهجتى فليتق الله ســـــائله

وحين ودعته تأسف للفراق وأعقب بارسال دمعة المهراق وأنشدنى وهو مما يجب أن يكتب على الأحداق لا على الأوراق :ـ

فقال لى :ـ

أودّعكم وأودعكم لقلـــــــبى | وعون الله حسبكم وحســــــبى .

فقلت مرتجلا :ـ

وأرعى حبكم ما دمت حيـــــا | وأرجو فضـــلكم رعيـــا لحـــبى .

---

(١) هنا بيت ناقص قبل هذا البيت :ـ

من الغيد يحمى لحظ عينيه ثغرة | ولم أر سيفا وحده قد حمى ثغرا .

انظر ديوان ابن نباته ص ٢١٦

(٢) واغيد جارت فى القلوب فعالــه | انظر الديوان ص ٥٣٤ .

(٣) يقابل بالالحاظ من لا يقاتلـــــه | انظر الديوان ص ٤٢٣ .

(٤) وسار عذار حول خديه جائــــــر | انظر الديوان ص ٤٢٣ .

٣ — وصف البلوى لمدن فلسطين :—

أ : مدينة غزة :—

يقول عنها البلوى : " قد خلناها ضحوة يوم الثلاثاء السابع لشعبان المكرم من العام المذكور (٧٣٧هـ) وقد :—(١)

تبسم ثغر الزهر عن شنب القطر — ودب عذار الظل فى صفحة النهر

فزينة الأرض مشهورة ، وحلة الروض منشورة ، والبسيطة مدت بساطا مغوفا ، وأهدت من مطارف وشيها وزخارف نورها الطافا وتحفا :—

فالجو رقراق الشعاع مفــرق — والماء فياض الآتـى معسجد

والأرض فى حلى الربيع كأنمـا — قطف الغمائم لؤلؤ وزبرجـد

فأرحنا فيها تعب الابدان ، وسرحنا منها فى بلد من أحسن تلك البلدان ، بلد حسنه يفقّه من كان بليدا ، حتى يعود — لبيدأ(٢) ، فسيحة الساحة ، مستطيلة المساحة نزهة لعين مبصرها من النظامة والملاحة ، ما شئت من منظر عجيب ، وجانب رحيب ، وبسيط خصيب ، وساحل قريب ، ومكان مؤنس لكل غريب ، يزهر بالحسن المحض ، والنور الغض ، وناهيك بالشام ، مشامه الأرض كما قال عرقلة الدمشقى(٣)

هذا هو الزمن الربيع المونــق — والعيشة الرغد التى هى تعشـق

فعلام تصحو والحمام كأنهـا — سكرى تغنى تارة وتصــفق

وتلوم فى حب الديار جهـالة — هيهات يسلوها فؤاد شـيق

---

(١) البلوى : تاج المفرق جـ١/٢٣٨ — ٢٤٠ .

(٢) فى ابن بطوطة : "متسعة الأقطار" الرحلة ص ٥٤ .

(٣) سبقت ترجمته انظر الباب الثانى ص ٢٢٨ حاشية ١ .

وردت فى ابن شداد : الاعلاق الخطيرة : جـ٢/٣٤٩ .

والشام شـامة وجنة الدنيا كمـا　　انسان مقلتها الغضيضة جلق(١)

من آســها لك جنـة لا تنقضى　　ومن الشقيق جهنم لا تحـرق

سيما وقد رقم الربيـع ربوعهـــا　　وشـيا به حـدق البرايا تحدق

فى روضة ضحكت ثغور أقاحهـــا　　لما بكاهـا العارض المتدفـق

فبتنا ببعض بساتينها وهناك جريان الأنهار ، وحفيف الأشجار ، وتغريد الأطيـــار (٢) .... وأقمنا حتى بدا النور ، وتكلم العصفور ، وسرنا تحت السرى ، ونعاصى الكرا ، حتى ذهب الظلام ، وأشرفنا على مدينة الخليل عليه السلام ، وأشرقت لنا تلك الربـا والأعلام .

مدينة الخليـــل :ـــ

يقول عنها البلوى : " فدخلناها فى ضحوة يوم الخميس التاسع لشعبان المذكور (٣) سنة ٧٣٧هـ لحللت منها قصرا عظيم البركة ظاهر الرحمة ، لأئح الانوار ، كريـــــم المئاثر ، والآثار ، ينبى عن الشام بطـيب أبنائها ، وحسن آلائها ، ورقة هوائهـــا ، وبهجة بهائها ، وجدا جداولها ، وجنا جنا ذلها ، وتضوع أريج آسحارها ، وتغـــوح بهيج أزهارها ، ورياضها ، ورونق جواهرها وأعراضها ، وغرة أرضها ، وصحة هوائها ، وقلة أمراضها :ــــ

بلاد بهـا الحصـــباء درو تربـها　　عبير وأنفاس الرياض شـــمول

---

(١) هذا البيت والذى بعده ، وردا فى رحلة ابن بطوطة • ضمن تعليقات واضافـات ابن جزى عن مدينة دمشق • انظر الباب الثانى ص ٢٢٨ •

(٢) تركز وصف ابن بطوطة لمدينة غزه على الأسواق والعمارة ، والمساجد • ومـــن التى أشار اليها مسجد الأمير الجاولى • انظر رحلة ابن بطوطة ص ٥٤ •بينما تركز وصف البلوى على جمال الطبيعة والنظافة •

(٣) البلـوى : تاج المفرق جـ١/ ٢٤٠ ــ ٢٤١ •

تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق   وصح نسيم الروض وهو عليـــل

وقدمت والزمان فى عنفوانه ، والربيع فى ريعانه ، والروض فى حسنه واحسانه ، والزهـر فى زهره وزهوه والطير فى شوقه وشدوه ، والدوح بالورق بين أوراق فى جدوه ، والنور قد شب وشاب ، والهزار قد لب ولاب ، والعندليب قد طرب وغنى ، والحبيب قـد ظرف وتجنى ، .... وللحديث شجون ولجبهة الغدير من حركة النسيم غضون ، ولهزه السارى أعطاف يقال لها غصون (١) :

والمـــاء تحت الغصن مطـــرد   والغصن فوق الماء منعكـــس

وعندما عاد البلوى الى أرض فلسطين للمرة الثانية بعد ادائه لفريضة الحج سنة ٧٣٧هـ ، زار مدينة الخليل (٢) ، فقال : " وما زلنا نسير فيشتد حر الشمس ، ويشبه اليوم الأمس ، الى أن وصلنا الى مدينة الخليل عليه السلام فدخلناها عند العصر من يوم الخميس الثالـــث والعشرين لشهر الله المحرم المذكور " ٧٣٨ " فاستراحت الأبدان ، وتلاقى الاخـوان ، وتفرق الركب ، وتألف الصحب ، واجتمع كل بخليله ونسيبه ، وأخذ من سماط أبيه الخليـل عليه السلام بسهمه ونصيبه ، فقضينا ما تعين من الزيارة ووجب من السلام ولقيت ما أمـكن من أولئك الفضلاء الاعلام (٣) .

مدينة القـدس :ـ

يقول عنها البلوى (٤) : " هى بلدة الافق المنير ونجمه ، والنجم الذى لا تمتطى صهواته

---

(١) نلاحظ ان البلوى فى وصفه للمدن كان يكثر من السجع والتطويل فيه مما يؤدى الـى الاخلال بالمعنى ، بعكس ابن بطوطة . انظر رحلة ابن بطوطة ص ٥٥ .

(٢) البلوى : تاج المفرق جـ٢/١٣ ـ ١٤

(٣) لم يشر البلوى الى أحد منهم .

(٤) البلوى : تاج المفرق جـ١/٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

، وصلناها والليل فى سن الاكتهال (ليلة الاثنين الثالث عشر من شعبان سنة ٧٣٧) وأيدينا ممتدة بالشكر لله تعالى والابتهال ، فوافينا مدينة واسعة الرقعة [١] ، طيبة البقعة ، سامية الارتفاع ، مشرفة البقاع مباركة الاغوار والقلاع ، عذبة المراد ، منمنمة الابراد ، ممرعة الجنبات ، متنوعة النبات ، ممدودة الظلال ، مودودة الخلال ، مأمولة السعادة ، مسعودة الآمال ، ضخمة البناء ، واسعة الفناء تشهد لسكانها بالثراء والسناء ، قد أخذت من كل المحاسن نصيبا ، وفوقت الى هدف الفضائل سهما مصيبا ، وملئت ظرفا وأدبا وأوتيت من كل شىء سببا :ـ

محل كأن الشمس تخجل كلما نضت ثوبها عن معطفيه مغيبا

تنم رياح الخلد منه لأهله ويطمح تنسيم ويرشح طيبا .

ظل ظليل وماء سلسبيل ، تنساب مدانيه انسياب الأراقم بكل سبيل ، ورياضات تحيى النفوس بنسيمها العليل ، تتبرج لناظرها بمجتلى صقيل ، وتناديهم هلموا الى معرس للحسن ومقيل ، فنزلنا منها منزلا بديعا قد عذب ماؤه ، وراق روضه ، ورق صفاؤه وهواؤه ، وتفسحت ساحاته ، وتأرجت أرجاؤه :

وكم مبسم للاقحوانة حوله مؤلفه ريق من الطل أشنب

ولمة حقف لم يرمها مخيل من الريح يسرى أو من السرب يلعب

يقر بعينى أن تفىء ظلاله وأن يتثنى دوحه المتأشب

وان كان لا يمضى النسيم بغصنه اذا اجتاز الا خائفا يترقب

وصفه لمدينة الرمله وعسقلان :ـ
كانت زيارة البلوى لمدينة الرملة وعسقلان بعد عودته للمرة الثانية الى فلسطين فى شهر صفر من سنة ٧٣٨هـ ، حيث يقول [٢] :" وكان

---

(١) فى ابن بطوطة : " والبلدة كبيرة منيفة بالصخر المنحوت " الرحلة ص ٥٧ .
(٢) البلوى : تاج المفرق جـ٢/١٥ ـ ١٧ .

خروجنا من القدس الشريف فى عشى يوم الجمعة أول يوم فى صفر من العام المذكور • وسرنا والعيشة تجود لزمامها ، وذكاء تتشحط بدمائها ، والفلا تذوب من كدنـها خجلا ، والنجم يرعد من سرانا وجلا • الى أن وصلنا الى مدينة الرملة فى عشى يوم السبت من غد اليوم المذكور ، والأصيل قد قضى ، ودين اليوم قد انقضى :—

والشمس تنثر زعفرانا فى الربـى　　وتفت مسكتها على الغيطان

فنزلنا بها بمدينة غضة المنظر ، حسنة المخبر ، ممتعة بالروض الناعم ، والنسيم الأعطر ، أحسن المدائن أزقة وأسواقا ، وأكثرها فواكه وأرزاقا ، وأملحها بياضا واشراقا ، وأبدعها اتصالا بالبساتين والتصاقا ، قريبة من البحر ، بعيدة من الغور ، كثيرة المساجد والخير، معتدلة الهواء (١) ، سامية البناء ، واسعة الفناء ، ساكنة المساكن ، مكينة الأماكن ، لائحة المباهج ، واضحة المناهج ، رائقة المنارة ، رائعة المنازل ، مرنة الرباب ، معشبة الشعاب ، هامرة السحاب ، عاملة الجناب ، سافرة المطالع ، وافرة الصنائع ، سابغة المدارع ، سائغة المشارع ، صافية الزلال ، ضافية الظلال ، سارة الأسارير ، زاهرة الأزاهير ، معقودة الحبا ، معهودة الربا ، جليلة العلا ، جميلة الحلا ، جائشة الجيوش ، معرشة العروش ، فيها جنات من نخيل وأعناب ، طوبى لمبصرها وحسن مآب •••• وخرجنا منها (الرملة) عشية يوم الأحد الثالث من صفر المذكور ، وسرنا والشمس قد صفرت ابرادها وردنا فى العين الحمئة ايرادها ، وبتنا نركب ظهر السرى ونقطع بالذيل عمر الكرى •••• وأصبحنا على عسقلان فى صبيحة الاثنين من غد اليوم المذكور ، وهى مدينة كبيرة ، مفروشة بالرخام ، عجيبة ، وكانت

---

(١) فى ابن بطوطة : " مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ، حسنة الاسواق " • الرحلة ص ٦٠ ، وقد كان وصف البلوى للرملة أعم وأشمل من وصف ابن بطوطة من حيث موقعها واعتدال هوائها وجمال أسواقها وأزقتها ومنازلها وبساتينها • كما أن وصفه للرملة كان أكثر شمولا ووضوحا عن غيرها من مدن فلسطين •

دار ابراهيم عليه السلام ، وفيها آثار النمرود (١) من كنعان ، فسرحنا بمسرح آمال ، جنتان عن يمين وشمال ، روضات قد أينعت فيها الأزهار ، وانبعثت الاعين وعنت الأطيار ، فحللناها بلدا أقفر وخرب (٢) ، وأكل الدهر على محاسنها وشرب ، وترك ساحته كدارميه بالعلياء ، وغادره منقض الفناء ، متقلص الأفياء ، فأطلت الركوع والسجود في ذلك المسجد (٣) الحافل وظللت أتبرك بما تضمنه من الآثار الجلائل ، وجعلت أجول معتبرا بين تلك المنازل واتمثل بقول القائل :—

ما للمنازل لا تجبن حزينا ... أصممن أم بعد المدى فبلينا

رمن تقادم عهد هن على البلا ... فلبثن من بعد الشهور سنينا

من مدينة مأثورة الفضل قليلة النظير في الحسن عديمة المثل لم يبق منها الارسومها الواهية واطلالها العالية البالية ، وأزقتها الخاوية الخالية (٤) ..... الخ .

---

(١) كان النمرود ملك بابل بالعراق . ابن كثير : قصص الأنبياء ص ١٦٧ .

(٢) في ابن بطوطة : " وثغر عسقلان وهو خراب قد عاد رسوما طامسة واطلالا دارسة " . الرحلة ص ٥٩ .

(٣) في ابن بطوطة : " وبها المشهد الشهير ، حيث كان رأس الحسين بن علي ، عليه السلام ، قبل أن ينقل الى القاهرة ، وهو مسجد عظيم سامي العلو فيه جب ماء ، أمر ببنائه بعض العبيد . وفي قبله هذا المزار مسجد كبير . يعرف بمسجد عمر لم يبق الا حيطانه ، وفيه أساطين رخام لا مثيل لها في الحسن وهي ما بين قائم وحصيد " . الرحلة ص ٦٠ .

(٤) لقد ذكر البلوي كلاما مطولا عن عسقلان رأيت عدم نقله لأنه لا يمت لموضوع البحث بشيء . انظر تاج المفرق ج٢ ص ١٧ — ١٨ .

ثانيا : دراسة نقدية مقارنة بين ما كتبه البلوى وما كتبه ابن بطوطة عن بلاد الشام :ـ

وتشتمل هذه الدراسة على النقاط التالية :ـ

١ ـ كانت رحلة كل من البلوى وابن بطوطة الى بلاد الشام فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى ، وفى الفترة الثالثة من حكم الملك الناصر محمد بن قلاوون سلطان مصر (٧٠٩ ـ ٧٤١ هـ) . وقد اتفق البلوى مع ابن بطوطة فى الثناء على هذا السلطان ، والاشادة بالامن والاستقرار الذى ساد بلاده . وقد تطرق ابن بطوطة لذكره عدة مرات منها عند دخوله مدينة القاهرة سنة ٧٢٦هـ (١) ، وعند مروره بحصن الكرك بعد زيارته الأولى لأرض الشام سنة ٧٢٦هـ فى طريقه الى الحج (٢) . كما تعرض لذكره عند مروره بحصون الفداوية بأرض الشام (٣) ، وكذلك فى بلاد الحجاز (٤) . وكان معظم ما ذكره عنه يتعلق بالأحوال السياسية فى عهد هذا الملك ، وهذه الأحوال منها ما كان ابن بطوطة معاصرا لها ، ومنها ما كان حدث قبل مجيئه من بلاده . ويعود سبب ذلك لطول الفترة الزمنية التى مكثها ابن بطوطة متجولا بأرض مصر والشام والحجاز والعراق فى الفترة من (٧٢٦ ـ ٧٣٢هـ) . أما البلوى (٥) فقد تطرق لذكره عند دخوله مدينة القاهرة فى ١٣ رجب سنة ٧٣٧هـ حيث قال (٦) : " وخلد فيها العز والتمكين للسلطان الناصر الدنيا والدين أبى

(١) رحلة ابن بطوطة ص ٤٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١١١ .

(٣) المصدر السابق ص ٧٦ ـ ٧٧ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٨٠ .

(٥) البلوى : تاج المفرق جا/٢١٥ .

(٦) المصدر السابق : جا/٢١٦ ـ ٢١٧ .

المعالى محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى قسيم الملك أمير المؤمنين ابى الربيع سليمان بن الخلفاء العباسيين (١) فاستمرت سلطنتــه الآن مدة من خمسين سنة فجاءت الدنيا فى أيامه غضة ، وزهرة الأيام بهجة ، لما منح الله على يديه من الأمن والسكون والدعة وظلال المسرة والهدنــــة فانسحب ذيل العز ، وانضرب رواق الأمن ، وأنسدل ستر العافية على المــلأ والكافة والأقطار النازحة والغريبة وخصوصا على هذه المدينة (القاهـــرة) .

٢ ــ ان الرحالة البلوى زار بلاد الشام مرتين الأولى كانت سنة ٧٣٧هـ ، من الفترة من السابع من شهر شعبان الى الثانى عشر من شوال ، والثانية كانت ســنة ٧٣٨هـ بعد ادائه لفريضة الحج فى الفترة من الثالث والعشرين من محــرم الى الخامس من شهر صفر من نفس العام .

أما ابن بطوطة فانه سبق البلوى الى زيارته الى بلاد الشام فزارها ثلاثة مرات ، الأولى كانت سنة ٧٢٦هـ أى قبل رحلة البلوى الأولى بحوالى احــدى عشر عاما . والثانية سنة ٧٣٣هـ ، والثالثة سنة ٧٤٨ ــ ٧٤٩هـ أى بعد رحلة البلوى الثانية لها بحوالى عشر سنوات وثمانية شهور .

٣ ــ ان رحلة البلوى الى بلاد الشام كانت قاصرة على فلسطين فقط . ففى زيارتـــه

---

(١) امير المؤمنين المستكفى بالله ابو الربيع سليمان بن احمد بن الحسن بن ابــى بكر الهاشمى العباسى البغدادى الأصل ، المصرى المولد . ولد سنة ٦٨٣ هـ وتوفى بقوص فى شعبان سنة ٧٤٠هـ بعد أن خلع من الملك الناصــــــر . انظر ، ابن حجـــــر : الــــدرر الكامنـــــة جـ٢/١٤١ ، ابــن تغرى بـــردى : النجـــوم الزاهـــــرة جـ٩/٣٢٢ ، الدليـــــل الشـــافى جـ١/٣١٦ ، ابن كثـــير : الــبداية والنهايــــــة : جـ١٤/١٨٧ .

الأولى سنة ٧٢٧هـ قدم اليها من مصر فزار كل من الخليل والقدس وغزه • وفى الثانية سنة ٧٣٨هـ قدم اليها من مكة بعد أن أدى فريضة الحج فزار كل من الخليل والقدس والرملة وعسقلان ثم غزه ومنها الى مصر عائدا الى بلاده •

أما رحلة ابن بطوطة الى بلاد الشام فانها لم تقتصر على فلسطين بل شملت معظم أراضى الشام وخاصة مدينتى دمشق وحلب وبالذات فى رحلته الأولى سنة ٧٢٦هـ• أما رحلته الثانية سنة ٧٣٣هـ فكانت مرورا فقط لمتابعة رحلته الى آسيا الصغرى ، حيث مر على غزه والخليل والقدس والرملة وعكا • اما الثالثة سنة ٧٤٨هـ ، فانه ظل بمدينة دمشق الى سنة ٧٤٩ هـ ، زار خلالها كلا من دمشق وحلب وحمص وحماه وبيت المقدس وغزه • وبعد أدائه لفريضة الحج سنة ٧٤٩هـ ، اتجه الى القدس والخليل وغزه ومنها الى القاهرة عائدا الى بلاده •

٤ — ان خط سير رحلة البلوى فى بلاد الشام أكثر وضوحا من خط سير رحلة ابن بطوطة ، وذلك بفضل التواريخ الدقيقة التى كان يوردها البلوى عند وصوله الى كل مدينة كان يزورها فى فلسطين ، ويعود سبب ذلك الى أن البلوى سجل رحلته أثناء سفره •

أما خط سير رحلة ابن بطوطة فانه يشوبه نوع من الاختلاط ويرجع سبب ذلك الى أن ابن بطوطة لم يدون رحلته ، انما أملاها من ذاكرته مما عرّضه لكثير من الأخطاء نتيجة النسيان •

٥ — تركز اهتمام ابن بطوطة بوصف بلاد الشام على مدينة دمشق فقد أفرد لها جزءا كبيرا من حديثه ، وذلك عن طريق وصف الجامع الأموى بها ، وذكر مدارسها

وعلمائها ، ونظام الأوقاف بها ، وعادات أهلها وتقاليدهم .

أما اهتمام البلوى فقد تركز بوصف مدينة القدس ووصف المسجد الأقصى وقبة الصخرة والعلماء بها . ويعود ذلك لطول الفترة الزمنية التى أقامها كل منهما فى هاتين المدينتين والتى مكنتهما من الاتصال بالعلماء والاستفادة منهم .

٦ ـ على الرغم من اشتراك البلوى وابن بطوطة فى وصف كل من المسجد الأقصى ومسجد الخليل والجامع الأبيض بالرملة ، الا أن البلوى كان يتفوق على ابن بطوطة فى دقة الملاحظة والوصف بذكره النصوص التاريخية التى كانت مكتوبة على هذه المساجد التى تشير الى أسماء مشيديها ، وتاريخ انشائها ، كقبة الصخرة (١) والجامع الأبيض بالرملة (٢) الا أن البلوى أغفل ذكر المساجد فى غزه (٣) . بينما ابن بطوطة أشار الى المساجد بغزة حيث قال : " بها المساجد العديدة (٤) والأسوار عليها ، وكان بها جامع حسن ، والمسجد الذى تقام الآن به الجمعة فيها بناء الأمير المعظم الجاولى ، وهو أنيق البناء محكم الصنعة ، ومنبره من الرخام الأبيض " .

٧ ـ اشترك ابن بطوطة والبلوى فى ذكر أسماء بعض علماء بلاد الشام وشعرائه وذلك بسبب تقارب الفترة الزمنية بين رحلتيهما وهم :ـ

أ : القاضى : علم الدين سليمان بن سالم الغزى الشافعى ، ذكره كل منهما

---

(١) انظر البلوى : تاج المفرق جـ١/٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ .

(٢) انظر البلوى : المصدر السابق جـ٢/١٦ .

(٣) انظر البلوى : المصدر السابق جـ١/٢٣٨ .

(٤) رحلة ابن بطوطة : ص ٥٤ .

ضمن علماء فلسطين (١) .

ب : العالم : شمس الدين محمد بن سالم الغزي الشافعي ، ذكره كل منهما عند حديثه عن علماء القدس (٢) .

جـ : العالم : صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي الشافعي ، ذكره كل منهما عند حديثه عن علماء القدس . فقد ذكره البلوي عند حديثه عن العلماء الخمسة (٣) . أما ابن بطوطة فذكره عند مروره بمدينة القدس سنة ٧٤٩هـ (٤) .

د : العالم : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن مثبت الغرناطي الأندلسي ، ذكره كل منهما عند حديثه عن علماء القدس (٥) .

هـ : الشاعر : ابن نباته ، ذكره ابن بطوطة في مدينة حلب عند ذكره القاضي كمال الدين بن الزملكاني (٦) . ذكره البلوي عند حديثه عن العلماء الخمسة الذين التقى بهم في مدينة القدس (٧) .

---

(١) انظر رحلة ابن بطوطه ص ٥٤ ، البلوي : تاج المفرق ط / ٢٥٥ .

(٢) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٥٥ ، البلوي : المصدر السابق جـ١ / ٢٥٥ .

(٣) البلوي : المصدر السابق جـ١ / ٢٥٨ .

(٤) رحلة ابن بطوطة : ص ٦٥٣ .

(٥) رحلة ابن بطوطة : ص ٥٩ ، البلوي : المصدر السابق جـ١ / ٢٦٦ .

(٦) رحلة ابن بطوطة : ص ٧٢ .

(٧) البلوي : المصدر السابق جـ١ / ٢٦٨ .

الباب الرابع

دراسة نقدية مقارنة بين مشاهدات ابن بطوطة في بلاد الشام وما ذكرته عنها المصادر التاريخية في القرن الثامن الهجري

أولاً : ما كتبه المؤرخون المسلمون عن بلاد الشام في القرن الثامن الهجري عن الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ثانياً : دراسة نقدية مقارنة بين ما كتبه المؤرخون وما كتبه ابن بطوطة .

* الباب الرابـــــع *

دراسة نقدية مقارنة بين مشاهدات ابن بطوطة فى بلاد الشام وماذكرته عنها المصادر التاريخية في القرن الثامن الهجرى

أولا : ـ ماكتبه المؤرخون المسلمون عن بلاد الشام في القرن الثامن الهجرى عــن الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية أبان مرحلة ابن بطوطة .

أ ـ الأحوال السياسيـــة :ـ

١) التقسيم الادارى لبلاد الشام أوائل القرن الثامن الهجرى : ـ

كانت بلاد الشام وقتئذاك مقسمة اداريا الى ستة أقسام تسمي نيابـــات تخضع جميعها للحكومة المركزية في القاهرة ، وهذه النيابات هي نيابة دمشــق ونيابة حلب ونيابة طرابلس ونيابة حماه ونيابة صفـد (١) ونيابة الكرك . ويبــدو أن هذا التقسيم في حد ذاته كان ضروريا لأنه يتفق مع طبيعة بلاد الشــام الجغرافية.حتى أن معظم تلك النيابات كانت في حقيقة امرها اقساما اداريــة واضحة في العصور السابقة (٢) . وقد مر التقسيم الادارى لبلاد الشام فـي عصر دولة المماليك بمراحل (٣) ، حيث لم تنشأ هذه النيابات الستة دفعـــة واحدة ، لأن طبيعة انتشار النفوذ المملوكي على بلاد الشام اتصفت بالتدرج (٤) فبعد هزيمة التتار في عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م مباشرة انشــأت نيابتي دمشق وحلب في عهد الظاهر بيبرس البندقدارى (٥) .

---

(١) صفد : وقيل (صفت) والمشهور على السنة الناس أن مكان التاء دال مهملـه ، بلده متوسطه بين الكبر والصغر على بحيرة طبرية (ابوالغداء : تقويم البلدان ص٢٤٢)

(٢) سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ص ٣٠٤ .

(٣) قسم السيد عبدالعزيز سالم هذا التقسيم الادارى بثلاثة مراحل انظر طرابلــس الشام في التاريخ الاسلامي ص ٣٠٠ .

(٤) سعيد عاشور : المرجع السابق ص ٣٠٥ .

(٥) سعيد عاشور : المرجع السابق ص ٣٠٥ ، عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ص ٣٠٠

وفي عهد الظاهر بيبرس هذا انشئت نيابة صفد بعد أن تم فتحهـــا في شوال سنة ٦٦٤هـ (١) ، وفي عهده ايضا انشئت نيابة الكرك سنة ٦٧١هـ (٢)

أما نيابة طرابلس فقد تم فتحها في عهد السلطان المنصور قلاوون (٣) سنـــة ٦٨٨هـ بعد أن مضي عليها في يد الافرنج ١٨٥ سنه (٤) . ومنذ فتحها جعلت نيابه

أما حماه فلم تصبح نيابة الا سنة ٧٤٢ هـ أى بعد وفاة الملك المؤيد عماد الدين أبو الغداء اسماعيل (٥) آخر ملوك حماه من البيت الايوبي سنة ٧٣٢ هـ ، ثم وليها بعده ابنه الأفضل محمد (٦) بعهد من الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فبقي بها حتي ازالة قوصون أتابك العساكر (٧) .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشـــي جـ ٤ ص ١٧٤ .

(٢) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٧٦ .

(٣) سبقت ترجمته انظر الباب الثاني ص ٨٨ حاشيه ٥ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٧٤ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٧٤٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ٧ ص ٣٢١ .

(٥) سبقت ترجمته انظر الباب الثالث ص ٢٨٠ حاشية ١ .

(٦) هو الملك الأفضل محمد بن اسماعيل بن علي بن محمود الأيوبي ، تولـــي سطنة حماه بعد وفاة أبيه الملك المؤيد ٧٣٢هـ وظل بها مدة عشـــر سنين ، وقد كثرت شكاية الناس له لشغفه باللهو وأخذ أموال الرعيـــة ، فأستدعاه الملك الناصر الى مصر سنة ٧٣٩ هـ وتشفع فيه تنكز نائب الشـــام ثم أعيد الى حماه ، وفي سنة ٧٤١ هـ نقله قوصون نائب السلطنة الـــي دمشق وأنعم عليه بامرة ألف ، وولي نيابة حماه الأمير طقزدمر الحمـــوى وتوفي في دمشق في ربيع الآخر سنة ٧٤٢هـ ، راجع ابن حجر : الـدرر الكامنة جـ ٣ ص ٣٨٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ١٠ ص ٧٥ ، المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٢ ص ٤٥٨ و جـ٢ ق٣ ص ٥٧٣ ، و ٦١٥ .

(٧) هو قوصون بن عبدالله بن عبدالله الناصرى الساقي ، حضر في بلاد التـــرك بصحبة خوند بنت أزبك خان التى تزوجها الملك الناصر محمد بن قـــلاوون فأعجبه الملك الناصر فأشتراه ، وعظمت منزلته عنده حتي صار ساقيه ، ثم رقاه *

في سنة ٧٤٢ هـ (١) . وبذلك أصبحت حماه هي النيابة السادسة لبلاد الشام، " وكان يتبع هذه النيابات من الناحية الادارية عدد من المدن أو الموانيء أو القلاع الهامة . لذلك روعي أن تقسم كل نيابة منها الى أقسام ادارية صغيرة، أطلق عليها القلقشندى اسم (النيابات الصغار) " (٢) . ولايضاح ذلك يمكن تقسيم هذه النيابات الست حسب الترتيب التالي :-

أولا :- نيابة دمشق :-

ويعبر عنها بكفالة السلطنة بالشام (٣) وكانت من أجلّ نيابات المملكه الشاميه وأرفعها في المرتبة ، ونائبها يضاهي نائب السلطان بمصر في الرتبة والألقاب والمكاتبات ويعبر عنه في المكاتبات السلطانيه بكامل السلطنه الشريفه بالشام المحروس ويقلد من قبل السلطان ، وهو قائم بدمشق مقام السلطان في أكثر الأمور المتعلقة بنيابته (٤)

وقاعدة هذه النيابات مدنية دمشق . وكان يتبعها عدة نيابات صغرى .

(*) أمير مائه وزوجه ابنته في سنة ٧٢٧ هـ . ولما توفي الملك الناصر تعصب للمنصور أبي بكر حتي سلطنه ، وقام هو بتدبير الحكم ، ثم وقعت الوحشه بينهما فأخرج الملك المنصور الى قوص ثم دس اليه من قتله . كما أستمر في نيابة السلطنه في أيام الاشراف كجك ، كما نازع الناصر أحمد وهو بالكرك ، وأخيرا قبض عليه وأعتقل بثغر الاسكندرية حيث قتل في شوال سنة ٧٤٢هـ ، راجع ابن حجر: الدور الكامنه جـ ٣ ص ٢٥٧ ، وبتوسع راجع ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ١٠ ص ٣ - ٤٨ و ٧٥ .

(١) القلقشندى : صبح الأعشي جـ ٤ ص ١٧٣ - ١٧٤ و ٢٢٨ . راجع المقريزى السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٥٧٣ .

(٢) القلقشندى : المصدر السابق جـ ١٢ ص ٦ ، سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ص ٣٠٦ .

(٣) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٧ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشي جـ ٤ ص ١٨٤ .

وولايات (١) . ومن أهم هذه النيابات الصغرى بها :-

نيابة غـــزه :

وهي تاره تكون نيابة مستقلة وتضاف اليها الجهة الساحلية بكاملهـا ، فيكون لها حكم النيابات (٢) وتارة تكون تقدمة عسكر ، ومقدم المسكر بها يراجع نائب الشام في أموره (٣) وفي سنة ٧٣٣هـ كتب باضافة غزة الى نيابة الشـــام وأن نائبها يكاتب نائب الشام فيما يعني له من الأمور ولا يكاتب السلطان (٤) . والظاهر أن غزة كانت نيابة صغرى تابعة لنيابة دمشق شأنها في ذلك شـــأن النيابات الأخرى التابعة لدمشق (٥) .

نيابة القدس :

وكانت ولاية صغيرة قد استحدثت فيهاالنيابة سنة ٧٧٧هـ (٦) ونيابـة

---

(١) قسم القلقشندى : النيابات الصغرى والولايات التابعة لدمشق والخارجه عـــن حاضرتها الى أربعة صفقات غربيه (وهي الساحلية) وقبلية وشمالية وشرقية (صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٩٧) . الساحليه : تشمل نيابة غزة ونيابة القدس . وخمـــس ولايات منها الرطه والخليل ونابلس (راجع صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٩٨ (– ٢٠٠) القبلية : تشتمل على نيابة قلعة صرخد ونيابة عجلون وسبعة ولايات منها ولايـــة بيسان وولاية بانياس وولاية قلعة الصبيه (راجع صبح الأعشي جـ ٤ ص ٢٠٠ – ٢٠١) .
الشمالية : تشمل على نيابة بعلبك وثلاث ولايات هي ولاية صيدا – ولاية بيروت ولاية البقاع البعلبكي (راجع صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٠١ – ٢٠٢ .
الشرقية : تشمل على نيابة حمص ونيابة مصياف (راجع صبح الأعشي جـ٤ ص ٢٠٢) ، هذا بالاضافة الى ماهوخارج عن حاضرة دمشق من العربان ، وهم خمسة بطـــون (راجع صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٠٣ – ٢١٤) .

(٢) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ٩٩ و ١٩٨ .

(٣) القلقشندى : المصدر السابق جـ ١٢ ص ٢١٢ .

(٤) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٣٥٨ .

(٥) عبدالعزيز سالم : طرابلس الشام ص ٣٠٢ .

(٦) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٠٧ ، أما أبو اليمن الحنبلي فذكـر =

قلعة صرخد (١) ، ونيابة عجلون ونيابة حمص ونيابة مصياف ، وكانت نيابة مصياف من مضافات طرابلس في جملة قلاع الدعوة ثم اضيفت بعد ذلك الى دمشق (٢)

أما ولايات نيابة دمشق فهي عديدة ومن أهمها :-

ولاية الرحله وولاية الخليل ، ولاية نابلس ، ولاية بيسان (٣)، ولاية البقاع البعلبكي (٤)، ولاية بيروت ، وولاية صيدا .

ثانيا :- نيابة حلب :

وتلي نيابة دمشق في الرتبة ، ولا يلقب نائبها بكافل السلطنه كما في دمشق (٥) وتعود أهميتها لموقعها على الأطراف الشمالية لدولة المماليك من ناحية وجيرانهم مثل التتار والتركمان والعثمانيين من ناحية أخرى (٦) .

وكانت نيابة حلب تشتمل على عدد كبير من النيابات الصغرى . ومن أهم النيابات الصغرى التابعة لها داخل حدود بلاد الشام (٧) نيابة قلعة الروم (٨) ونيابة

= أن توليه النيابة والنظر في بيت المقدس كان يتم من قبل نواب الشام الى نحو سنة ٨٠٠ هـ فأصبح توليه النائب من قبل السلطان في القاهرة (انظر الانس الجليل جـ ٢ ص ٢٨٢ ، يوسف غوانمه : دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الاسلامي ص ٢٢٣ ومابعدها .

(١) صرخد : بالفتح ثم السكون والخاء معجمه ، بلد ملاصق لبلاد حوران ، ياقوت معجم البلدان جـ ٣ ص ٤٠١ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١١٣ و ١٤٦ .

(٣) بيسان : بالفتح ثم السكون مدينة صغيرة على الجانب الغربي من الغور. جنوب طبريه وبينهما ثمانية عشر ميلا ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ٢٤٢ .

(٤) البقاع البعلبكي : بكسر الباء الموحده وفتح القاف ،نسبة الى بعلبك لقربه منها (راجع القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١١٠ .

(٥) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ٢١٧ .

(٦) سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ص ٣٠٧ .

(٧) انظر القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٨) قلعة الروم (قلعة المسلمين) : تقع في البر الغربي الجنوبي من الفرات =

الكختا [١] ونيابة كركر [٢] ونيابة بهسنى [٣] ونيابة عينتاب [٤] ونيابة الدربساك [٥] ونيابة بغراس [٦] ونيابة القصير [٧] ونيابة الشغربكاس [٨] ونيابة شيرز [٩] . وبالنسبة للنيابات الصغرى التابعة لنيابة حلب والتى خارج حدود البلاد الشاميه فهي قسمان :-

---

= على نحو خمس مراحل شمال حلب وهي من القلاع الحصينه . استنقذها من الأرمن السلطان الاشرف خليل بن قلاوون (ابو الغداء : تقويم البلدان ص٢٦٨ القلقشندى : المصدر السابق ج ٤ ص ١١٩) .

(١) الكَخْتا : بفتح الكاف وسكون الخاء ، قلعة شمالي شرق حلب على نحو خمس مراحل منها (ابوالغداء : تقويم البلدان ص ٢٦٢ ،القلقشندى : المصدرالسابق ج ٤ ص ١٢٠ ، فتحي عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ج ١ ص ٢٤٧) .

(٢) كَرْكَر : بفتح الكاف وسكون الراء قلعة حصينه بين سميساط وحصن زياد في الشمال عن حلب على نحو خمس مراحل (ابو الغداء : المصدر السابق ص ٢٦٤- ٢٦٥) ، فتحي عثمان :الحدودالاسلامية البيزنطية ج ١ ص ٢٤٥) .

(٣) بهسنى : (بهسنا) قلعة في شمال حلب على نحو أربع مراحل منها ، وهى على أحد الروافد اليمني للفرات الذى يصب اسفل سميساط (راجع : القلقشندى :المصدر السابق ج٤ ص ١٢٠ . فتحي عثمان :المرجع السابق ج ١ ص ٢٤٣) .

(٤) عينتاب بفتح العين وسكون الياء ، بلده شمال حلب على ثلاث مراحل بالقرب من دلوك أو دلوص . راجع أبوالغداء : تقويم البلدان ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٥) الدربساك : بفتح الدال وسكون الراء وفتح الباء ، قلعه مرتفعه شمال حلب على نحو أربع مراحل ، راجع القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ١٢٢ ، فتحي عثمان : الحدود الاسلامية ج ١ ص ٢٣٣ .

(٦) بغراس : سبق تعريفها انظر الباب الأول ٤٧ حاشيه ٦ .

(٧) القصير : سبق تعريفها انظر الباب الأول ٤٧ حاشيه ٨ .

(٨) الشغربكاس : سبق تعريفها الباب الثاني ص ١٢٥ حاشيه ١ .

(٩) شيرز : بفتح الشين وسكون الياء ،مدينة غربي حلب على نحو ثلاثة مراحل منها . القلقشندى : المصدر السابق ج ٤ ص ١٢٣ .

القسم الأول : بلاد الثغور والعواصم ويتبعها ثمان نيابات (١) .

القسم الثاني : ماهو في حدود بلاد الجزيرة (٢) شرقي الفرات وفيها ثلاث نيابات

ثالثا : نيابة طرابلس :

وهي تلي نيابة حلب في المرتبة والأهمية . وهي نيابة جليلة نائبها من أكبر مقدمي الألوف ، وهو في الرتبة الثانية من حلب ، وليس بها قلعة يكون لها نائب بل نائب السلطنة هو المتسلم بجميعها ، والمتصرف فيها لديه من أمر العسكر وغيره (٣) وكانت تشتمل على العديد من النيابات الصغرى ، وقسمت الى قسمين (٤) القسم الأول النيابات التابعة الى نفس طرابلس وهي خمس نيابات . نيابة حصن الاكراد (٥) ونيابة حصن عكار (٦) ونيابة بلاطنس (٧) ونيابة صهيون (٨) ونيابة اللاذقية .

أما القسم الثاني : نيابات قلاع الدعوة :

سميت بذلك لأنها كانت بيد الاسماعلية من الشيعة المنتسبين الى ......

---

(١) هي نيابة ملطيه ، وذرندة وديركي وأياس وطرسوس والأبلستين وسرفندكار وأذنة ثم اضيفت لها نيابة سيس(راجع القلقشندى : صبح الأعشي جـ ٤ ص ١٣٠ - ١٣٤ و ٢٢٨ - ٢٢٩)

(٢) هي نيابة البيرة ، وقلعة جعبر والرها (أنظر القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٢٧ - ١٢٨ و ٢٢٩) كما كان يتبع حلب العديد من الولايات مثل ولاية برحلب ، وولاية كفر طاب ومنبج وتيزين وغيرها (راجع القلقشندى :المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٣٠)

(٣) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٣٣ .

(٤) القلقشندى : المصدر السابق جـ٤ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٥) حصن الاكراد : سبق تعريفه انظر الباب الأول ص ٤٦ حاشيه ٦ .

(٦) حصن عكار : حصن منيع على مرحلة من طرابلس من جهة الشرق بوسط جبل لبنان القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٤٤ .

(٧) بلاطنس : قلعة تقع غربي مدينة مصياف . وهي قلعة حصينه لها أحد عشر بابا عبدالعزيز سالم : طرابلس الشام ص ٣١١ .

(٨) صهيون : بلده ذات قلعه حصينه من مشاهير معاقل الشام . تقع الى =

اسماعيل بن جعفر الصادق ويسمون انفسهم اصحاب الدعوه الهاديه (١) وكانت هذه القلاع سبعه ثم نقلت مصياف الى نيابة دمشق (٢) وهي الرصافه والخوابي والقدموسى والكهف والمنيقة والعليقه (٣) ، وكانت هذه القلاع سابقا بأيدى الاسماعيلية (المعروفين بالفداوية) . وبعد أن انترعها منهم ملوك مصر في عهد الملك الظاهر بيبرس ودخلوا تحت طاعتهم وصاروا شيعة لهم (٤) وقد مر الرحالة ابن بطوطه بهذه القلاع في رحلته الأولي لبلاد الشام ٧٢٦ هـ (٥) ، كما تشتمل نيابة طرابلس على ست ولايات أيضا (٦) .

رابعا : نيابة حمــاه :

وكان نائبها من أكابر الأمراء والمقدمين ولكنه في الرتبه دون نائب طرابلس(٧) وليس بخارجها نيابات صغرى تابعه لها . كما في دمشق وحلب وطرابلس ولكنها كانت تشتمل على ثلاث ولايات هي (٨) :

ولاية برها وهوظا هرها وماحولها كما في دمشق وحلب وولاية بارين (٩) وولاية المعره

= الجنوب الشرقي من اللاذقية (انظر أبو الفداء تقويم البلدان ص ٢٥٦) وفتح صهيون الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٦ هـ (القلقشندى : صبح الأعشي جـ ٤ ص ١٧٨ .

(١) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١١٩ و ١٤٦ .

(٢) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٤٦ .

(٣) سبق تعريف قلاع الدعوه .انظر الباب الأول ٤٨ حاشيه ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥

(٤) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٨٠ .

(٥) رحلة ابن بطوطه ص ٧٦ .

(٦) هي ولاية انطرطوس . وجبة المنيطره والظنين وبشريه وجبله وآنفه . راجع القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٤٨ ، ٢٣٦ .

(٧) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٣٨ .

(٨) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٣٩ - ٢٤١ .

(٩) بارين : بلده بين حلب وحماه من جهة الجنوب الغربي . ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٣٢٠ .

خامسا : نيابة صفـــد :

لم تكن تشتمل أيضا على نيابات صفرى ، بل كانت احدى عشر ولايه (١) منها ولاية الناصره (٢) وطبريه وعكا وصور ولأهميتها الحربية كما أن لقلعتها نائبا مستقــلا من قبل السلطان يولي من الأبواب الشريفة كما في قلعة حلب وقلعة دمشق ،وعاده يكون من أمراء الطبلخانه (٣) .

سادسا : نيابة الكـــرك :

وهي من أهم النيابات في الشام لموقعها الاستراتيجي الهام بين الشام والحجاز ومصر ولحصانة قلعتها . وكان لايتولي نيابة الكرك الا آتابك (٤) للعساكر أو من في مرتبتة (٥) ولا يتبعها نيابات صفرى ، انما يتبعها ولايات (٦) وهي : ولايـة بر الكرك ، وولاية الشوبك (٧) وولاية زغر (٨) وولاية معـــان .

أما عن نظام الحكم في هذه النيابات فانه يماثل نظام الحكم في مصر ، فكـــل نيابة منها عبارة عن مملكة مستقلة بذاتها ، ولكن على شكل صوره ......

---

(١) راجع : القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٥٠ – ١٥٥ و ٢٤٠ .

(٢) الناصره : بليدة على ثلاثة عشر ميلا من طبريه راجع القلقشندى : المصـــدر السابق جـ ٤ ص ١٥١ .

(٣) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٥٠ والطبلخاناه سبق تعريفها الباب الثاني ص ١٠٩ حاشيه ٤ .

(٤) الاتابك : لفظ تركي مركب من كلمة اطا بمعني أب وكلمة بك بمعني السيد أو الأمير أى ابو الامراء ، وهو اكبر الامراء المقدمين بعد النائب . راجع (القلقشندى : صبح الأعشي جـ ٤ ص ١٨ ،على ابراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية ص ٢٨٧)

(٥) عبدالعزيز سالم : طرابلس الشام ص ٣٠٤ .

(٦) القلقشندى : المصدر السابق ص ٢٤٢ .

(٧) الشوبك : بفتح الشين وسكون الواو بلدة صغيرة شرقي الغور على اطراف الشام من جهة الحجاز وغالب سكانها نصارى ابوالفداء :تقويم البلدان ص ٢٤٦ – ٢٤٧ .

(٨) زغرة : بفتح الزاى والغين مدينة قديمة متصلة بالبادية يقال سميت =

مصفره (١) . وقد اطلق القلقشندى على تلك النيابات اسم " الممالك الشامية وان كل مملكة منها قد صارت نيابة مستقلة مضاهيه للمملكة المستقلة (٢) .

كما كان لكل نائب حاشيته ومماليكه واتباعه ، واطلق عليه أحيانا " ملك الامراء" لقيامه مقام الملك في التصرف والتنفيذ وقيام الامراء في خدمته كخدمة السلطان (٣)

كما كان لكل نائب من نواب بلاد الشام بيوت خدمة كبيوت خدمة السلطان من الطشت خاناه (٤) والفراش خاناه (٥) والركاب خاناه (٦) والزرد خاناه (٧) ، والمطبخ (٨) والطبلخاناه (٩) وكذلك لكل نائب من نواب بلاد الشام الحواصل من اصطبلات الخيول ومناخات الجمال وشوءون الغلال . وله في آخباره استادار (١٠)

= بذلك نسبة الى زغربنت لوط عليه السلام راجع ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ١٤٢ ، القلقشندى : المصدر السابق ج ٤ ص ١٤٢ .

(١) على ابراهيم حسن : تاريخ المماليك البحريه ص ٢٨١ .

(٢) القلقشندى : المصدر السابق ج ٤ ص ١٨٠ .

(٣) القلقشندى : المصدر السابق ج ٥ ص ٤٥٥ ، سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ص ٣٠٩ .

(٤) الطشن خاناه : هي مايلبسه الأمير من الكلوثات والاقبيه وسائر الثياب والسيف والخف والرموزه وغير ذلك راجع القلقشندى : المصدر السابق ج ٤ ص ١٠ .

(٥) الفراش خاناه : تشتمل على انواع من البسط والخيام ، القلقشندى : المصدر السابق ج ٤ ص ١١ .

(٦) الركاب خاناه : تشتمل على عدد الخيول من السروج واللجم والكنابيش والعبي الخاصة بالمواكب والأجلال والمخالي - القلقشندى : المصدر السابق ج٤ ص ١٢

(٧) الزرد خاناه أو السلاح خاناة ومعناها بيت السلاح من السيوف والقسي والنشاب والرماح والدروع المتخذه من الزرد - القلقشندى : المصدر السابق ج ٤ ص ١١ .

(٨) المطبخ : وهو الذى يطبخ فيه طعام السلطان الراتب في الغذاء والعشاء والطارى في الليل والنهار - والأسمطه - القلقشندى : المصدر السابق ج ٤ ص ١٣ .

(٩) وقد سبق تعريفها راجع القلقشندى : المصدر السابق ج٤ ص ١٣ ، ج١١ ص ٨ - ٩

(١٠) الاستاداريه : هو موضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ أو الشراب خاناه والحاشيه والغلمان - القلقشندى : صبح الأعشي ج ٤ ص ٢٠ .

ورأس نوبة (١) وأمير مجلس (٢) وأميرجاندار (٣) وأمير أخور (٤) وغيرذلك (٥) وعلى الرغم من أن نيابات الشام كانت على شكل صورة مصغرة لسلطنة المماليك في مصر، الا انها لاتبلغ في الفخامة والعظمة كما كان في البيوت السلطانية، وعنها قال القلقشندى : " أما باقي البيوت كالفراش خاناة والاصطبلات السلطانية وماشاكلها، فلا وجود لها فيها مما ينسب الى السلطان . بل يكون ذلك للنائب قائما مقام السلطان لأنه في الحقيقة السلطان الحاضر " (٦)

(٢) أهم الوظائف التى كانت تتبع كل نيابة من نيابات الشام :

أ - الوظائف : الديوانية :

ومن أهمها الوزارة وديوان الانشاء وديوان النظر وديوان الجيش . أما الوزارة " فلا يسمح له بلقب وزير الا اذا كان قد تقدمت له ولايه وزارة بالديار المصرية ، أما اذا لم يكن قد سبق له تولي منصب الوزارة في مصر فانه كان يلقب بلقب " ناظر النظارة أو ناظر المملكة " وتوليته من قبل السلطان في مصر (٧)

---

(١) رأس نوبه : موضوعها الحكم على المماليك السلطانيه والأخذ على أيديهم القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٨ .

(٢) أمير مجلس : موضوعها تولي أمور مجلس السلطان وهو يتحدث على الاطباء .. والكحالين ، ومن شاكلهم ولا يكون الا واحدا . القلقشندى : المصدر السابق : جـ ٤ ص ١٨ .

(٣) أمير جاندار : موضوعها أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل امامهم ويقدم البريد مع كاتب السر والدوادار - القلقشندى : المصدر السابق جـ٤ ص.

(٤) أمير أخور : موضوعها التحدث على اصطبل السلطان وخيوله . القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٨ .

(٥) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ٦٠ و ١٨٣ ، سعيد عاشور : مصر والشام فى عصر الايوبيين والمماليك ص ٣٠٩ .

(٦) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٨٣ .

(٧) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ٢١٨٨ - سعيد عاشور : المرجع السابق ص ٣١٠ .

أما ديوان الانشاء فكان صاحبه يلقب بكاتب السر . ويولي من قبل السلطان وهو من خاصته الموثوق بهم ليطالعه بخفيات أمور النيابة ، ومايحدث بها مالعل النائب قد يخفيه عن السلطان (١) .

أما ديوان النظر فكان يمثل الادارة المالية في النيابه ، من الاشراف التام على المصروفات والايرادات . أما ديوان الجيش فكان يشرف على جيش النيابة وتوزيع الاقطاعات وترتيب الجوامك الخاصة بالمماليك (٢) .

ب - الوظائف الدينية :

ومن أهمها قضاء القضاة : فكان لكل نيابة أربعة قضاة من المذاهب الأربعة كما في مصر . فأعلاهم الشافعي وهو المتحدث على الموازع الحكميه والأوقاف وأكثر الوظائف ، ويختص بتولية النواب في النواحي والاعمال ويليه في الرتبة الحنفي ، ثم المالكي ، ثم الحنبلي ، وولاية الأربعة من قبل السلطان في مصر (٣) كما كان بها عدد من الوظائف منها مايتعلق بوظائف أرباب السيوف والبعض الآخر ، بأرباب القلم (٤) . وعلى الرغم مما تمتع به نواب الشام من سلطان ونفوذ كبير الا أنهم كانوا قبل كل شيء تابعين لحكم السلطان في مصر . ويدل على ذلك أن شغل الوظائف الكبرى بالنيابات الشامية ، كان التعيين فيها من قبل السلطان كالتعيين في الوظائف من امرة طبلخاناة فما فوقها ، والموظفين الكبار مثل الوزارة وكتابة السر ونظر الجيش ونظر المال بالاضافة الى الوظائف الدينية كتعيين القضاة الأربعة (٥) .

---

(١) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٨٩ .
(٢) سعيد عاشور : المرجع السابق ص ٣١٠ .
(٣) القلقشندى : صبح الأعشي جـ ٤ ص ١٩٢ ، نلاحظ هنا أن نيابة حلب لم يستقربها القضاة الأربعة الا سنة ٧٤٨هـ حينما استجد بها قاضي مالكي وقاضي حنبلي راجع الباب الثاني ص ١٨٨ حاشية ٣ .
(٤) سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ص ٣١٠ .
(٥) سعيد عاشور : المرجع السابق ص ٣١٣ - ٣١٤ ، راجع القلقشندى : صبح الأعشي جـ ٤ ص ١٨٨ - ١٩٢ ، على ابراهيم حسن تاريخ المماليك البحرية ص٣٠٨ - ٣١٥

(٣) نواب الشام في الفترة من سنة ٧٢٥هـ - ٧٥٠ هـ :

أ - نواب دمشق " الأمير سيف الدين تنكز " :

لقد تولي خلال تلك الفترة سبعة نواب كان أهمهم وأعظمهم الأمير سيف الدين تنكز الذى ظل بنيابة دمشق في الفترة من سنة ٧١٢ - ٧٤٠ هـ حظي تنكز خلالها بمنزلة رفيعة لدى الملك الناصر محمد بن قلاوون حتي أن السلطان كان لايفعل شئ في الغالب حتى يسير يشاوره فيه ، وقلما كتب الى السلطان في شئ فرده ، وكل ماقرره من امرة ونيابة واقطاع وقضاء أوغير ذلك . ترد التواقيع السلطانية بامضاء ذلك (١) .

ففي سنة ٧١٤ هـ كتب السلطان الملك الناصر محمد لنواب حلب وحماه وطرابلس وصفد بأن لا يكاتب أحد منهم السلطان وانما يكاتب الأمير تنكز نائب الشام ، ويكون هو الكاتب في أمرهم للسلطان ، فشق ذلك على النواب (٢) . وكان تنكز يزور السلطان في كل سنه وصحبته الهدايا ويقيم بمصر أياما ثم يخلع عليه ويمضي الي الشام (٣) . ففي سنة ٧٢٢ هـ قدم تنكز على السلطان فأنعم عليه انعامات جليلة بلغت قيمتها نحو ثمانين الف دينار (٤) . كما قدم عليه سنة ٧٣٠ هـ فبالغ السلطان في اكرامه ورفع منزلته وأنعم عليه بمائة الف درهم (٥) . وفي سنة ٧٣٩ هـ كتب السلطان يستدعيه ومعه أهله وأولاده ، وفيها أخرج السلطان اليه جميع بناته وأمرهن بتقبيل يده وهو يقول لهن واحدة بعد واحدة بوسي يد عمك "يقصد تنكز" ثم عين منهن اثنين لولدى تنكز ، فقبل تنكز الأرض (٦) . وعند سفره

---

(١) ابن شاكر : فوات الوفيات جـ ١ ص ٢٥٢ .
(٢) المقريزى : السلوك جـ٢ ق ١ ص ١٣٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٩ ص ٣٨ ، ابن حجر : الدرر الكامنه جـ ١ ص ٥٢٠ .
(٣) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ق ١ ص ٤٨٠ .
(٤) المقريزى : المصدر السابق جـ ٢ ق ١ ص ٢٣٧ .
(٥) المقريزى : المصدر السابق جـ ٢ ق ٢ ص ٣١٦ ، راجع ابن اياس : المصدر السابق جـ ١ ق ١ ص ٤٦١ .
(٦) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٢ ص ٤٦١ .

أمر السلطان أن يضاعف له ماجرت به عادته من الخيل والتعابي ورتب السلطان ذلك بنفسه فكان قيمته مائة وخمسين الف دينار عينا ، كما طلب تنكز من السلطان في اعفاء بعضا من الأمراء والانعام على بعضهم فأجابه السلطان الى ذلك كله . وكتب له تقليدا بتفويض الحكم في جميع الممالك الشامية بأسرها ، وان جميع نوابها تكاتبه بأحوالها ، وأن تكون مكاتبته " أعز الله أنصار المقر الشريف" بعدما كانت " أعز الله انصار الجناب " وأن يزاد في ألقابه " الزاهد العابدى العالمي كافل الاسلام أتابك الجيوش" وقد حسده جميع الأمراء ، وكثر حديثهم فيما حصل له من الكرامه والعزه (١) .

فتح طلطيه (٢) :-

في سنة ٧١٤ هـ عاود الأرمن العصيان على حكم المماليك ، فأرسل اليهم الملك الناصر حمله من جند مصر . وأمر سيف الدين تنكز نائب الشام بالانضمام اليها ، فخرج بجيش صفد وحماه وحمص وطرابلس في أول محرم سنة ٧١٥ هـ ، وتولي تنكز القيادة العامة ، وحاصر طلطية ودخلها بالآمان في ٢٣ محرم (٣) . وكان أبو الفداء نائب حماه ممن اشترك في هذا الحصار حيث قال " وفتح باب طلطية القبلي وخرج الحاكم ومعه قاضيها وغيرهما من أكابرها ، وطلبوا منا الأمان فأمنهم الأمير سيف الدين تنكز مقدم العسكر . . . ثم ان العسكر والطماعة هجموا مدينة طلطية من الباب المذكور وكذلك هجمها جماعة من العسكر من الجانب الآخر ، وأراد سيف الدين تنكز منعهم عن ذلك فخرج الأمر عن الضبط لكثرة العساكر الطماعة ، فنهبوا جميع ما فيها من أموال المسلمين والنصارى حتى لم يدعوا فيها الا ماكان مطمورا . . . ثم لما كان من

---

(١) المقريزى : المصدر السابق جـ ٢ ق ٢ ص ٤٦٢ .

(٢) طلطيه : مدينة في الشمال الشرقي من حلب نحو سبع مراحل منها ، وهي من النيابات الصغرى التابعة لنيابة حلب داخل بلاد الأرمن . راجع القلقشندى : صبح الأعشي جـ ٤ ص ١٧١ .

(٣) على ابراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية ص ١٧١ .

نهب ملطية أن القي العسكر فيها النار فأحترق غالبها . وكذلك خربنا ما أمكننا من أسوارها أن نخربه وأقمنا عليها نهارا واحدا ثم ارتحلنا عائدين الى البلاد "(١)

شخصيتـــه :

وعنها يقول ابن شاكر: " ولم يكن عنده دهاء ولا له باطن ،ولا يحتمل شيئا ولا يصبر على أذى ولم يكن عنده مداراه للأمراء ولا يرفع بهم رأسا ، وكان الناس في أيامه امنين على أموالهم ووظائفهم . وكان اذا غضب لا سبيل له الى الرضي ولا العفو ، واذا بَطَش بَطْش بَطْشَ الجبارين . ويكون الذنب يسيرا فلا يزال يكبره ويزيده ويوسعه الى أن يخرج فيه عن الحد (٢). كما هابه الأمراء بدمشق ونواب الشام ، وآمن الرعايا ،ولم يمكن أحدا من الأمراء ولا أرباب الجاه يقدر يظلم أحد ذميا أوغيره ، خوفا من بطشه وشدة ايقاعة (٣)_ كما كان يعظم أهل العلم ، واذا كان عنده منهم أحد فانه يقبل بوجهه اليه ديوانه بالقول والفعل (٤) .

أعماله وأصلاحاته :

كان لتنكز العديد من الاصلاحات في بلاد الشام (٥) ففي عهده ازال المظالم وأقام منار الشرع وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وأزال ما كان بدمشق وأعمالها من الفواحش والخانات والخمارات ، وبالغ في العقوبة على ذلك ، كما انصف العامه والتجار بخلاص حقوقهم من الأمراء ، وحطهم مع أخصامهم الي الشرع . كما تتبع المدارس والمساجد والأوقاف فعمرها جميعها ، و منع مستحقيها

---

(١) أبو الغداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٤ ص ٧٥ - ٧٦ .
(٢) ابن شاكر : فوات الوفيات جـ ١ ص ٢٥٣ راجع الصفدى : الوافي بالوفيات جـ ١٠ ص ٤٢١ - ٤٢٢ .
(٣) ابن شاكر :المصدر السابق جـ ١ ص ٢٥٢ ، راجع القريزى :السلوك جـ ٢ ق ٢ ص ٥١١
(٤) ابن حجر : الدرر الكامنه جـ ١ ص ٥٢١ .
(٥) سبق الاشارة الى بعض اصلاحاته عند ترجمته انظر الباب الثاني ص ١٠٦ - حاشيه ٣ .

من تناول ريعها حتي كملت عمارتها . وجدد عدة أماكن قد دثرت اوقافها وأعاد فيها وظائف العبادات بعدما بطلت ، وجدد عمائر الجامع الأموى وعمر أوقافه وأصلح تقاسيم المياه بعدما كانت فاسدة ، ونظف مجاريها ووضع طرقها ، وهدم الاملاك التى استجدها الناس وضيقوا بها الشوارع والطرق المسلوكه ، وألزم والي المدينه أن يعلمه بمن يشرب الخمر من الأمراء وأولاده ، فتعذر وجود الخمر في أيامه ، ولم يكن يوجد . واستجد ديوان الزكاة ، وصرفها للفقراء والمساكين وأرباب البيوت (١) .

أما عن أوقافه فهي كثيره : " في ذلك مارستان بصفد ، وجامع بنابلس وعجلون ، وجامع بدمشق ، ودار حديث بالقدس ، ومدرسه وخانقاه بالقدس ، ورباط وسوق موقوف على المسجد الأقصي " (٢)

تأسف الناس على موته :

كانت آخر زياره زارها تنكز للسلطان الناصر محمد سنة ٧٣٩ هـ . ثم لم يلبث السلطان أن قبض عليه في ذى الحجة سنة ٧٤٠ هـ حيث قتل بثغر الاسكندرية سنة ٧٤١ هـ (٣) . " وقد تأسف الناس بدمشق على موته كثيرا ، وطال حزنهم عليه ، وكانوا في كل وقت يتذكرون ما كان منه من الهيبة والصيانة والغيرة على حريم المسلمين ومحارم الاسلام ، ومن اقامته على ذوى الحاجات وغيرهم (٤) وكانت مدة نيابته بدمشق ٢٨ عاما واشهر (٥) . وكان تنكز قد خلف بعد مقتله سنة ٧٤١ هـ أموالا طائله من الذهب والفضة والتحف والجواهر بالاضافة الي الهجن

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٢ ص ٥٠٩ ، ٥١٠ . راجع ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٣٣ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٨ و ١٥٢ .

(٢) ابن كثير : المصدر السابق جـ ١٤ ص ١٨٧ .

(٣) راجع ماكتبه المقريزى وابن اياس عن تغير احوال تنكز وأسباب قبض السلطان عليه . المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٢ ص ٤٩٧ - ٤٩٨ ، ٥٠٩ - ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ق ١ ص ٤٧٧ - ٤٧٨ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٨٨ .

(٥) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٢ ص ٥١٢ .

والخيل (١) . كما كانت له املاك واسعه في دمشق ، وحمص ، وبيروت وغيرها (٢) وقد قومت املاكه فوجدت انها تزيد على مائة الف دينار (٣) .

ب :- نواب دمشق بعد الأمير سيف الدين تنكز :

وبعد وفاته تولي نيابة دمشق في الفترة من ٧٤١ هـ - ٧٥٠ هـ ستة نواب حيث لم يطل بهم الحكم في هذه النيابه الا لفترة وجيزة لو قيست بحكم تنكز لها ، فكانت تتراوح مابين ثلاث سنوات أو سنتين أو أقل من سنه ، وكان أطولهم حكما هو الأمير سيف الدين طقزدمر بن عبدالله الحموى الناصرى (٤) في الفترة (من سنة ٧٤٣ هـ - ٧٤٦ هـ) وكانت نهاية هؤلاء النواب أما العزل عن حكم النيابة أو الوفاة الطبيعية . أما الأغلبية منهم فكانت حياتهم تنتهي بالقتل ، كما حصل للأمير علاء الدين الطنبغا الصالحي (٥) .

---

(١) راجع المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٢ ص ٥٠٧ - ٥٠٨ .

(٢) راجع ابن شاكر : فوات الوفيات جـ١ - ص ٢٥٥ - ٢٥٨ ، المقريزى :المصدر السابق جـ ٢ ق ٢ ص ٤٢٨ و ٤٦٧ - ٤٦٨ . الصفدى : الوافي بالوفيات جـ ١٠ ص ٤٣٠ - ٤٣٢ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق جـ ٢ ق ٢ ص ٥٠٨

(٤) أصله من مماليك الملك المؤيد اسماعيل صاحب حماه ، أنتقل الى الملك الناصر محمد وحظي عنده ورقاه الى أن جعله أمير مجلس ، وزوجه بأحدى بناته ، ولما تسلطن الملك المنصور أبو بكر استقر نائبا للسلطنه بمصر ، ثم ولي نيابة حماه سنة ٧٤٢ هـ وهو أول نائبا بها ، ثم انتقل الى نيابة حلب سنة ٧٤٣ هـ ثم نقل الى نيابة دمشق في نفس السنة ، وظل بها الى سنة ٧٤٦ هـ ثم أحضر الى مصر في سلطنه الكامل شعبان وهو مريض ومات بمصر في مستهل جمادى الآخره سنة ٧٤٦ هـ . راجع ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ١٤٢ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافي جـ١ ص ٣٦٦ ، ابن حجر : الدرر الكامنه جـ ٢ ص ٢٢٥ ، المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٦٩٨ .

(٥) كان من صغار مماليك المنصور قلاوون ، ربي عند الملك الناصر محمد =

والأمير قطلوبغا بن عبدالله الفخرى الساقي (١)، والأمير سيف الدين يلبغا اليحياوى الناصرى (٢) . والأمير أرغون شاه (٣) .

وكان معظم الامراء الذين تولوا نيابة دمشق في تلك الفترة امراء لنيابة حماه ثم ترقوا بعدها لنيابة حلب ومنها لنيابة دمشق . وكان هذا ساريا على أغلب الأحوال . " ولكن في سنة ٧٤٧ هـ تغير هذا النظام فأصبحت نيابة طرابلس تلي في المرتبة بعد نيابة حلب . وكانت حماه اكبر من طرابلس فلما اتسعت

= وجعله جاشنكيره ثم ولاه حاجبا ثم نقله من الحجوبية الى نيابة حلب سنة ٧١٤ هـ وظل بها الى أوائل سنة ٧٢٧ هـ وأعيد الى مصر . وقد سار فيها سيرة مشكورة . وعمر بها جامعا حسنا في شرقيها ، ولما توفي أرغون الدوادار أعيد لنيابة حلب للمرة الثانية سنة ٧٣١ هـ . ثم وقع بينه وبين تنكز نائب الشام، فشكاه الى الملك الناصر فعزله ونقله الى نيابة غزة ، وفي سنة ٧٤١هـ تولي نيابة دمشق بعد مسك تنكز. وأخيرا قبض عليه وعلى قوصون نائب السلطنه ، وخنقا بحبس الاسكندرية في سنة ٧٤٢هـ ، راجع : الصفدى : الوافي بالوفيات جـ ٩ ص ٣٦١ ،ابن حجر : الدرر الكامنه جـ ١ ص ٤٠٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ٧٣ ، وبتوسع راجع المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص : ٥٨٠ - ٥٩١ و ٦١٤ .

(١) كان من اكابر مماليك الملك الناصر محمد ولم يزل على ذلك الى أن امسكه الملك الناصر في توجه أخراج اراغون الدوادار الى حلب نائبا سنة ٧٢٧هـ ثم أخرجه مع تنكز الى الشام وظل بها الى أن توفي الملك الناصر ، وفي عهد الملك الاشرف كجك جهزه قوصون " نائب السلطنه " بحملة لحصار أحمد بن الناصر محمد سنة ٧٤٢ هـ بالكرك ، ثم لم يلبث أن حلف لأحمد بالملك بعد أن استماله طشتمر حمص أخضر " نائب حلب " . ثم دخل مدينة دمشق بعد أن مال اليه معظم جيش الطنبغا الصالحي " نائب دمشق " . وجاء تقليده بالنيابة بعد أن استقر الناصر أحمد بالملك سنة ٧٤٢ هـ . وأخيرا قبض عليه وقتل بالكرك هو وطشتمر حمص أخضر سنة ٧٤٣ هـ . راجع ابن حجر : الدرر الكامنه جـ ٣ ص ٢٥٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ١٠٣ والدليل الشافي جـ ٢ ص ٥٤٦ .

(٢) كان من مماليك الملك الناصر محمد ، ولي نيابة حماه سنة ٧٤٣ هـ = (*)

اعمالها صارت أكبر من حماه ، وكان الأمير أسندمر بن عبدالله العمرى الناصرى (١) هو أول نائبا انتقل من نيابة حماه الى نيابة طرابلس (٢) .

جـ - الحالة السياسية في بلاد الشام بعد وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون :

كان لوفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤١ هـ أثره الكبير في كثرة الفتن والقلاقل في جميع انحاء البلاد ، " وانعكس ذلك على جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية " (٣) ويعود سبب ذلك لكثرة عدد السلاطين الذين اعتلوا العرش بعده ، وصغر سنهم ، حتي اصبحوا العوبة بأيدى الأمراء ونواب السلطنة الذين كانوا يولون ويعزلون من شاؤوا منهم ، فكان مصير اولئك الملوك الخلع والنفي أو القتل ، حتي بلغ عدد الملوك الذين تولوا العرش من بعده الى نهاية حكم دولة المماليك البحرية أثني عشر ملكا

= ثم حلب سنة ٧٤٤ هـ ثم نقل لنيابة دمشق سنة ٧٤٦ هـ بعد الأمير طقزدمر الحموى وعمر بها الجامع المعروف بجامع يلبغا بسوق الخيل ولم يكمله ، فكمل بعد موته ، قتل بقلعة خاتون قرب الرمله سنة ٧٤٨ هـ ، راجع ابن حجر : الدور الكامنه جـ ٤ ص ٤٣٦ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافي جـ ٢ ص ٧٩٣ ، المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٧٥٥ - ٧٥٦ ، وبتوسع راجع ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ١٠ ص ١٣٣ - ١٦٣ و ١٨٥

(*) سبقت ترجمته في الباب الثاني ص ١٠٧ حاشيه ١ .

(١) من مماليك الملك الناصر محمد ، ولي نيابة حماه سنة ٧٤٢ هـ ثم نيابة طرابلس في جماد الآخره سنة ٧٤٧ هـ ، ثم عزل عن طرابلس في محرم سنة ٧٤٨ هـ لطلبه الاعفاء ، ثم ولي نيابة حماه سنة ٧٥٠ هـ ، كما وليها مرة ثالثه سنة ٧٥٥ هـ ثم صرف عنها ، أقام بدمشق ثم أمسك في أوائل سنة ٧٦٠ هـ واعتقل بالاسكندرية ومات في محرم سنة ٧٦١ هـ . راجع : ابن حجر : الدور الكامنه جـ ١ ص ١٨٧ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافي جـ ١ ص ١٣٣ ، المقريزى : جـ ٢ ق ٣ ص : ٦٩٩ و ٧٢٤ و ٨٢٨ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ١٥١ .

(٣) سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ص ٢١٨ .

ثمانية من أولاده (من سنة ٧٤١ - ٧٦٢ هـ) وأربعة من احفاده (من سنة ٧٦٢ - ٧٨٤ هـ) وبذلك يكون متوسط حكم السلطان الواحد ثلاث سنوات ونصف " (١) .

ولأهمية بلاد الشام بالنسبة لدولة المماليك فقد انعكست هذه الفتن والاضطرابات عليها ، ففي سنة ٧٤٢ هـ خلع الملك المنصور ابو بكر (٢) وتولي بعده أخيه الملك الاشرف كجك (٣) ، فقام قوصون " نائب السلطنه " باخراج أبناء الملك الناصر محمد الى قوص (٤) . كما قام بتجهيز حمله بقيادة الأمير قطلوبغا الفخرى لمحاصرة الناصر أحمد (٥) بالكرك ، فشق ذلك على

---

(١) على ابراهيم حسن : تاريخ دولة المماليك البحرية ص ١٢١ .

(٢) هو الملك المنصور سيف الدين ابي بكر بن الناصر محمد بن قلاوون ، تولي الحكم في ٢١ ذى الحجه سنة ٧٤١ هـ ، ثم خلع بأخيه الأشرف في صفر سنة ٧٤٢ هـ ، وأخرج الى قوص مع أخوته ، ثم دس اليه قوصون من يقتله وحمل رأسه اليه في ربيع الآخر سنة ٧٤٢هـ . راجع ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ١٠ ص ١٧ ، المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٥٥١و٥٧٠ ابن حجر : الدور الكامنه جـ ١ ص ٤٦٢ .

(٣) هو الملك الاشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد بن قلاوون ، تولي الحكم بعد خلع أخيه المنصور في ١١ صفر سنة ٧٤٢ هـ ولم يكن له فيها الا مجرد الاسم فقط ، وذلك لصغر سنه ،وكان المتصرف في الحكم الأمير قوصون . خلع في أول شعبان سنة ٧٤٢هـ وظل مريضا الى أن توفي سنة ٧٤٦ هـ . راجع ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ٢١ و ٤٨ - ٤٩ . ، المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٥٧١ و ٥٩٣ .

(٤) قوص : مدينة كبيرة في صعيد مصر بينها وبين الفسطاط اثنا عشريوما ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٤١٣ . المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص : ٥٧٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ١٠ ص ١٧ .

(٥) الملك الناصر شهاب الدين أحمدبن الناصر محمدبن قلاوون ، تولي الحكم بعد خلع اخيه الاشرف سنة ٧٤٢ هـ وهو بقلعة الكرك ، ثم لم يلبث أن ترك الحكم وعاد الى الكرك بعد أن ظلم وتعسف . وفي محرم سنة ٧٤٣ هـ خلع بأخيه الصالح اسماعيل ، ثم قبض عليه في صفر سنة ٧٤٥هـ وأرسل رأسه الى أخيه الصالح ، راجع ابن تغرى بردى :النجوم الزاهره جـ ١٠ ص ٥٠ و ٧١ و ٧٢ .

الاميرطشتمرالساقي (١) نائب حلب ، وكان أحمد قد بعث اليه يشكو من قوصون وأنه يريد القبض عليه ، ويطلب منه النصرة عليه ، فكتب طشتمر الساقي الى الامراء بمصر والى قوصون بالعتب "(٢) كما قدم الخبر من دمشق بأن تمر الموسوى قدم من حلب وأستمال جماعه من الأمراء الى طشتمر الساقي ، فلما علم قوصون بذلك ،حمل تشريفا الى طشتمر فلم يرض به ورده وكتب الى قوصون يعاتبه فأجابه قوصون بأعذار غير مقبوله .

ثم قدم الخبر الى قوصون بأن الأمير قطلوبغا الفخرى قد حلف لأحمد هو ومن معه من الامراء وانهم اقاموه سلطانا ولقبوه بالملك الناصر ، وذلك بمكاتبة الأمير طشتمر الساقي له يعاتبه على موافقة قوصون وما فعله بأبناء الملك الناصر محمد ، كما أعلمه بأن الأمير طقزدمر نائب حماه وأمراء دمشق قد وافقوه على القيام بنصرة الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون " (٣) .

ونتيجة لذلك كتب قوصون الى الأمير الطنبغا الصالحي نائب دمشق بالخروج لقتال طشتمر الساقي نائب حلب ، كما كتب لنائب صفد ونائب حماه ونائب طرابلس بالسمع والطاعه لنائب الشام . ولما بلغ الطنبغا الصالحي ذلك تجهز وخرج من دمشق بعساكرها في جمادى الآخرة سنة ٧٤٢ هـ ، فتلقاه

---

(١) هو الأمير سيف الدين طشتمر بن عبدالله الساقي الناصرى المعروف بحمص أخضر ، كان من مماليك الناصر محمد ورقاه وولاه نيابة صفد ، ثم ولاه نيابة حلب عوضا عن طرغاى الناصرى سنة ٧٤١ هـ ،ثم ولاه الملك الناصر أحمد نيابة السلطنه ثم قبض عليه وأخرجه معه الى الكرك حيث قتله هناك مع الأمير قطلوبغا الفخرى سنة ٧٤٣هـ . راجع ابن حجر : الدرر الكامنه جـ ٢ ص ٢١٩ ، بتوسع راجع ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ٣١ - ٣٥ و ٦١ - ٧٠ و ١٠١ . المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٥٧٩ - ٦١٠ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق جـ ٢ ق ٣ ص ٥٧٩ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ١٠ ص ٣١ .

(٣) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٥٨٠ - ٥٨١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ١٠ ص ٣٢ .

الأمير أرقطاى (١) نائب طرابلس على حمص وصار من جملة عسكره ، وأخبره بكتاب نائب حلب اليه يدعوه لموافقته وأنه أبي عليه ، أما نائب حماه الأميرطقزدمر فأعتذر من وجع رجله وأنه على طاعه السلطان الاشرف (٢)، وعن خروج الطنبغا الصالحي قال الصفدى : " وخرج يوم الجمعة بعد الصلاه في منطرعظيم زائد والناس يدعون عليه بعدم السلامه لأن عوام دمشق كرهوه كراهيه زائده ، وكانوا يسبونه في وجهه ويدعون عليه (٣) ولما علم طشتمر بمسير الطنبغا اليه هرب الى بلاد الروم (٤) وسار الطنبغا الى مدينة حلب واستولي على امواله وحواصله وذخائره من اسلحة وخيول وجمال وباع ذلك على أهل حلب ، وبينما هو في ذلك بلغه دخول قطلوبغا الفخرى الى دمشق بمن معه من العسكر المصرى الذين كانوا حضروا لمحاصرة الناصر أحمد في الكرك (٥) " ووافقه نائب غزه ونائب صفد ، كما قدم عليه الامير طقز دمر نائب حماه ، وحلف الجميع للسلطان الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون . وكتب اليه قطلوبغا الفخرى يعرفه بذلك فأجابه بالشكر والثناء ، وكان قطلوبغا قد أخذ في تجميع الأموال بدمشق للنفقة على الامراء والجند ، فأخذ أجر الاملاك والأوقاف لثلاث سنين كما آخذ مالا كثيرا من التجار واصحاب الأموال حتي لم يبق أحد بدمشق الا وغرم المال على قدر حاله " (٦) وأخذ من مخزن الأيتام

---

(١) هو الأمير سيف الدين ارقطاى بن عبدالله المنصورى وقد سبقت ترجمته انظر الباب الثاني ص ١٠٨ حاشيه ٣ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق جـ ٢ ق ٣ ص ٥٨١ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٤ .

(٣) الصفدى : الوافي بالوفيات جـ ٩ ص ٣٦٢ ، راجع ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٩٣ - ١٩٤ .

(٤) ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ ١٠ ص ٣٤ .

(٥) المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق ٣ ص ٥٨٣ ، الصفدى : المصدر السابق جـ ٩ ص ٣٦٢ .

(٦) المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق ٣ ص٥٨٤ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ١٠ ص٣٥-٣٦

بدمشق أربعمائة الف درهم " (١) .

" أما الطنبغا الصالحي فانه سار من حمص بريد قطلوبغا الفخري ، فلما أقترب من مدينة دمشق ، دارت جميع العسكر على الطنبغا الصالحي وتحيزوا الى قطلوبغا ، وبقي الطنبغا وأرقطاى نائب طرابلس في عدد قليل من العسكر ثم كتب قطلوبغا الفخري الى طشتمر يعرفه بنصرته ويدعوه الى الحضور من بلاد الروم ، وخطب للملك الناصر أحمد على منابر دمشق " (٢)

وفي هذا الوقت كان قد تم القبض على قوصون " نائب السلطنه " ، أما الطنبغا الصالحي فانه هرب الي مصر وقبض عليه ، ولما عاد الملك الناصر أحمد من الكرك قتلا بحبس الاسكندرية سنة ٧٤٢ هـ (٣) . أما طشتمر الساقي فانه عاد من بلاد الروم وولاه الملك الناصر أحمد نيابة السلطنه بمصر . وهكذا كان لنواب نيابات الشام في عصر دولة المماليك الدور الكبير في تعيين بعض الملوك وعزل بعضهم ، كما حصل في عهد الملك الناصر محمد في عودته الثالثة (٧٠٩-٧٤١) عندما كان بالكرك ، وكاتب نواب الشام يشكو ماهو فيه ، فحثوه على القيام لأخذ ملكه ووعدوه بالنصر " ولما تحقق مولانا السلطان الملك الناصر صدق طاعه العساكر الشاميه وبقاؤهم على طاعته ومحبته عاود المسير الى دمشق وخرج من الكرك وخرجت عساكر دمشق الى طاعته وتلقوه " (٤) .

---

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٤٧١ .

(٢) راجع : المقريزى : المصدر السابق جـ٢ ق٣ ص ٥٨٤ - ٥٨٥ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ ١٠ ص٣٦-٣٧ ، الصفدى : المصدر السابق جـ ٩ ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(٣) راجع المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٥٨٦ ، ومابعدها ، ابن تغرىبردى النجوم الزاهره جـ ١٠ ص ٣٧ ومابعدها .

(٤) ابو الفداء : المختصر أخبار البشر جـ ٤ ص ٥٦ - ٥٧ .

ونتيجة لهذه الاضطرابات والفتن كان فساد العشير (١) في بلاد الشام وعنها قال المقريزى : " ففي ربيع الآخر في سنة ٧٤٥ هـ كثر فساد العشير ببلاد الشام ، وقطعهم الطرقات لقلة حرمة الأمير طقزدمر الحموى نائب الشام ، فأقطعت طرقات طرابلس وبعلبك ونهب بلادها ، واشتدت الفتنه بين العشير زياده على شهر ، قتل فيها خلق كثير ، ونحروا الأطفال على صدور امهاتهم ، وأضرموا النار على موضع احترق فيه زياده على عشرين امرأة (٢) ، وفي سنة ٧٥٠ هـ ثار العشير أيضا فعم فسادهم وقطعهم الطرقات على المسافرين ، كما قاموا بالاغاره على بلاد القدس والخليل ونابلس (٣) .

كما كثر الظلم من قبل الأمراء في نيابات الشام ومن ذلك ما قام به الأمير بيدمر البدرى (٤) نائب حلب " من ترفعه على الأمراء وعزل الولاه ،

---

(١) العشير : فرقتان قيس ويمن لا يتفقان قط راجع المقريزى : المصدر السابق جـ ٢ ق ٣ ص ٧٩٨ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق جـ ٢ ق ٣ ص ٦٦٩ .

(٣) راجع المقريزى : المصدر السابق جـ ٢ ق ٣ ص ٧٩٨ - ٧٩٩ .

(٤) هو الأمير بيدمر بن عبدالله (سيف الدين) كان من المماليك الناصريه ، ثم خرج الى دمشق وأقام بها مدة ولي نيابة طرابلس مدة يسيره في أيام الملك الكامل شعبان في ذى الحجة سنة ٧٤٦ هـ ، ثم ولي نيابة حلب سنة ٧٤٧ هـ في زمن الملك المظفر حاجي عوضا عن الامير طقتمر الاحمدى وفي سنة ٧٤٨ هـ وشي به ثم طلبه الملك المظفر فتوجه الى القاهرة وتولي مكانه في نيابة حلب الأمير أرغون شاه وأقام بالقاهرة قريبا من شهرين ثم خرج فقتل بغزه في أوائل جماد الآخره سنة ٧٤٨ هـ ، وقال عنه ابن حجر : " كان يحب العلماء ويتسبح بيده عده ربعات وكان يصدق في كل شهر بخمسة آلاف درهم ، اراجع ابن حجر : الدرر الكامنه جـ ١ ص ٥١٣ ، الصفدى : الوافي بالوفيات جـ ١٠ ص ٣٦٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ١٨٠ و ١٨٤ ، المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٧١٧ و ٧٢٢ .

واشتدت وطأه حاشيته على الناس بظلمهم وسوء معاملتهم (١) .

وذكرلنا ابن الوردى قصة تدل على ظلمه حيث قال : " وفي ذى الحجة في سنة ٧٤٧ هـ صدرت بحلب واقعه غريبه وهي أن بنتا بكرا من أولاد عمر النيزيني كرهت زوجها ابن المقصوص فلقنت كلمه الكفر لينفسخ نكاحها قبل الدخول ، فقالتها وهي لاتعلم معناها ، فأحضرها البدرى بدار العدل بحلب ، وأمر فقطعت أذناها وشعرها ، وعلق ذلك في عنقها وشق انفها وطيف بها على دابة بحلب وبتيزين ، وهي من أجمل البنات وأحياهن فشق ذلك على الناس ، وعمل النساء عليها عزاء في كل ناحيه بحلب ، حتى نساء اليهود ، وأنكرت القلوب قبح ذلك " (٢) .

وكان بيدمرقد رأى في منامه المرأه التى فعل بها ما فعل وهي تقول له : أخرج عنا وكررت ذلك ثلاث مرات وقالت له : قد شكوتك الى الله تعالى فعزلك ، فأنتبه مرعوبا ، وبعث اليها لتحالله وبذل لها مالا فلم تقبله وامتنعت عن محاللته . فقدم خبرعزله بعد ثلاثة أيام من روءياه (٣)

. . . .

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٧٢٦ .

(٢) ابن الوردى : تتمه المختصر جـ ٢ ص ٤٨٩ .

(٣) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٧٢٧ .

د :- كشف بأسمـــاء : سلاطين دولة المماليك البحرية
في الفترة من سنة ٧٢٥هـ - ٧٥٠ هـ

================

١) الناصر محمد بن قلاوون (سلطنته الثالثه) ٧٠٩هـ - ٧٤١ هـ
ومدة حكمه ٣٢ سنه وشهرين و ٢٥ يوما (١)

٢) المنصور سيف الدين ابي بكر بن الناصر محمد بن قلاوون . ٢١ ذوالحجه ٧٤١ هـ - صفر ٧٤٢ هـ .
ومدة حكمه ٥٩ يوما (٢)

٣) الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد بن قلاوون . ١١ صفـــــر ٧٤٢ هـ - أول شعبان ٧٤٢ هـ .
ومدة حكمه خمسة أشهر وعشره أيام (٣)

٤) الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون . ٧٤٢ هـ - محرم ٧٤٣ هـ .
ومدة حكمه ٣ أشهر و ١٣ يوما (٤)

٥) الصالح عماد الدين اسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون . ١٢ محرم ٧٤٣ هـ - ربيع الثاني ٧٤٦ هـ .

---

(١) المقريزى : الخطط جـ ٣ ص ٩٦ ، المقريزى : الذهب المسبوك ص٩٨ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٥٥١ و ٧٥٠ ، ابن تغرى بـــردى : النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ٣ و ١٦ .

(٣) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٥٧١ - ٥٩١ ، ابن تغرى بـــردى : النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ١٦ و ٤٩ .

(٤) المقريزى : السلوك جـ٢ ق ٣ ص ٦١٨ ، ابن تغرى بردى : النجـــوم الزاهرة جـ ١٠ ص ٦٠ و ٧٨ .

ومدة حكمه ٣ سنوات وشهرين و ١١ يوما . (١)

٦) الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون ٠ ١٤ ربيع الثاني ٧٤٦ هـ ـ جمادى الثانية ٧٤٧ هـ .

ومدة حكمه سنه و ٥٨ يوما (٢)

٧) المظفر زين الدين حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون . بداية جمادى الثانية ٧٤٧ هـ ـ رمضان ٧٤٨ هـ .

ومدة حكمه سنه وثلاثة أشهر و ١٢ يوما (٣)

٨) الناصر بدر الدين أبو المعالي حسن بن الناصر محمد بن قلاوون (سلطنته الأولي) رمضان ٧٤٨ هـ ـ جمادى الثانيه ٧٥٢هـ .

ومدة حكمه ٣ سنوات وتسعه أشهر و ١٤ يوما (٤)

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٦١٩ و ٦٨٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ١٠ ص ٧٨ و ٩٨ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ٢ ق ٣ ص ٦٨٠ و ٧١٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ١٠ ص ١٤٢ .

(٣) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٧١٤ و ٧٤٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ١٠ ص ١٤٨ و ١٧٤ .

(٤) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٧٤٥ و ٨٤٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ١٠ ص ١٨٧ .

هـ :ـ كشف بأسماء نواب دمشق في الفترة من سنة ٧٢٥هـ الى ٧٥٠هـ

* نواب دمشق :

	اسم النائب	مدة نيابته	اسم السلطان المعاصر
١	سيف الدين تنكز بن عبد الله الحسامي الناصري .	٧١٢هـ ـ ٧٤٠هـ توفي مقتولا بثغر الاسكندرية سنة ٧٤١ هـ .	الناصر محمد بن قلاوون (سلطنته الثالثه)
٢	علاء الدين الطنبغا الصالحي الناصري .	٧٤١هـ ـ ٧٤٢هـ قبض عليه وتوفي مسجونا بالاسكندرية .	المنصور سيف الدين أبوبكر والاشرف علاء الدين كجك ابني الناصر محمد .
٣	سيف الدين قطلوبغا بن بن عبد الله الفخري الساقي .	ذوالقعدة ٧٤٢هـ ـ ثم قبض عليه وقتل بالكرك سنة ٧٤٣هـ .	الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد .
٤	علاء الدين أيدغمش بن عبد الله الناصري (١)	صفر ٧٤٣هـ ـ جمادى الآخره ٧٤٣ هـ توفي وهو والي نيابة دمشق .	الصالح عماد الدين اسماعيل بن الناصر محمد .
٥	سيف الدين طقزدمر بن عبد الله الحموي الناصري .	٧٤٣هـ ـ ٧٤٦ هـ طلب الى القاهرة وتوفي بها في نفس العام .	الصالح عماد الدين اسماعيل بن الناصر محمد .

(يتبع ...)

((تابع نواب دمشق)) :-

	اسم النائب	مدة نيابته	اسم السلطان المعاصر
٦	سيف الدين يلبغا اليمبادى الناصرى .	٧٤٦هـ - ٧٤٨هـ توفي مقتولا بقلعة قاقون .	الكامل سيف الدين شعبان ، والمظفر زين الدين حاجي أبني الناصر محمد .
٧	سيف الدين أرغون شاه .	٧٤٨ هـ - ٧٥٠ هـ توفي مقتولا بدمشق في نفس العام .	الناصر بدر الدين أبو المعالي حسن بن الناصر محمد .

(١) كان من مماليك الأمير سيف الدين بلبان الطباخي ، ثم أخذه الملك الناصر محمد وترقى الى أن صار أمير آخور عوضا عن بيبرس الحاجب أقام على ذلك الى أن توفي الناصر محمد . ولما أستقر الحكم للملك الناصر أحمد ولي نيابة حلب في أواخر سنة ٧٤٢ هـ . ولم يزل بها الى أن تولي الملك الصالح اسماعيل فرسم له بنيابة دمشق فدخلها في ٢٠ صفر سنة ٧٤٣ هـ ، وأقام بها نائبا الى أن توفي في جمادى الآخره من نفس العام . وكانت مدة نيابته في حلب ودمشق نصف سنه .

راجع : الصفدى : الوافي بالوفيات جـ ٩ ص ٤٨٨ ، ابن حجر : الدرر الكامنه جـ ١ ص ٤٢٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ١٠ ص ٩٩ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافي جـ ١ ص ١٦٧ .

و :- كشف بأسماء نواب حلب في الفترة من سنة ٧٢٥ هـ الى ٧٥٠هـ

نواب حلـــب :

	اسم النائـــب	مدة نيابتـه	اسم السلطان المعاصر
١	علاء الدين الطنبغــا الصالحي . "الأولي"	٧١٤ - ٧٢٧ هـ عــزل وأعيد الى مصــر .	الناصر محمد بن قلاوون (سلطنته الثالثة) .
٢	سيف الدين أرغـــون الدوادار (١) .	محرم ٧٢٧ - ٧٣١ هـ توفي في مدينة حلب.	الناصر محمد بن قلاوون (سلطنته الثالثة) .
٣	علاء الدين الطنبغــا (٢) الصالحي . "الثانية"	٧٣١ - ٧٣٩ ، نقــل لنيابة غزه .	الناصر محمد بن قلاوون (سلطنته الثالثة) .
٤	سيف الدين طرغاى الطباخي الجاشنكيـر الناصرى (٣) .	٧٣٩ - ٧٤١ ، عزل وفي سنة ٧٤٣ هـ نقل لنيابة غزه .	الناصر محمد بن قلاوون (سلطنته الثالثة) .

(١) سبقت ترجمته انظر الباب الثاني ص ١٠٧ حاشيه ٦ .

(٢) أعيد للنيابة بعد وفاة أرغون الدوادار ثم وقع بينه وبين تنكز نائب دمشـــق فشكاه الى الملك الناصر فعزله ونقله الى نيابة عزه : راجع ترجمته ص : ٣١٤ حاشية

(٣) كان من أعيان مماليك الملك الناصر محمد وأمرائه الى أن أصبح جاشنكيره ثـــم ولاه نيابة حلب سنة ٧٣٩ هـ ثم أعيد الى مصر ثم ولي نيابة طرابلس سنة ٧٤٣هـ في سلطنة الملك الصالح اسماعيل وأستمر بها الى أن توفي في رمضان سنة ٧٤٤ راجع ابن حجر : الدرر الكامنه جـ ٢ ص ٢١٦ ، ابن تغرى بردى : النجـــوم الزاهره : جـ ١٠ ص ١٠٧ ، المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٦٥٢ .

تابع نواب حلب :

	اسم النائب	مدة نيابته	اسم السلطان المعاصر
٥	سيف الدين طشتمر بن عبد الله الساقي المعروف بحمص أخضر (١)	٧٤١ - ٧٤٢ تولي نيابة السلطنه للملك الناصر أحمد ثم قبض عليه وقتل بالكرك سنة ٧٤٣هـ .	المنصور ابو بكر ، والاشرف كجك أبني الملك الناصر محمد .
٦	علاء الدين أيدغمش بن عبدالله الناصرى (٢) .	ذو الحجه ٧٤٢ - محرم ٧٤٣ هـ ، تم نقله لنيابة دمشق .	الناصر محمد بن الناصر محمد .
٧	سيف الدين طقزدمر بن عبدالله الحموى الناصرى (٣) .	محرم ٧٤٣ - جمادى الآخره لنقله لنيابة دمشق .	الصالح اسماعيل بن الناصر محمد .
٨	علاء الدين الطنبغا بن عبدالله الماردانى الناصرى (٤)	٧٤٣ - صفر ٧٤٤ هـ توفي في نفس العام.	الصالح اسماعيل بن الناصر محمد .

(١) سبقت ترجمته واحداثه راجع ص ٣١٨ حاشية ١ .

(٢) سبقت ترجمته انظر ص ٣٢٦ حاشية ١ .

(٣) سبقت ترجمته انظر ص ٣١٤ حاشية ٤ .

(٤) كان أحد مماليك الملك الناصر محمد فأختص به ورقاه وزوجه باحدى بناته ، ولي نيابة حماه في ربيع الأول سنة ٧٤٣ هـ ، فأقام بها شهرين ثم نقل لنيابة حلب فأستمر بها لمدة نصف سنه الى أن مات في شهر صفر سنة ٧٤٤ هـ - راجع: الصفدى : الوافي بالوفيات ج٩ ص ٣٦٤ ، ابن حجر : الدرر الكامنه ج ١ ص : ٤٠٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره : ج ١٠ ص ١٠٥ ، والدليل الشافي ج ١ ص ١٥١ .

تابع نواب حلب :

	اسم النائب	مدة نيابته	اسم السلطان المعاصر
٩	سيف الدين يلبغا اليحياوى الناصرى (١) .	٧٤٤ - ٧٤٦ نقل لنيابة دمشق .	الصالح اسماعيل والكافل شعبان .
١٠	سيف الدين أرقطاى بن عبدالله المنصورى "الأولي"	٧٤٤ - ٧٤٦ طلب مصر حيث ولي نيابة السلطنه .	الكامل شعبان .
١١	طقتمر الأحمدى (الملقب طاسه) (٢) .	محرم ٧٤٧ هـ ، عزل واعيد الى مصر توفي في نفس العام .	الكامل شعبان .
١٢	سيف الدين بيدمر البدرى الناصرى (٣) .	٧٤٧ - ٧٤٨ استدعي الى مصر وتوفي مقتولا بغزه في أوائل جمادى الاخره في نفس العام .	المظفر حاجي

(١) سبقت ترجمته راجع ص ٣١٥ حاشية ٢ .

(٢) هو الأمير طقتمر بن عبدالله الأحمدى . كان من مماليك الناصر محمد وتنقل حتى ولي الاستاداريه ، ولي نيابة صفد ثم نيابة حماه سنة ٧٤٤ هـ بدلا من الامير يلبغا اليحياوى المنقول الى نيابة حلب ، ثم نقل لنيابة حلب سنة ٧٤٧ عوضا عن الأمير أرقطاى وعزل في نفس العام بعد مقتل الكامل شعبان . قدم مصر وظل بها الى أن توفي في أواخر سنة ٧٤٧ هـ . راجع : المقريزى : السلوك ج٢ق٣ ص ٦٤٥ و ٧٠٠ و ٧١٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره ج١٠ ص ٨٧ والدليل الشافي ج١ ص ٣٦٥ ، ابن حجر : الدرر الكامنه ج٢ ص ٢٢٤ .

(٣) سبقت ترجمته راجع ص ٣٢١ حاشية ٤ .

تابع نواب حلب :

	اسم النائب	مدة نيابته	اسم السلطان المعاصر
١٣	سيف الدين أرغون شاه	ربيع أول ٧٤٨ هـ – جمادى الاخره لنقله لنيابة دمشق .	المظفر حاجي .
١٤	فخر الدين أياس بن عبدالله الناصرى (١) .	٧٤٨ – عزل في نفس العام مات مقتولا بدمشق ٧٥٠هـ	المظفر حاجي – والناصر حسن (سلطنته الأولي)
١٥	سيف الدين ارقطاى (الثانية) .	شوال ٧٤٨ – ٧٥٠ ، ثم نقل لنيابة دمشق توفي في طريقة اليها ، دفن بحلب في نفس العام .	الناصر حسن (سلطنته الأولى)

(١) وقيل (أياز) كان من مماليك الملك الناصر محمد ، ثم نقله الى دمشق في أواخر أيام تنكز نائب دمشق ، ولي نيابة صفد في ايام المظفر حاجي ، ثم نيابة حلب عوضا عن الأمير أرغون شاه في جمادى الأخره سنة ٧٤٨هـ . ثم أمسك في ايام الملك الناصر حسن واعتقل بالاسكندرية ثم أفرج عنه سنة ٧٤٩هـ ثم وسط بدمشق هو والامير الجيبغا نائب طرابلس في ربيع الاخر سنة ٧٥٠ لقتلهما أرغون شاه . راجع : ابن حجر : الدور الكامنه جـ ١ ص ٤٢٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ١٠ ص ٢٤٥ والدليل الشافي جـ ١ ص ١٥٨ الصفدى : الوافي بالوفيات جـ ٩ ص ٤٥٩ .

ز : كشف بأسماء نواب طرابلس في الفترة من سنة ٧٢٥ هـ الى ٧٥٠ هـ

نواب طرابلس : (١)

	اسم النائب	مدة نيابته	اسم السلطان المعاصر
١	سيف الدين طينال (٢) الحاجب (الاولي)	جمادى الاولي ٧٢٦ هـ - ربيع الأول ٧٣٣ حيث عزل ونقل لنيابة غزة .	الناصر محمد (سلطنته الثالثه) .
٢	شهاب الدين قرطاى بن عبدالله الاشرفي (٣) الحاجب(الثانية)	ربيع الأول ٧٣٣ هـ - ٧٣٤هـ توفي في صفر من نفس العام .	الناصرمحمد (سلطنته الثالثه) .
٣	جمال الدين آقوش الاشرفي (٤) .	محرم ٧٣٤ - ٧٣٥هـ قبض عليه في جماد الثانيه وحبس بقلعة صرخد . ثم نقل للاسكندرية في شوال	الناصر محمد (سلطنته الثالثه) .

(١) وضع الدكتور عبدالعزيز سالم كشف بأسماء نواب السلطنه بطرابلس في عصر المماليك في الفترة في (٦٨٩ - ٩٢١) راجع طرابلس الشام ص ٣١٧ - ٣٢٥ ، وعمرعبدالسلام تدمرى : تاريخ طرابلس جـ ٢ ص ٣٦ - ٣٨ .

(٢) سبقت ترجمته بالتفصيل انظر الباب الثاني ص ١٠٩ حاشيه ٢ .

(٣) كانت نيابة قرطاى الأولي لطرابلس من سنة ٧١٦ - سنة ٧٢٦ ، انظر ترجمته الباب الثاني ص ١٢٠ حاشيه ٢ .

(٤) كان نائبا على الكرك لفترة طويله ثم ولاه الملك الناصر محمد نيابة طرابلس بعد وفاة قرطاى الاشرفي (المقريزى : السلوك جـ٢ ق ٢ ص ٣٧١ - ٣٧٩) راجع ترجمة الصفدى :الوافي بالوفيات جـ٩ ص ٣٣٦ ، ابن تغرى بردى :النجوم الزاهره جـ٩ ق ٢ ص ١٠٨ و١١٢ ، ابن حجر : الدرر الكامنه جـ ١ ص ٣٩٥ .

تابع نواب طرابلس :

	اسم النائب	مدة نيابته	اسم السلطان المعاصر
٤	سيف الدين طينال (الثانية) .	جمادى الثانية ٧٣٥ – ٧٤١ هـ .	الناصر محمد (سلطنته الثالثه) .
٥	سيف الدين ارقطاى بن عبدالله المنصورى .	محرم ٧٤١ هـ – شعبان ٧٤٢ هـ .	الاشرف كجك والناصر أحمد .
٦	سيف الدين طينال (الثالثة) .	٧٤٢ – ٧٤٣ هـ نقل نيابة صفد وتوفي في ربيع الأول من نفس السنة بعد عزله عن طرابلس .	الصالح اسماعيل
٧	ركن الدين بيبرس بن عبدالله الاحمدى .	٧٤٣ هـ .. اقام لمدة شهرين ثم طلب الى مصر .	الصالح اسماعيل
٨	سيف الدين أروم بغا (١) السلاح دار الناصرى .	ربيع الأول ٧٤٣ – جمادى الثانية .	الصالح اسماعيل

(١) وفي صفر سنة ٧٤٣ هـ رسم للأحمدى بنيابة طرابلس بحكم وفاة طينال (المقريزى السلوك جـ٢ ق٣ ص ٦٢٣ وترجمته ص ٦٩٨) وذلك بمرسوم من الملك الصالح اسماعيل وأقام بها قرابة شهرين ثم طلب لمصر – كانت وفاته في أوائل ٧٤٦هـ راجع ترجمته الصفدى : الوافي بالوفيات جـ١ ص ٣٥٣ ، ابن حجر : الدرر الكامنه جـ١ ص ٥٠٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ١ ص ٤٣١ ، وفي كتاب طرابلس الشام أنه ولي النيابه سنة ٧٤٦ هـ في عهد الملك الكامل شعبان وهذا غيرصحيح راجع عبدالعزيزسالم طرابلس الشام ص ٣٢٠ .

تابع نواب طرابلـــــس :

	اسم النائـــب	مدة نيابتــــه	اسم السلطان المعاصر
٩	سيف الدين طرغاى الطباخي الجاشنكير الناصرى (١) .	رجب ٧٤٣ - ٧٤٤ هـ واستمر نائبا بها الى أن توفي في رمضان من نفس العـــام .	الصالح اسماعيـــل
١٠	شمس الدين آقسنقـــــر الناصـــر (٢) .	شوال سنة ٧٤٤ - الى ٧٤٦ هـ - طلب الى مصر في أول سلطنة الكامـــل شعبان .	الصالح اسماعيـــل
١١	سيف الدين قمارى بـــن عبدالله الناصر (٣) .	ربيع الآخر سنة٧٤٦ - ذى الحجة ٧٤٦ هـ .	الكامل شعبـــان
١٢	سيف الدين بيدمرالبدرى الناصرى (٤) .	ذى الحجة ٧٤٦ - نقل في شعبان ٧٤٧ لنيابة حلب .	الكامل شعبـــان

(١) وخرج لنيابة طرابلس بدلا من الأمير الأحمدى في جمادى الأخره لمكاتبة الناصر أحمدله ، المقريزى : السلوك جـ٢ ق ٣ ص ٦٢٦ ، الصفدى : الوافي بالوفيـات جـ ١٠ ص ٣٥٤ .

(٢) كان أمير شكار في زمن الملك الناصرمحمد وحظي عنده وزوجه ابنته ، ولي نيابة غزة ثم طلب للقاهرة ، ولي نيابة طرابلس في شوال سنة ٧٤٤ هـ وظل بها الى ربيـــع الآخر سنة ٧٤٦ هـ ونقل في ربيع الآخر سنة ٧٤٨ هـ راجع الصفدى : الوافـــي بالوفيات جـ ٩ ص ٣١١ ، ابن حجر : الدرر الكامنه جـ ١ ص ٣٩٤ ، المقريزى : السلوك جـ٢ ق ٣ ص ٧٥٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره : جـ ١٠ ص ١٧٨ .

(٣) أخو الأمير بكتمر الساقي ولي نيابة طرابلس سنة ٧٤٦ ثم قبض عليه في أواخرهذه السنه حيث قتل . راجع : المقريزى : السلوك جـ٢ ق ٣ ص ٧٢٣ = و(*)

تابع نواب طرابلس :

	اسم النائـــب	مدة نيابته	اسم السلطان المعاصر
١٣	أسندمر العمرى (١)	جمادى الاخره سنة ٧٤٧هـ الى محرم سنة ٧٤٨ هـ .	المظفر زين الدين حاجي
١٤	منكلي بغا الفخـــرى أمير جاندار (٢) .	محرم ٧٤٨ هـ ـ جمادى الأول سنة ٧٤٨ هـ .	الناصر حسن (سلطنتـــه الأولي) .
١٥	بدرالدين مسعود بن خطير (الاولي) (٣)	جمادى الاولي سنة٧٤٨ ربيع الا ول سنة ٧٤٩ .	الناصر حسن (سلطنتـــه الأولي) .
١٦	الجيبغا المظفرى (٤)	ربيع الآخر ٧٤٩ ـ ربيـــع الاخر سنة ٧٥٠ هـ .	الناصر حسن (سلطنتـــه الأولي) .
١٧	مسعود بن خطيـــــر (الثانية) (٥).	رجب سنة ٧٥٠ هـ ـ رجب سنة ٧٥٣ هـ .	الناصر حسن (سلطنته الأولي) .

= ابن حجر : الـدور الكامنه جـ٣ ص ٢٥٦ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافي جـ٢ ص ٥٤٩ .

(*) سبقت ترجمته انظر ص ٣٢١ حاشية ٤ .

(١) سبقت ترجمته انظر ص٣١٦ حاشية١ ،وفي طرابلس الشام انه ولي نيابة طرابلس مرتيـن وبالرجوع الى ترجمته نجد أنه تولى نيابة حماه اكثر من مره ، انظر السيد . . عبدالعزيز سالم ص(٣٢٠ - ٣٢١) راجع الصفدى : الوافي بالوفيات : جـ٩ ص : ٤٤٩ .

(٢) وفي محرم سنة ٧٤٨ هـ قدم كتاب أسندمر العمرى نائب طرابلس يسأل الاعفاء فأجيب الى ذلك ، واستقر منكلي في نيابة طرابلس ، المقريزى : السلوك جـ٢ ق ٣ ص ٧٢٤ ، راجع ترجمة السلوك جـ٢ ق٣ ص ٨٨٦ ، ابن تغرى بردى : الدليل الشافي جـ٢ ص٧٤٥ ، ابن حجر :الـدور الكامنه جـ٤ ص٣٦٧ .

(٣) هومسعود بن أوحد بن مسعود بن الخطير ، تنقل من عده ولايات واعمال ـ ولي نيابة غزة عدة مرات ـ كما ولي نيابة طرابلس غير مره ومات في شوال سنة ٧٥٤هـ ـ راجع : ابن حجر : الـدور الكامنه جـ ٤ ص ٣٤٨ ، المقريزى : السلوك جـ٢ق ٢ ص٥٠٨ و٦٠٢ق٦ ٣ ص٨٠٣ و٩٠٥ ، ابن تغرى بردى :النجوم الزاهرة جـ١٠ ص ٢٩٢ والدليل الشافي جـ٢ ص٧٣٣ .

(٤) من مماليك المظفر حاجي .تولي نيابة طرابلس سنة٧٤٩هـ واشترك في قتل أرغوهشاه نائب دمشق سنة ٧٥٠ هـ وقبض عليه ومات موسطاً بدمشق في ربيع الآخر مع فخرالدين اياس . راجع ابن تغرى بردى :النجوم الزاهره جـ١٠ص٢١٣ - ٢١٥ و٢٤٥ ، المقريزى : السلوك جـ٢ ق ٣ ص ٧٦١ و ٨١٣ .

(٥) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٣ ص ٨٢١ .

ح :ـ كشف بأسماء نواب حماه في الفترة من سنة ٧٢٥ هـ الى ٧٥٠ هـ

نواب حماه : ٧٢٥ هـ ـ ٧٥٠ هـ :

	اسم النائب	مدة نيابته	اسم السلطان المعاصر
١	سيف الدين طقزدمر بن عبدالله الحموى الناصرى (١)	ربيع الأول ٧٤٢ ـ شوال من نفس العام ثم نقل في محرم ٧٤٣ هـ لنيابة حلب	الأشرف علاء الدين كجك .
٢	الحاج آل ملك (٢)	شوال ٧٤٢ - ٧٤٣	الناصر شهاب الدين أحمد .
٣	علم الدين سنجر بن عبدالله الجاولي (٣)	محرم ٧٤٣ـ ربيع الأول من نفس العام ثم نقل لنيابة غزه .	الصالح عماد الدين اسماعيل

(١) سبقت ترجمته انظر ص ٣١٤ حاشيه ٤ وهو أول نائب بها بعد أن عزل قوصون الملك الأفضل محمد بن المؤيد السلوك جـ٢ ق ٣ ص ٥٧٣ .

(٢) كان من امراء الديار المصرية . تولي نيابة حماه في عهد الملك الناصر أحمد ثم عاد الى مصر في عهد الملك الصالح اسماعيل وولي نيابة السلطنه ولما تولي الملك الكامل شعبان أخرجه لنيابة دمشق في ربيع الآخر سنة ٧٤٦ هـ فلم يدخل غزة حتى لحقه البريد بتقليده نيابة صفد . ثم طلب الى مصر وقبض عليه بغزه وقتل بالاسكندرية سنة ٧٤٧ هـ وهو صاحب الجامع بالحسينية ـ كما أن له أربضه بمكة المكرمة وغيرها . راجع ابن تغري بردي : النجوم الزاهره جـ ١٠ ص ١٧٥ ، الدليل الشافي جـ١ ص ١٥٣ ، الوافي بالوفيات : جـ٩ ص ٣٧٢ ، السلوك جـ٢ ق ٣ ص ٦٠٥ و ٦٨١ .

(٣) سبقت ترجمته انظر الباب الثاني ص ٢٠٢ حاشيه ٣.

تابع نواب حماه :

	اسم النائب	مدة نيابته	اسم السلطان المعاصر
٤	علاء الدين الطنبغا بن عبدالله الماردانى (١)	ربيع الأول ٧٤٣ – جماد الآخره من نفس العام ثم نقل لنيابة حلب .	الصالح عماد الدين اسماعيل .
٥	سيف الدين يلبغا اليحياوى	جمادى الآخر ٧٤٣ – صفر ٧٤٤ – ثم نقل لنيابة حلب .	الصالح عماد الدين اسماعيل .
٦	طقتمر الأحمدى " الملقب طاسة " (٢)	صفر ٧٤٤ – محرم ٧٤٧ ثم نقل لنيابة حلب .	الصالح عماد الدين اسماعيل والكامل شعبان
٧	أسندمر العمرى (الأولى)	٧٤٧ – نقل لنيابة طرابلس	الكامل شعبان .
٨	طيبغا المجدى (٣)	٧٤٧ شوال	المظفر زين الدين حاجي .
٩	قطليجا الحموى الجمدار (٤)	شوال ٧٤٧ – ٧٥٠ نقل في أواخر هذا العام لنيابة حلب عوضا .	" " " " الناصر حسن (سلطنته الأولى)
١٠	أسندمر العمرى (الثانية)	٧٥٠هـ – ٧٥١ هـ .	" " " "

(١) سبقت ترجمته انظر ص ٣٢٨ حاشية ٤ .

(٢) سبقت ترجمته انظر ص ٣٢٩ حاشيه ٢ .

(٣) وفي شوال سنة ٧٤٧ هـ خلع على قطليجا الحموى واستقراره في نيابة حماه عوضا عن طيبغا المجدى ، راجع المقريزى : السلوك جـ٢ ق٣ ص ٧٢١

(٤) كان مملوك الملك المؤيد صاحب حماه فبعثه الى الملك الناصر محمد وترقي حتي صار في جملة الأمراء ولي نيابة حماه سنة ٧٤٧ هـ ثم نقل لنيابة حلب سنة ٧٥٠هـ عوضا عن الأمير ارقطاى الذى نقل لنيابة دمشق فأقام في حلب أياما وتوفي في نفس العام من شهر جماد الآخر . راجع السلوك جـ٢ ق ٣ ص ٧٢١ و ٨١٣ ابن حجر : الدرر الكامنه جـ ٣ ص ٢٥٥ .

ط :- كشف بأسماء نواب صفد في الفترة من سنة ٧٢٥ هـ الى ٧٥٠هـ

نواب صفد : ٧٢٥ هـ - ٧٥٠هـ :

	اسم النائب	مدة نيابته	اسم السلطان المعاصر
١	سيف الدين أرقطاى بن عبدالله المنصورى (١)	٧٢٠ - ٧٣٦ هـ نقله الى مصر .	الناصر محمد (سلطنته الثالثه) .
٢	سيف الدين ايتمش المحمدى (٢)	٠ (جمادى الاخرة٧٣٦- لم يمكث طويلا حيث توفي في ذى القعدة من نفس العام .	الناصر محمد (سلطنته الثالثه)
٣	سيف الدين طشتمر بن عبدالله الساقي المعروف بحمص أخضر	محرم ٧٣٧ - محرم٧٤١هـ لنقله الى نيابة حلب .	الناصر محمد (سلطنته الثالثة) .
٤	آقسنقر السلارى (٣)	محرم ٧٤١ - رجب من نفس العام لنقله الى نيابة غزة .	الناصر محمد - المنصور ابوبكر والاشرف كجك .

(١) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٢ ص ٣٩١ ، وهو اكثر من شغل منصب نيابه صفد طيلة العهد المملوكي انظر (طه الطروانه : مملكة صفد في عهد المماليك ص ٢٧٦) .

(٢) المقريزى : السلوك جـ٢ ق ٢ ص ٣٩١ و ٤٠٢ - ٤٠٣ و ٤٠٥ ، جـ٩ ص ٣١٠ ، ابن حجر : الدرر الكامنه جـ ١ ص ٤٢٣ .

(٣) المقريزى : السلوك جـ٢ ق ٢ ص ٥٠٨ و ٥١٧ ، ٦٥٨ - انظر ترجمته ، الصفدى : الوافي بالوفيات جـ٩ ص ٣١٣ ، ابن حجر : الدرر الكامنه جـ ١ ص ٣٩٤ .

تابع نواب صفد :

	اسم النائب	مدة نيابته	اسم السلطان المعاصر
٥	بهاء الدين أصلم الناصرى .(١)	٧٤٢ - شوال ٧٤٢ هـ	الناصر أحمد
٦	بيبرس الأحمدى (٢)	٢٧ شوال ٧٤٢ - عزل عن نيابة صفد	الناصر أحمد .
٧	سيف الدين طينال الحاجب .	٧٤٣ - وتوفي في السنة نفسها في ربيع الأول .	الصالح عماد الدين اسماعيل .

(١) كان أمير مقدم ألف في الدولة الناصرية ، ثم حبس لمدة خمس سنوات ثم افرج عنه ، وفي آخر أيام الناصر أحمد جهزه نائبا الى صفد ، وكان من المؤيدين له توفي سنة ٧٤٦ هـ انظر - الصفدى : الوافي بالوفيات جـ٩ ص ٨٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ١٠ ص ٣٥ ، ابن حجر الدرر الكامنه جـ ١ ص ٣٨٩ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ٢ ق ٣ ص ٦٠٥ و ٦١٣ و ٦٩٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره : جـ١٠ ص ٦٢ - وقد سبق ترجمته انظر ص ٣٣٢ حاشيه ١ عند نواب طرابلس .

تابع نواب صفـــد :

	اسم النائـــب	مدة نيابتــه	اسم السلطان المعاصر
٨	طقتمر الأحمدى (الملقب طاســة) .	٧٤٣-صفر ٧٤٤ ، ثم نقل الى نيابة حماه .	الصالح عماد الدين اسماعيل
٩	بـلك الجمدار (١)	صفر٧٤٤ - ٧٤٦ هـ .	" " " "
١٠	الحاج آل ملك (٢)	ربيع الآخر ٧٤٦ ـ الحجة منه نفس العام اعتقل واحضر الى القاهرة .	الكامل شعبـــان .
١١	سيف الدين أراقــ الفتــاح (٣)	الحجة ٧٤٦ - ٧٤٧ هـ	الكامل شعبان .

(١) هو الأمير سيف الدين بلك الجمدار الناصرى ، تولي نيابة صفد بعد نقل طقتمر الأحمدى الى نيابة حماه وأقام بنيابة صفد بقية الأيام الصالحية ، ولما توفـي الصالح اسماعيل عاد الي مصر وظل بها الى أن توفي بالقاهرة سنة ٧٤٩هـ انظر " الصفدى : الوافي بالوفيات جـ٢ ص ٢٨٨ ، ابن حجر : الدرر الكامنـه : جـ١ ص ٤٩٥ ، المقريزى : السلوك جـ٢ ق ٣ ص ٦٤٦ .

(٢) كان الأمير الحاج آل ملك متوليا لنيابة السلطنة بمصر ، وفي سنة ٧٤٦هـ وفي ربيع الاخر طلب الاعفاء من نيابة السلطنة وأن يستقر في نيابة دمشـــق بدلا من الأمير طقزدمر الذى نقل الى القاهرة فلم يدخل غزة حتي لحقة البريد بتوليه نيابة صفد " المقريزى : السلوك : جـ٢ ق ٣ ص ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٩٦ ، ٦٩٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ١٠ ص ١١٨ ، ١٢٥ .

(٣) هو الأمير سيف الدين أراقــا بن عبدالله المعروف بالفتاح ، ولي نيابة صفـــد بعد احضار الحاج آل ملك الى القاهرة وكان من ضمن نواب الشام الذين ظاهروا بالخروج على الملك الكامل شعبان " المقريزى : السلوك جـ٢ ق ٣ ص ٦٩٧ ، ٧٠٨ ، النجوم الزاهره جـ١٠ ص ١٢٥ ، ١٣٤ انظر ترجمته المنهل الصافي جـ١ ص ١٠٢ ، الوافي بالوفيات الصفدى جـ ٨ ص ٣٣٢ .

تابع نواب صفد :

	اسم النائب	مدة نيابته	اسم السلطان المعاصر
١٢	أرغون شاة	شعبان ٧٤٧ – ٧٤٨ نقل لنيابة حلب	المظفر حاجي .
١٣	فخر الدين اياس (١)	ربيع الأول ٧٤٨ هـ – ربيع ٧٤٩ هـ .	المظفر حاجي والناصر حسن (سلطنته الأولى)
١٤	احمد شاد الشربخاناه "احمد الساقي" (٢)	ربيع الأول ٧٤٩ هـ – ٧٥٢	الناصر حسن (سلطنته الأولى) .

(١) نقل من حجوبية دمشق الى نيابة صفد عوضا للأمير أرغون شاه الذى نقل لنيابة حلب ، انظر : السلوك جـ٢ ق ٣ ص ٧٢٨ ، تتمة المختصر جـ١ ص ٤٩١ ، الوافي بالوفيات جـ١ ص ٣٥٢ ، البداية والنهاية : جـ١٤ ص ٢٢٢-٢٢٣ .

(٢) أخرج الى نيابة صفد بسبب أثارته للفتنه ، انظر : المقريزى : جـ١ ق ٣ ص ٧٦١ ، النجوم الزاهره جـ١٠ ص ١٩٢ – ١٩٣ وراجع ايضا البداية والنهاية جـ١٤ ص ٢٣٦ – ٢٣٨ ، ابن خلدون : العبر جـ٥ ص : ٩٦٣ – ٩٦٧ .

ب :ـ الأحوال الاجتماعيـــة :

(١) :ـ التركيب السكاني : قبل أن نتطرق بالحديث عن الأحـــوال الاجتماعية للمجتمع الاسلامي في بلاد الشام في القرن الثامن الهجــــرى، لابد من القاء الضوء ولو بصورة موجزة عن التركيب السكاني في بلاد الشام خلال تلك الفترة .

أ : ـ أهـــل السنــه :

وهم الغالبيه العظمي من السكان في بلاد الشام ومنهم الحكـــام المماليك ورجال الدين والعامه من الشعب ، وكانت النيابات الستة هي (نيابـــة دمشق وحلب وطرابلس وحماه وصفد والكرك) تحكم من قبل امراء المماليك الذين كان يتم تعيينهم من قبل السلطان ، " وقد استأثرت هذه الطبقة الحاكمة بالحكـــم والوظائف ، كما حرمت اصحاب البلاد الأصليين من المشاركة في أمور بلادهـم ، فهم اصحاب السياده والطبقة المسيطره ذات النفوذ السلطاني . كما خضـــع اصحاب البلاد الأصليين من أهل الشام للأمر الواقع ورضوا بما فعل المماليـــك بهم " (١) كما كانت هذه الطبقة الحاكمة من أمراء المماليك يعيشون في جـــو غريب خاص بهم وكان وضعهم في هذه النيابات الست مشابها لوضعهـــم في القاهرة ، وهو ما يتعلق بالدرجة الأولي بطبيعة المماليك ونظام حكمهم، فقد ظلوا منعزلين عن المجتمع الشامي في بعض الأمور ، كحصرهم التزاوج فيما بينهـــم، ومحاكمهم.وعلى الرغم من ذلك كانوا يختلطون بالسكان ، ولكن هذا الأختلاط كان خاصا بما يتعلق بأمور النيابة كحضور الصلوات في الجامع الأموى وغيره ،ويتصدرون المواكب والمواسم الدينيه ويقودون قافلة الحجاج ، ومشاركة رجال الديـــن في ادارة شوءون الدولة " (٢) .

---

(١) سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ص ٢١٢ .

(٢) اكرم العلبي : دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين ص ٩٠ - ٩١ .

ولأهمية نيابة دمشق بالنسبة للنيابات الخمس الباقيه ، فقد كان من أهم واجبات النائب بها مانستخلصه من كتب التقليد التى كان يصدرها السلطان عند تعيينه لنائب جديد ، فمن واجباته تعظيم منار الشرع الشريف بتكريم احكامه ، والوقوف مع احكامه ، ونشر العدل والاحسان ، والرفع من أقدار حملة العلم وتسهيل مأربهم ، وتعيين الاقطاعات لمن يستحقها من الآيتام ، ولمن يوجب استحقاتها ، بالاضافة الى المحافظة على هيبة السلطان وغيرها من الواجبات (١) ، كما كان للنائب بدمشق صلاحيات ينفرد بها دون الرجوع الى السلطان ، فمن صلاحياته تولية صغار النواب كالقدس والرمله وقلعة صرخد وغيرها (٢) ، ومن صلاحياته ايضا التعيين في بعض الوظائف كشد الدواوين والأوقاف والزكاة وغيرها (٣) .

"ومن عادة النائب بدمشق أن يركب في العساكر من الأمراء ومقدمي الحلقة (٤) واجنادهم في كل يوم اثنين وخميس ويخرجون الى سوق الخليل تحت القلعة فيسيرون خيولهم (٥) .

أما سكان بلاد الشام الأصليون فأنهم انقسموا الى حضر وبدو ، فالحضر هم أهالي المدن والقرى الشاميه وقد اشتغلوا بالنشاط الاقتصادى من صناعة وتجارة و زراعة وكان كل مايطمعون فيه أن يلي أمرهم نائب عادل من المماليك يحسن معاملتهم ولا يحرمهم حقوقهم ، أما البدو فقد تألفوا من العشائر المنتشره في بادية الشام وكان لكل عشيرة أفخاذها وبطونها ، وعلى رأس تلك العشائر كان .....

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشي جـ ١٢ ص ١٩ - ٢٣ .

(٢) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٩٩ - ٢٠٢ .

(٣) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٨٦ - ١٨٧ .

(٤) أجناد الحلقه : هم عدد كبير من الجند وربما دخل فيهم من ليس بصفه الجند ، وقد كان من عادة ديوان الجيش عدم جمع الجند كي لا يحاط بعدده . راجع القلقشندى : صبح الاعشى جـ٤ ص ١٦ .

(٥) راجع بتوسع ماكتبه القلقشندى عن هذه العادة ، صبح الاعشي جـ٤ ص ١٩٤ ، جـ٧ ص ١٩ .

"آل فضل" (١) من ربيعه وديارهم من حمص الى قلعة جعبر ، بمعني انهم انتشروا بين العراق والشام على جانبي نهر الفرات " (٢) .

والى جانب السكان الاصليين ،كان يوجد مجموعة من المسلمين . فمدينة القدس كان يوجد بها العرب المغاربة " ويرجع استيطانهم في مدينة القدس الي فترة تاريخية سابقة للعهد المملوكي (٣) . فقد كانت لهم حاره تنسب اليهم بجوار سور المسجد من جهة الغرب وهي موقوفه عليهم وسكنهم بها (٤) كما كانت لهم زاوية تعرف باسمهم أيضا ، وقفها الشيخ عمر بن عبدالله بن عبد النبي المغربي المصمودى ، وأنشأها من ماله الخاص ، وتاريخ وقفها خامس شهر رجب سنة ٧٦٨ هـ (٥) ، بالاضافة الى جامع يعرف باسم (جامع المغاربه) (٦) . كانوا من أتباع المذهب المالكي ، ويرجع اليهم فضل ترتيب صلاة المالكية بالقدس (٧) " ومن الفئات الاسلامية التى كانت تسكن مدينة القدس في العصر المملوكي فئه الهنود وكانت لهم زاوية في القدس عرفت باسمهم (٨) كما كان يقطن مدينة القدس عدد من العائلات الكردية الاسلامية وعلى الرغم من قلة افراد هذه الفئة في العهد المملوكي فقد كانت لهم حارة تنسب اليهم (٩) .

---

(١) سبقت الاشارة الى آل فضل عند الحديث عن الاحوال السياسية في رحلة ابن بطوطه ، انظر الباب الثاني ص ٩٧ حاشيه ١ .

(٢) سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الايوبيين ص ٣١٢ - ٣١٣ ، راجع القلقشندى : المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٠٤ .

(٣) رشاد الامام : مدينة القدس في العصر الوسيط ص ١١٣ .

(٤) ابو اليمن الحنبلي : الانس الجليل جـ ٢ ص ٥١ - ٥٢ .

(٥) ابو اليمن الحنبلي : المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٥ - ٤٦ .

(٦) ابو اليمن الحنبلي : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٥ .

(٧) رشاد الامام : المرجع السابق ص ١١٣ .

(٨) رشاد الامام : المرجع السابق ص ١١٤ .

(٩) رشاد الامام : المرجع السابق ص ١١٣ .

ب : الشيعه :

هم الذين شايعوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه على الخصوص وقالوا بامامته وخلافته نصا ووصيه ، أما جليا وأما خفيا ، واعتقدوا أن الامامة لاتخرج من أولاده (١) .

وانتشروا في بلاد الشام في جبل عامر الذى يقع بين صفد جنوبا ، ونهر الأولي شمالا وغور الحله ومحازأة أرض البقاع شرقا والبحر المتوسط غربا . كما كانوا يوجدون في مدينة بعلبك وأعمالها منذ عهد قديم ولهم في حمص قرى قليلة وفي المدينة نفسها جماعات ظاهره ومستتره ، أما في مدينة دمشق فيرجع عهدهم الى القرون الأولى للهجرة (٢) . ومن أهم فرق الشيعه الموجوده في عصر المماليك :-

أ - النصيرية (٣) : عاشوا في شبه عزله في شمال جبل لبنان تحت زعامة شيوخهم (٤) .

ب - الدروز (٥) : وهم عشائر كثيره اعتنقت الدرزيه ، وانتشروا في

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل جـ ١ ص ١٤٦ .

(٢) محمد كرد علي : خطط الشام جـ ٦ ص ٢٤٧ .

(٣) النصيرية : سبق تعريفها في الباب الثاني ص ١١٨ حاشيه ٤ ، أما اليوم فيسكن النصيريه في جبال اللاذقية وطرابلس وحماه ومنهم فئه قليلة في دمشق وصالحيتها وعددهم اكثر من مائة الف (محمد كرد علي : المرجع السابق جـ ٦ ص ٢٦٢) .

(٤) سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ص ٣١٧ .

(٥) ينتسب الدروز الى داع اعجمي يدعي محمد بن اسماعيل الدرزى ، قدم الى مصر سنة ٤٠٨ هـ ١٠١٧م وأتصل بالحاكم بأمر الله الفاطمي فأنعم عليه وقربه فدعا الدرزى الى القول بالهية الحاكم فأنكر الناس ذلك وأخيرا تمكن أحد الاتراك من قتله وهو في موكب الخليفه الحاكم ونهبت داره واستمرت الفتنه ٣ أيام قتل اثناءها جماعة من الدرزيه ، وبعد مقتله قام داعيه آخر يدعي حمزه بن احمد الملقب الهادى ، وأقام خارج القاهرة ودعا =

جهات متفرقه من لبنان (١) .

جـ ـ الاسماعيليه (٢) : كانوا يعرفون بالباطنية أو الفداويه ، كانت لهم قلاع سبعه هي مصياف والرصافه والخوابي والقدموسي والكهف والمنيقه والعليقه .

د ـ الكسروانيون : هم أهل جبال كسروان ، كانوا من النصرية والعلويون والمتأدله (٣) . بالاضافه الى ذلك كانت هناك عصبيات أخرى في بلاد الشام مثل الاكراد والتركمان والأرمن (٤)

جـ : أهل الذمـه :ـ

الى جانب المسلمين في بلاد الشام كانت هناك فئات من المسيحيين واليهود ، " ففي مدينة دمشق كان للمسيحيين حي خاص بهم جنوب شرق المدينة بالقرب من باب توما ، كما كان لليهود حي مماثل في المدينة (٥)

= الى مذهب الدرزى وبث دعاته في مصر والشام . ومنذ ذلك الحين ظهر مذهب الدروز في بعض مناطق بلاد الشام (انظر المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ٢ ص ١١٣) . وينزل الدروز اليوم في شرق لبنان وجبل حوران ووادى التيم وبعض قرى الغوطه بدمشق والجبل الاعلى بحلب وبعض قرى عكا ولا يقل عددهم عن مائة وأربعين الف (محمد كرد علي : المرجع السابق جـ ٦ ص ٢٦٨) .

(١) سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ص ٣١٦ .

(٢) سبقت الاشاره الى الاسماعيليه انظر الباب الثانى ص ٩٤ حاشيه ٥ ، ٦ .

(٣) سعيد عاشور : المرجع السابق ص ٣١٤ .

(٤) بتوسع عن هذه العصبيات المذهبية راجع سعيد عاشور : المرجع السابق ص : ٣١٤ ـ ٣١٩ . محمد كرد علي : المرجع السابق جـ ٦ ص ٢٤٥ ومابعدها اكرم العلبي : دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين ص ٧٧ ـ ٨٠ .

(٥) نيقولا زياده : دمشق في عصر المماليك ص ١٣١ . راجع اكرم العلبي : دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين ص ٨١ ـ ٨٢ .

أما مدينة القدس فبحكم وضعها الديني فكان السكان بها أخلاطا من المسلمين والمسيحيين واليهود ، وكان المسلمون يشكلون نسبة ٧٠ - ٨٠٪ من السكان وكان معظم المسيحيين في مدينة القدس من أصل عربي . بجانب عدد من نصارى الفرنج من دول أوروبا المختلفة والأحباش وكان سكن هؤلاء الأديره والكنائس العديده في مدينة القدس وبيت لحم ، والتي بلغت عشرين كنيسه أكبرها كنيسة القيامه (١) . كما كان للنصارى في بلاد الشام بطرك (٢) اليه مرجعهم في التحليل والتحريم فيما يختص بأمر دياناتهم (٣) .

" أما اليهود في مدينة القدس كانت لهم حارة تنسب اليهم تسمي (حارة اليهود) " (٤) . " وكان محظورا على النصارى واليهود ترميم أو بناء أى مبني ديني لهم في مدينة القدس " (٥) . ونتيجه لاختلاط اليهود والنصارى بالمسلمين في مصر والشام وعدم التفريق فيما بينهم " فقد أصدر الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٠ هـ مرسوما بتغيير زى النصارى واليهود والسامره (٦) فألزم

---

(١) يوسف درويش غوانمه : دراسات في تاريخ الاردن وفلسطين في العصر الاسلامي ص ٢٤٢-٢٤٣ ، ٢٤٨ ، انظر أبو اليمن الحنبلي : الانس الجليل جـ٢ ص٥ ، رشاد الامام : مدينة القدس في العصر الوسيط ص١٢١ ومابعدها .

(٢) كان مركز البطرك مدينة دمشق ، وكان مرسوم توليته في أغلب الأحيان يصدر عن النواب وأحيانا تصدر التوليه مباشره عن السلطان (القلقشندى : صبح الاعشى جـ٤ ص١٩٤ ، جـ١٢ ص٤٢٤ - ٤٢٥) .

(٣) القلقشندى : المصدر السابق جـ ٥ ص ٢٧٢ .

(٤) ابو اليمن الحنبلي : الانس الجليل جـ٢ ص ٥٢ ، كان لليهود رئيس لهم مركزه مدينة دمشق أما السامره فرئيسهم بمدينة نابلس (القلقشندى : المصدر السابق (جـ٤ ص١٩٤ ، جـ١٢ ص ٤٢٨) .

(٥) رشاد الامام : مدينة في العصر الوسيط ص ١٣٤ .

(٦) هم فرع من اليهود ينسبون انفسهم الى سبط يوسف . يتقشفون في الطهاره اكثر من تقشف سائر اليهود ، كما كانوا يتشددون في شعائرهم الدينية لاسيما يوم السبت . يزعمون انهم ينفذون أوامر التوراه الحرفيه انظر الشهرستاني =

النصارى يلبس العمائم الزرقاء ، واليهود العمائم الصفراء ، والسامره العمائم الحمراء ، أما نصارى الكرك والشوبك فظلوا يلبسون العمائم البيضاء اسوة بالمسلمين ، لما كان لهم من مكانة في نفس الملك الناصر محمد " (١) وكان سبب ذلك أن وزيرا مغربيا كان جالسا بباب القلعه فحضر بعض كتاب النصارى وهو بعمامه بيضاء ، فقام اليه الوزير المغربي وبالغ في تعظيمه وظن أنه مسلما ، ثم تبين أنه نصراني ، فدخل المغربي على السلطان وأخبره بذلك (٢) .

لم تكن العلاقات بين المسلمين من جهه والمسيحيين واليهود من جهه ثانيه دائمه الصفاء ، فقد كان النصارى في مدينة دمشق كثيرا ما يتعرضون للقتل والمصادره من قبل النائب عند محاولتهم التعرض للمسلمين والاضرار بمقدساتهم وفي ذلك ماذكره المؤرخ ابن كثير في أحداث سنه ٧٤٠ هـ بقوله (٣) : أن جماعة من روءوس النصارى اجتمعوا في كنيستهم وجمعوا من بينهم مالا جزيلا فدفعوه الى راهبين قدما عليهما من بلاد الروم (القسطنطينية) يحسنان صنعة النفط وعلا كحطأ من نفط بحيث لا يظهر تأثيره الا بعد أربع ساعات وأكثر

= الملل والنحل جـ ١ ص ٢١٨ - ٢١٩ ، احمد رمضان : المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبيه ص ٦١ - محمد كرد علي : خطط الشام جـ ٦ ص ٢١٣ ومابعدها .

(١) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٩١٢ ، النويرى : الالمام بالاعلام ،تحقيق عزيز سوريال عطيه جـ ٤ ص ١٢٢ ، يوسف غوانمه :المرجع السابق ص ٢٤٦ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ٢ ص ١٣٢ - ١٣٣ ، ابن اياس الحنفي بدائع الزهور جـ ١ ق ١ ص ٤٠٨ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٨٦ ، انظر الذهبي : دول الاسلام جـ ٢ ص ٢٤٦ ، ابن الوردى : تتمه المختصر جـ ٢ ص ٢٦٦ ، المقريزى : جـ ٢ ق ٢ ص ٤٩٥ - ٤٩٧ ، ابن صصرى : الدرة المضيئه ص ١١٨ و ١٢٥ .

من ذلك ، فوضعاه في شقوق دكاكين التجار في سوق الدهشه في عدة دكاكين من آخر النهار بحيث لا يشعر أحد بهما ، وهما في زى المسلمين . فلما كان في أثناء الليل لم يشعر الناس الا والنار وقد علت في تلك الدكاكين ، حتى تعلقت في درابزينات المأذنة الشرقية المتجه الى السوق المذكور ، وأحرقت الدرابزينات ، وجاء تنكز نائب السلطنه والأمراء وصعدوا المناره وهي نارا واحترسوا عن الجامع فلم ينله شيء من الحريق ، أما المأذنه فانها تفجرت احجارها وأحترقت السقالات التى تدل السلالم فهدمت .

وبعد ليال عمدوا الى ناحية الجامع من المغرب الى القيساريه بكمالها وبما فيها من أقواس وتطاير شرر النار الى ما حول القيساريه من الدور والمساكن والمدارس واحترق جانب من المدرسة الأمينية والمقصود من ذلك وصول النار الى معبد المسلمين وجاء نائب السلطنة والأمراء وحالوا بين الحريق والمسجد .

ولما تحقق نائب السلطنة أن هذا من فعلهم أمر بمسائلة رؤوس النصارى فأمسك منهم نحو من ستين رجلا ، فأخذوا بالمصادرات والضرب والعقوبات ثم بعد ذلك صلب منهم ازيد من عشرة على الجمال وطاف بهم فى أرجاء البلاد وجعلوا يتماوتون واحدا بعد واحد ، ثم أحرقوا بالنار حتى صاروا رمادا " .

(٢) الحياه الاجتماعيــة في بلاد الشام زمن المماليك :-

كانت بلاد الشام عامره برجال العلم والعلماء والصالحين ،حيث كثـر تعمير المساجد والأربطة والخوانقات في سائر البلاد ، ومما يدل على تأصـل الناحية الدينية فيهم ماوصفه ابن فضل الله العمرى عن عمارة الجامع الأمـوى بالناس قائلا : " وهذا المسجد معمور بالناس كل النهار وطرفي الليل ، لأنه ممـر المدارس والبيوت والأسواق ، وفيه ماليس في غيره من كثرة الائمه والقراء ، ومشايخ العلم والاقراء ، ووجوه أهل التصدير والافتاء ووظائف الحديث وقراء الأسباع والمجاورين من ذوى الصلاح ، فلا تزال أوقاته معموره بالخير ، آهله بالعباده قل آن يخلو طرفة عين في ليل أو نهار من مصل ، أو جالس في ناحية منه لاعتكـاف أوباحث في معتقد ، أو مقرر لمذهب أو طالب لحل مشكل : من سائل ومسئـول ومفت أو مستفت " (١) .

وقد انعكست هذه الحياه الدينيه على الحياه الاجتماعية في بلاد الشـام والمتمثله في العادات والتقاليد التى كان عليها السكان ، فقد كان لأهل الشام العديد من الاحتفالات الدينية والعائلية كالافراح والمآتم .

أ - الاعياد الدينيـه :

تظهر لنا في احتفال المسلمين بعيدى الفطر والأضحي . "وعادتهم في تلك الأعياد اخراج الصدقات والزكاة والتوسع على الفقراء والاكثار من زيـارة الأرحام والأصدقاء ، وعادتهم في ذلك أن يبدأ الأصغر سنا بزيارة الاكبر" (٢) كما كانوا يقيمون الزينات ويكثرون من الأضواء ويعملون الولائم (٣) .

---

(١) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ج ١ ص ٢٠٢

(٢) محمد كرد علي : خطط الشام ج ٦ ص ٢٧٥ .

(٣) سعيد عاشور : مقال بعنوان الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية ، مجلة عالم الفكر ، مجلة دوريه تصدر كل ثلاثة اشهر عن وزارة الاعلام الكويت ابريل - يونيو ١٩٨٠ م العدد الاول ص ١٠٢ .

ومن الاحتفالات الدينية أيضا الاحتفال بليلة النصف من شعبان ، وبالمولد النبوى الشريف ، وليلة المعراج ، وليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك وهي من الاحتفالات الدينية التى استجدت في العصر الفاطمي وتعرف باسم ليالي الوقود لأنه كان يزاد من الوقيد على حافات الجوامع والمساجد (١) فالمسجد الأقصي كان يوقد به في الايام العاديه في جميع أرجائه حوالي الألفين قنديل . أما في ليلة النصف من شعبان فيوقد به مايزيد على العشرين الف قنديل ، وهي من الليالي المشهوره ، ويقول عنها أبو اليمن الحنبلي " انها من عجائب الدنيا ، وكذلك في ليلة المعراج السابع والعشرين من رجب ، وفي ليلة المولد الشريف ، أما ليلة السابع والعشرون من رمضان فانه يوقد به من المصابيح وغيرها ، مما لا يوجد له مثيل في مسجد من المساجد " (٢) .

أما الجامع الأموى بدمشق فتوقد فيه ليلة النصف من شعبان أثنا عشر الف قنديل بخمسين قنطارا دمشقيه زيت الزيتون وغير مايوقد بالمدارس والمساجد والترب والخوانق والربط والمارستانات " (٣) .

وفي سنة ٧٥١ هـ أبطل الوقيد بالجامع الأموى بدمشق ليلة النصف من شعبان ولم يزد في وقيده قنديل واحد على عاده لياليه في سائر السنه . وذلك بمرسوم من الملك الناصر حسن (٤) ، وقد فرح ابن كثير بابطال هذه العاده فقال : " وفرح أهل العلم بذلك ، وأهل الديانه وشكروا الله تعالى على تبطيل هذه البدعه الشنعاء والتى كان يتولد بسببها شرور كثيره بالبلد ، والاستيجار بالجامع الأموى ، وقد كانت هذه البدعة قد استقرت بين أظهر الناس من نحو سنة ٤٥٠ هـ الى زماننا

---

(١) احمد رمضان : المجتمع الاسلامي في عصر الحروب الصليبيه ص ٢٤١ ، وقد انتقد ابن الحاج المتوفي في القاهرة سنة ٧٣٧هـ ماكان يفعل في تلك الليالي من اشياء تنافي الشريعة الاسلامية ، راجع المدخل لابن الحاج جـ١ ص ٣٠٨- ٣١١ .

(٢) أبو اليمن الحنبلي : الأنس الجليل جـ ٢ ص ٣٢ .

(٣) شيخ الربوه : نخبة الدهر ص ١٩٣ .

(٤) هو الملك الناصر بدر الدين أبو المعالي حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، سبق ترجمته ، انظر الباب الثاني ص ١٠٤ حاشيه ٢ .

هذا ، وكم سعي فيها من فقيه وقاضي ومفت وعالم وعابد وأمير وزاهد ونائب سلطنه وغيرهم ولم ييسر الله ذلك الا في عامنا هذا " (١)

ومن الاحتفالات الدينية ايضا ماكان شائعا في ذلك العصر ، من الاهتمام بزيارة قبور الأولياء والصالحين والصحابة رضوان الله عليهم ، واقامة المشاهد على هذه القبور وجعل الطعام فيها للوارد والصادر ، على الرغم من أن هذه الاعمال تتنافي مع الشريعة الاسلامية " . فالملك الظاهر بيبرس أقام على قبر أبو عبيده بن الجراح بعمتا بالغور مشهدا ووقف عليه وقفا (٢) كما كان لخادمه مرتب جار أجرى له في عهد الأمير تنكز نائب دمشق" (٣) .

ومن القبور التى كانت تزار في أوقات معينة في السنة : " ضريح روبيل بن يعقوب بظاهر الرمله ، وله موسم معين في كل سنه يجتمع فيه الناس من الرمله وغزه وغيرها ، ويقيمون أياما وينفقون أموالا كثيره ، ويقرأ هناك القرآن الكريم والمولد الشريف " (٤)

وكذلك زيارة ضريح السيد علي بن عليل (ت سنة ٧٤٧ هـ) بفلسطين وعليه مشهد عظيم وعنه يقول أبو اليمن الحنبلي : " وقد أخبرت أن الأفرنج اذا أقبلوا على ضريحه وهم في البحر كشفوا رؤوسهم ونكسوه نحوه ، ولما نزل الملك الظاهر بيبرس يوم فتح يافا وأريوف زاره ونذر النذور والأوقاف ......

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٣٥ .
(٢) الصفدى : الوافي بالوفيات جـ ١ص٢٤١ ، ابن شاكر : فوات الوفيات جـ ١ص٢٤٣
(٣) ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار جـ ١ ص ٢١٧ .
(٤) ابو اليمن الحنبلي : الانس الجليل جـ ٢ ص ٧٢ .

وفي كل سنه له موسم في زمن الصيف يقصده الناس من البلاد البعيده والقريبة ويجتمع هناك خلق لايحصيهم الا الله ، وينفقون الأموال ويقرأ عنده المولد الشريف " (١) .

من أهم الاحتفالات الدينية الاحتفال بعودة قافلة الحجاج من مكة والمدينة وقد وصف ذلك الرحاله الأوروبي " برتراندون دولا بروكييه " بأنه شاهد قافلة الحجاج عائدة من مكه ، وقد قيل انها تتألف من ثلاثة آلآف من الابل وأستغرق دخول الحجاج لمدينة دمشق يومين وليلتين ، وقد كان هذه الحادثه على مآلوف القوم ، يوما بالغا في الحفاوة ، وقد خرج والي دمشق يحف به مقدموا المدينة لاستقبال الحجيج اجلالا للقرآن الذى كانوا يحملونه ، وكان ملفوفا بغلاف من الحرير عليه كتابة عربيه ، وكان الجمل الذى يحمله مجللا بالحرير ، ويتقدمه أربعه من حملة المزمار والطبول والدربكات الكثيره كلها تدق ، وكان يحيط بالجمل نحو ثلاثين رجلا يتنكب بعضهم الأقواس ، ويشهر بعضهم السيوف ، ويحمل غيرهم البنادق ويطلقون النار بين حين وآخر ، وكان يتلوا الجمل ثمانية رجال أجلاء يركبون أبلا سريعة العدو ، وخيولهم المجنوبه مجللة بالقماش المزركش تعلوها سرج مزخرفه على عادة القوم هناك (٢) .

ب ـ الاعياد المحليه :

وهي عديده منها حفلات الزواج والختان والاحتفال بعودة أو تولية أوشفاء سلطان أو ملك من المرض وغير ذلك .

١) حفلات الزواج :

" اذا بلغ الغلام مبلغ الرجال وتاق للزواج تأخذ أمه وذوات قرابته

---

(١) ابو اليمن الحنبلي : المصدر السابق جـ٢ ص ٧٢-٧٣ ، وهذا يتفق مع ماذكره ابن بطوطه عن قبر ابراهيم بن آدهم في مدينة جبله وزيارة الناس له وتعظيمه انظر الباب الثاني ص ١٧٣

(٢) نيقولا زياده : دمشق في عصر المماليك ص ١٠٠ .

يلتمسن له زوجة تنطبق أوصافها على ذوق الزوج ، وكانت الخاطبات تقـــوم بدور كبير في اتمام مهمة الخطوبه ، حيث يتاح لهن دخول البيوت التى يكون بها بنات في سن الزواج ، وهي عاده من الخامسة عشر الى الخامسة والعشرين فتتأمل الخاطبات مشيتها ونقل أقدامها وأدابها في تقديم الشـــــــراب ويخاطبنها فيرين غنة كلامها وفصاحتها ، ومتى أصبح الأمر تقريبا واقعـــــا يذهبن الى الحمام معا ويرين جسمها عاريا وشعرها ويشممن فمها وتحت ابطها ورائحة عرقها وثيابها ، وينقلن ذلك الى الخاطب وعميد الأسرة مـــع وصـــف شكلها وجمال وجهها وطولها وغير ذلك . وبعد أن تنتهي مهمة الخاطبات تبدأ مرحلة التمهيد وأخذ موافقة والد العروس على تزويج ابنته من الشـــاب الذى يريد خطبتها ، فيقررون المهر ويقرأون الفاتحة للتبرك دليلا على موافقـة الطرفين (١) ، والغالب أن الفتاة لم يكن لها أى رأى في اختيار شـــريك حياتها ، بل يظل الرأى الأول والأخير لوالدها ، وربما شاركته في ذلـــك الأم (٢) .

" ثم يأتي بعد ذلك عقد القرأن . وعادة مايكون في المسجد الجامع في كل مدينة أو قرية ، حيث يعلن هناك اسم الزوج واسم والد العروس لإشهـــار واعلان الزواج " (٣) فيجتمعون ومعهم المباخر المفضضه التى يحرقون فيهـــا البخور وبعد كتابة العقد ينصرفون في حفل كبير الى بيت الزوج " (٤) حيـــث ينتظرهم احتفال فائق يحضره المطربون ، ويطاف على الحاضرين بكؤوس المرطبات

---

(١) أحمد رمضان : المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبيه ص : ٢٤٩ ، محمد كرد علي خطط الشام جـ٦ ص ٢٧٧ – ٢٧٨ .

(٢) سعيد عاشور : الحياه الاجتماعية في المدينة الاسلامية ، مجلة الفكر – العدد الأول – مجلة دوريه تصدر كل ثلاثة شهور عن وزارة الاعلام بالكويت ص ١٠٢ – (ابريل – يونيو ١٩٨٠م) .

(٣) انظر بتوسع احمد رمضان : المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبيه ص ٢٥١

(٤) سعيد عاشور : الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية ، مجلة عالم الفكر العدد الأول – ١٩٨٠م ص ١٠٢ .

وأنواع الحلوى المجففة ، وبعد أن يتم العقد بأيام ينقل الجهاز الذى أعدته الزوجة الى بيت الزوج في موكب حافل يتقدمه جماعة الحمالين ولاعبو السيوف والعصي ، ومنشدوا الأزجال ويسبق ليلة الزفاف ليال يسمونها (التماليل) يحضر فيها المطربون والموسيقيون ، وقبل ليلة الزفاف بليلتين يدعو أهل الزوجة أقاربهم ليشاركوا العروس في صبغ يديها ورجليها ومعصميها وتعرف تلك الليلة بليلة النقش (١) .

وفي ليلة الزفاف تقام وليمة كبيرة للأهل والاصدقاء تسمي وليمة العرس وهما وليستان احداهما للنساء وتقام في بيت العروس والأخرى للرجال تقام في بيت العريس ، وربما أقيمت الوليمتان في بيت واحد (٢) . وبعد الطعام يخرج العريس قاصدا بيت العروس ، بعد أن يأخذ الزوج زينته في منزل أحد أصدقائه ، وذلك في موكب حافل من المطربين والموسيقيين وهو يسير الهويني بين شابين يشبهانه ، وقد حملت أمامه مصابيح ضخمه على عتلات ويتقدمهم المنشدون ، وعند وصول الزوج الى منزل عروسه تتلقاه عروسه ويضع يدها في يده ويدخلان الغرفه المعده لهما ويفتح على رأسيهما طيلسان وردى اللون وفي صبحية ليلة الزفاف يذهب الزوج الى الحمام ومعه جم غفير من الخلان والاخوان . وبعد خروجه منه يعمل له اصدقاوءه الولائم على عدة أيام وهي المسماه بالصبحيات ، وفي اليوم الخامس عشر يولم الزوج لأهل زوجته وليمة شيقه تسمي عزيمة الخامس عشر ، أما عن سكان ضواحي مدينة حلب فانهم ينفردون بعاداتهم في الزواج بفرش غرفة العروس بقطيفة (٣) يجعلون ما التوى من وبرها الى جهة صدر الغرفه بقصد التيمن والفأل الحسن ، وذلك

---

(١) احمد رمضان : المرجع السابق ، ص ٢٥١ ، محمد كرد علي : خطط الشام ج٦ ص ٢٨٣ .

(٢) سعيد عاشور : الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية ـ مجلة عالم الفكر العدد الأول ـ ١٩٨٠م ص ١٠٣ .

(٣) محمد كرد علي : المرجع السابق ج٦ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ، احمد رمضان : المجتمع الاسلامي في بلاد الشام ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

ليلة عقد القرآن . (١)

٢) حفـلات الختـان :-

وهي على نوعين : خاصة وعامة :

أما حفلات الختان الخاصة : " فكان والد الطفل المختون يدعو في يوم محدد ، كثيرا من أصحابه وأحبابه ، وعدد كبير من أعيان المدينة ، وتسبق حفلة الختان تهيئة ثياب جميلة للطفل ، كثياب العروس ، وفي اليوم المحدد للاحتفال يحتشد الناس وينشد المنشدون الاناشيد اللطيفة ، ويقرأ المقرئون القرآن ، ويمتطي الفرسان خيولهم المزينة كما يمتطي الهجانه الجمال المزينة ، ومعهم حملة المزامير والطبول ، ويحضر المطهر ويبدأ عملية التطهير فتدق الطبول ، وتصدح الموسيقي ، ويلعب الفرسان ، أو يتبارون طوال النهار والناس جميعا متفرجون ، ثم يقبل المدعوون على الموائد لهذا الاحتفال (٢) أما المدعيون لهذه المناسبة فلا بد لهم من تقديم النقوط لأهل الطفل في الطشت الذى يطهر فيه الولد ، واذا كان الختان خاصا بأحد ابناء الحاكم ، نادى المنادى في الطرقات حتى يحضر كل من يشاء ابنه ليختن مجانا بعد ابن الحاكم (٣) وقد اعتاد أهل الشام ختان اولادهم في اليوم السابع من ولادتهم (٤)

---

(١) محمد كرد علي : خطط الشام جـ ٦ ص ٢٨٤ .

(٢) عبدالودود برغوت : جوانب اجتماعيه من تاريخ دمشق في القرن الخامس عشر من مخطوط احمد بن طوق ، الموئتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام من ٢٨ ربيع الأول -٣ ربيع الثاني ١٣٩٤هـ في الجامعة الأردنية ص ١١٤ ؛

(٣) سعيد عاشور : الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية ، مجلة عالم الفكر ، العدد الأول - ١٩٨٠م ص ١٠٤ .

(٤) محمد كرد علي : خطط الشام جـ ٦ ص ٢٨٢ .

أما حفلات الختان العامه فكانت تجرى تحت اشراف شيخ الاسلام لتطهير اليتامي الموجودين في دمشق كل عام ، وكان عددهم يتراوح مابين (٤٠ و٤٠٠) طفلا ، وقد يصل العدد الى الثلاثمائة طفل ، وتهيأ لهم الثياب الجديدة فيطعمون الطعام الفاخر كالسنبوسك ، ويذهب بهم الى الحمام فيتحممون ، ويلبسون ثيابهم الجميلة الجديدة ويصطف لهم الفرسان وتشرع الاعلام وتدق الطبول ويركبون الخيول المطهمه ، ثم يدورون بهم حول سور مدينة دمشق ويدخلون بهم معظم حاراتها ثم يتجهون بهم الى المدرسة البدرائيه ، حيث يزفون ويختنون ثم يأكلون مع الناس : الهريسه ، والحامض باللبن ، والارز المحلي بالعسل وغير ذلك من المأكولات (١) .

٣) حفلات الولاده :

وهي من الحفلات الهامه التى كان يحتفل بها أهل الشام " فبعد ولادة الطفل تقوم القابله بلمسه ، فان كان غلاما صلت على محمد صلي الله عليه وسلم وان كانت بنتا ترضت على فاطمة الزهراء ، ثم يقدم الى أحد أقاربه فيؤذن في أذنه الآذان الشرعي ثم يسمي من قبل وليه . ويطبخ لأمه الحلوى المصنوعة بالجوز ليكثر لبنها ، وتقتصر بالشرب على ماء الحمام المنقوع فيه اصول البنفسج مدة أسبوع . كما يرسل اليها اصدقاء الأسره مائدة كبيرة تشتمل على مقدار عظيم من الزلابيه معها أباليج السكر .

وفي اليوم السابع يولم أهل المولود وليمة كبيرة ، حافلة بأنواع الحلوى قوامها الدبس والشمره تعرف باسم (المغلي) وقد يحضر في تلك الوليمة قيان للنساء ومطربون للرجال ، ويحضر كل صديق مدعو لأبوي المولود هدية بعضها مأكول

---

(١) عبدالودود برغوت : جوانب اجتماعيه من تاريخ دمشق في القرن الخامس عشر من مخطوط احمد بن احمد بن طوق ، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام من ٢٨ ربيع الأول - ٣ ربيع الثاني ١٣٩٤ هـ في الجامعة الاردنية ص ٤١١-٤١٢

وبعضها مما يتحلي به ومنها مسكوكات ذهبيه قديمة تعلق في قلنسوة الطفل تسمي (تهنايه) وبعد مضي أربعين يوما على الولادة تؤخذ الام الى الحمـــام مع أقاربها من النساء ويكبسن بدنها بالشدود " (١)

٤) الاحتفال بعافية السلطان وقدومه :

وهذه الاحتفالات أختصت بها مدينة دمشق في أغلب الآحيان دون أخرى المدن الشاميه ، " ففي سنة ٧١٢هـ وفي شهر محرم قدم الملك الناصـــر محمد بن قلاوون من الحجاز الى مدينة دمشق ، وكان دخوله اليها يوما مشهودا أرتفعت فيه أجر البيوت مبلغا زائدا ، حتى أن بيتا أخذت أجرته للنظـــر الى السلطان في مدة من أول النهار الى الظهر ستمائة درهم " (٢) وفي سنة ٧٢٤هـ زينت دمشق بسبب عافية السلطان من مرض قداً شفي منه على الموت(٣) وفي سنة ٧٣٠ هـ زينت دمشق وسائر مدن بلاد الشام لشفاء الملك الناصـــر محمد من كسر أصاب يدة ، وخلع فيها على الامراء والاطباء ، كما عملت الأفراح (٤)

وقد شهد ابن بطوطه افراح أهل القاهرة لمناسبة شفاء الملك الناصر محمد فوصف تفنن تجار الأسواق في تزيين اسواقهم ، وانهم علقوا الحلل والحلي وثياب الحرير وبقوا على ذلك أياما (٥) .

---

(١) محمد كرد علي : خطط الشام جـ٦ ص ٢٨١ ، راجع احمد رمضان : المجتمع الشامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبيه ص ٢٥٣ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ٢ ق ١ ص ١٢٢ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١١٣ .

(٤) المقريزى : السلوك جـ٢ق ٢ ص٣١٧ - ٣١٩ ،ابن كثير: البداية جـ١٤ ص١٤٨ ، ابو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٤ ص ١٠١ .

(٥) رحلة ابن بطوطه ص ٣٧ .

٥) المآتم والاحزان :

وعادة أهل الشام في ذلك أن أحدهم اذا توفي تعلن وفاته اذا كان من الامراء والعلماء وأرباب الوظائف الكبرى وكبار التجار وذلك في مآذن مساجد المدينة ، وبعد اتمام غسله يشيعون جنازته الى أحد المساجد ويصلون عليه ويذهبون به الى المقبره ويمشي المؤذنون امام جنازته يذكرون الله اشهارا لموته واعلانا له (١) .

وبعد رجوعهم من المقبرة يذهبون الى منزل عميد الأسرة يعزونه ويحضرون على ثلاث ليالي بعد العشاء في أحد المساجد القريبة من دار المتوفي ، يسمعون ماتيسر من القرآن ويسمون ذلك " صباحيه " ويحضر تلك الحفله اقرباء الراحل وجيرانه وزملاؤه ، ويتصدقون على الفقراء والمعوزين بالدراهم والطعام والكساء (٢) .

أما العادات الخاصة بأهل حلب في تلقي العزاء في موتاهم ، أن يحضر بعض سكان اطراف الباديه نائحات بدويات ينثرون على رؤوسهن الحناء ويشددن في اوساطهن المآزر ويخدشن خدودهن ويسودن وجوههن بسخام القدر ، وحين خروج النعش من الدار يضربن بابها باناء خزفي زاعمة أن هذا العمل يمنع من أن يلحق بالميت غيره من أهله (٣) . وهذه العادات ليست بالطبع من الاسلام في شيء فهي عادات سابقة على الاسلام عرفها المصريون القدماء ونقلوها الى بلاد الشام (٤) .

---

(١) محمد كرد علي : خطط الشام جـ٦ ص٢٧٦ .

(٢) محمد كرد علي : المرجع السابق جـ٦ ص ٢٧٦ ، احمد رمضان : المجتمع الاسلامي ص ٢٥٤ .

(٣) محمد كرد علي : المرجع السابق جـ ٦ ص ٢٨٤ .

(٤) احمد رمضان : المجتمع الشامي ص ٢٥٤ .

أما عادتهم بعد دفن الميت ، فانه في الليالي الثلاث الأولي من الوفاة يجتمع في مسجد الحي بين العشائين ، أهل الميت ونفر من الرجال والاطفال يكررون كلمة التوحيد وفي أيديهم سبحة كبيره ينتظم في سلكها خمسمائة حبه كل حبه منها بحجم الجوزه ، فاذا دارت دورا سكتوا وتلا امام المسجد شيئا من القرآن ، ثم تدور دورا آخر في ختامه ينتهي الذكر ويفرق على الحاضرين الحلوى المعروفه باسم "الفريبه" وفي صباح اليوم الثالث من الوفاة يجتمع عدد كبير من الأهل والأصدقاء على القبر وتمد البسط على أطرافه وتوضع عليه قمام ماء الورد وتنثر فوقه الزهور . ويفرق على الحاضرين اجزاء من الربعات وبعد الانتهاء من قراءتها يصطف الناس حلقه ويذكرون الله تعالي ، ويفرق على الفقراء شيء من النقود ويعزى الناس أهل الميت في المقبره ، وهذا يسمي اليوم الثالث ، أما في اليوم السابع ويوم الأربعين واليوم المتمم للسنة من الوفاة فيدعي جماعة من القراء الى بيت الميت يتلون القرآن العظيم في نهارهم وفي المساء تبسط الموائد للفقراء فيأكلون ويزودون " (١) .

. . . .

---

(١) محمد كرد علي : خطط الشام جـ٦ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

جـ : الأحوال الاقتصاديـــه :ـ

١ ـ الزراعـــــه :ـ

كانت معظم المناطق الزراعية في بلاد الشام تروى بميـــاه الأمطار ، وعلى الرغم من كثرة جريان الانهار بها كنهر العاصي ونهر قويق ونهـــر بردى وغيرها من الانهار الصغيره ، " الا أن هذه الانهار كانت لا تـــــروى مساحات واسعة من الأراضي الزراعية ، فنهر الفرات اكبر وأهم انهار بـــلاد الشام من جهة الشرق لا يستفاد منه الاستفادة المطلوبة لانخفاض منسوبه عـــن أرض الشام ، كما لا يستفاد من الانهار التى تشق قلب البلاد الفائدة المطلوبه في الرى ، فنهر الأردن مثلا يشق بعض أرجاء فلسطين ، ونهر العاصي يجرى من سفوح لبنان مارا بحمص وحماه فأنطاكيه حتي السويديه لا ينتفع بها انتفاعا كبيرا " (١) .

وللاستفادة من ماء هذه الانهار فقد وضعت النواعير الكبار على نهر العاصي والتى كانت تسقي اكثر بساتينها (٢) ويقول النويرى : " ان قانون البـلاد الشاميه مبني على نزول الغيث ووقوع الامطار في ابانها وأوقات الاحتيـــاج اليها (٣) . وقد ساعد اختلاف الاقاليم الطبيعيه في بلاد الشام على تنـوع زروعها وتعدد غرس اشجارها ، فالغور والساحل يزرع القطن والنخل والمـــوز والبرتقال والليمون والزيتون ، أما السهول فتزرع بها الحبوب والزيتـــــون والمشمش والخوخ والكرمه ، وينمو في الجبال التفاح والكمثرى والكرز " (٤)

---

(١) محمد كرد علي : خطط الشام جـ ٤ ص ١٣٢ - ١٣٣ .
(٢) أبوالفداء : تقويم البلدان ص ٢٦٣ ، شيخ الربوه : نخبة الدهر ص ٢٠٦ .
(٣) النويرى : نهاية الأرب جـ ٨ ص ٢٥٥ .
(٤) احمد رمضان : المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الصليبيةص ٧١ ، قسم محمد كرد علي أقاليم الشام الزراعية الى خمسة أقاليم انظر خطط الشام جـ٤ ص١٤٠ - ١٤١

وعن محاصيل بلاد الشام وزروعه ورياحينه يقول القلقشندى (١) : "أما زروعه فغالبها على المطر ومنها ما هو على سقي الانهار وهو قليل ، وفيه منَ الحبوب من كل مايوجد في مصر من البر والشعير والذرة والأرز وبه من أنواع البطيخ والقثاء مايستطاب ويستحسن ، وكذلك غيرها من المزروعات كالقلقاس والملوخيا والباذنجان ، اللفت ، الجزر ، الهليون ، القنبيط والرجله والبقله اليمانيه ، وغير ذلك من أنواع الخضروات المأكوله وقصب السكر في أغواره الا أنه لم يبلغ في الكثره حد مصر" . واما فواكهه ، ففيه كل مايوجد في مصر كالتين والعنب والرمان والقراصيا والمشمش والخوخ (وهو المسمي بالدراقن) والتوت والفرصاد ويكثر بها التفاح والكمثرى والسفرجل . .

أما عن توزيع هذه المحاصيل الزراعية حسب المناطق المشتهرة بزراعتها " فنجد أن مدينة طرابلس ، كانت أشهر المدن في زراعة قصب السكر في عصر دولة المماليك ويعد من أهم ثروتها الزراعية (٢) كذلك المرقب وبلنياس (٣) أما حماه فتشتهر بالمشمش الكافورى الذى لم ير في سائر الافاق (٤) أما الزيتون فيكثر زراعته في نابلس وسرمين (٥) أما التين والفستق واللوز فيكثر في معره النعمان " (٦) .

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى جـ٤ ص ٨٦ - ٨٧ .

(٢) ابوالفداء : تقويم البلدان ص٢٥٣ ، شيخ الربوه : نخبة الدهر ص ٢٠٧ ، عبدالعزيزسالم : طرابس الشام في التاريخ الاسلامي ص٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٣) ابو الفداء : تقويم البلدان ص ٢٥٥ .

(٤) شيخ الربوه : نخبه الدهر ص ٢٠٦ .

(٥) شيخ الربوه : المصدر السابق ص ٢٠٠ ، ابو الفداء : المصدر السابق ص٢٦٥

(٦) شيخ الربوه : المصدر السابق ص ٢٠٥ ، ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٦٤ .

٢) الصناعـــه :-

تعتبر صناعة النسيج والحياكه والغزل من أهم الصناعات في بـــلاد الشام في العصور الوسطي ، وعن هذه الصناعه ذكر البدرى [١] : " ومـــن محاسن الشام مايصنع فيها من القماش والنسيج على تعداد نقوشه وضروبـــه ورسومه ، ومنها عمل القماش الاطلس بكل اجناسه وأنواعه ، ومنها عمل القمـــاش الهرمزى على اختلاف اشكاله وتباين أوصالـه ، ومنها عمل القماش الابيـــــض القطني المصدر لأحياء القصور وأموات القبور ، وبها ايضا عمل القماش السابورى بجميع الوانه وحسن لمعانه " .

كما اشتهرت بعلبك بصناعة الثياب البعلبكية المنسوبة اليها [٢] وزادت شهرة الثياب البلعسيه - نسبة الى كورة البلعاس من عمل حمص - والثيـــاب الصفديه - التي كانت تصنع في صفد - والثياب الحفيـه - نسبه لكورة الحفـــه غربي حلب - كما اشتهرت حمص بمصنوعاتهامن ثياب وفوط ، وهي تتلو الاسكندريـة فيما يعمل فيها من الثياب الفائقة على اختلاف الأنواع [٣] وهذا يدل علـــى أن الصناع في كل مدينه كانوا يصنعون نسيجا يعرف باسمها . أما مدينة دمشق فكانت تشتهر بالثياب الحريرية المنسوبة اليها باسم " الدمقس" وقد نقل الشاميون هذه الصناعه الى الاندلس [٤] .

---

(١) البدرى : نزهة الانام في محاسن الشام ص ٣٦٢ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٢ ص ٤٣٩ .

(٣) محمد كرد علي : خطط الشام جـ ٤ ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٤) محمد كرد علي : خطط الشام جـ ٤ ص ٢٠١ - أحمد مختار العبادى : الحياه الاقتصادية في المدينة الاسلامية ص ١٤٥ ، مقال منشور بمجلة عالم الفكر ، العدد الأول ، ١٩٨٠م .

" ولا تزال بلاد الشام تحتفظ بالكثير من أنواع الاقمشة والملابس التى كانت تصنعها في العصور الوسطي ، ولا تزال تصنعها في العصر الحديث مثل الشال البديع والأعبئه الحريريه للنساء . كما أن دمشق تصنع الأعبئه والكوفيات ، والزنانير والملاءت والشراشف " (١) .

وعن الصناعات في بلاد الشام يذكرلنا البدرى عن صناعة الذهب المسبوك والمضروب والمجرور والمرفوع والممدود والمرصع وغيرها من الصناعات (٢) .

كما اشتهرت دمشق بصناعه المراكن ، والأطباق الذهبيه المنزليه بالزخارف الفضيه ذات الاشكال الهندسية والرسوم النباتيه (٣) واشتهرت بعلبك بصنع الملاعق والآلات المموهه بالذهب والفضه (٤) . أما صناعة القيانه والحداده والنحاسه فقد اشتهرت بلاد الشام بصناعتها وصناعة الادوات المصنوعه من النحاس الاصفر والأحمر أو البرونز المكفت بالفضه والذهب (٥) . كما كان يوجد الحديد في منطقة عجلون حيث يصهر في أفران خاصه في قلعتها والفائض منه يرسل الى دمشق ، كما كان النحاس يستخرج من وادى عربه جنوى البحر الميت (٦)

ومن الصناعات التى قامت على الزراعة ، صناعة السكر التى بلغت أوجها في عصر دولة المماليك ، فأصبحت لذلك معاصر السكر ومطابخه في جميع انحاء الغور

---

(١) راجع بتوسع : محمد كرد علي : خطط الشام جـ ٤ ص ٢٠٢ ومابعدها .

(٢) راجع : البدرى : نزهه الانام ص ٣٦٣ .

(٣) فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين جـ ٢ ص ٢٨٩ .

(٤) شيخ الربوه : نخبه الدهر ص ٢٠٠ .

(٥) أحمد رمضان : المجتمع الشامي ص ١٢٢ .

(٦) يوسف غوانمه : التاريخ الحضارى لشرقي الاردن في العصر المملوكي ص ١٢٢ - ١٢٣ .

بفلسطين (١) وعن صناعته يقول القلقشندى (٢) : " ويعمل منها السكرالوسط والمكرر (يقصد بلاد الشام) وكذلك كان السكر يصنع في طرابلس (٣) "كما اشتهرت دمشق وحلب بصناعة الورق زمن الحروب الصليبية ، ولما عـــرف الأوربيون الورق عن العرب أطلقوا عليه اسم " الصحائف الدمشقية" لأن دمشق كانت سوقا رئيسيا لتجارة الورق " (٤) .

وعن صناعة الورق فذكر ناصرخسرو أن بمدينة طرابلس كان يصنع الورق الجميل مثل الورق السمرقندى بل أحسن منه (٥) .

أما صناعة الصابون فقد اعتمدت على انتاج الزيتون واستخراج زيتـــه ، ولبلاد الشام شهره واسعه في هذه الصناعه ، وتعد نابلس من اشهر المدن انتاجا للصابون ويعرف بالصابون الرقي ، الذى يحمل الى سائر البلاد (٦) وكذلك طرابلس التى أقيم بها خان يعرف بخان الصابون مازال قائما حتـي اليوم (٧) ومن أهم هذه الصناعات التى اعتمدت على الزراعه ـ زراعة قمـــر الدين ـ ويصنع اشهر قمر الدين في الغوطه والمرج وقليلا فـــي الزبداني وبعلبك (٨) .

---

(١) يوسف غوانمه : المرجع السابق ص ١٠٧ .
(٢) القلقشندى : صبح الاعشي جـ٤ ص ٨٨ .
(٣) السيد عبدالعزيز سالم : طرابلس الشام ص ٣٨٠ - ٣٨١ .
(٤) محمود محمد الحويرى : الاوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرن الثانـــي عشر والثالث عشر من الميلاد ص ١٣٦ .
(٥) ناصرخسرو : سفرنامه ص ٤٨ .
(٦) شيخ الربوه : نخبة الدهر ص ٢٠٠ .
(٧) السيد عبدالعزيز سالم : طرابلس الشام ص ٣٨٠ .
(٨) محمد كرد علي : خطط الشام جـ ٤ ص ١٨٩ .

٣) التجـــاره :

كانت التجاره في بلاد الشام من أهم دعائم الناحية الاقتصاديـــة في العصر المملوكي ، وقد قامت على الزراعه والصناعه وهي على نوعين :

تجاره داخليه وتجاره خارجيه : فالداخليه تتركز على وجود الأســـواق المحليه في مختلف بلاد الشام والتى كانت عامره بمختلف انواع الصناعـــات والمنتجات المحليه . وكانت أغلب هذه الأسواق في المدن الكبرى تتركز حـول الجامع الكبير بها والذى يعتبر القلب النابض للحياه في كل مدينه . وكانـــت هذه الاسواق موزعه على حسب نوعية البضائع والصناعات التى كانت تباع في كل سوق من تلك الأسواق .

وقد ذكر البدرى أسواق مدينة دمشق عند وصفه لقلعتها حيث يقول : "وتحت القلعه سوق للقماش المزروع وسوق قماش للمخيط أحدهما للرجال وآخر للنســاء وبها سوق للفراء والعبي وسوق السقطين وسوق النحاس بها وسوق السكاكينيـن وبها سوق القربيين وبها سوق قماش الخيل والبغال والبهائم والاغنام وبها سوق القشاشين وبها سوق المدهون والخضريين والنجاريين والخراطين وبها ســـوق النقليين وبها دار الخضر وبها سوق الزجاجين " (١) " كما كان يوجد بالقدس سوق اللحم وسوق القماش ، والصاغة والسمك والخضار وغير ذلك من الأسواق (٢)

كما كان يوجد بطرابلس العديد من الخانات كخان الخياطيين وخان المصريين وخان العسكر بالاضافة الى بعض الاسواق بها كسوق السلاح وسوق الحلاوييـن وسوق العطاريين ..... الخ " (٣)

---

(١) البدرى : نزهة الانام ص ٦٢ - ٦٣ .
(٢) رشاد الامام : مدينة القدس في العصر الوسيط ص ١٥٠ - ١٥٢ .
(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ٤٥٤ - ٤٥٥ .

أما التجارة الخارجية فتعود أهميتها الى موقع بلاد الشام الجغرافي المتوسط في بلاد العالم الاسلامي بين الشرق والغرب فكانت منطقة عبور للتجارة الشرقية والغربية وعرف هذا النظام باسم تجارة العبور أو (الترانزيت) ، نتيجة لذلك أصبحت بلاد الشام في عصر المماليك مركز الحركة التجارية بين الدول المجاوره لها وفي مقدمتها مصر بحكم توحيد المماليك لها .

فقد كانت دمشق تصدر الى القاهره السيراميك والزجاج والمنسوجات الحريريه ومن الكرك البسط والاجبان والفواكه واللوز والجوز (١) ، كما كان سلاطين المماليك يجلبون الثلج من جبال الشام في الفترة بين شهرى يونيو ونوفمبر وكان ينقل بحرا من بيروت وصيدا الى دمياط ، ثم أصبح ينقل عن طريق البر (٢) كما كانت الغلال تحمل من بلاد الشام ، الى مصر في وقت الأزمات ، ففي سنة ٧٢٦ هـ كتب الملك الناصر بحمل الغلال من غزه والكرك والشوبك وبلاد الشام الى مصر (٣) .

ولم تكن التجاره الخارجيه والتبادل التجارى قاصرا على مصر فقط بل تعدتها الى المدن الايطاليه التجارية كالبندقية وجنوا ، التى ربطتها بدولة المماليك علاقات تجاريه قويه ، فكان لكل مدينة قنصل في المدن والموانئ الكبرى في الشام ومصر يرعي مصالحها (٤) .

---

(١) يوسف غوانمه : دراسات في تاريخ الاردن وفلسطين في العصر الاسلامي ص ٢٣٧ ، انظر أكرم العلبي : دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين ص: ٢٧٦

(٢) انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ١ ص ١٠٥ - ١٠٦ ، يوسف غوانمه : التاريخ الحضارى لشرقي الأردن في العصر المملوكي ص ٧٥- ٧٦ ، أكرم العلبي : المرجع السابق ص ٢٧٧ .

(٣) راجع : المقريزى : السلوك جـ٢ ق ٢ ص ٣٩٤ .

(٤) سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ص ٢٧٥ .

ومن أهم السلع والمنتجات المحلية التى كانت تصدر الى هذه المدن الايطاليه المنسوجات والاقمشه بأنواعها المختلفه وبصفه خاصه المنسوجات الحريريه والقطنيه التى كانت دمشق مركزا رئيسيا لصناعتها ،فكان الايطاليون يجلبون من مدينة طرابلس المنسوجات الحريريه ومن بعلبك الثياب البعلبكيه التى ذاع صيتها في الغرب الأوربي (١) .

ومن ضمن السلع التى كانت تصدر الى أوروبا الزيت والصابون من نابلس والقدس (٢) والسكر من طرابلس وبيروت وصور (٣) . وكان يحمل الى بلاد الشام العديد من السلع والمنتجات وذلك عن طريق القوافل التجارية البريه مثل الياقوت والماس من الهند ، واللؤلوء من البحرين ، العود والكافور من الصين ، والزجاج والخزف من البصره ، والعقيق من الحبشه ، والأدهان والزيوت العطريه من نيسابور بالاضافة الى التوابل (٤) .

****

---

(١) عادل زيتون : العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطي ص ٢٢٨ - ٢٢٩ بتصرف .

(٢) يوسف غوانمه : دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصرالاسلامي ص ٢٣٧ .

(٣) محمود محمد الحويرى : الاوضاع الحضاريه في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادى ص ١٣٤ .

(٤) راجع : احمد رمضان : المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصرالحروب الصليبيه ص ١٠٦ - ١٠٧ ، راجع : يوسف غوانمه : التاريخ الحضارى لشرقي الأردن في العصر المملوكي ص ٨٩ .

ثانيا : دراسة مقارنة بين ما كتبه المؤرخون وما كتبه ابن بطوطة :ـ

وتشتمل هذه المقارنة على النقاط التالية :ـ

أولا ـ الناحية السياسية :ـ

عنى المؤرخون المسلمون بالنواحى السياسية فى القرن الثامن الهجرى وأولوها اهتماما كبيرا وتعتبر الفترة التى زار خلالها ابن بطوطة بلاد الشام من سنة ٧٢٦هـ ـ ٧٥٠هـ من أعظم الفترات التى اهتم بها المؤرخون اهتماما كبيرا، فجاءت مفصلة ودقيقة ، وقد أسهب المؤرخون بالحديث عن الملوك والأمراء فيهما مع توضيح شامل لأهم الأحداث السياسية التى حدثت فى بلاد الشام خلال تلك الفترة .

وبمقارنة ما كتبه المؤرخون وما كتبه ابن بطوطة عن الأحوال السياسية فى بلاد الشام ، نجد أن هناك فارقا شاسعا فيما كتبه كل منهم . فالمؤرخون عنوا عناية كبيرة بأسماء الملوك فى تلك الفترة مع العناية بذكر ألقابهم وأهم الأحداث التى حدثت فى عهدهم ، مع اعطاء نبذ وافية عن حياتهم ، كما أولوا اهتماما كبيرا بذكر جميع أمراء نيابات الشام مع ترجمة وافية لكل منهم ومدة حكمه فى كل نيابة كان يتولى فيها الحكم فيها وكذلك أهم الاصلاحات التى قام بها .

أما ابن بطوطة فقد انحصرت كتاباته عن الأحوال السياسية فى بلاد الشام فيما ذكره عن الملك الناصر محمد بن قلاوون أثناء تجوله بأرض مصر والشام والحجاز فى الفترة من سنة ٧٢٦هـ ـ ٧٣٢هـ . وأحاديثه عنه خلال هذه الفترة منها ما كان ابن بطوطة معاصرا لها كقتله لبكتمر الساقى وولده أحمد (١) ومطاردة الملك الناصر لقراسنقر وارسال الفداويه الى قتله (٢) . ومنها ما حدث قبل مجيئه الى بلاد الشام

(١) رحلة ابن بطوطة ص ٢٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٦ ـ ٧٨ .

كتحصن الملك الناصر بحصن الكرك (١) .

كما اقتصرت كتاباته بذكر نواب دمشق وحلب وطرابلس وبصورة موجزه ومختصرة وذلك أثناء زيارته الأولى لبلاد الشام سنة ٧٢٦هـ (٢) . أما فى زيارته الثالثة سنة ٧٤٨هـ فاكتفى ابن بطوطة بذكر نائب دمشق فقط (٣) .

هذا وقد أشار ابن بطوطة الى بعض الأحداث السياسية التى وقعت لبعض المدن كمدينة القدس وطرابلس وعكا وصور . بالاضافة الى ما ذكره عن بعض الحصون والقلاع التى مر عليها خلال رحلته بالشام . وكان معظم هذه الاحداث السياسية قبل مجيئه الى بلاد الشام .

وعلى الرغم من ايراده لتلك الأحداث الا أنه وقع فى بعض الأخطاء . كهدم الملك الظاهر بيبرس لسور بيت المقدس وسور انطاكية (٤) .

ثانيا : الناحية الاقتصادية :ـ

انحصرت كتابات المؤرخين عن الأحوال الاقتصادية فى القرن الثامن الهجرى بذكر بعض أسواق المدن الكبرى فى بلاد الشام كمدينة دمشق وحلب وطرابلس وبيت المقدس مع توضيح لأهم المنتجات والسلع التى كانت تباع فى كل سوق من أسواقها ، واظهار بعض الصناعات التى كانت تشتهر بها كل مدينة من مدن الشام فى ذلك الوقت . كصناعة الزيت الذى قامت عليه صناعة الصابون والحرير والثياب وغيرها من الصناعات مع ابراز لأهم المنتجات الزراعية التى كانت تشتهر بها بلاد الشام وكان يصدر منها الى

---

(١) رحلة ابن بطوطة ص ١١١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥٧ ـ ٦٤ ـ ٩٦ .

(٣) " " ص ٢٥١ .

(٤) " " ص ٥٧ ، ٧٤ .

بعض البلدان المجاورة .

أما كتابات ابن بطوطة فانها اقتصرت على الأحوال الاقتصادية بها خلال زيارتيه الأولى والثالثة فقط .

ففى زيارته الأولى سنة ٧٢٦هـ أشاد بحسن الأسواق فى كل مدينة كان يزورها دون أن يحدد أسماء هذه الاسواق باستثناء مدينة دمشق التى أولاها اهتماما خاصا فى وصفه للاسواق بها والمحيطة بالجامع الأموى . كما ذكر بعضا من الصناعات فى بعض المدن كصناعة الصابون وصناعة بعض أنواع المربيات والحلوى وصناعة الثياب . ومعظم هذه الصناعات كانت عند ذكره لمدينة بعلبك .(١)

أما فى زيارته الثالثة سنة ٧٤٨هـ فانه كتب عن الأحوال الاقتصادية بالشام حيث ذكر غلاء المعيشة فيها .(٢)

وبمقارنة ما كتبه كل منهم نلاحظ أن المؤرخين كانوا أكثر وضوحا وشمولا فى ابراز النواحى الاقتصادية لبلاد الشام فى تلك الفترة . أما ابن بطوطة فلم يزودنا بأى معلومات عن الاحوال الاقتصادية فى الفترة من سنة ٧٢٧هـ الى سنة ٧٤٧هـ . والتى أشار المؤرخون الى بعض النواحى الاقتصادية خلال تلك الفترة . كعبارة المقريزى فى أحداث سنة ٧٤٧هـ " وفى شوال قدم الخبر بغلاء الأسعار بدمشق حتى ابيع الخبز كل رطلين بدرهم والقمح كل غراره بمئة وسبعين " .(٣)

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ص ٨٣ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٦٥١ .

(٣) المقريزى : السلوك ج٢ق٣ ص ٧٢١ — راجع ابن كثير : البداية والنهاية ج١٤ / ٢٢٤ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ج٢ / ٤٩٥ — ٤٩٦ ، راجع المقريزى : السلوك ج٢ق٢/٣٩٤ ، ٤٠٩ ، ج٢ق٣/٥٨٠ ، ٦٢٢ ، ٦٩٧ .

ثالثا : الناحية الاجتماعية :—

لم يحظ الجانب الاجتماعى لدى المؤرخين فى القرن الثامن الهجرى الا بقدر ضئيل لا يتناسب واهميته فى التاريخ العام . فالمعروف أن كتب المؤرخين أولت اهتماما كبيرا للجانبين السياسى والحربى وأغفلت الجانب الاجتماعى . وبمقارنة ما كتبه المؤرخون وما كتبه ابن بطوطة ، نجد أنه تفوق عليهم فيما كتبه عن الناحية الاجتماعية ، فقد أسهب فى الوصف فجاء شاملا لعادات أهل الشام وتقاليدهم وفضائلهم ونظام الأوقاف عندهم وتضامنهم الاجتماعى . والتى تعكس لنا بحق ما كان يتمتع به أهل الشام من فضائل واخلاق حميدة وكرم الضيافة (١) .

كما أشار الى التركيب السكانى فى الشام بذكر المسلمين وبعض الطوائف الخارجة عنهم كالروافض فى عكا ، والنصيرية فى جبله ، والاسماعيلية بحصون الفداويه (٢) .

كما اهتم ابن بطوطة كثيرا بذكر العلماء والقضاه فى كل مدينة كان يمر بها .

---

(١) راجع رحلة ابن بطوطة ص ١٠٤ وما بعدها .

(٢) راجع رحلة ابن بطوطة ص ٦٢ — ٦٧ — ٧٤ .


خاتمة

الخاتمة

أهمية مشاهدات ابن بطوطة بالنسبة لدراسة تاريخ بلاد الشام :—

بعد تلك السياحة الممتعة فى رحلات ابن بطوطة المتكررة الى بلاد الشام ، وما يتصل بها من رحلات أخرى ، وما كتبه المؤرخون المسلمون المعاصرون لتلك الرحلة .

أستطيع أن أقول ان ابن بطوطة أسدى الى تاريخ بلاد الشام معلومات هامة ومفيدة فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وقد كان أبرع ما فى رحلته وأروعه حديثه عن مدينة دمشق ، بذكر نظام الاوقاف فيها ، وفضائل أهلها من كرم الضيافة لديهم وخاصة فى شهر رمضان المبارك ، وتعميرهم للمساجد والزوايا والمدارس ، والاحسان الى الغريب مع تقديم العون والمساعدة لهم ، وعن ذلك ذكر لنا ابن بطوطة عددا من الرجال الذين اشتهروا بعمل الخير ، كما أشاد بتضامنهم الاجتماعى عند نزول الشدائد والمصائب بهم ، كما أشاد ابن بطوطة أيضا بمساجدها ومدارسها وما كان عليه الجامع الاموى من عمارته برجال العلم والعلماء وطلبة العلم والقراء ، وهذه الصورة الجميلة عكست لنا أهم مظاهر الحياة فى المجتمع الشامى ، فهى صورة متكررة لاغلب مدن الشام وقراها ، ويتضح لنا ذلك من قوله : وأكثر قرى دمشق فيها الحمامات والمساجد الجامعة وسكانها كأهل الحاضرة فى مناحيهم .

كما كان حديثه عن الأحوال الاقتصادية فى زيارته الاولى سنة ٧٢٦هـ بأنها فى وضع مزدهر وكانت حسب الميزان الاقتصادى فى صالح بلاد الشام ، والذى شمل ذكر بعض من حاصلاتها الزراعية ، ووصف جمال الطبيعة بها وخاصة مدينة

دمشق وحلب ، وحماة وبعلبك ، كما أشاد بالصناعة فى كل من سرمين وبعلبك ، مع ذكر بعض من صادرات بلاد الشام الى الخارج •

كما جاء وصفه لمدينة طرابلس شاملا يذكر بعض من نوابها والحمامات بها ، وكذلك مدينة غزة بوصف أسواقها ومسجدها الجامع ، كما قدم لنا ابن بطوطة وصفا جميلا للجامع الأموى بدمشق ، والمسجد الاقصى ، ومسجد الخليل •

ومع هذا فلم تسلم رحلته لبلاد الشام من بعض المآخذ ومع ذلك يكفيه شرفا أن عمله هذا استحق منى ومن غيرى النظر فيه بعين الاهتمام والتصحيح والتدقيق فقد كان لاعتماده على الذاكرة فى تدوين رحلته عموما ، بعد فترة استمرة أكثر من خمسة وعشرين عاما ، وعدم تدوين رحلته أولا بأول ، كغيره من الرحالة الذين سبقوه فى هذا المضمار كابن جبير ومن جاء بعده كالبلوى • كان لذلك أثره الواضح فى وقوعه فى كثير من الأخطاء ، فالذاكرة كثيرا ماتخون منها ما يلى :—

١ — ان خط سير رحلته الاولى الى بلاد الشام سنة ٧٢٦هـ • كان غامضا أحيانا ومفتقرا الى الدقة أحيانا أخرى ، فقد كان يتنقل من مدينة الى مدينة دون أن يوضح التسلسل الجغرافى لهذه المدن ، مما أوقعه فى كثير من المآخذ فذكر مثلا أن تيزين تقع على طريق قنسرين وهذا غير صحيح فقنسرين جنوب شرقى حلب ، أما تيزين فهى فى شمال غربى حلب ولا يمكن أن تكون على طريق قنسرين ، كما وقع أيضا فى بعض الاخطاء الجغرافية البارزة ، مثال ذلك قوله بأن النهر الذى يمر بمدينة حلب هو نهر العاص ، بينما هو فى حقيقة الأمر نهر قويق •

٢ — اقتباسه جزءا كبيرا من رحلة ابن جبير ، علما بأنه أشار بنفسه الى ذلك الاقتباس

صراحة فيما يتعلق بمدينة دمشق وحلب ، ولكن اقتباسه عن ابن جبير لم يقتصر على وصف تلك المدينتين فحسب ، بل اقتبس منه جزاء كبيرا ، في وصف الجامع الاموى وجبل قاسيون والربوة وعادات وتقاليد أهل دمشق ووصف جامع حلب ، ومدينة صور وعكا دون أن يشير الى ذلك ، رغم أن عملية الاقتباس أو النقل كانت واضحة مع تغيير طفيف لبعض الالفاظ ، ويعود ذلك بالطبع الى أن ابن بطوطة كان قد نسى ما علق بذاكرته عن هذه المدن فأحب أن يعوض ذلك النقص من رحلة ابن جبير •

٣ ـ ان ابن بطوطة كان سطحيا فى ايراد معلومات عن الاحداث السياسية حيث لم تتسم بالدقة لعدم ايراده لتواريخ هذه الاحداث فى حينها ، وقد قمت ازاء ذلك بضبط التواريخ وترتيبها ، لما يترتب على ذلك من التسلسل التاريخى الذى يفرضه البحث العلمى •

٤ ـ أحاديثه المضطربة وهو يورد أسماء بعض القضاه جامعا بين بعضهم فى وقت واحد كما حدث عند حديثه عن القاضى المالكى والحنبلى فى رحلته الاولى سنة ٧٢٦هـ لمدينة حلب • بينما لم يكن بها أثناء الرحلة الا قاضى شافعى وآخر حنفى •

٥ ـ نسيانه لكثير من أسماء القضاه عند ذكره لحصن الاكراد ـ وغيره ـ حيث قال : ونزلت عند قاضيها ولا أحقق الآن اسمه ، وقد كان الواجب عليه أن يتحرى أسماءهم عند التدوين ، ولكنه كان يكتفى بذكر ألقابهم فقط ونادرا ما يتعرض لاسمائهم الحقيقية •

٦ ـ ومن ملاحظاتى على رحلته فى بلاد الشام أنه كان ينقل كل ماراه أو سمعه دون

تمحيص أو تدقيق فملكة النقد مفقودة لديه ، فعند رؤيته لدرقة بقبة الصخرة
قال عنها : والناس يزعمون انها درقة حمزه بن عبد المطلب رضى الله عنه ،
وما ذكره عن عين البقر بعكا وان الله تعالى أخرج منها البقر لآدم عليه السلام
وما ذكره عن جبل قاسيون والربوة فى دمشق ، كما أنه كان يقع فى حشو لا يستدعيه
سياق الرحلة كحكاياته عن ملك المغرب يعقوب بن يوسف وأدهم الزاهد والشيخ
الولى احمد الرفاعى والعابد أرسلان المعروف بالباز الاشهب ، والتى يعجز
عن تصديقها وقد أوقعه الحشو فى خطأ تاريخى حيث زعم أن قبر يعقوب بن يوسف
فى بيروت بينما قبره فى مراكش بالمغرب .

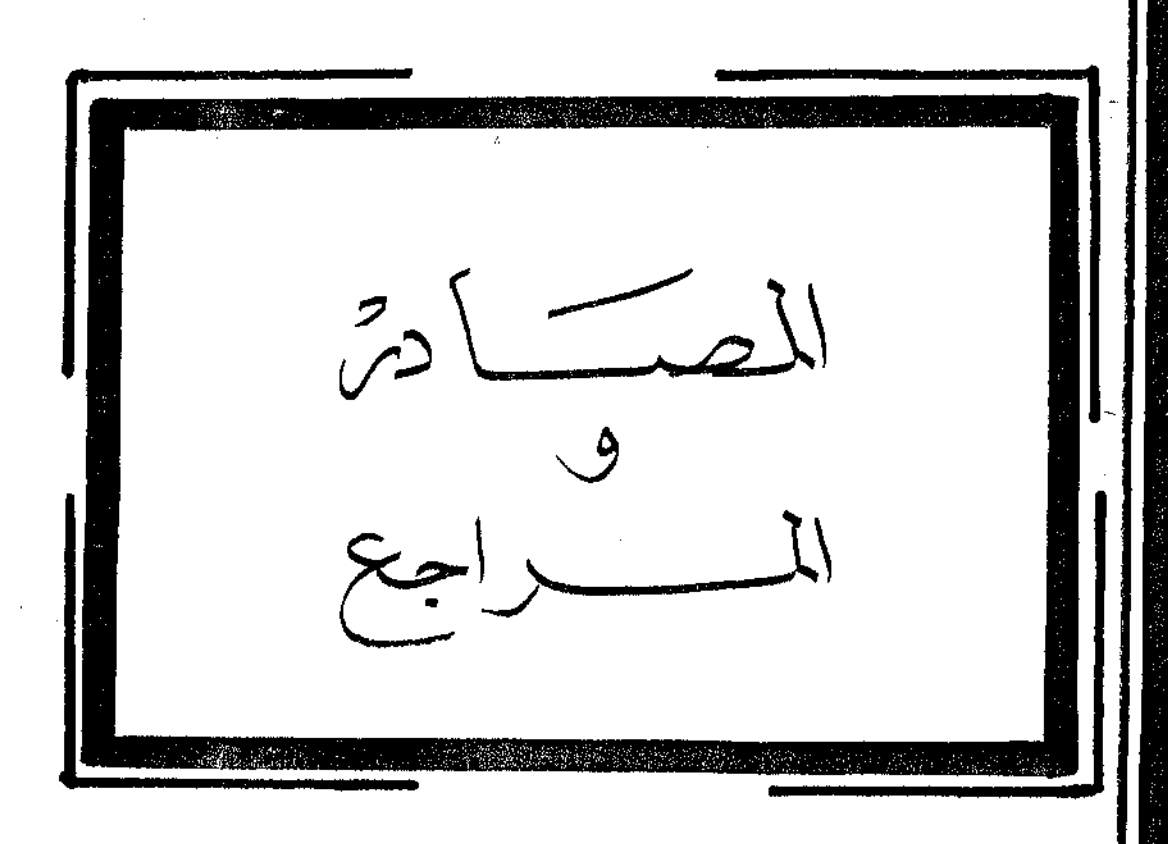
وقد أوضحت كل ذلك فى الباب الثانى فى استعراض ما ذكره ابن بطوطة
عن الاحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية خلال زياراته المتكررة .

٧ — استطعت (بفضل الله) أن أقارن بين ما ذكره الرحالة العبدرى والبلوى وما
ذكره ابن بطوطة فيما يتعلق بخط سير الجميع ، وخرجت من تلك المقارنة بأن
الأولين اقتصرت رحلاتهما على فلسطين فقط ، وكان خط سيرهما واضحا ومفصلا .

ويرجع ذلك الى دقة التواريخ التى أورداها ، كما كان منهجهما ومعلوماتهما
فى التدوين اكثر دقة بسبب قيامهما بتسجيل الرحلة اولا بأول ، مما مكنهما من ايراد
الاسماء والاوصاف دقيقة غير مشوشة ، ولو قدر للرحالة العبدرى والبلوى أن يرتحلا
الى داخل بلاد الشام لكانت معلوماتهما أعم وأشمل وأدق مما كتبه ابن بطوطة
عن بلاد الشام .

ومع تلك المآخذ فارجو الا يظن ظان اننى اسقطت ابن بطوطة من علياء سمائه
وما نقدى الامثلة الكلف فى وجه القمر وما هى الا جهود متواضعة منى ، أرجو أن أكون
قد وفقت فى جانبها الاكبر والكمال لله وحده .

وبالله التوفيـــق ...


المصادر
و
المراجع

أولا : المصـــادر :

— ابن الأثير الجزري (عز الدين ابو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني ت ٦٣٠هـ/١٢٢٣م) .

— أسد الغابة فى معرفة الصحابة الاجزاء ١، ٣، ٤ ، المطبعة الوهبية القاهرة ١٢٨٠هـ تصوير المكتبة الاسلامية

— الكامل فى التاريخ الأجزاء ٨، ٩ ، دار الكتاب العربى ببروت ١٣٨٧هـ — ١٩٦٧م.

— ابن اياس (ابو البركات محمد بن احمد بن اياس الحنفى ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) .

بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، الجزء الأول ق ١ القاهرة ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م .

— ابن بطوطة (ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى الطنجـــى ت ٧٧٩هـ/٦٨ — ١٣٦٩م) .

رحلة ابن بطوطة المسماه تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الأسفـار ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م .

— ابن تغرى بردى (جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الاتابكى ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م) .

— الدليل الشافى على المنهل الصافى ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، جزءان ، مكتبة الخانجى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

— النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، الأجزاء ٣، ٨، ٩، ١٠ ، القاهرة ١٣٩١هـ — ١٩٧٢م .

— المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، تحقيق احمد يوسف نجاتى ، الجزء الأول دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٧٥هـ — ١٩٥٦م .

— ابن تيمية (تقى الدين احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م)

شرح حديث النزول منشورات المكتب الاسلامى ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

— ابن جبير (ابو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكنانى ت ٥٤٠ / ٦١٤هـ)

رحلة ابن جبير ، تحقيق حسين نصار ، دار مصر للطباعة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

— ابن الجوزى (الامام أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م .)

فضائل القدس ، تحقيق جبرائيل سليمان جبور ، دار الافاق الجديدة بيروت ١٩٧٩م .

— ابن الحاج (ابو عبد الله محمد بن محمد العبدرى الفاسى المالكى الشهير بابن الحاج ت ٧٣٧هـ/١٣٣٦م).

المدخل لابن الحاج ، الجزء الأول دار الفكر ١٤٠١هـ — ١٩٨١م .

— ابن حجر (احمد بن على بن محمد الشهير بابن حجر العسقلانى ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م).

— الاصابة فى تمييز الصحابة ، تحقيق على محمد البجاوى ، ٨ أجزاء ، دار النهضة القاهرة ١٣٩٢هـ — ١٩٧٢م .

— الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، ٤ أجزاء ، دار الجيل بيروت بدون تاريخ .

— لسان الميزان ، ج ١ الطبعة الثانية . مؤسسة الاعلمى ، بيروت ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م .

— ابن حيوس (ابو الفتيان محمد بن سلطان المشهور بابن حيوس الغنوى الدمشقى ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م) .

ديوان ابن حيوس ، تحقيق خليل مردم بك ، الجزء الأول ، دمشق ١٣٧١هـ / ١٩٥١م .

ـــ ابن حوقل (ابو القاسم محمد بن على ت ق ٤هـ / ١٠م)
صورة الأرض ، مكتبة الحياة بيروت ١٩٧٩م .

ـــ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)
المقدمة و كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون)
جـ١ ، ٥ دار الكتاب اللبنانى بيروت ١٩٦٧م .

ـــ ابن الخطيب البغدادى (الامام ابو بكر احمد بن على بن ثابت ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)
ـ تاريخ بغداد ، جـ٢ ، دار الكتاب العربى بيروت بدون تاريخ .
ـ الرحلة فى طلب الحديث ، تحقيق نور الدين عتر ، دار الكتب العامة
بيروت ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

ـــ ابن الخطيب (ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السلمانى)
الاحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، ثلاثة أجزاء ، مكتبة
الخانجى القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

ـــ ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبى بكر ت ٦٨١ هـ /
١٢٨٢م) .
وفيات الأعيان وأبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، الجزء الأول ، دار
صادر بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

ـــ ابن السراج (محمد بن محمد الاندلسى الوزير السراج ت ١١٤٩هـ/١٧٣٦م)
الحلل السندسية فى الأخبار التونسية ، تحقيق محمد الحبيب الهيله ، جـ١
ق٤ الدار التونسية للنشر ١٩٧٠م .

ـــ ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م) .
الطبقات الكبرى ، تحقيق مجموعة من المستشرقين ، ٨ أجزاء ، دار التحرير
القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

— ابن شاكر المكتبى (محمد بن شاكر بن احمد بن عبد الرحمن ت ٧٦٤هـ/١٣٩٣م)
فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق احسان عباس ، ٤ أجزاء ، دار صادر
بيروت ١٩٧٣م .

— ابن شداد (عز الدين ابى عبد الله محمد بن على بن ابراهيم الحلبى ت ٦٨٤هـ/
١٢٨٥م) .
الاعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة ، الجزء الأول ،تحقيق دومينيك
سورديل ، دمشق ١٩٥٣م،الجزء الثانى ، تحقيق سامى الدهان ،
دمشق ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م .

— ابن صصرى (محمد بن محمد بن صصرى
الدرر المضيئة فى الدولة الظاهرية ، تحقيق وليم م . برينر ، كالفورنيا ١٩٦٣م.

— ابن طولون (شمس الدين محمد بن على بن طولون الحنفى الصالحى
قضاة دمشق (الثغر البسام فى ذكر من ولى قضاء الشام) تحقيق صلاح الدين
المنجد دمشق ١٩٥٦م .

— ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر
الاستيعاب فى معرفة الاصحاب ، تحقيق على محمد البجاوى، ٤ أجزاء ،مكتبة
نهضة مصر . القاهرة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .

— ابن عبد الحق (صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)
مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق على محمد البجاوى، ثلاثة
اجزاء دار المعرفة ، بيروت ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

— ابن العماد الحنبلى (ابو الفلاح عبد الحى بن على بن محمد ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج٣،٤،٥،٦ ، المكتبة التجارية بيروت
بدون تاريخ .

— ابن فضل الله العمرى (شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م .

مسالك الابصار فى ممالك الامصار ، الجزء الأول ،تحقيق احمد زكى باشا .

— ابن فضلان (احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد

رسالة ابن فضلان (فى وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة .
تحقيق سامى الدهان ، المطبعة الهاشمية دمشق ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

— ابن فارس (ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م .

معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون جـ٢ ، القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .

— ابن القاضى (احمد ابن القاضى المكناسى ت ١٠١٢هـ/١٦٠٣م .

جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس ، القسم الأول والثانى دار المنصور ، الرباط ١٩٧٣م .

— ابن كثير (عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م

- البداية والنهاية جـ٨،٩،١٠،١٢،١٣،١٤ ، مكتبة المعارف بيروت ومكتبة النصر بالرياض ١٩٦٦م .

- تفسير القرآن العظيم ، جـ٤ ، دار المعرفة ببروت ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م .

- قصص الأنبياء ، دار الفكر بيروت ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م .

— ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقى المصرى ت ٧١١هـ / .

لسان العرب المحيط ، أعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلى ، المجلد ١،٢،٣ ، دار لسان العرب ، بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

— ابن نباته (جمال الدين ابو بكر محمد بن نباته الفارقى ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م) ٠

ديوان ابن نباته ، دارالمعرفة بيروت بدون تاريخ ٠

— ابن الوردى (زين الدين عمر بن المظفر بن أبى الفوارس ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)٠

تتمة المختصر فى اخبار البشر (تاريخ ابن الوردى) تحقيق احمد رفعت البدوى

ج٢، دار المعرفة ، بيروت ١٣٨٩هـ — ١٩٧٠م ٠

— ابو شامه (شهاب عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م) ٠

الروضتين فى اخبار الدولتين ، ج٢ ، دار الجيل ، بيروت بدون تاريخ ٠

— ابو العلاء المعرى (احمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي ت ٤٤٩هـ/١٠٥٧م)٠

ديوان سقط الزند ، شرح وتعليق د ٠ ن ٠ رضا ، منشورات ٠

مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٥م ٠

— ابو عبادة البحترى (الوليد بن عبدالله الطائى ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) ٠

ديوان البحترى ، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفى ، المجلد الثانى ،

دار المعارف بمصر ١٩٧٣م ٠

— ابو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل صاحب حماة ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)٠

— المختصر فى اخبار البشر ج ٣، ٤ ، دارالمعرفة بيروت بدون تاريخ ٠

— تقويم البلدان ٠ باريس ١٨٤٠م ٠

— ابو القاسم الزيانى (ت ١٢٤٩هـ/١٨٠٩م) ٠

الترجمانه الكبرى فى اخبار المعمور براويحرا ، تحقيق عبد الكريم الفيلالى ،

المغرب ١٣٨٧هـ — ١٩٦٧م ٠

— ابو نعيم الاصبهانى (الحافظ احمد بن عبد الله ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م) ٠

حلية الأولياء وطبقات الاصفياء ٠ جـ١ ، ٢ ، ٧ ، دار الكتاب العربى بيروت ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ٠

— ابو الوليد بن الاحمر (اسماعيل ابن الأحمر)

روضة النسرين فى دولة بنى مرين ، منشورات المطبعة الملكية ، الرباط ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ٠

— ابو اليمن الحنبلى (مجير الدين العليمى الحنبلى ت ٩٢٨هـ/١٥٢٢م)٠

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، جزءان ، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٣م ٠

— الاصطخرى (ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى ، المعروف بالكرخى ، ت فى النصف الاول من ق ٤هـ ٣٤٠هـ) ٠

المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسينى ، القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ٠

— البخارى (ابو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفى البخارى ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م) ٠

التاريخ الكبير ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن ، ١٣٦١هـ (تصوير دار المكتب العلمية بيروت) ٠

— البدرى (أبو البقاء عبد الله بن محمد البدرى المصرى الدمشقى)

نزهة الانام فى محاسن الشام ، المطبعة السلفية بمصر ، القاهرة ١٣٤١هـ ٠

— البلاذرى (احمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ)

فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٦م ٠

ـــ البلوى (ابو البقاء خالد بن عيسى البلوى ت بعد سنة ٧٦٥هـ) .

تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق ، تحقيق الحسن السائح ، جزءان ، اشراف اللجنة المشتركة للتراث الاسلامى ، المملكة المغربية ـ ودولـــة الامارات العربية المتحدة .

ـــ التجانى (ابو محمد عبدالله بن محمد ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧م) .

رحلة التجانى ، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨م .

ـــ التنبكتى (ابو العباس احمد بن احمد بن عمر المعروف ببابا التنبكتى) .

نيل الابتهاج بتطريز الديباج (وهو هامش فى كتاب الديباج المذهب فـــى معرفة أعيان علماء المذهب ، لبرهان الدين ابراهيم المدنى المالكى . دار الكتب العلمية ، بيروت بدون تاريخ .

ـــ الجزيرى (عبدالقادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد الانصارى ت بعد سنة ٩٧٦هـ)

درر الفوائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، القاهرة ١٣٨٤هـ .

ـــ الحموى (شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت الحموى ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .

معجم البلدان ، ٥ أجزاء ، دار صادر بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

ـــ القاضى الخولانى (عبدالجبار بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحيم الخولانى ، عاش فى القرن الرابع الهجرى) .

تاريخ داريا ، بعناية سعيد الافغانى ، مطبعة الترقى ، دمشق ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م .

ـــ الذهبى (شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبى ، ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)

ـ تذكرة الحفاظ ، ٤ أجزاء ، دار احياء التراث العربى ، بيروت (عن النسخة القديمة المحفوظة فى مكتبة الحرم ، تحت اعانة وزارة معارف الحكومـــة العالية الهندية .

- دول الاسلام ، تحقيق فهيم شلتوت ومحمد ابراهيم ، ج٢، القاهرة ١٩٧٤م .

- سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الارنؤوط ج٢،٣،٤،٥، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

- ذيل تذكرة الحفاظ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، .

— الربعي (أبو الحسن علي بن محمد الربعي المالكي ت ٤٤٤هـ/١٠٥٢م) .

فضائل الشام ودمشق ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٨٢م .

— الزبيدي (محب الدين أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي)

- تاج العروس من جواهر القاموس ، ج ٥، ٧ ، مكتبة الحياة ، بيرون بدون تاريخ .

- معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس ، جمع وتحقيق ، محمود مصطفى الدمياطي ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ١٩٦٥م .

— زهير ابن أبي سلمى :

ديوان ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

— السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ٧٧١هـ/١٣٦٩م) .

طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو ، ج٣، ٨، ٩، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٧٤م .

— السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) .

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ج١ ، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

ـــ الشهرستانى (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م) .
الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، جـ١ ، دار المعارف بـــيروت ،
١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

ـــ شيخ الربوة (شمس الدين ابو عبد الله محمد ابو طالب الانصارى الدمشـــقى
ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧م) .
نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، بطرسبورغ ١٢٨١هـ / ١٨٦٥م .

ـــ الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ، ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) .
الوافى بالوفيات ، جـ١ ـــ ٨ ، باعتناء . ديدرنغ وآخرون ، بيروت ١٩٧١م/
١٩٧٣م ، جـ٩ ، باعتناء يوسف خان إس ، بيروت ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م
جـ١٠ ، باعتناء جاكلين سوبله وعلى عمارة ، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

ـــ الطبرى (ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) .
جامع البيان فى تفسير القرآن جـ١٨ ، دار المعارف بيروت ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

ـــ العبدرى (ابو عبد الله محمد بن محمد العبدرى الحيحيى ت بعد سنة ٦٩٩هـ)
رحلة العبدرى (المسماة الرحلة المغربية) تحقيق محمد الفاسى ، الربـــاط
١٩٦٨م .

ـــ الغزالى (أبو حامد محمد بن محمد الغزالى ت ٥٠٥هـ/١١١١م) .
احياء علوم الدين ، جـ٦ ، دار الشعب ، القاهرة بدون تاريخ .

ـــ الفاسى (تقى الدين محمد بن احمد الحسنى الفاسى المكى ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م)
العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، تحقيق فؤاد سيد ، جـ١ ، ٥ ، ٦ ، مطبعة
السنة المحمدية القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

— القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٧٢هـ/١٢٨٣م) •
أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر بيروت •

— القلقشندى (ابو العباس احمد بن على القلقشندى ، ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)•
صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، جا ، ٤ ، ٥ ، ١٢ ، ١٣ ،المؤسسة المصرية
العامة القاهرة ١٣٨٣ / ١٩٦٣م •

— المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين ابن على المسعودى ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ،
جا ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م •

— المقرى التلمسانى (احمد بن محمد المقرى التلمسانى ت ١٠٤١هـ/١٦٣٢م)
نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق محمد محى الدين
عبد الحميد ، ج٣ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م

— المقريزى (تقى الدين احمد بن على المقريزى ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) •
ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، ج٢ ،تحقيق محمد حلمى
احمد ، القاهرة ١٣٩٠هـ/١٩٧١م •
ـ الذهب المسبوك •
ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج٣ ، طبعة بولاق ، القاهرة
١٩٧٠م •
ـ السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ،ج٢ ق١ ،
٢ ، ٣ القاهرة ١٩٥٨م •

— المكناسى (ابو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن عثمان المكناسى ت ١٢١٤هـ/١٧٩٩
الأكسير فى فكاك الاسير ،تحقيق محمد الفاسى ، الرباط ١٩٦٥م •

— ناصر خسرو (ت ٤٨٠هـ/١٠٨٨م) .

سفر نامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، بيروت ١٩٧٠م .

— النعيمي (عبدالقادر بن محمد النعيمي الدمشقي ت ٩٢٧هـ/١٥٢١م)

الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسني ، جزءان ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م ، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م .

دور القرآن في دمشق ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٨٢م .

— النويري الاسكندراني (محمد بن قاسم محمد النويري الاسكندراني ت بعد سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٢هـ) .

كتاب الالمام بالاعلام فيما جرت به الأحكام ، تحقيق عزيز سوريال عطيه ، ج٤ ، حيدراباد الدكن ، الهند ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

— النويري (شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب ، ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) .

نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٨ ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

— النيسابوري (الامام مسلم) (ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، ت ٢٠٦هـ/ ٨٢١م) .

صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ج٤ ، داراحياء الكتب العربية القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

— اليافعي (الامام ابو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان ، ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م) .

مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج٤ ، بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

" المراجع العربية والمترجمة والدوريات "

— ابراهيم طرخان •

النظم الاقطاعية فى الشرق الاوسط فى العصور الوسطى ، دار الكاتب العربى القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م •

— احمد احمد بدوى •

الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٢م •

— احمد أمين •

ضحى الاسلام ، ج٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٤م •

— احمد رمضان احمد محمد •

- الرحلة والرحالة المسلمون ، دار البيان العربى ، بدون تاريخ •
- المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، القاهرة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م •

— احمد سوسة •

الشريف الادريسى فى الجغرافيا العربية ، الباب الأول والثانى ، المكتبة الوطنية ، بغداد ١٩٧٤م •

— احمد عطية الله •

رحلة ابن بطوطة الى بلاد الهند (عرض وتقديم) مكتبة الانجلو المصرية

ـــ احمد العوامري بك ـ ومحمد احمد جاد المولى بك •

مهذب رحلة ابن بطوطة جـ١ ، المطبعة الاميرية ببولاق ، القاهـــــرة

١٣٥٣هـ/١٩٣٤م •

ـــ احمد فائز الحمصـي •

روائع العمارة العربية فى سوريا ، وزارة الاوقاف ، دمشق ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م •

ـــ احمد مختار العبادى •

ـ فى تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية بدون

تاريخ •

ـ من مظاهر الحياة الاقتصادية فى المدينة الاسلامية ، مجلة عالم الفكر ، مجلة

دورية تصدر عن وزارة الاعلام بالكويت ، المجلد الحادى عشر ـ العـدد

الاول ، ١٩٨٠م •

ـــ اكرم حسن العلبى •

دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين ، دمشق ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م •

ـــ انور عبد العليم •

الملاحة وعلوم البحار عند العرب (سلسلة عالم المعرفة العدد ١٣) المجلـس

الوطنى للثقافة والفنون ـ الكويت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م •

ـــ تقى الدين الندوى المظاهرى •

الامام البخارى (أعلام المسلمين العدد ١٣) دار القلم دمشق ١٤٠١هـ/١٩٨١

ـــ جبران مسعود •

الرائد (معجم لغوى عصرى) دار العلم للملايين • بيروت ١٩٦٧م •

— جرجى زيدان •

تاريخ آداب اللغة العربية • ج٣٤٢ • مكتبة الحياة • بيروت ١٩٦٧م •

— جورج غريب •

أدب الرحلة تاريخه وأعلامه (سلسلة الموسوعة للادب العربى عدد ٧) دار الثقافة بيروت ١٩٧٩م •

— جون • س وآخرون •

عبقرية الحضارة العربية ، ترجمة صلاح جلال وآخرون • مطبعة ما ساتشوسيتس لندن ١٩٧٨م •

— حسن الباشا •

الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ثلاثة أجزاء • دار النهضة العربية • القاهرة ١٩٦٦م •

— حسين مؤنس •

ابن بطوطة رحالة الاسلام (مجلة العربى) مجلة شهرية تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت عدد ٢١٣ • شعبان ١٣٩٦هـ •

— خير الدين الزركلى •

الأعلام ، ج ١، ٢، ٣، ٥، ٦، ٧ • الطبعة الثالثة • بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م

— دائرة المعارف الاسلامية •

نقلها الى العربية محمد ثابت الفندى وآخرون • الجزء الاول ، انتشارات جهان تهران • ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م •

— رشاد الامام •

مدينة القدس فى العصر الوسيط • تونس ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م •

— زكي محمد حسن .

الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، دار المعارف .. القاهرة ١٩٤٥م .

— سالم الرشيد .

محمد الفاتح ، دار العلم للملايين . بيروت ١٩٦٩م .

— سعيد عبد الفتاح عاشور .

– مصر والشام فى عصر الايوبيين والمماليك ، بيروت ١٩٧٢م .

– الحياة الاجتماعية بالمدينة الاسلامية ، (مجلة عالم الفكر ، العدد الاول)

مجلة دورية تصدر كل ثلاثة شهور عن وزارة الاعلام بحكومة الكويت ١٩٨٠م .

— السيد عبد العزيز سالم .

– التاريخ والمؤرخون العرب . دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١م .

– طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى . دار المعارف . الاسكندرية ١٩٦٧م .

— سيد عبد المجيد بكر .

أشهر المساجد فى العالم . الجزء الاول . دار القبلة . جدة ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

— السيد عبد الودود برغوت .

جوانب اجتماعية من تاريخ دمشق فى القرن الخامس عشر . (من مخطوط احمد بن طوق . المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشام المنعقد فى الجامعة الاردنية . الدار المتحدة للنشر . بيروت ١٩٧٤م .

— شاكر خصباك .

ابن بطوطة ورحلته . مطبعة الآداب . النجف الاشرف ، بغداد . ١٩٧١م .

ـــ صالح عبد الله التويجرى .

الصنوبرى شاعر الطبيعة فى العصر العباسى . مؤسسة دار الاصالة .
الرياض (بدون تاريخ) .

ـــ صلاح الدين المنجد .

أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب (سلسلة يصدرها الدكتور صـــلاح
الدين المنجد عدد ٢) دار الكتاب الجديد . بيروت ١٩٧٨م .

ـــ طه ثلجى الطروانة .

مملكة صفد فى عهد المماليك . منشورات دار الآفاق الجديد . بـــيروت
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

ـــ عادل زيـــتون .

العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى . دار
دمشق ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

ـــ عبد الجليل المهدى .

المدارس فى بيت المقدس فى العصر الايوبى والمملوكى جـ٢

ـــ عبد الرحمن الرافعى وسعيد عبد الفتاح عاشور .

مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى . دار
النهضة العربية القاهرة ١٩٧٠م .

ـــ عبد الرحمن عطـية .

الصنوبرى شاعر الطبيعة . الدار العربية للكتاب . ليبيا ـ تونس ١٩٨١م

ـــ عبد القادر الريحاوى .

مدينة دمشق (كتاب يبحث فى تاريخ دمشق وتطورها العمرانى وفى الفنون
والآثار) دمشق . ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

— عبد اللطيف حمزه .

الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول . دار الفكر العربى القاهرة ١٩٦٨م .

— عبد الهادى التازى .

بلاد الشام فى الوثائق الدبلوماسية المغربية . المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشام المنعقد فى الجامعة الاردنية ١٣٩٤هـ . الدار المتحدة للنشر . بيروت ١٩٧٤م .

— عبد الوهاب نجار .

قصص الأنبياء . مطبعة النصر . القاهرة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م .

— عفيف عبد الفتاح طباره .

مع الأنبياء فى القرآن الكريم . دار العلم للملايين بيروت . بدون تاريخ .

— عفيف بهنسى .

لمحات آثارية وفنية . دار الحرية . بغداد ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

— على ابراهيم حسن .

- تاريخ المماليك البحرية . القاهرة ١٩٦٧م .
- مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى الى الفتح العثمانى . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٦٤م .

— على الطنطاوى .

الجامع الاموى فى دمشق . دار الفكر . دمشق . ١٣٨٠هـ/١٩٦١م .

— عمر الحكيم .

تمهيد فى علم الجغرافيا . الكتاب الاول مطبعة الجامعة السورية . ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م .

ـــ عمر رضا كحالة .

أعلام النساء جـ٢ ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

ـــ عمر عبد السلام تدمري .

تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس فى عصر المماليك . دار البـــلاد

طرابلس . ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

ـــ فايد حماد عاشور .

العلاقات السياسية بين المماليك والمغول فى الدولة المملوكية الأولى .

دار المعارف بمصر . القاهرة . ١٩٧٦م .

ـــ فتحى عثمان .

الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى

الجزء الاول . القاهرة ١٩٦٦م .

ـــ فريد شافعى .

العمارة فى مصر الاسلامية ـ عصر الولاة . المجلد الأول القاهرة ١٩٧٠م .

ـــ فيليب حتى .

تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، جـ٢ . ترجمة كمال البازجى . دار الثقافة

بيروت . ١٩٧٢م .

ـــ كراتشكوفسكى .

تاريخ الأدب الجغرافى العربى . نقله الى العربية عثمان هاشم .

(قســـمان) . القاهرة ١٩٦٣م .

ـــ محمد ابو زهرة .

تاريخ المذاهب الاسلامية ، الجزء الاول . دار الفكر العربى . القاهرة

١٩٧٦م .

ـــ محمد جمال الدين سرور.

دولة بنى قلاوون . دار الفكر العربى . القاهرة . ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م .

ـــ محمد الفاسـى .

الرحالة الشهير ابو عبد الله محمد العبدرى (صحيفة معهد الدراسـات الاسلامية فى مدريد . المجلد التاسع والعاشر) مدريد ١٩٦١ ـ ١٩٦٢م .

ـــ محمد بن عبد السلام بن عبود .

تاريخ المغرب . الجزء الاول ، دار الطباعة المغربية . تطوان المغرب ١٩٥٧م .

ـــ محمد عجاج الخطيب .

أصول الحديث ، علومه ومصطلحه . دار الفكر . دمشق ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

ـــ محمد على الصابونى .

ـ مختصر تفسير ابن كثير ، المجلد الثالث ، بيروت ١٣٩٣هـ .

ـ النبوة والانبياء . الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

ـــ محمد كرد على

خطط الشام . جـ٥ ، ٦ . دار العلم للملايين . بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م

ـــ محمد كمال الدسوقى .

الدولة العثمانية والمسالة الشرقية . دار الثقافة. القاهرة ١٩٧٦م .

ـــ محمد محمد امين .

الاوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر . القاهرة . ١٩٨٠م .

ـــ محمود الشرقاوى .

رحلة مع ابن بطوطة من طنجة الى الصين والاندلس وافريقيا . مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة ١٩٦٨م .

ـــ محمود محمد الحويرى .

الاوضاع الحضارية فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشـــر من الميلاد دار المعارف فى القاهرة ١٩٧٩م .

ـــ المنجد فى اللغة والاعلام . دار المشرق . بيروت ١٩٧٣م .

ـــ ناصر السيد محمود النقشبندى .

الدرهم الاسلامى المضروب على الطراز الساسانى ، الجزء الاول . مطبوعات المجمع العلمى العراقى . بغداد ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

ـــ نعمت اسماعيل علام .

فنون الشرق الاوسط فى العصور الاسلامية . دار المعارف بمصر . ١٩٧٧م .

ـــ نيقولا زيادة .

ـ الجغرافيا والرحلات عند العرب ، المطبعة الاهلية . بيروت . ١٩٨٠م .

ـ دمشق فى عصر المماليك ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بيروت ـ نيويورك ١٩٦٦م .

ـ رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م .

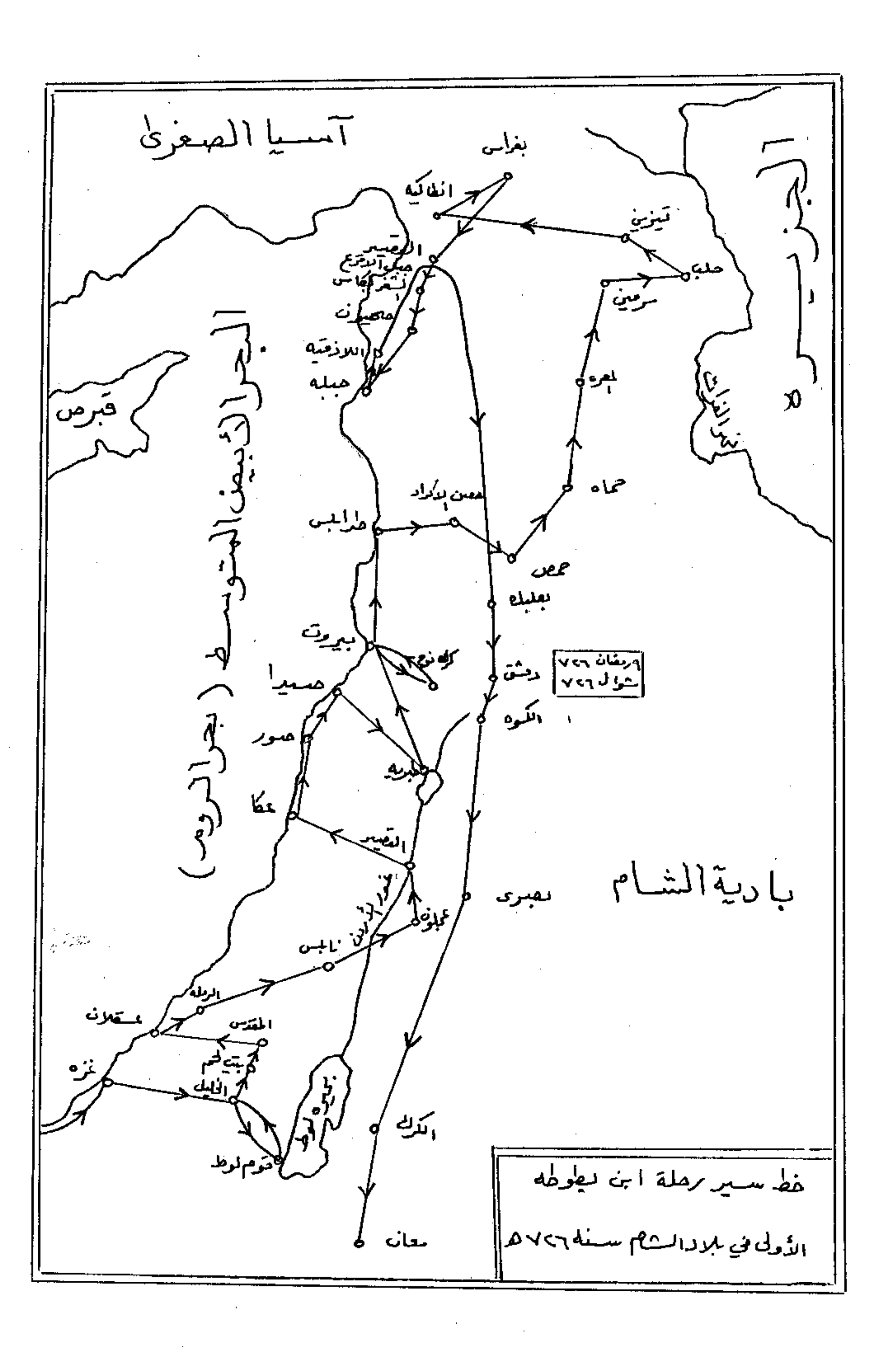
ـــ يسرى الجوهرى .

الفكر الجغرافى والكشوفات الجغرافية ، منشأة المعارف . الاسكندرية ، الطبعة الثالثة . ١٩٧٩م .

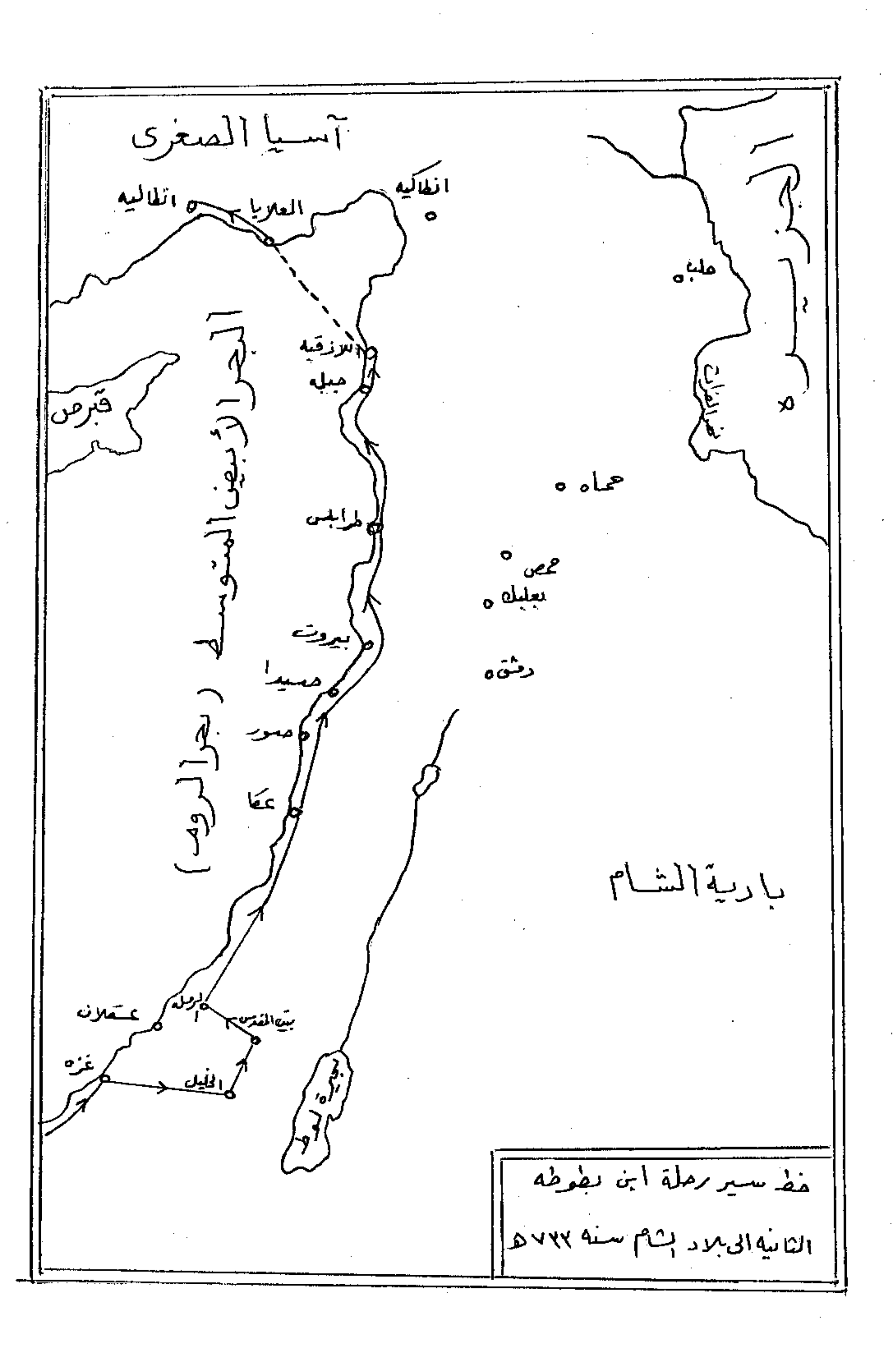
ـــ يوسف درويش غوانمه .

ـ التاريخ الحضارى لشرقى الاردن فى العصر المملوكى . دار الفكر . عمان ١٩٨٢م

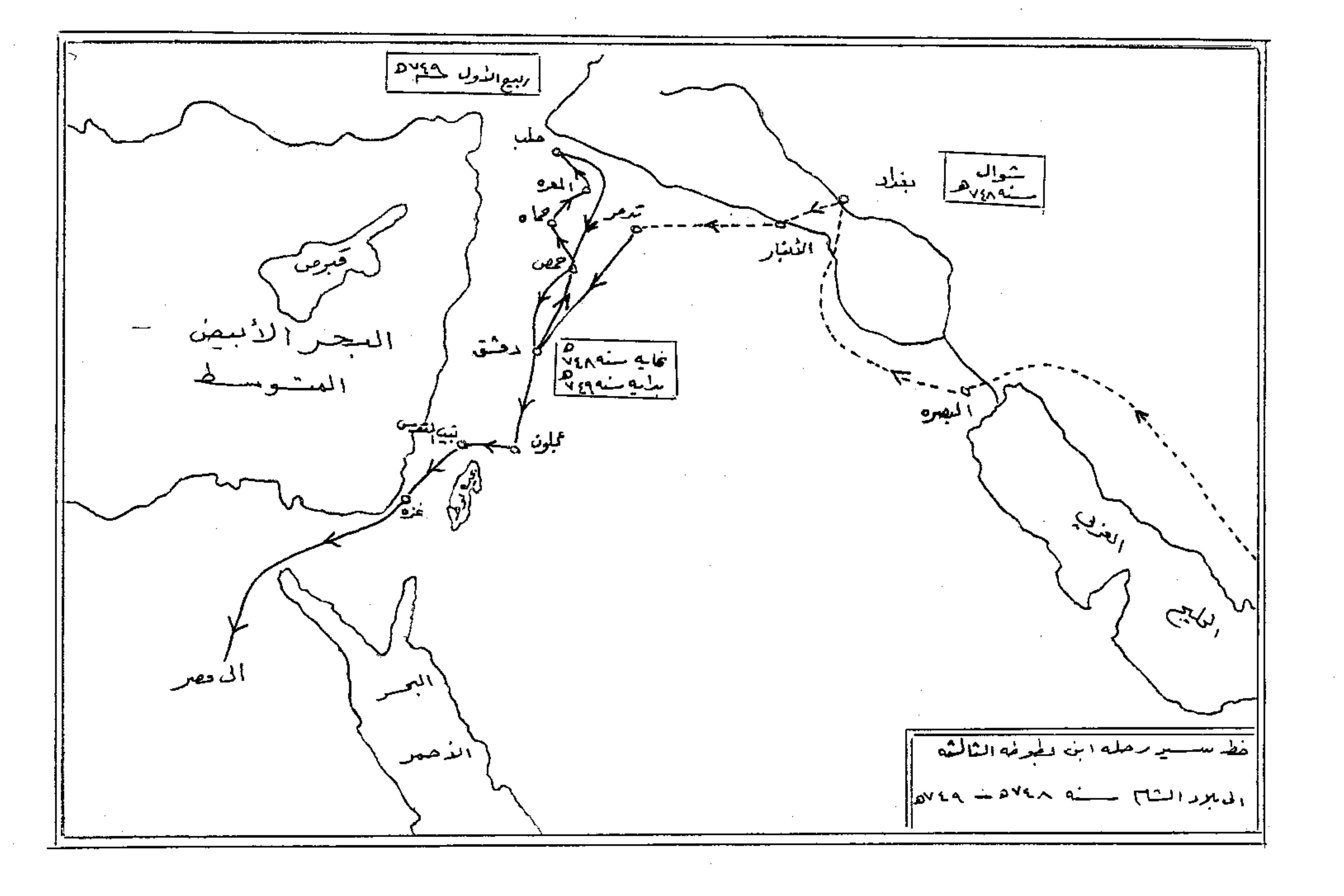
ـ دراسات فى تاريخ الاردن وفلسطين فى العصر الاسلامى . دار الفكر . عمان ١٩٨٣م .



خط سير رحلة ابن بطوطه الأولى في بلاد الشام سنة ٧٢٦هـ

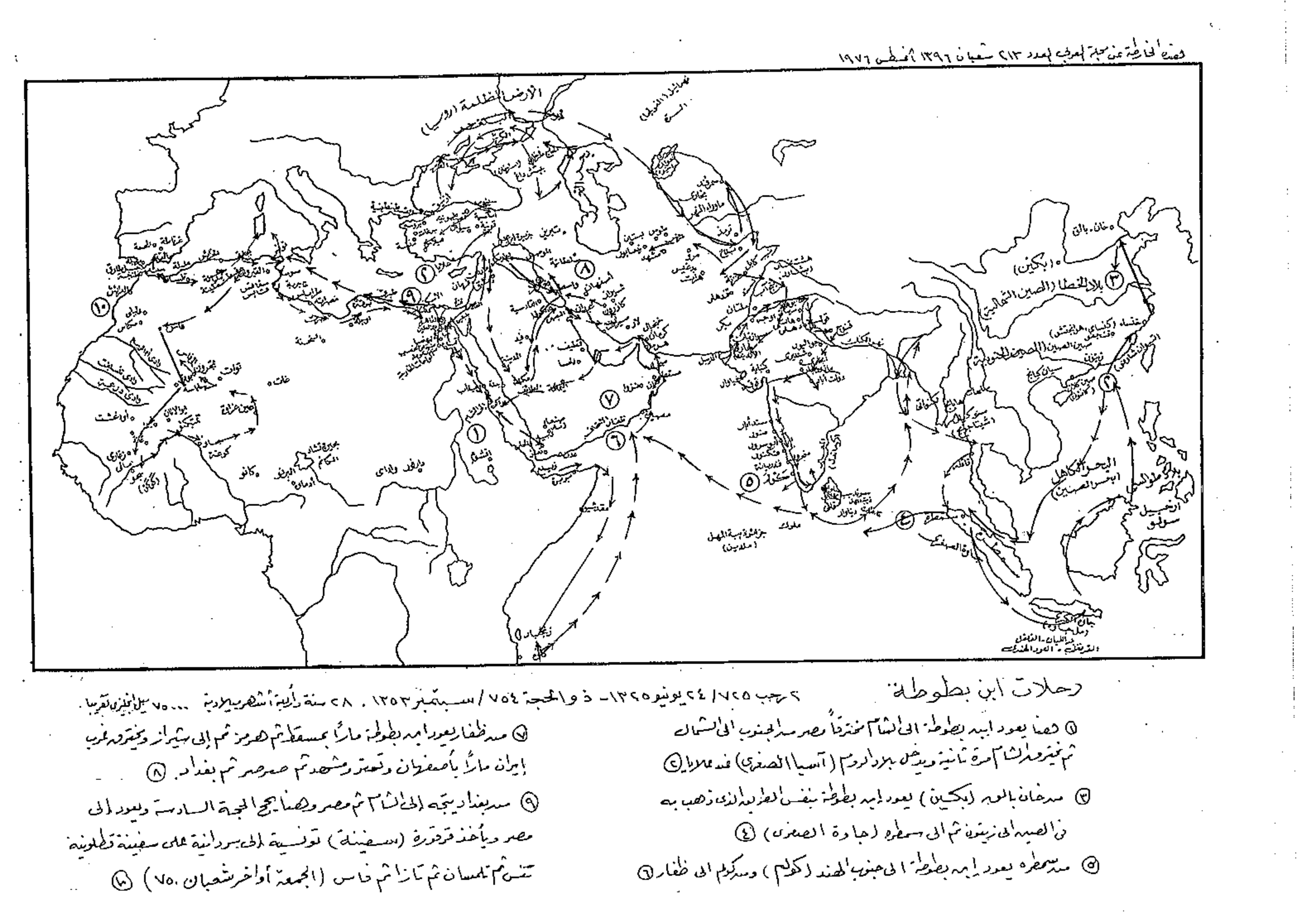


خط سير رحلة ابن بطوطه
الثانيه الى بلاد الشام سنه ٧٢٢ هـ



خط سير رحلة ابن بطوطة الثالثة
الى بلاد الشام سنة ٧٤٨هـ - ٧٤٩هـ
ربيع الأول ٧٤٩هـ
شوال سنة ٧٤٨هـ
نهاية سنة ٧٤٨هـ
بداية سنة ٧٤٩هـ
حلب
المعرة
حماه
حمص
تدمر
دمشق
عجلون
بيت المقدس
غزة
الى مصر
بغداد
الأنبار
البصرة
الخليج العربي
البحر الأبيض المتوسط
قبرص
البحر الأحمر

وضعت الخارطة من مجلة العربي العدد ٢١٣ شعبان ١٣٩٦ أغسطس ١٩٧٦



رحلات ابن بطوطة:

٢ رجب ٧٢٥ / ٢٤ يونيو ١٣٢٥ - ذو الحجة ٧٥٤ / سبتمبر ١٣٥٣ . ٢٨ سنة ذلك أربعة أشهر ميلادية ٧٥٠٠٠ ميل إنكليزي تقريباً.

① هنا يعود ابن بطوطة الى الشام مخترقاً مصر من الجنوب الى الشمال ثم يغير من الشام مرة ثانية ويدخل بلاد الروم (آسيا الصغرى) فيد علايا ②

③ من خان بالق (بكين) يعود ابن بطوطة بنفس الطريق الذي ذهب به من الصين الى زيتون ثم الى سمطرة (جاوة الصغرى) ④

⑤ من سمطرة يعود ابن بطوطة الى جنوب الهند (كولم) ومن كولم الى ظفار ⑥

⑦ من ظفار يعود ابن بطوطة ماراً بمسقط ثم هرمز ثم إلى شيراز ويخترق غرب إيران ماراً بأصفهان وتستر ومشهد ثم صرصر ثم بغداد. ⑧

⑨ من بغداد يتجه الى الشام ثم مصر وهنا يحج الحجة السادسة ويعود الى مصر ويأخذ قرقورة (سفينة) تونسية الى سردانية على سفينة قطلونية تنس ثم تلمسان ثم تازا ثم فاس (الجمعة أواخر شعبان ٧٥٠) ⑩